الربع الرابع

من الف ليلة وليلة

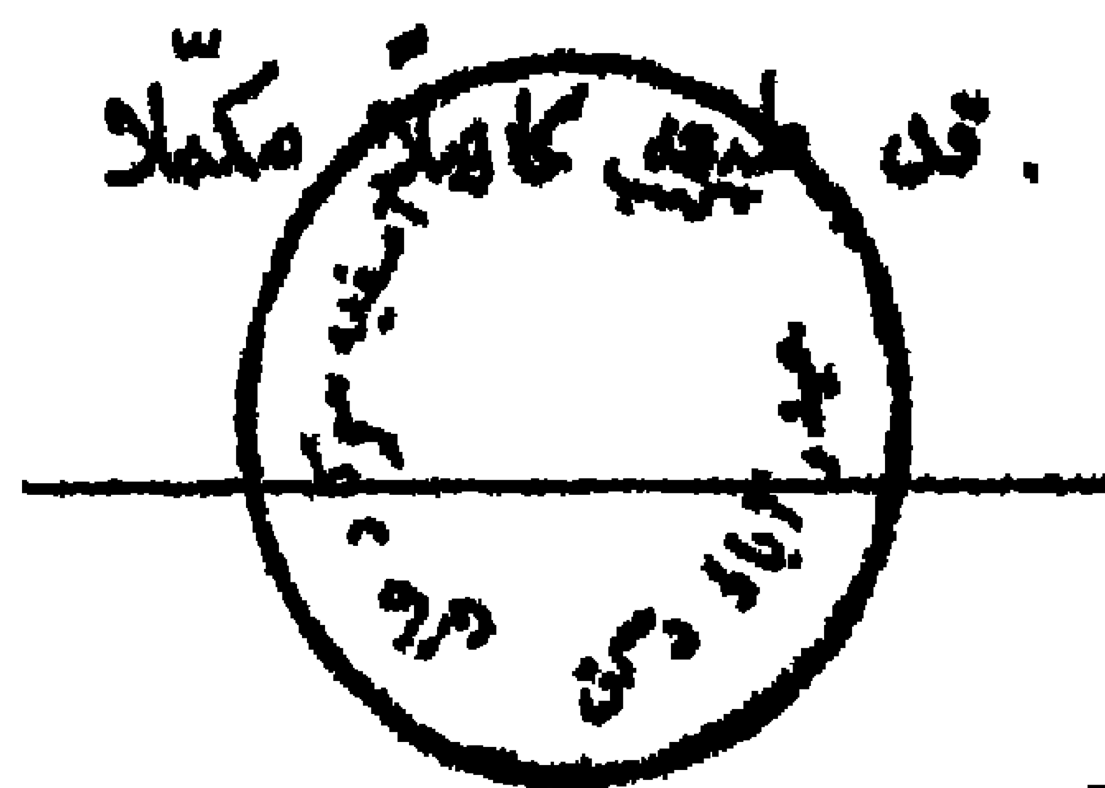
اعني

كتاب الف ليلة وليلة

يُدعي عموما

اَسمار الليالي للعرب ممّا يتضمّن الفُكاهة و يورث الطرب

قد طبع كاملا مكمّلا .



وليم حي مكناطن سكرتر الدولة الانجريزية

في الممالك الهندية

في اربع مجلدات

الربع الرابع

من كتاب

ألف ليلة وليلة

* حكاية اخبار الولد الصائغ لامه حال الاعجمي وتحذيرها له عن مصاحبة الاعجمي

الاعجمي رأسه وقال والله انك صائغ مليح * وصار ينظر الى صناعته وهو ينظر الى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولون بحسنه وجماله وقده واعتداله * فلما كان وقت العصر خلت الدكان من الناس فعند ذلك اقبل الرجل الاعجمي عليه * وقال له يا ولدي انت شاب مليح ما هذا الكتاب ومالك اب وانا مالي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا احسن منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاعجمي اقبل على حسن الصائغ وقال له يا ولدي انت شاب مليح ومالك اب وانا مالي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا احسن منها * وقد سألني خلق كثير من الناس في شأن تعليمها فما رضيت ان اعلمها احدا منهم * ولكن قد سمحت نفسي ان اعلمك اياها واجعلك ولدي واجعل بينك وبين الفقر حجابا وتستريح من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحم والنار * فقال له حسن يا سيدي ومتى تعلمني فقال في غد آتيك واصنع لك من النحاس ذهبا خالصا بحضرتك * ففرح حسن وودع الاعجمي وسار الى والدته فدخل وسلم عليها واكل معها واخبرها بقصة الاعجمي وهو مدهوش بلا وعي ولا عقل * فقالت له امه ما بالك يا ولدي احذر ان تسمع كلام الناس خصوصا الاعجام فلا تطاوعهم في شيء * فان هؤلاء غشاشون يعلمون صنعة الكيمياء ويصبون على الناس ويأخذون اموالهم

ويأكلونها بالباطل * فقال لها يا امي نحن ناس فقراء وما عندنا شيء يطمع فيه حتى ينصب علينا * وان هذا الاعجمي شيخ صالح عليه اثر الصلاح وانما هو قد حنّنه الله عليّ فسكتت امه على غيظ * وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذه نوم في تلك الليلة من شدة فرحه بقول الاعجمي له * فلما اصبح الصباح قام واخذ المفاتيح وفتح الدكان واذا بالاعجمي قد اقبل عليه * فقام له واراد حسن ان يقبّل يديه فامتنع ولم يرض بذلك * وقال يا حسن عمّر البودقة وركّب الكير ففعل ما امره به الاعجمي واوقد الفحم * فقال له الاعجمي يا ولدي هل عندك نحاس قال عندي طبق مكسور * فامره ان يكبس عليه بالكاز ويقطعه قطعا صغارا ففعل كما قال له * وقطعه قطعا صغارا ورماه في البودقة ونفخ عليه بالكير حتى صار ماء * فمدّ الاعجمي يده الى عمامته واخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذرّ منها شيأ في البودقة مقدار نصف درهم وذلك الشيء يشبه الكحل الاصفر * وامر حسنا ان ينفخ عليه بالكير ففعل مثل ما امره حتى صار سبيكة ذهب * فلما نظر حسن الى ذلك اندهش وتحيّر عقله من الفرح الذي حصل له * واخذ السبيكة وقلّبها واخذ المبرد وبرّدها فرآها ذهبا خالصا من عال العالي * فطار عقله واندهش من شدة الفرح * ثم انحنى على يد الاعجمي ليقبلها فمنعه وقال له خذ هذه السبيكة وانزل بها الى السوق وبعها واقبض ثمنها سريعا ولا تتكلم * فنزل حسن الى السوق واعطى السبيكة الى الدلال فاخذها منه وحكّها فوجدها ذهبا خالصا ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم * وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة

عشر الف درهم وقبض ثمنها * ومضى الى البيت وحكى لامه جميع ما فعل وقال لامه يا امي اني قد تعلمت هذه الصنعة فضحكت عليه وقالت لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما حكى لامه ما فعل الاعجمي وقال لها اني قد تعلمت هذه الصنعة قالت لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * وسكتت على مَضض منها * ثم ان حسنا اخذ من جهله هاوُنا وذهب به الى الاعجمي وهو قاعد في الدكان ووضعه بين يديه * فقال له يا ولدي ما تريد ان تصنع بهذا الهاون قال ندخله النار ونعمله سبائك ذهب * فضحك الاعجمي وقال له يا ولدي هل انت مجنون حتى تنزل السوق بسبيكتين في يوم واحد اما تعلم ان الناس ينكرون علينا وتروح ارواحنا * ولكن يا ولدي اذا علّمتك هذه الصنعة لا تعملها في السنة الّا مرة واحدة فهي تكفيك من السنة الى السنة * قال صدقت يا سيدي ثم انه قعد في الدكان وركب البودقة ورمى الفحم في النار * فقال له الاعجمي يا ولدي ماذا تريد قال علمني هذه الصنعة * فضحك الاعجمي وقال لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم انت يا ابني قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط * هل احد في عمره يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق او في الاسواق * فان اشتغلنا بها في هذا المكان يقول الناس علينا ان هؤلاء يصنعون الكيمياء * فتسمع بنا الحكام فتروح ارواحنا فان كنت يا ولدي تريد ان تتعلم هذه الصنعة فاذهب

معي الى بيتي * فقام حسن واغلق الدكان وتوجه مع الاعجمي * فبينما هو في الطريق اذ تذكر قول امه وحسب في نفسه الف حساب ووقف واطرق برأسه الى الارض ساعة زمانية * فالتفت الاعجمي فرآه واقفا فضحك وقال له هل انت مجنون كيف اضمر لك في قلبي الخير وانت تحسب اني اضرك * ثم قال له الاعجمي ان كنت خائفا من ذهابك معي الى بيتي فانا اروح معك الى بيتك واعلمك هناك * فقال له حسن نعم يا عم فقال له امش قد امي * فسار حسن قد امه الى منزله وسار الاعجمي خلفه الى أن وصل منزله * فدخل حسن الى داره فوجد والدته فاعلمها بحضور الاعجمي معه والاعجمي واقف على الباب * ففرشت لهما البيت ورتبته * فلما فرغت من امرها راحت * ثم ان حسنا اذن للاعجمي ان يدخل فدخل * ثم ان حسنا اخذ في يده طبقا وذهب به الى السوق ليجيء فيه بشيء يأكله * فخرج وجاء بأكل واحضره بين يديه وقال له كل يا سيدي لاجل ان يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم ممن يخون الخبز والملح * فقال له صدقت يا ولدي ثم تبسم وقال يا ولدي من يعرف قدر الخبز والملح * ثم تقدم الاعجمي واكل مع حسن حتى اكتفيا * ثم قال له الاعجمي يا ولدي حسن هات لنا شيأ من الحلوى فمضى حسن الى السوق واحضر عشر قبات من الحلوى وفرح حسن بكلام الاعجمي * فلما قدم له الحلوى اكل منها واكل معه حسن * ثم قال له الاعجمي جزاك الله خيرا يا ولدي مثلك من يصاحبه الناس ويظهرونه على اسرارهم ويعلمونه ما ينفعه * ثم قال الاعجمي يا حسن احضر العدة فما صدق حسن بهذا الحديث وقد خرج مثل المُهر اذا انطلق من

الربيع * حتى اتى الى الدكان واخذ العدة ورجع ووضعها بين يديه * فاخرج الاعجمي قرطاسا من الورق وقال يا حسن وحق الخبز والملح لولا انت اعز من ولدي ما اطلعتك على هذه الصنعة وما بقي معي شيء من هذا الاكسير الا هذا القرطاس * ولكن تأمل حين اركب العقاقير واضعها قدامك * واعلم يا ولدي يا حسن انك تضع على كل عشرة ارطال نحاسا نصف درهم من هذا الذي في الورقة فتصير العشرة ارطال ذهبا خالصا ابريزا * ثم قال له يا ولدي يا حسن ان في هذه الورقة ثلثة اواق بالوزن المصري وبعد ان يفرغ ما في هذه الورقة اعمل لك غيره * فاخذ حسن الورقة فرأى فيها شيئا اصفر انعم من الاول * فقال يا سيدي ما اسم هذا واين يوجد وفي اي شيء يعمل * فضحك الاعجمي وطمع في حسن وقال له عن اي شيء تسأل اعمل وانت ساكت * واخرج طاسة من البيت وقطعها والقاها في البودقة ورمى عليها قليلا من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب الخالص * فلما رأى حسن ذلك فرح فرحا شديدا وصار متحيرا في عقله مشغولا بملك السبيكة * فاخرج الاعجمي صرة من رأسه بسرعة وفيها بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل الى الليل * وقطعها ووضعها في قطعة من الحلوى وقال له يا حسن انت بقيت ولدي وصرت عندي اعز من روحي ومالي * وعندي بنت ازوجك بها * فقال حسن انا غلامك ومهما فعلته معي كان عند الله تعالى * فقال الاعجمي يا ولدي طول بالك وصبر نفسك فيحصل لك الخير * ثم ناوله القطعة الحلوى فاخذها وقبل يده ووضعها في فمه وهو لا يعلم ما له في الغيب * ثم بلع القطعة الحلوى فسبقت رأسه رجليه وغاب عن الدنيا * فلما

رأه الاعجمي و قال حلّ به البلاء فرح فرحا شديـــدا وقام على اقدامه * وقال له وحست يا علق يا كلب العرب في شركي لي اعوام كثيرة افتش عليك حتى حصلتك يا حسن و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان حسنا الصائغ لما اكل القطعة الحلوى التي اعطاها له الاعجمي و وقع منها على الارض مغشيا عليه فرح الاعجمي وقال له لي اعوام كثيره وانا افتش علـــيك حتى حصلتك * ثم ان الاعجمي شدّ وسطه وكتّف حسنا وربط رجليه على يديه * واخذ صندوقا و اخرج منه الحوائج التى كانت فيه ووضع حسنا فيه وقفله عليه * وفرغ صندوقا آخر وحط فيه جميع المال الذى عند حسن والسبائك الذهب التي عملها اوّلا وثانيا وقفله * ثم خرج يجري الى السوق واحضر حمالا وحمل الصندوقين وخرج بهما الى ظاهر المدينـــة وحطهما على ساحل البحر * وتقدم الى المركب الراسية وكانت تلك المركب معينة ومهيئة للاعجمي وريسها منتظر له * فلما نظرته بحريتها اتوا اليه وحملوا الصندوقين ووضعوهما في المركب * وصرخ الاعجمي على الريس وعلى جميع البحرية وقال لهم قوموا قد انقضت الحاجة وبلغنا المراد * فصرخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا المراسي وحلّوا القلوع وسارت المركب بريح طيبة * هذا ما كان من امر الاعجمي وحسن * واما ما كان من امر ام حسن فانها انتظرته الى العشاء فلم تسمع له صوتا ولاخبرا جملة كافية * فجاءت الى البيت فرأته مفتوحا فدخلته

ولا ترفيه احدا ولم تجد الا الصناديق ولا المال * فعرفت ان ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاء فلطمت وجهها وشقت اثوابها وصاحت وولولت وصارت تقول وا ولداه وا ثمرة فؤاداه ثم انشدت هذه الابيات

اقل قل صبري ثم زاد تململي ... وزاد نحيبي بعدكم وتعللي
ولا صبر لي والله بعد فراقكم ... وكيف اصطباري بعد فرقة مأملي
وبعد حبيبي كيف التذ بالكرى ... ومن ذا الذي يهنى بعيش التذلل
رحلت فاوحشت الديار واهلها ... وكدرت من صفوي مشارب منهلي
وكنت معيني في الشدائد كلها ... وعزي وجاهي في الورى وتوسلي
فلا كان يوم كنت فيه مباعدا ... عن العين الا ان اراك تعود لي

ثم انها صارت تبكي وتنوح الى الصباح فدخل عليها الجيران وسألوها عن ولدها فاخبرتهم بماجرى له مع الاعجمي واعتقدت انها لا تراه بعد ذلك ابدا * وجعلت تدور في البيت وتبكي * فبينما هي دائرة في البيت اذ رأت سطرين مكتوبين على الحائط فاحضرت فقيها فقرأهما لها فاذا فيهما

سرى طيف ليلى عند ماغلب الكرى ... سحيرا وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى ... ارى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما سمعت ام حسن هذه الابيات صاحت وقالت نعم يا ولدي ان الدار قفراء والمزار بعيد * ثم ان الجيران ودعوها بعد ان دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريبا وانصرفوا * ولم تزل ام حسن تبكي أثناء الليل واطراف النهار * وبنت في وسط البيت قبرا وكتبت

عليه اسم حسن وتاريخ فقده * وكانت لا تفارق ذلك القبر ولم يزل ذلك دأبها من حين فارقها ولدها * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر ولدها حسن مع الاعجمي فان الاعجمي كان مجوسيا وكان يبغض المسلمين كثيرا وكان كلما قدر على احد من المسلمين يهلكه وهو خبيث لئيم مطالبي كيماوي فاجر كما قال فيه الشاعر

هُوَ الْكَلْبُ وَابْنُ الْكَلْبِ وَالْكَلْبُ جَدُّهُ ... وَلَا خَيْرَ فِي كَلْبٍ تَنَاسَلَ مِنْ كَلْبِ

وايضا هذا البيت

اِبْنُ اللِّئَامِ وَابْنُ كَلْبٍ مَارِدٍ ... وَابْنُ الزِّنَاءِ وَ ابْنُ غَيٍّ جَاحِدُ

وكان اسم ذلك الملعون بهرام المجوسي وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحه على مطلب * فلما تمت حيلته على حسن الصائغ وسار به من اول النهار الى الليل رست المركب على برّ الى الصباح * فلما طلعت الشمس وسارت المركب امر الاعجمي عبيده وغلمانه ان يحضروا له الصندوق الذي فيه حسن * فاحضروه له ففتحه واخرجه منه ونشقه بالخلّ ونفخ في انفه ذرورا فعطس وتقايا البنج وفتح عينيه ونظر يمينا وشمالا * فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائرة والاعجمي قاعد عنده * فعلم انها حيلة عملت عليه وقد عملها الملعون المجوسي وانه وقع في الامر الذي كانت امه تحذّره منه * فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم * اِنَّا لِلّٰهِ وَ اِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ * اللهم الطف بي في قضائك وصبّرني على بلائك يا رب العالمين * ثم التفت الى الاعجمي وكلّمه بكلام رقيق وقال له يا والدي ما هذه الفعال واين

الخبز و الملح واليمين التي حلفتها لي * فنظر اليه و قال له يا كلب هل مثلي يعرف خبزا و ملحا * و انا قد قتلت مثلك الف صبي الّا صبيا و انت تمام الالف و صاح عليه فسكت و علم ان سهم القضاء نفذ فيه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما راى نفسه وقع مع الاعجمي الملعون كلّمه بكلام رقيق فلم يفده بل صاح عليه فسكت و علم ان سهم القضاء نفذ فيه * فعند ذلك امر الملعون بحلّ كتافه * ثم سقوه قليلا من الماء و المجوسي يضحك ويقول و حق النار والنور و الظلّ و الحرور ما كنت اظن انك تقع في شبكتي * ولكن النار قوّتني عليك و اعانتني على قبضك حتى اقضي حاجتي و ارجع واجعلك قربانا لها حتى ترضى عني * فقال له حسن قد خنتَ الخبز والملح فرفع المجوسي يده و ضربه ضربة فوقع و عضّ الارض باسنانه و غشي عليه وجرت دموعه على خده * ثم امر المجوسي غلمانه ان يوقدوا له نارا فقال له حسن ما تصنع بها * فقال له هذه النار صاحبة النور و الشرر وهي التي اعبدها * فان كنت تعبدها مثلي فانا اعطيك نصف مالي و ازوّجك بنتي * فصاح حسن عليه و قال له ويلك انما انت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار * وما هذه الّا مصيبة في الاديان * فعند ذلك غضب المجوسي و قال له اما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني فلم يوافقه حسن على ذلك * فقام المجوسي الملعون وسجد للنار و امر غلمانه ان يمدّوا حسنا على وجهه فمدّوه على وجهه وصار المجوسي يضربه بسوط

حكاية تخليص اهل المركب حسن من يد المجوسي ومصالحته معه

مضيق حتى جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجيره احد * فرفع طرفه الى الملك القهار وتوسل اليه بالنبي المختار وقد عدم الاصطبار وجرت دموعه على خديه كالامطار وانشد هذين البيتين

صَبْرًا لِحُكْمِكَ يَا إِلٰهِي فِي ٱلْقَضَا أَنَا صَابِرٌ إِنْ كَانَ لِي فِي ذَا رِضَى
جَارُوا عَلَيْنَا وَٱعْتَدَوْا وَتَحَكَّمُوا فَعَسَاكَ بِٱلْإِحْسَانِ تَغْفِرُ مَا مَضَى

ثم ان المجوسي امر العبيد ان يقعدوه وامران يأتوا اليه بشيء من المأكول والمشروب فاحضروه فلم يرض ان يأكل ويشرب * وصار المجوسي يعذبه ليلا ونهارا مسافة الطريق وهو صابر ويتضرع الى الله عز وجل وقد قسا قلب المجوسي عليه * ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلثة اشهر وحسن معه في العذاب * فلما كملت الثلثة اشهر ارسل الله تعالى على المركب ريحا فاسود البحر وهاج بالمركب من كثرة الريح * فقال الريس والبحرية هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلثة اشهر في العقوبة مع هذا المجوسي وهذا ما يحل من الله تعالى * ثم انهم قاموا على المجوسي وقتلوا غلمانه وكل من معه * فلما رأهم المجوسي قتلوا الغلمان ايقن بالهلاك وخاف على نفسه وحلّ حسنا من كتافه وقلعه ما كان عليه من الثياب الرثّة والبسه غيرها وصالحه * ووعده ان يعلمه الصنعة ويرده الى بلده وقال له يا ولدي لا تؤاخذني بما فعلت معك * فقال له حسن كيف بقيت اركن اليك فقال له يا ولدي لو لا الذنب ما كانت المغفرة * وانا ما فعلت معك هذه الفعال الّا لاجل

ان انظر صبرك و انت تعلم ان الامر كله بيد الله * فترحمو البحرية و الريس بخلاصه و دعالهم حسن و حمد الله تعالى و شكره * فسكنت الرياح و انكشفت الظلمة و طاب الريح و السفر * ثم ان حسنا قال للمجوسي يا اعجمي الى اين تتوجه قال يا ولدي اتوجه الى جبل السحاب اللذي فيه الا كسير الذى نعمله كيميا * وحلف له المجوسي بالنار و النور انه ما بقي لحسن عنده ما يخيفه * فطاب قلب حسن و فرح بكلام المجوسي و صار ياكل معه و يشرب و ينام و يلبسه من ملبوسه * و لم يزالوا مسافرين مدة ثلثة اشهر اخر * وبعد ذلك رست بهم المركب على برّ طويل كله حصى ابيض و اصفر و ازرق و اسود و غير ذلك من جميع الالوان * فلما رست المركب نهض الاعجمي قائما و قال يا حسن قم اطلع فاننا قد وصلنا الى مطلوبنا و مرادنا * فقام حسن و طلع مع الاعجمي واوصى المجوسيُ الريسّ على مصالحه * ثم مشى حسن مع المجوسي الى ان بعدا عن المركب و غابا عن الاعين * ثم قعد المجوسي و اخرج من جيبه طبلا نحاسا و زخمة من حرير منقوشة بالذهب و عليها طلاسم و ضرب الطبل * فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه و تغير لونه * فنظر اليه المجوسي وقال له مالك يا ولدي وحق النار و النور ما بقي عليك خوف مني * ولولا ان حاجتي ما تقضى الّا على اسمك ما كنت طلعتك من المركب فابشر بكل خير * وهذه الغبرة غبرة شيءٍ نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية وبسهل علينا مشقتها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاعجمي قال لحسن ان هذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها فما كان الّا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلث نجائب فركب الاعجمي واحدة وركب حسن واحدة وحملا زادهما على الثالثة وسارا سبعة ايام * ثم انتهيا الى ارض واسعة فلما نزلا فى تلك الارض نظرا الى قبة معقودة على اربعة اعمدة من الذهب الاحمر * فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبة واكلا وشربا واستراحا * فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيأ عاليا فقال له حسن ما هذا يا عم * فقال المجوسي هذا قصر * فقال له حسن اما تقوم ندخله لنستريح فيه ونتفرج عليه * فغضب المجوسي وقال له لا تذكرلي هذا القصر فان فيه عدوي وجرت لي معه حكاية ليس هذا وقت اخبارك بها * ثم دق الطبل فاقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة ايام * فلما كان اليوم الثامن قال المجوسي يا حسن ما الذي تنظره * فقال حسن انظر سحابا وغماما بين المشرق والمغرب * فقال له المجوسي ما هذا سحاب ولا غمام وانما هو جبل عظيم شاهق ينقسم عليه السحاب * وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوه وعظم ارتفاعه * وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجتنا ولاجل هذا جئت بك معي وحاجتي تقضى على يديك * فعند ذلك يئس حسن من الحيوة ثم قال للمجوسي بحق معبودك وبحق ما تعتقده من دينك

اي شيءٍ الحاجة التي جئت بي من اجلها * فقال له ان صنعة الكيمياء لا تصح الا بحشيش ينبت في المحل الذي تمر به السحاب و يقطع عليه * و هو هذا الجبل و الحشيش فوقه فاذا حصلنا الحشيش اريك اى شيء هذه الصنعة * فقال له حسن من خوفه نعم ياسيدى و قد يئس من الحياة و بكى لفراق امه و اهله و وطنه و ندم على مخالفة امه و انشد هذين البيتين

تَأَمَّلْ صُنْعَ رَبِّكَ كَيْفَ يَأْتِي ... بِمَا تَهْوَاهُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبِ
وَلَا تَيْأَسْ اِذَا مَا نِلْتَ خَطْبًا ... فَكَمْ فِي الْخَطْبِ مِنْ لُطْفٍ عَجِيبِ

و لم يزالا سائرين الى ان وصلا الى ذلك الجبل و وقفا تحته فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصرا * فقال للمجوسي ما هذا القصر فقال المجوسي هذا مسكن الجان والغيلان والشياطين * ثم ان المجوسي نزل من فوق نجيبه و امره بالنزول وقام اليه و قبل رأسه * و قال له لا تؤاخذني بمافعلته معك و انا احفظك عند طلوعك القصر و احلفك انك لاتخونني في شيء من الذي تحضره منه و اكون انا و انت فيه سواء * فقال له السمع و الطاعة * ثم ان الاعجمي فتح جرابا و اخرج منه طاحونا و اخرج منه ايضا مقدارا من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلاثة اقراص و اوقد النار و خبز الاقراص * ثم اخرج الطبل النحاس و الزخمة المنقوشة و دق الطبل * فحضرت النجائب * فاختار منها نجيبا و ذبحه و سلخ جلده * ثم التفت الى حسن و قال له اسمع يا ولدى يا حسن ما اوصيك به قال نعم قال ادخل في هذا الجلد و اخيط عليك و اطرحك على الارض فتاتي الطيور الرخم فتحملك

و نطير بك الى اعلى الجبل وخذ هذه السكين معك فاذا فرغت من طير انها وعرفت انهما حطتك فوقه فشق بها الجلد و اخرج فان الطير يخاف منك و يطير عنك و طل لي من فوق الجبل وكلمني حتى اخبرك بالذي نعمله * ثم هيأ له الثلثة اقراص وركوة فيها ماء وحطها معه في الجلد و بعد ذلك خيطه عليه * ثم بعد عنه فجاء طير الرخم وحمله و طار به الى اعلى الجبل و وضعه هناك * فلما عرف حسن ان الرخم وضعه على الجبل شق الجلد و خرج منه و كلم المجوسي * فلما سمع المجوسي كلامه فرح و رقص من شدة الفرح و قال له امض الى ورائك و مهما رأيته فاعلمني به * فمضى حسن فرأى رمما كثيرة و عندهم حطب كثير فاخبره بجميع ماراه فقال هذا هو المقصود و المطلوب فخذ من الحطب ست حزم و ارمها لي فانها هي التي نعملها كيمياء فرمى له الست حزم * فلما رأى المجوسي تلك الحزم قد وصلت عنده قال لحسن يا علق قد انقضت الحاجة التي اردتها منك * و ان شئت فدم على هذا الجبل او الق نفسك على الارض حتى تهلك ثم مضى المجوسي * فقال حسن لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم قد مكر بي هذا الكلب * ثم قعد ينوح على نفسه وانشد هذه الابيات

إِذَا أَرَادَ اللّهُ أَمْرًا بِامْرِئٍ ... وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرْ
أَصَمَّ أُذْنَيْهِ وَأَعْمَى قَلْبَهُ ... وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ ... رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ

فَلَا تَقُلْ فِيمَا جَرى كَيْفَ جَرى   فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَ قَدَرْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت من الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المجوسي لما طلع حسن الجبل ورمى له حاجته من فوقه وتخه * ثم تركه و سار فقال حسن لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم قد مكرني هذا الخبيث الملعون * ثم انه وقف على قدميه و التفت يمينا و شمالا ثم مشى فوق الجبل وايقن في نفسه بالموت و صار يمشي حتى وصل الى الطرف الآخر من الجبل * فرأى بجنب الجبل بحرا ازرق متلاطم الامواج قد ازبد و كل موجة منه كالجبل العظيم * فقعد وقرأ ما تيسّر من القرآن و سأل الله تعالى ان يهون عليه امّا بالموت واما بالخلاص من هذه الشدائد * ثم صلى على نفسه صلوة الجنازة و رمى نفسه في البحر فحملته الامواج على سلامة الله تعالى الى ان طلع من البحر سالما بقدرة الله تعالى ففرح و حمد الله تعالى و شكره * ثم قام يمشي و يفتش على شيء يأكله * فبينما هو كذلك واذا هو بالمكان الذي كان فيه هو وبهرام المجوسي * ثم مشى ساعة فاذا هو بقصر عظيم شاهق في الهواء فدخله * فاذا هو القصر الذي كان سأل عنه المجوسي و قال له ان هذا القصر فيه عدوي * فقال حسن و الله لابد من دخولي هذا القصر لعل الفرج يحصل لي فيه * فلما جاءه رأى بابه مفتوحا فدخل من الباب فرأى مصطبة في الدهليز * و على المصطبة بنتان كالقمرين بين

ايديهما رقعة شطرنج وهما تلعبان * فرفعت واحدة منهما راسها اليه و صاحت من فرحتها و قالت و الله ان هذا أدمي و اظنه الذي جاء به بهرام المجوسي في هذه السنة * فلما سمع حسن كلامهما رمى نفسه بين ايديهما وبكى بكاء شديدا و قال ياسيداتي هوانا والله ذلك المسكين * فقالت البنت الصغرى لاختها الكبرى اشهدي عليّ يااختي ان هذا اخي في عهد الله و ميثاقه و اني اموت لموته واحيى لحيوته و افرح لفرحه و احزن لحزنه * ثم قامت له و عانقته وقبلته و اخذته من يده و دخلت به القصر و اختها معها * وقلعته ما كان عليه من الثيا ب الرثّة و اتت له ببدلة من ملابس الملوك والبسته اياها * وهيأت له الطعام من سائر الالوان وقدمته له و تعشدت هي و اختها و اكلتا معه * و قالتا له حدثنا بحديثك مع الكلب العاجر الساحر من حين وقعت في يده الى حين خلصت منه * ونحن نحدثك بماجرى لنا معه من اول الامر الى أخره حتى تصير على حذر منه اذا رأيته * فلما سمع حسن منهما هذا الكلام و رأى الاقبال منهما عليه اطمأنت نفسه و رجع له عقله * و صار يحدثهما بماجرى له معه من الاول الى الأخر * فقالتا له هل سألته عن هذا القصر قال نعم سألته * فقال لي لا احب سيرته فان هذا القصر للشياطين و الا بالسة فغضبت البنتان غضبا شديدا و قالتا هل جعلنا هذا الكافر شياطين وابالسة * فقال لهما حسن نعم * فقالت الصغيرة اخت حسن والله لاقتلنه اقبح قتلة واعدمنّه نسيم الدنيا * فقال حسن وكيف تصلين اليه و تقتلينه فانه ساحر غدرا قالت هو في بستان يسمى المشيل ولابدلي عن قتله قريبا * فقالت لها اختها صدق حسن وكلما قاله عن هذا الكلب صحيح

ولكن حدثيه بحديثنا كله حتى يبقى في ذهنه * فقالت الصغيرة اعلم يا اخي اننا من بنات الملوك وابونا ملك من ملوك الجان العظام الشان وله جنود واعوان وخدم من المردة * ورزقه الله تعالى بسبع بنات من امرأة واحدة ولحقه من الحماقة والغيرة وعزة النفس مالا مزيد عليه حتى انه لم يزوجنا لاحد من الرجال * ثم انه احضر وزراءه واصحابه وقال لهم هل انتم تعرفون لي مكانا لا يطرقه طارق لا من الانس ولا من الجن * ويكون كثير الاشجار والاثمار والانهار * فقالوا له ماالذي نصنع به يا ملك الزمان فقال اريد ان اجعل فيه بناتي السبعة * فقالوا له يا ملك يصلح لهن قصر جبل السحاب الذي كان انشأه عفريت من الجن المردة الذين تمردوا على عهد سيدنا سليمان عليه السلام * فلما هلك لم يسكنه احد بعده لا من الجن ولا من الانس لانه منقطع لا يصل اليه احد * وحوله الاشجار والاثمار والانهار وحوله ماء جار احلى من الشهد وابرد من الثلج ما شرب منه احد به برص اوجذام اوغيرهما الا عوفي من وقته وساعته * فلما سمع والدنا بذلك ارسلنا الى هذا القصر وارسل معنا العساكر والجنود وجمع لنا ما نحتاج فيه اليه * وكان اذا اراد الركوب يضرب الطبل فيحضر له جميع الجنود فيختار ما يركبه منهم وينصرف الباقون * فاذا اراد والدنا اننا نحضر عنده امر اتباعه من السحرة باحضارنا فيأتوننا ويأخذوننا ويوصلوننا بين يديه حتى يأتنس بنا ونقضي اغراضنا منه * ثم يرجعوننا الى مكاننا ولنا خمس اخوات أخرى ذهبن يتصيدن في هذه الفلاة فان فيها من الوحوش مالا يعد ولا يحصى * ولكل اثنتين منا عليهما نوبة في القعود لتسوية الطعام فجاءت النوبة علينا انا واختي

هذه فتعدنا لنسوي لهن الطعام * وكنا نسأل الله سبحانه وتعالى ان يرزقنا [redacted] آدميا يؤانسنا فالحمد لله الذي اوصلك الينا * فطب نفسا وقرّ عينا ما عليك بأس ففرح حسن وقال الحمد لله الذي هدانا الى طريق الخلاص وحنّن علينا القلوب * ثم قامت اخته واخذته من يده وادخلته مقصورة واخرجت منها من القماش والفرش ما لا يقدر عليه احد من المخلوقات * ثم بعد ساعة حضرت اخوانهما من الصيد والقنص فاخبرتاهن بحديث حسن ففرحن به ودخلن عليه في المقصورة وسلمن عليه وهنينه بالسلامة * ثم اقام عندهن في اطيب عيش واهنى سرور وصار يخرج معهن الى الصيد والقنص ويذبح الصيد واستأنس حسن بهن * ولم يزل معهن على هذه الحالة حتى صح جسده وبرئ من الذي كان به وقوي جسمه وغلظ وسمن بسبب ما هو فيه من الكرامة وقعوده عندهن في ذلك الموضع * وهو يتفرج ويتفسح معهن في ذلك القصر المزخرف وفي جميع البساتين والازهار * وهن يأخذن بخاطره ويؤانسنه بالكلام وقد زالت عنه الوحشة وزادت البنات به فرحا وسرورا * وكذلك هو فرح بهن اكثر مما فرحن به * ثم ان اخته الصغيرة حدثت اخوانها بحديث بهرام المجوسي وانه جعلهن شياطين واباليسة وغيلانا * فحلفن لها انه لابد لهن من قتله * فلما كان العام الثاني حضر الملعون ومعه شاب مليح مسلم كأنه القمر وهو مقيد بقيد ومعذب غاية العذاب * فنزل به تحت القصر الذي دخل فيه حسن على البنات وكان حسن جالسا على النهر تحت الاشجار * فلما رآه حسن خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما رأى المجوسي خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وقال للبنات بالله يا اخواتي اعنني على قتل هذا الملعون * فها هو قد حضر وصار في قبضتكن ومعه شاب مسلم اسير من اولاد الناس الاكابر وهو يعذبه بانواع العذاب الاليم * وقصدي ان اقتله واشفي فؤادي منه واريح هذا الشاب من عذابه واربح الثواب * ويرجع الشاب المسلم الى وطنه فيجتمع شمله مع اخوانه واهله واحبابه ويكون ذلك صدقة عنكن وتؤجرن بالاجر من الله تعالى * فقالت له البنات السمع والطاعة لله ولك يا حسن * ثم انهن ضربن لهن لثامات ولبسن آلات الحرب وتقلدن السيوف * واحضرن لحسن جوادا من احسن الخيل وهيأنه بعدة كاملة وسلحنه سلاحا مليحا * ثم ساروا جميعا فوجدوا المجوسي قد ذبح جملا وسلخه وهو يعاقب الشاب ويقول له ادخل هذا الجلد * فجاء حسن من خلفه والمجوسي ما عنده علم به * ثم صاح عليه فاذهله وخبله ثم تقدم اليه وقال له امسك يدك يا ملعون يا عدو الله وعدو المسلمين يا كلب يا غدار يا عابد النار يا سالك طريق الفجار انعبد النار والنور وتقسم بالظل والحرور * فالتفت المجوسي فرأى حسنا فقال له يا ولدي كيف تخلصت ومن انزلك الى الارض * فقال له حسن خلصني الله تعالى الذي جعل قبض روحك على يد اعدائك كما عذبتني طول الطريق يا كافر يا زنديق قد وقعت في الضيق وزغت عن الطريق فلا ام تنفعك ولا اخ

ولا صديق ولا عهد و ثيق * انك قلت من يخون العيش و الملح ينتقم الله منه و انت خنت الخبز و الملح فاوقعك الله تعالى في قبضتي و صار خلاصك مني بعيدا * فقال له المجوسي و الله يا ولدي انت عندي اعز من روحي ومن نور عيني * فتقدم اليه حسن وعجل عليه بضربة على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار * ثم ان حسنا اخذ الجراب الذي كان معه وفتحه واخرج الطبل منه والزخمة وضرب بها على الطبل * فجاءت النجائب مثل البرق الى حسن فحل الشاب من وثاقه واركبه نجيبا ووسق له الآخر زادا و ماء * وقال له توجه الى مقصدك فتوجه بعد ان خلصه الله تعالى من الضيق على يد حسن * ثم ان البنات لما رأين حسنا ضرب رقبة المجوسي فرحن به فرحا شديدا و درن حوله و تعجبن من شجاعته و من شدة بأسه و شكرنه على ما فعل و هنينه بالسلامة * و قلن له يا حسن لقد فعلت فعلا اشفيت به العليل و ارضيت به الملك الجليل * و سارهو و البنات الى القصر و اقام معهن في اكل و شرب و لعب و ضحك و طابت له الاقامة عندهن و نسي امه * فبينما هو معهن في الذ عيش اذ قد طلعت عليهم غبرة عظيمة من صدر البرية اظلم لها الجو * فقالت له البنات قم يا حسن وادخل مقصورتك واختف * وان شئت فادخل البستان وتوار بين الشجر والكروم فما عليك بأس * ثم انه قام ودخل واختفى في مقصورته واغلقها عليه من داخل القصر * وبعد ساعة انكشف الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر العجاج مقبلا من عند الملك ابي البنات * فلما وصل العسكر انزلنهم احسن منزل وضيفنهم ثلثة ايام وبعد ذلك سألنهم البنات عن حالهم و عن خبرهم * فقالوا اننا جئنا

من عند الملك في طلبكن فقلن لهم وما يريد الملك منا * قالوا ان بعض الملوك يعمل فرحا و يريد ان تحضرن ذلك الفرح لتتفرجن * فقالت لهم البنات وكم نغيب عن موضعنا فقالوا مدة الرواح والمجيء واقامة شهرين * فقامت البنات ودخلن القصر على حسن واعلمنه بالحال وقلن له ان هذا الموضع موضعك وبيتنا بيتك فطب نفسا وقرّ عينا ولا تخف ولا تحزن فانه لا احد يقدر ان يجيء الينا في هذا المكان * فكن مطمئن القلب منشرح الخاطر حتى نحضر اليك وهذه مفاتيح مقاصيرنا معك * ولكن يا اخانا نسألك بحق الاخوّة انك لا تفتح هذا الباب فانه ليس لك بفتحه حاجة * ثم انهن ودعنه وانصرفن صحبة العساكر وقعد حسن في القصر وحده * ثم انه قد ضاق صدره وفرغ صبره وزاد كربه واستوحش وحزن لفراقهن حزنا عظيما وضاق عليه القصر مع اتساعه * فلما رأى نفسه وحيدا مستوحشا تذكرهن وانشد هذه الابيات

ضَاقَ الفَضَاءُ جَمِيعُهُ فِي نَاظِرِي وَتَكَدَّرَتْ مِنْهُ جَمِيعُ خَوَاطِرِي
مُذْ سَارَتِ الأَحْبَابُ صَفْوِي بَعْدَهُمْ كَدِرٌ وَدَمْعِي فَائِضٌ بِمَحَاجِرِي
وَالنَّوْمُ فَارَقَ مُقْلَتِي لِفِرَاقِهِمْ وَتَكَدَّرَتْ مِنِّي جَمِيعُ سَرَائِرِي
أَتَرَى الزَّمَانُ يَعُودُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا وَيَعُودُ لِي إِلْفِي بِهِمْ وَمُسَامِرِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا بعد ذهاب البنات من عنده قعد في القصر وحده فضاق صدره من اجل فراقهن * ثم

انه صار يذهب وحده الى الصيد فى البراري فيأتي به و يذبحه و يأكل وحده * و زادت به الوحشة و القلق من الفراده فقام ودار فى القصر و فتّش جميع جهاته * و فتح مقاصير البنات فرأى فيهـا من الاموال ما يذهب عقول الناظرين و هو لايلتـذ بشيء من ذلك بسبب غيبتهن * والتهبت في قلبه النار من اجل الباب الذي اوصته اخته بعدم فتحه و امرته انه لايقربه ولا يفتحه ابدا * فقال في نفسه ما اوصتني اختي بعـدم فتح هذا الباب الّا لكونه فيه شيء تريدان لا يطلع عليه احد * والله اني لا قوم و افتحه و انظر ما فيه ولو كان فيه المنية * فاخذ المفتاح و فتحه فلم يرفيه شيأ من المال و لكنه رأى سلمـا في صدر المكان معقـودا بحجر من جزع يماني فرقي على ذلك السلم و صعد الى ان وصل الى سطح القصر * فقال في نفسه هذا الذي منعتني عنه ودار فوقه فاشرف على مكان تحت القصر مملوء بالمزارع و البساتين و الاشجار و الازهار والوحوش و الطيور * وهي تغرد و تسبح الله تعالى الواحد القهار * وصار يتـأمل في تلك المنتـزهات فرأى بحرا عجاجا متـلاطما بالامواج * ولم يزل دائرا حول ذلك القصر يمينا و شمالا حتى انتهى الى قصر على اربعة اعمدة فرأى فيه مقعدا منقوشا بسائر الاحجار كالياقوت والزمرد و البلخش و اصناف الجواهر * وهو مبني طوبة من ذهب وطوبة من فضة و طوبة من ياقوت و طوبة من زمرد اخضر * و في وسط ذلك القصر بحيرة ملآنة بالماء و عليها مكعب من الصندل و عود الند و هو مشبك بقضبان الذهب الاحمر و الزمرد الاخضر ومزركش بانواع الجواهر واللؤلؤ التي كل حبة منه قدر بيضة الحمامة * وعلى جانب البحيرة تخت من العود الند مرصع بالدر و الجوهر مشبك

بالذهب الاحمر * و فيه من سائر الفصوص الملونة و المعادن النفيسة وهي في الترصيع يقابل بعضها بعضا * وحوله الاطيار تغرد بلغات مختلفة وتسبح الله تعالى بحسن اصواتها و اختلاف لغاتها * وهذا القصر لم يملك مثله كسرى و لا قيصر فاندهش حسن لما رأى ذلك وجلس فيه ينظر ما حوله * فبينما هو جالس فيه وهو متعجب من حسن صنعته ومن بهجة ما حواه من الدر و الياقوت وما فيه من سائر الصناعات * ومتعجب ايضا من تلك المزارع والاطيار التي تسبح الله الواحد القهار * ويتأمل في آثار من قدرة الله تعالى على عمارة هذا القصر فانه عظيم الشان * واذا هو بعشرة طيور قد اقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصر وتلك البحيرة * فعرف حسن انهم يقصدون البحيرة ليشربوا من مائها فاستتر منهم خوفا ان ينظروه فيفروا منه * ثم انهم نزلوا على شجرة عظيمة مليحة وداروا حولها ونظر منهم طيرا عظيما مليحا وهو احسن ما فيهم و البقية محتاطون به وهم في خدمته * فتعجب حسن من ذلك وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره و يتعاظم عليهم وهم يهربون منه * وحسن واقف يتفرج عليهم من بعيد * ثم انهم جلسوا على السرير و شق كل طير منهم جلدة بمخاليبه وخرج منه فاذا هو ثوب من ريش * وقد خرج من الدباب عشر بنات ابكار يفضحن بحسنهن بهجة الاقمار * فلما تعرين من ثيابهن نزلن كلهن في البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتمازحن وصارت الطيرة الفوقانية عليهن ترميهن وتغطسهن فهربن منها و لم يقدرن ان يمددن ايديهن اليها * فلما نظرها حسن غاب عن صوابه و سلب

عقله وعرف ان البنات ما تهينه بمن فتح هذا الباب الا لهذا السبب فشغف حسن بها حبا لما رأى من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وهي في لعب ومزاح ومراشة بالماء * وحسن واقف ينظر اليهن ويتحسر حيث لم يكن معهن وقد دار عقله من حسن الجارية الكبيرة * وتعلق قلبه بشرك محبتها ووقع في شرك هواها والعين ناظرة وفي القلب نار محرقة والنفس امّارة بالسوء * فبكى حسن شوقا لحسنها وجمالها وانطلقت في قلبه النيران من اجلها وزاد به لهيب لا يطفوُ شرره وغرام لا يخفى اثره * ثم بعد ذلك طلعت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر اليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطف معانيهن وظرف شمائلهن * فحانت منه التفاتة فنظر حسن الى الجارية الكبيرة وهي عريانة فبان له ما بين فخذيها وهو قبة عظيمة مدورة باربعة اركان كأنّه طاسة من فضة اومن بلور فتذكر قول الشاعر

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كَأْسِهَا ... وَجَدْتُ بِهِ ضِيقًا كَخُلْقِي وَأَرْزَاقِي
فَأَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ ... فَقُلْتُ لِمَاذَا فَقَالَتْ عَلَى الْبَاقِي

فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها * واما الجارية الكبيرة فانها لبست حلة خضراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الاشراق * وفاقت على الغصون بحسن التثني وذهلت العقول بوهم التجني وهي كما قال الشاعر

وَجَارِيَةٍ فِي نَشَاطٍ بَدَتْ ... تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّهَا مُسْتَعَارَهْ
أَتَتْ فِي قَمِيصٍ لَهَا أَخْضَرٍ ... كَخُضْرِ الْغُصُونِ عَلَى جُلَّنَارَهْ

فقلت لها ما اسم هذا اللباس   فقالت كذا ما بين العبارة
فقمنا مرائر احبابنا   فذاك نسميه يشق المرارة

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة و الكبيرة فيهن اخذت عقله بحسنها و جمالها انشد تلك الابيات * ثم ان البنات لما لبسن ثيابهن جلسن يتحدثن و يتضاحكن و حسن واقف ينظر اليهن و هو غريق في بحر عشقه و تائه في وادي فكره * و هو يقول في نفسه و الله ما قالت لي اختي لا تفتح هذا الباب الا من شان هؤلاء البنات و خوفا من ان اتعلق باحد منهن * ثم انه صار ينظر في محاسن هذه الجارية و كانت احمل ما خلق الله في وقتها وقد فاقت بحسنها جميع البشر * لها فم كأنه خاتم سليمان * و شعر اسود من ليل الصدود على الكئيب الولهان * و غرة كهلال عيد رمضان * و عيون تحاكي عيون الغزلان * و انف اقنى كثير اللمعان * و خدان كأنهما شقائق النعمان * و شفتان كأنهما مرجان * و اسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان * و عنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان * و بطن له طيات و اركان * يبتهل فيه العاشق الولهان * و سرة تسع اوقية مسك اطيب الاردان * و افخاذ غلاظ سمان كأنها عواميد رخام * او مخدتان محشوتان من ريش النعام * و بينهما شيء كانه اعظم العقبان * او ارنب مقطوش الاذان و له سطوح و اركان * و هذه الصبية

فاتت بحسنها و قدها على غصون البان و على قضيب الخيزران * وهي كما قال فيها الشاعر الولهان

وخوداء اضحى ريقها حاكي الشهد ... لها مقلة امضى من الصارم الهندي
وتخجل غصن البان من حركاتها ... اذا ابتسمت فالبرق من ثغرها نبدي
وقايست بالورد المصفف خدها ... فصدت وقالت من يقايس بالورد
وشبه بالرمان نهدي فما استحى ... ومن اين للرمان غصن حوى نهدي
وحق جمالي والعيون ومهجتي ... وجنة وصلي والسعير من صدي
لئن عاد لتشبيه حقا حرمته ... لذيذ وصالي ثم اقليه بالصد
يقولون في البستان ورد مصفف ... وما ورده خدي ولا غصنه قدي
اذا كان مثلي في البساتين عنده ... فماذا الذي قد جاء يطلبه عندي

ثم ان البنات لم يزلن في ضحك و لعب و هو واقف على قدميه ينظر اليهن و نسي الاكل والشرب الى ان قرب العصر * فقالت الصبية لصواحبها يابنات الملوك ان الوقت امسى علينا و بلادنا بعيدة و نحن قد سئمنا المقام هنا فقمن لنروح محلنا * فقامت كل واحدة منهن و لبست ثوبها الريش * فلما اندرجن في ثيابهن صرن طيورا كما كن اولا وطرن كلهن سوية و تلك الصبية في وسطهن * فيئس حسن منهن واراد ان يقوم و ينزل فلم يقدر ان يقوم و صار دمعه يجري على خده ثم اشتد به الغرام فانشد هذه الابيات

حرمت وفاء العهد ان كنت بعدكم ... عرفت لذيذ النوم كيف يكون

ولا اغمضت عيناي بعد فراقكم ولا بد لي بعد ارتحال سكون
يخيل لي في النوم اني اراكم فياليت احلام المنام يقين
واني لاهوى النوم من غير حاجة لعل لقاكم في المنام يكون

ثم ان حسنا مشى قليلا و هو لا يهتدي الى الطريق حتى نزل الى اسفل القصر * و لم يزل يزحف الى ان وصل الى باب المخدع فدخل و اغلقه عليه و اضطجع عليلا لا يأكل و لا يشرب و هو غريق في بحر افكاره فبكى و ناح على نفسه الى الصباح فلما اصبح الصباح انشد هذه الابيات

فطارت طيور بالعشاء و سارحوا ومن مات وجدا ما عليه جناح
اسر حديث العشق ما امكن البقا وان غلب الشوق الشديد يباح
سرى طيف من يحلى بطلعته الضحى و ليس لليلي في الغرام صباح
انوح عليهم و الخليون نوم و قد لعبت بي في الغرام رياح
سمحت بدمعي ثم مالي ومهجتي و عقلي وروحي و السماح رباح
و اقبح انواع المكاره و الاذى اذا زين ... على الملاح كفاح
يقولون وصل الغانيات محرم و سفك دماء العاشقين مباح
وما حيلة المضنى سوى بذل نفسه يجود بها في الحب وهو مزاح
اصيح اشتياقا للحبيب و لوعة و غاية جهد المستهام نواح

فلما طلعت الشمس فتح باب المخدع و طلع الى المكان الذي كان فيه اولا وجلس في مكان قبال المنظرة الى ان اقبل الليل فلم يحضر احد من الطيور و هو جالس في انتظارهم * فبكى بكاء شديدا حتى غشي عليه و وقع على الارض مطروحا * فلما افاق من غشيته زحف

ونزل الى اسفل القصر و قد اقبل الليل و ضاقت عليه الدنيا باسرها * و مازال يبكي و ينوح على نفسه طول ليله الى ان اتى الصباح و طلعت الشمس على الروابي و البطاح * و هو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقر له قرار و في نهاره حيران و في ليله سهران مدهوش سكران من الفكر الذي هو فيه و من شدة الغرام و انشد قول الشاعر الولهان

أمُخجلَةَ الشَّمسِ المُنيرَةِ فِي الضُّحى وَفَاضِحةَ الأَغصَانِ مِن حيثُ لا تَدرِي
تَرى تَسمَحُ الأَيَّامُ مِنكِ بِعَودَةٍ وَ تَخمُدُ نِيرانٌ تَوقَّدُ فِي سِرِّي
وَ يَجمَعُنَا عِندَ اللِّقَاءِ تَعَانُقٌ وَخَدُّكِ فِي خَدِّي وَنَحرُكِ فِي نَحرِي
فَمَن قَالَ إِنَّ الحُبَّ فِيهِ حَلَاوَةٌ فَفِي الحُبِّ أَيَّامٌ أَمَرُّ مِنَ الصَّبرِ

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما زاد عشقه انشد الاشعار و هو فى القصر وحده ولم يجد من يؤانسه * فبينما هو في شدة ولهه و اذا هو بغبرة قد طلعت من البر * فقام يجري الى اسفل و اختفى و عرف ان اصحاب القصر قد اتوا * فلم يكن غير ساعة الّا و العسكر قد نزلوا و داروا بالقصر و نزلت السبع بنات و دخلن القصر فنزعن سلاحهن و ما كان عليهن من آلات الحرب * و اما البنت الصغيرة اخته فانها لم تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت الى مقصورة حسن فلم تره ففتشت عليه فوجدته في مخدع من المخادع وهو ضعيف نحيل

قد كلّ جسمه ورق عظمه و اصفر لونه و غابت عيناه في وجهه من قلة الاكل و الشرب و من كثرة الدموع بسبب تعلقه بالصبية و عشقه لها * فلما رأته اخته الجنية على هذه الحالة اندهشت و غاب عنها عقلها فسألته عن حاله و ما هو فيه و اي شيءٍ اصابه * و قالت له اخبرني يا اخي حتى اتحيل لك في كشف ضرك واكون فداك فبكى بكاء شديدا و انشد يقول

صَبٌّ اذا ما بَانَ عَنهُ حَبِيبُهُ فَلَيسَ لهُ الّا الكَآبَةُ وَالضُّرُّ
فَبَاطِنُهُ سُقمٌ وَ ظَاهِرُهُ جَوًى وَ اَوّلُهُ ذِكرٌ وَ آخِرُهُ فِكرُ

فلما سمعت اخته منه ذلك تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن الفاظه ومجاوبته لها بالشعر * فقالت له يا اخي متى وقعت في هذا الامر الذي انت فيه و متى حصل لك فانى اراك متكلما بالشعر وترخي الدموع الغزار * فبالله عليك يا اخي وحرمة الحب الذي بيننا ان تخبرني بحالك و تطلعني على سرك ولا تخف عني شيئا مما جرى لك في غيابنا فانه قد ضاق صدري وتكدر عيشي بسببك * فتنهد وارخى الدموع مثل المطر وقال اخاف يا اختي اذا اخبرتك انك لم تساعديني على مطلوبي وتتركيني اموت كمدا بغصتي * فقالت لا و الله يا اخي ما اتخلى عنك ولو كانت روحي تروح فحدثها بما جرى له وما عاينه حين فتح الباب واخبرها ان سبب الضر والبلاء عشق الصبية التي رآها ومحبته لها * وان له عشرة ايام لم يستطعم بطعام ولا شراب ثم انه بكى بكاء شديدا و انشد هذين البيتين

رُدُّوا الفُؤَادَ كَمَا عَهِدتُ اِلَى الحَشَى وَالمُقلَتَينِ اِلَى الكَرَى ثُمَّ اهجُرُوا

أَزَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّيَالِيَ غَيَّرَتْ عَهْدَا لْهَوَى لَا كَانَ مَنْ يَتَغَيَّرُ

فبكت اخته لبكائه ورقت لحاله و رحمت غربته * ثم قالت له يا اخي طب نفسا و قرعينا فانا اخاطر بنفسي معك وابذل روحي في رضائك واد برلك حيلة ولوكان فيها ذهاب نفائسي و نفسي حتى اقضي غرضك ان شاء الله تعالى * ولكن اوصيك يا اخي بكتمان السرّ عن اخواتي فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحي وروحك وان سألنك عن فتح الباب فقل لهن ما فتحته ابدا * ولكن انا مشغول القلب من اجل غيابكن عني و وحشتي اليكن وقعودي في القصروحدي * فقال لها نعم هذا هو الصواب * ثم انه قبل رأسها وطاب خاطره وانشرح صدره وكان خائفا من اخته بسبب فتح الباب فردت اليه روحه بعد ان كان مشرفا على الهلاك من شدة الخوف * ثم انه طلب من اخته شيأ يأكله فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على اخواتها وهي حزينة باكية عليه * فسألنها عن حالها فاخبرتهن ان خاطرها مشغول على اخيها وانه مريض وله عشرة ايام ما نزل في بطنه زاد ابدا * فسألنها عن سبب مرضه فقالت لهن سببه غيابنا عنه حيث اوحشناه فان هذه الايام التي غبناها عنه كانت عليه اطول من الف عام وهو معذور لانه غريب ووحيد ونحن تركنا وحده وليس عنده من يؤانسه ولا من يطيب خاطره وهو شاب صغير على كل حال وربما تذكّر اهله وامه وهي امرأة كبيرة فظن انها تبكي عليه أثناء الليل واطراف النهار ولم تزل حزينة عليه وكنا نسليه بصحبتنا له * فلما سمع اخواتها كلامها بكين من شدة التأسف عليه وقلن لها والله انه معذور * ثم خرجن

الى العسكر وصرفنهم ودخلن على حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغيرت محاسنه و اصفر لونه وانتحل جسمه فبكين شفقه عليه وقعدن عنده وآنسنه و طيبن قلبه بالحديث وحكن له جميع ما رأين من العجائب والغرائب و ما جرى للعريس مع العروسة * ثم ان البنات اقمن عنده مدة شهر كامل وهن يؤانسنه ويلاطفنه وهو في كل يوم يزداد مرضا على مرضه وكلما رأينه على هذه الحالة يبكين عليه بكاء شديدا واكثر هن بكاء البنت الصغيرة * ثم بعد الشهر اشتاقت البنات الى الركوب للصيد و القنص فعزمن على ذلك وسألن اختهن الصغيرة ان تركب معهن * فقالت لهن والله يا اخواتي ما اقدر ان اخرج معكن واخي على هذه الحالة حتى يتعافى ويزول عنه ما هو فيه من الضرر بل اجلس عنده لاعلله * فلما سمعن كلامها شكرنها على مروتها وقلن لها كلما تعمليه مع هذا الغريب تؤجرين عليه * ثم تركنها عنده في القصر وركبن و اخذن معهن زاد عشرين يوما و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البنات لما ركبن ورحن الى الصيد والقنص تركن اختهن الصغرى قاعدة عند حسن في القصر * فلما بعدن عن القصر و عرفت اختهن انهن قطعن مسافة بعيدة اقبلت على اخيها وقالت له يا اخي قم ارني هذا الموضع الذى رأيت فيه البنات * فقال بسم الله على الراس وفرح بقولها وايقن ببلوغ مقصوده * ثم انه اراد ان يقوم معها و يريها المكان فلم يقدر على المشي فحملته في حضنها وجاءت

به وفتحت له باب السلم وصعدت به الى فوق القصر * فلما صارا فوقه اراهه الموضع الذي راى فيه البنات و أراها المقعد و بركة الماء * فقالت له اختا صف لي يا اخي حالهن كيف جئن فوصف لها ماراى منهن وخصوصا البنت التي تعلق بها * فلما سمعت وصفها عرفتها فا صفرّ وجهها وتغيّر حالها * فقال لها يا اختي قدا صفروجهك وتغيرت حالتك فقالت له يا اخي اعلم ان هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشان قد ملك ابوها انسا وجانا و سحرة وكهانا وارها طا و اعوانا واقاليم و بلــدانا وجزائر كثيرة واموا لا عظاما * و ابونا نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه احد من كثرة عساكره واتساع مملكتــه وكثرة ماله * وقد جعل لا ولاده البنات التي رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولا وعرضا وقد دار على ذلك القطر نهر عظيم محيــط به فلا يقدر احــد ان يصل الى ذلك المكان لا من الا نس ولا من الجان * وله عسكر من البنات الضاربات با لسيوف الطا عنات بالرماح خمسة وعشرون الفا * كل و احدة منهن اذا ركبت جواد ها ولبست ألة حربها تقاوم الف فارس من الشجعان * وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما في اخواتهن وازيد * وقد ولى الملك على هذا القطر الذي عرفتك به ابنته الكبرى وهي اكبر اخواتها و فيها من الشجاعة و الفروسية و الخداع و المكر والســحر ما تغلب به جميع اهل مملكتها * واما البنات التي معها فهن ارباب دولتها واعوانها و خواصها من ملكها * وهذه الجلود الريش التي يطرن بها انما هي صنعة سحرة الجان * و اذا اردت ان تملك هذه الصبيــة وتتزوج بها فا قعد هنا وانتظرها لانهن يحضرن على

رأس كل شهر في هذا المكان * فاذا رأيتهن قد حضرن فاختف وإياك ان تظهر فتروح ارواحنا جميعا * فاعرف الذي اقول لك واحفظه في ذهنك واقعد في مكان يكون قريبا منهن بحيث انك تراهن وهن لا يرينك * فاذا قلعن ثيابهن فالق نظرك على الثوب الريش الذي هو للكبيرة التي في مرادك وخذه ولا تأخذ شيأ غيره فانه هو الذي يوصلها الى بلادها * فانك اذا ملكته ملكتها * وإياك ان تخدعك وتقول يا من سرق ثوبي رده علي وها انا عندك وبين يديك وفي حوزتك * فانك ان اعطيتها اياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل ابانا فاعرف حالك كيف تكون * فاذا رأى اخواتها ان ثوبها قد سرق طرن وتركنها قاعدة وحدها فادخل عليها وامسكها من شعرها واجذبها * فاذا جذبتها اليك فقد ملكتها وصارت في حوزتك فاحفظ بعد هذا على الثوب الريش فانه مادام عندك فهي في قبضتك واسرك * لانها لم تقدر ان تطير الى بلادها الا به فاذا اخذتها فاحملها وانزل بها الى مقصورتك ولا تبدي لها انك اخذت الثوب * فلما سمع حسن الكلام من اخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الالم * ثم انتصب قائما على قدميه وقبل راس اخته وبعد ذلك قام ونزل من فوق القصر هو واخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه الى ان اصبح الصباح * فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع الى فوق وقعد ولم يزل قاعدا الى العشاء فطلعت له اخته بشيء من الاكل والشرب وغيرت ثيابه ونام ولم تزل معه على هذه الحالة في كل يوم الى ان هل الشهر * فلما رأى الهلال صار يترقبهن فبينما هو كذلك واذا بهن قد اقبلن عليه مثل البرق * فلما رآهن اختفى في مكان

بحيث يراهن و هن لا يرينه * فنزلت الطيور و قعدت كل طيرة منهن في مكان وقلعن ثيابهن وكذلك البنت التي يحبها * وكان ذلك في مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع اخواتها * فعند ذلك قام حسن و مشى قليلا قليلا و هو مختف و ستر الله عليه فاخذ الثوب ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن و يضحكن * فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش * فجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت و لطمت على وجهها و شقت ثيابها فاقبلت عليها اخواتها و سألنها عن حالها فاخبرتهن ان ثوبها الريش قد فقد فبكين و صرخن و لطمن على و جوههن * وحين امسى عليهن الليل لم يقدرن ان يقعدن عندها فتركنها فوق القصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده و طار اخواتها و تركنها وحدها * فلما رأ تهن حسن طرن و غبن عنها وعن عينه صغى اليها فسمعها تقول يا من اخذ ثوبي و اعراني سألتك ان ترده علّي و تستر عورتي فلا اذاقك الله حسرتي * فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله في عشقها و ازدادت محبته لها ولم يطق ان يصبر عنها * فقام من مكانه و صار يجري حتى هجم عليها و امسكها ثم جذبها اليه و نزل بها الى اسفل القصر و ادخلها مقصورته و رمى عليها عباءته و هي تبكي وتعض على يديها * فاغلق عليها الباب و راح لاخته و اعلمها انه حصلها و ظفر بها و نزل بها الى مقصورته

و قال لها انها الآن قاعدة تبكي وتعضّ على يديها * ولما سمعت اخته كلامه قامت و توجهت الى المقصورة و دخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة * فقبلت الارض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك اهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك * وانت تعرفين ان ابي ملك عظيم وان جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته * و عنده من السحرة و الحكماء و الكهان و الشياطين و المردة من لاطاقة لاحد عليه * و تحت يده خلق لايعلم عددهم الاّ الله وكيف يصح لكم يا بنات الملوك ان تأوين رجال الانس عندكن و تطلعنهم على احوالنا و احوالكن * و الاّ فمن اين ان يصل هذا الرجل الينا * فقالت لها اخت حسن يا بنت الملك ان هذا الانسي كامل المروة وليس قصده امرا قبيحا و انما هو يحبك و ما خلقت النساء الاّ للرجال * و لولا انه يحبك ما مرض لاجلك وكادت روحه ان تزهق في هواك وحكت لها جميع ما اخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرانهن و اغتسالهن وانه لم يعجبه منهن جميعهن غيرها لان كلهن جوار لها و انها كانت تغطسهن في البحيرة وليس واحدة منهن تقدران تمد يدها اليها * فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت اخت حسن و خرجت من عندها و احضرت لها بدلة فاخرة فالبستها اياها * و احضرت لها شيأ من الاكل و الشرب فاكلت هي و اياها و طيبت قلبها و سكنت روعها * ولم تزل تلاطفها بلين و رفق و تقول لها ارحمي من نظرك نظرة فاصبح قتيلا في هواك و لم تزل تلاطفها و ترضيها و تحسن لها القول و العبارة *

و هي تبكي الى ان طلع الفجر و طابت نفسها و امسكت من بكائها لما علمت انها وقعت و لم يمكن خلاصها * فقالت لاخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي و انقطاعي من بلدي و اهلي و اخواتي فصبر جميل على ما قضاه ربي * ثم ان اخت حسن اخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك احسن منها * و لم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت و زال ما عندها من الكدر و ضيق الصدر من فراق الاهل و الا وطان و فراق اخوانها و ابويها و ملكها * ثم ان اخت حسن خرجت اليه وقالت له قم ادخل عليها في مقصورتها و قبل يديها و رجليها فدخل و فعل ذلك * ثم قبل ما بين عينيها و قال لها يا سيدة الملاح و حيوة الارواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب انا ما اخذتك الّا لاجل ان اكون عبدك الى يوم القيمة و اختي هذه جاريتك * و انا يا سيدتي ما قصدي الّا ان اتزوجك بسنة الله و رسوله و اسافر الى بلادي واكون انا وانت في مدينة بغداد و اشتري لك الجواري و العبيد * ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك و ليس هناك بلاد احسن من بلادنا و كلما فيها احسن مما في غيرها من سائر البلاد واهلها * و ناسها ناس طيبون بوجوه صباح فبينما هو يخاطبها و يؤانسها و هي لا تخاطبه بحرف واحد واذا بداق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر من بالباب و اذا هن البنات قد حضرن من الصيد و القنص ففرح بهن و تلقاهن وحيّاهن فدعين له بالسلامة و العافية و دعا لهن الأخر * ثم نزلن عن خيولهن و دخلن القصر و دخلت كل واحدة منهن

في مقصورتها و نزعت ما كان عليها من الثياب الرثة و لبست تماشا مليحا * و خرجن الى الصيد و القنص فاصطدن شيأ كثيرا من الغزلان و بقر الوحش و الارانب و السباع و الضباع و غير ذلك و قد من منه شيأ الى الذبح و تركن الباقي عندهن في القصر * و حسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن و هن يلعبن و ينشرحن و قد فرحن بذلك فرحا شديدا * فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيأ ليتغدين به فتقدم حسن الى البنت الكبيرة و قبل راسها و صار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد اكثرت المنازل الينا يا اخانا و عجبنا من فرط توددك الينا و حاشاك يا اخانا هذا شي يلزم منا نفعله معك لانك آدمي و هو افضل منا و نحن من الجن فدمعت عيونه وبكى بكاء شديدا * فقلن له ما الخبر و ما يبكيك فقد كدرت عيشنا ببكائك في هذا اليوم كانك اشتقت الى والدتك و الى بلادك فان كان الامر كذلك نجهزك و نسافر بك الى وطنك و احبابك * فقال لهن و الله ما مرادي فراقكن فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت * فخجل ان يقول ما شوش علي الاعشق الصبية خيفة ان ينكرن عليه فسكت و لم يعلمهن بشي من حاله * فقامت اخته و قالت لهن انه اصطاد طيرة من الهواء و يريد منكن ان تعنه على تاهيلها * فالتفتن اليه كلهن و قلن له نحن كلنا بين يديك و مهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيأ من حالك * فقال لاخته قصي خبري عليهن فاني استحي منهن ولا اقدر ان اقابلهن بهذا الكلام و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا قال لاخته قصّي عليهن قصتي فاني استحي ولا اقدران اقابلهن بهذا الكلام * فقالت اخته لهن يا اخواني اننا لما سافرنا و خلينا هذا المسكن وحده ضاق عليه القصر و خاف ان يدخل عليه احد * و انتن تعرفن ان عقول بنى أدم خفيفة ففتح الباب الموصل الى سطح القصر حين ضاق صدره و صار منفردا وحده و طلع فوقه و قعد هناك و اشرف على الوادي و صار يطل على جهة الباب خوفا ان يقصد احد القصر * فبينما هو جالس يوما من الايام و اذا با لعشر طيور قد اقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوق المنظرة * فنظر الى الطيرة التي هي احسنهن و هي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر ان تمدّيد ها اليها * ثم جعلن مخالبهن في اطواقهن فشققن الثياب الريش و خرجن منها و صارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه * ثم خلعن ما عليهن من الثياب و حسن واقف ينظر اليهن و نزلن الماء و صرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر ان تمدّيد ها اليها و هي احسنهن وجها واعدلهن قدا وانظفهن لباسا * ولم يزلن على هذه الحالة وحسن واقف ينظراليهن الى ان قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن فى القماش الريش و التففن فيه وطرن * فا شتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنارمن اجل الطيرة الكبيرة و ندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض واقام فوق القصر ينتظرها فامتنع من الاكل و الشرب و النوم و لم

يزل كذلك حتى لاح الهلال * فبينما هو قاعد واذا بهن قد اقبلن عليه عادتهن فقلعن ثيابهن ونزل البحيرة فسرق ثوب الكبيرة * فلما عرف انها لم تقدر ان تطير الا به اخذه واخفاه خيفة ان يطلعن عليه فيأخذنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر * قالت لها اخواتها واين هي قالت لهن هي عنده في المخدع الفلاني * فقلن صفيها لنا يا اختي فقالت هي احسن من القمر ليلة تمامه ووجهها اضوء من الشمس وريقها احلى من الشهد وقدها ارشق من القضيب * ذات طرف احور ووجه اقمر وجبين ازهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان * وبطن مطوي الاعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وساقين كأنهما من المرمر عمودان * تأخذ القلوب بطرف كحيل ودقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي العليل * مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها البدر التمام * فلما سمعت البنات هذه الاوصاف دخلن الى حسن وقلن له ارنا اياها فقام معهن وهو ولهان الى ان اتى بهن الى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحه ودخل قدامهن وهن خلفه * فلما رأينها وعاينّ جمالها قبلن الارض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها والله يا بنت الملك الاعظم ان هذا شيء عظيم * ولو سمعت بوصف هذا الانسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق الا انه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك الا في الحلال ولو علمنا ان البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع انه لم يرسل اليك رسولا بل اتى اليك بنفسه واخبرنا انه احرق الثوب الريش والا كنا اخذناه منه * ثم ان واحدة من

البنات اتفقت هي وايا ها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوجتها له باذنها وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وادخلنه عليها * فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفا بها وحيث حصل مطلوبه هنى نفسه وانشد هذه الابيات

قَوَامُكِ فَتَّانٌ وَطَرْفُكِ اَحْوَرُ ... وَوَجْهُكِ مِنْ مَاءِ الْمَلَاحَةِ يَقْطُرُ
تَصَوَّرْتِ فِي عَيْنِي اَجَلَّ تَصَوُّرٍ ... فَنِصْفُكِ يَاقُوتٌ وَثُلْثُكِ جَوْهَرُ
وَخُمْسُكِ مِنْ مِسْكٍ وَسُدْسُكِ عَنْبَرٌ ... وَاَنْتِ شَبِيهُ الدُّرِّ بَلْ اَنْتِ اَزْهَرُ
وَمَا وَلَدَتْ حَوَّاءُ مِثْلَكِ وَاحِدًا ... وَلَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ مِثْلُكِ آخَرُ
فَاِنْ شِئْتِ تَعْذِيبِي فَمِنْ سُنَنِ الْهَوَى ... وَاِنْ شِئْتِ اَنْ تَعْفُو فَاَنْتِ مُخَيَّرُ
فَيَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَيَا غَايَةَ الْمُنَى ... فَمَنْ ذَا الَّذِي عَنْ حُسْنِ وَجْهِكِ يَصْبِرُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما دخل على بنت الملك وازال بكارتها التذ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فانشد فيها الابيات المذكورة وكانت البنات واقفات على الباب * فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك اسمعت قول الانسي كيف تلومينا وقد انشد الشعر في هواك * فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت * ثم ان حسنا اقام معها مدة اربعين يوما في حظ وسرور ولذة وحبور والبنات تجدد له

كل يوم فرحا و نعمة و هدايا و تحفا * و هو بينهن في سرور و انشراح و طاب لبنت الملك القعود بينهن و نسيت اهلها * ثم بعد الاربعين يوما كان حسن نائما فرأى والدته حزينة عليه و قد رقت عظامها و انتحل جسمها و اصفر لونها و تغير حالها وكان هو في حالة حسنة * فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولدي ياحسن كيف تعيش في الدنيا منعما و تنساني فانظر لحالي بعدك وانا ما انساك ولا لساني يترك ذكرك حتى اموت * و قد عملت لك قبرا عندي في الدار حتى لا انساك ابدا اترى اعيش يا ولدي وانظرك عندي ويعود شملنا مجتمعا كما كان * فانتبه حسن من نومه و هو يبكي و ينوح و دموعه تجري على خديه مثل المطر و صار حزينا كئيبا لا تنشف دموعه ولم يجئه نوم و لم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار * فلما اصبح دخلت عليه البنات و صبحن عليه و انشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت اليهن * فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما ادري فقلن لها اسأليه عن حاله * فتقدمت اليه و قالت له ما الخبر يا سيدي فتنهد و تضجر وا خبرها بما رآه في منامه ثم انشد هذين البيتين

قَدْ بَقِينَا مُوَسْوِسِينَ حَيَارَى نَطْلُبُ الْقُرْبَ مَالَيْهِ سَبِيلُ
فَدَوَاهِي الْهَوَى تَزِيدُ عَلَيْنَا وَخَفِيفُ الْهَوَى عَلَيْنَا ثَقِيلُ

فاخبرتهن زوجته بما قال لها * فلما سمعت البنات الشعر رثين لحاله و قلن له تفضل بسم الله ما نقدر ان نمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه * ولكن ينبغي ان تزورنا ولا تنقطع عنا ولو في كل سنة مرة واحدة * فقال لهن

سمعا و طاعة * فقامت البنات من وقتهن و عملن له الزاد و جهزن له العروسة بالحلي و الحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف* و هيأن له تحفا تعجز عن حصرها الاقلام * ثم انهن ضربن الطبل فجاءت النجائب اليهن من كل مكان فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزنه واركبن الجارية وحسنا و حملن اليهما خمسة و عشرين تختا من الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلثة ايام فقطعن فيها مسافة ثلثة اشهر * ثم انهن ودعنهما واردن الرجوع عنهما فاعتنقته اخته الصغيرة وبكت حتى غشي عليها فلما افاقت انشدت هذين البيتين

لَا كَانَ يَوْمُ ٱلْفِرَاقِ اصْلًا ... لَمْ يُبْقِ فِي ٱلْمُقْلَتَيْنِ نَوْمًا
شَتَّ مِنَّا وَ مِنْكَ شَمْلًا ... وَهَدَّ مِنَّا قُوًى وَ جِسْمًا

فلما فرغت من شعرها ودعته واكدت عليه انه اذا وصل الى بلده و اجتمع بامه و اطمأن قلبه لايقطعها من الزيارة في كل ستة اشهر مرة * و قالت له اذا اهمك امر اوخفت مكروها فدق طبل المجوسي فتحضر لك النجائب و اركب و ارجع الينا ولا تتخلف عنا * فحلف لها على ذلك ثم اقسم عليهن ان يرجعن فرجعن بعد ان ودعنه و حزن على فراقه واكثرهن حزنا اخته الصغيرة فانها لم يستقر لها قرار و لم يطاوعها اصطبار و صارت تبكي ليلا و نهارا* هذا ما كان منهن * واما ما كان من امر حسن فانه صار طول الليل و النهار يقطع مع زوجته البراري و القفار و الا ودية و الا وعار في الهواجر والاسحار * وكتب الله لهما السلامة فسلما و وصلا الى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى اناخا على باب داره نجائبهما* ثم صرف النجائب وتقدم الى الباب ليفتحه فسمع والدته و هي تبكي

بصوت رقيق من كبد نحيف ذاقت عذاب الحريق وهي تنشد هذه الابيات

وكيف يذوق النوم من عدم الكرى
ويسهر ليلا والانام رقود
وقد كان ذا مال واهل وعزة
فاضحى غريب الدار وهو وحيد
له جمرة بين الضلوع وانة
وشوق شديد ما عليه مزيد
تولى عليه الوجد والوجد حاكم
ينوح بما يلقاه وهو جليد
وحالته في الحب تخبر انه
حزين كئيب والدموع شهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكي وتندب * ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت امه من بالباب فقال لها افتحي ففتحت الباب ونظرت اليه فلما عرفته خرّت مغشيا عليها فما زال يلاطفها الى ان افاقت فعانقها وعانقته وقبلته * ثم نقل حوائجه ومتاعه الى داخل الدار والجارية تنظر الى حسن وامه * ثم ان ام حسن لما اطمأن قلبها وجمع الله شملها بولدها انشدت هذه الابيات

رق الزمان لفاقتي
ورثا لطول تحرقي
واانالني ما اشتهي
وازال مما اتقي
فلاصفحن عما جنا
ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما
فعل المشيب بمفرقي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان والدة حسن قعدت هي واياه ويتحدثان وصارت تقول له كيف كان حالك يا ولدي مع الاعجمي

فقال لها يا امي ما كان اعجميا بل كان مجوسيا يعبد النار دون الملك الجبار * ثم انه اخبرها بما فعل به من انه سافر به وحطه في جلد الجمل وخيطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل واخبرها بما رأه فوق الجبل من الخلائق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسي ويتركهم فوق الجبل بعد ان يقضوا حاجته * وكيف رمى روحه في البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى واوصله الى قصر البنات وموآخاة البنت له وقعوده عند البنات * وكيف اوصل الله المجوسي الى المكان الذي هو فيه وقتله اياه * واخبرها بعشق الصبية وكيف اصطادها وبقصتها كلها الى ان جمع الله شملهما ببعضهما * فلما سمعت امه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته * ثم قامت الى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فاخبرها بما فيها ففرحت فرحا عظيما * ثم تقدمت الى الجارية تحدثها وتؤانسها * فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها * ثم قالت له يا ولدي الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالما * ثم ان امه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها * ثم نزلت في بكرة النهار الى السوق فاشترت عشر بدلات افخر ما في المدينة من الثياب * واحضرت لها الفرش العظيم والبست الصبية وجملتها بكل شيء مليح * ثم اقبلت على ولدها وقالت يا ولدي نحن بهذا المال لم نقدر ان نعيش في هذه المدينة وانت تعرف اننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا نسافر الى مدينة بغداد دار السلام لنقيم في حرم الخليفة وتقعد انت في دكان

فتبيع و تشتري و تتقي الله عز و جل فيفتح عليك بهذا المال * فلما سمع حسن كلامها استصوبه و قام من وقته و خرج من عندها و باع البيت و احضر النجائب و حمل عليها جميع امواله و امتعته و امه و زوجته وسار * ولم يزل سائرا الى ان وصل الى دجلة فاكترى مركبا لبغداد و نقل فيها جميع ماله و حوائجه و والدته و زوجته وكل ما كان عنده * ثم ركب المركب و سارت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة ايام حتى اشرفوا على بغداد * فلما اشرفوا عليها فرحوا و دخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته الى المدينة و اكترى مخزنا في بعض الخانات ثم نقل حوائجه من المركب اليه وطلع و اقام ليلة في الخان * فلما اصبح غيّر ما عليه من الثياب فلما رآه الدلال سأله عن حاجته و عن ما يريد فقال له اريد دارا تكون مليحة و اسعة فعرض عليه الدور التي عنده فاعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة الف دينار من الذهب و اعطاه الثمن * ثم عاد الى الخان الذي نزل فيه و نقل جميع ما له و حوائجه الى الدار * ثم خرج الى السوق و اخذ ما تحتاج اليه الدار من آنية و فرش وغير ذلك و اشترى خدما * و من جملتها عبد صغير للدار و اقام مطمئنا مع زوجته في الذ عيش و سرور مدة ثلث سنين و قد رزق منها بغلامين سمى احدهما ناصرا و الآخر منصورا * و بعد هذه المدة تذكّر اخواتها البنات و تذكّر احسانهن اليه وكيف ساعدنه على مقصوده فاشتاق اليهن * و خرج الى اسواق المدينة فاشترى منها شيأ من حلي و قماش نفيس و نقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته امه عن سبب اشتراء تلك التحف * فقال

لها اني عزمت على ان اسافر الى أخواتي التي فعلن معي كل جميل و رزقي الذي انا فيه من خيرهن و احسانهن اليّ * فاني اريد ان اسافر اليهن و انظرهن و اعود قريبا ان شاء الله تعالى * فقالت له يا ولدي لا تغب عليّ فقال لها اعلمي يا امي كيف تكونين مع زوجتي و هذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الارض فاحرسي عليه لئلا تقع فيه فتاخذه و تطير هي و اولادها و يروحون و ابقى لا اقع لهم على خبر فاموت كمدا من اجلهم * واعلمي يا امي اني احذرك من ان تذكري ذلك لها و اعلمي انها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان اكبر من ابيها ولا اكثر منه جنودا ولا مالا * واعلمي انها سيدة قومها واعز ما عند ابيها فهي عزيزة النفس جدا فاخدميها انت بنفسك ولا تمكنيها من ان تخرج من الباب او تطل من الطاقة او من حائط فاني اخاف عليها من الهواء اذا هب * و اذا جرى عليها امر من امور الدنيا فانا اهلك روحي من اجلها * فقالت امه اعوذ بالله من مخالفتك يا ولدي هل انا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية واخالفك فيها * سافر يا ولدي وطب نفسا و سوف تحضر في خير وتنظرها ان شاء الله تعالى وتخبرك بما جرى لها مني * ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اراد السفر الى البنات وصّى امه على زوجته حكم ما ذكرنا * وكانت زوجته بالامر المقدر تسمع كلامه لامه و هما لا يعرفان ذلك * ثم ان حسنا قام و خرج

الى خارج المدينة و دق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين حملا من تحف العراق و ودع والدته و زوجته و اولاده و كان عمر واحد من ولديه سنة وعمر الآخر سنتين * ثم انه رجع الى والدته و اوصاها ثانيا ثم انه ركب و سافر الى اخواته و لم يزل مسافرا ليلا و نهارا في اودية وجبال وسهل واوعار مدة عشرة ايام * و فى اليوم الحادي عشر وصل الى القصر و دخل على اخواته ومعه الذي احضره اليهن * فلما رأينه فرحن به و هنينه بالسلامة * و اما اخته فانها زينت القصر ظاهره وباطنه * ثم انهن اخذن الهدية وانزلنه في مقصورة مثل العادة و سألنه عن والدته و عن زوجته فاخبرهن انها ولدت منه ولدين * ثم ان اخته الصغيرة لما رأته طيبا بخير فرحت فرحا شديدا و انشدت هذا البيت

وَاسْأَلِ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا خَطَرَتْ ... وَغَيْرُكُمْ فِي فُؤَادِي قَطُّ مَا خَطَرَا

ثم انه اقام عندهن في الضيافة و الكرامة مدة ثلثة اشهر و هو في فرح و سرور و غبطة و حبور و صيد و قنص * هذا ما كان من حديثه * و اما ما كان من حديث امه و زوجته فانه لما سافر حسن اقامت زوجته يوما و ثانيا مع امه و قالت لها فى اليوم الثالث سبحان الله هل اقعد معه ثلث سنين ما ادخل الحمام و بكت * فرقت امه لحالها و قالت لها يا بنتي نحن هنا غرباء و زوجك ما هو فى البلد فلو كان حاضرا كان يقوم بخدمتك * اما انا فلا اعرف احدا و لكن يا بنتي اسخن لك الماء و اغسل راسك في حمام البيت * فقالت لها يا سيدتي لو قلت هذا القول لبعض الجواري كانت طلبت

منك البيع في السوق و ما كانت تفعل عندكم * و لكن يا سيدتي ان الرجال معذورون فان عندهم غيرة * وعقولهم تقول لهم ان المرأة اذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة * والنساء يا سيدتي ما كلهن سواء وانت تعرفين ان المرأة اذا كان لها غرض في شيء ما يغلبها احد ولا يقدر ان يحرس عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا من غيره و تعمـــــــل كل ما تختاره * ثم انها بكت ودعت على نفسها و صارت تعدد على نفسها وغربتها * فرقت لحالها ام زوجها و علمت ان كلما قالته لابد منه * فقامت و هيأت حوائج الحمام التي تحتاجان اليها واخذتها و راحت الى الحمام * فلما دخلتا الحمام قلعتا ثيابهما فصار النساء جميعـــا ينظرن اليها و يسبحن الله عزوجل و يتأملـــن فيما خلق من الصورة البهية * و صار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل و يتفرج عليها و شاع في البلد ذكرها و ازدحم النساء عليها * و صار الحمام لاينشق من كثرة النساء التي فيه * فاتفق بسبب ذلك الامر العجيب انه حضر الى الحمام في ذلك اليوم جارية من جواري امير المؤمنين هارون الرشيد يقال لها تحفة العوادة * فرأت النساء في زحمة والحمام لاينشق من كثرة النساء و البنات * فسألت عن الخبر فاخبرنهـــا بالصبية فجاءت عندها و نظرت اليها و تأملت فيها فتحير عقلهـــا من حسنها و جمالها و سبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح * ولم تدخل ولم تغسل و انما صارت قاعدة و باهتة في الصبية الى ان فرغت الصبية من الغسل و خرجت لبست ثيابها فزادت حسنـا على حسنها * فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرة اليها فالتفتت اليهن وخرجت *

فقامت تحفة العوّاده جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت الى قصر الخليفة * ومازالت سائرة حتى وصلت بين ايادى السيدة زبيدة وقبلت الارض بين يديها * فقالت السيدة زبيدة يا تحفة ما سبب ابطائك فى الحمام * فقالت يا سيدتي رأيت اعجوبـــة ما رأيت مثلها فى الرجال ولا في النساء وهي التي اشغلتني وادهشت عقلي وحيرتني حتى انني ما غسلت رأسي * فقالت وما هي يا تحفة قلت ياسيدتي رأيت جارية فى الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى احد مثلها لا قبلهـــا ولا بعدها ولبس مثل صورتها فى الدنيا باسرها * وحق نعمتك يا سيدتي ان عرفت بها امير المؤمنين قتل زوجها واخذها منه لانه لاتوجد مثلها واحدة فى النساء * وقد سالت عن زوجها فقالوا ان زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصرى وتبعتها من خروجها من الحمام الى ان دخلت بيتها * فرأيته بيت الوزير الذي له بابان باب من جهة البحر وباب من جهة البر * وانا اخاف يا سيدتي ان يسمع بها امير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتـــل زوجها ويتزوج بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جاريه امير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصري ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت ياسيدتى اني اخاف ان يسمع بها امير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها قالت السيدة زبيدة ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال ان امير المؤمنين

يبيع دينه بدنياه و يخالف الشرع لاجلها والله لا بدلي من النظر الى هذه الصبية فان لم تكن كما ذكرت امرت بضرب عنقك * يا فاجرة ان في سراية امير المؤمنين ثلثمائة وستين جارية بعدد ايام السنة ما فيهن واحدة بالصفات التي تذكرينها * فقالت يا سيدتي لا والله ولا في بغداد باسرها مثلها بل ولا في العجم ولا في العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها * فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الارض بين يديها * فقالت له يا مسرور اذهب الى دار الوزير التي بالبابين باب على البحر و باب على البر وأتني بالصبية التي هناك هي واولادها والعجوز التي عندها بسرعة ولا تبطئ * فقال مسرور السمع والطاعة ثم خرج من بين يديها وسار حتى وصل الى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز ام حسن و قالت مَنْ بالباب * فقال لها مسرور خادم امير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وردت عليه السلام وسالته عن حاجته * فقال لها ان السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عمّ النبي صلى الله عليه و سلم تدعوك اليها انت وزوجة ابنك و اولادها * فان النساء اخبرنها عنها وعن حسنها * فقالت ام حسن يا مسرور نحن ناس غرباء و زوج البنت ولدي وما هو فى البلد ولم يأمرني بالخروج انا ولا هي لاحد من خلق الله تعالى وانا اخاف ان يجري امر ويحضر ولدي فيقتل روحه * فمن احسانك يا مسرور ان لا تكلفنا مالا نطيق عليه * فقال مسرور يا سيدتي لو علمت ان في هذا خوفا عليكم ما كلفتكم الرواح * وانما مراد السيدة زبيدة ان تنظرها و ترجع فلا تخالفي تندمي

وكما آخذكما ارد كما الى هنا سالمتين ان شاء الله تعالى * فما قدرت ام حسن ان تخالفه فدخلت و هيأت الصبية و اخرجتها هي و اولادها وسار واخذف مسرور و هو قدامهم الى قصر الخليفة * فطلع بهم حتى اوقفهم قدام السيدة زبيدة فقبلوا الارض بين يديها و دعوا لها و الصبية مستورة الوجه * فقالت لها السيدة زبيدة اما تكشفين عن وجهك لا نظره * فقبلت الصبية الارض بين يديها واسفرت عن وجه يخجل البدر في افق السماء * فلما نظرتها السيدة زبيدة شخصت اليها وسرحت فيها البصر واضاء القصر من نورها و ضوء وجهها و اندهشت زبيدة من حسنها * وكذلك كل من في القصر و صاركل من رآها مجنونا لا يقدر ان يكلم احدا * ثم ان السيدة زبيدة قامت و اوقفت الصبية و ضمتها الى صدرها و اجلستها معها على السرير وامرت ان يزينوا القصر * ثم امرت بان يحضروا لها بدلة من افخر الملبوس وعقدا من انفس الجواهر والبست الصبية اياهما * وقلت لها يا سيدة الملاح انك اعجبتني و ملأت عيني اي شيء عندك من الصنائع * فقالت الصبية يا سيدتي لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت من احسن الصنائع ما تتعجبين منه و يتحدث بحسنه كل من يراه جيلا بعد جيل * فقالت لها واين ثوبك هذا قالت هو عند ام زوجي فاطلبيه لي منها * فقالت السيدة زبيدة يا امي بحيوتي عندك ان تنزلي و تأتي لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذي تعمله و خذيه ثانيا * فقالت العجوز يا سيدتي هذه كذابة هل رأيت احدا من النساء له ثوب من الريش فهذا لايكون الا للطيور * فقالت الصبية للسيدة

ام حسن لمسرور على مكان ذلك الثوب وندامتها على الخروج الى الحمام مع زوجة حسن

زبيدة وحيوتك يا سيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار * فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزائن كسرى وقيصر وقالت لها يا امي خذي هذا العقد وانا ولتها اياه * وقالت لها بحيوتي ان تنزلي وتأتي بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلفت لها انها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقا * فصرخت السيدة زبيدة على العجوز واخذت منها المفتاح * ونادت مسرورا فحضر فقالت له خذ هذا المفتاح واذهب الى الدار وافتح وادخل الخزانة التي بابها كذا وكذا وفي وسطها صندوق فاطلعه واكسره وهات الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة زبيدة لما اخذت المفتاح من ام حسن واعطته لمسرور وقالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واطلع منها الصندوق واكسره واطلع منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي قال سمعا وطاعة * ثم انه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وسافر فقامت العجوز ام حسن وهي باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ولم تكن الصبية طلبت الحمام الا مكيدة * ثم ان العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة فدخل واخرج الصندوق واخرج منه القميص الريش ولفه معه في فوطة واتى به

حكاية لبس الصبية ثوبها الريش وطيرانها مع اولادها الى ديار ابيها وانشادها الاشعار في فراق حسن

الى السيدة زبيدة فاخذته و قلبته و قد تعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها و قالت لها هل هذا ثوبك الريش قالت نعم يا سيدتي * و مدت الصبية يدها اليه واخذته منها و هي فرحانه ثم ان الصبية افتقدته فرأته صحيحا كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ففرحت به * وقامت من جنب السيدة زبيدة و اخذت القميص و فتحته و اخذت اولادها في حضنها و اندرجت فيه * و صارت طيرة بقدرة الله عزوجل فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر و صار الجميع يتعجبون من فعلها * ثم ان الصبية تمايلت و تمشت و رقصت و لعبت وقد شخص لها الحاضرون و تعجبوا من فعلها * ثم قالت لهم بلسان فصيح يا سادتي هل هذا مليح * فقال لها الحاضرون نعم يا سيدة الملاح كل ما فعلته مليح * ثم قالت لهم و هذا الذي اعمله احسن منه يا سادتي و فتحت اجنحتها و طارت باولادها و صارت فوق قبة القصر و وقفت على سطح القاعة * فنظروا اليها بالاحداق و قالوا لها و الله ان هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط * ثم ان الصبية لما ارادت ان تطير الى بلادها تذكرت حسنا و قالت اسمعوا يا سادتي و انشدت هذه الابيات

يَا مَنْ خَلَا عَنْ ذِي الدِّيَارِ وَسَارَا ... نَحْوَ الْحَبَائِبِ مُسْرِعًا فَرَارَا
أَتَظُنُّ أَنِّي فِي نَعِيمٍ بَيْنَكُمْ ... وَالْعَيْشُ مِنْكُمْ لَمْ يَكُنْ أَكْدَارَا
لَمَّا أُسِرْتُ وَصِرْتُ فِي شَرَكِ الْهَوَى ... جُعِلَ الْهَوَى سِجْنِي وَشَطَّ مَزَارَا
لَمَّا اخْتَفَى ثَوْبِي تَيَقَّنَ أَنَّنِي ... لَمْ أَدْعُ فِيهِ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَا
قَدْ صَارَ يُوصِي أُمَّهُ بِحِفَاظِهِ ... فِي مَخْدَعٍ وَعَدَا عَلَيَّ وَجَارَا

فَسَمِعْتُ مَا قَالُوهُ ثُمَّ حَفِظْتُه * وَوَجَدْتُه خبرًا رَأَيْنَاه ...
فَوَرَاثِي الحَمَّامُ كَانَ وَسِيلَةً * حَتَّى غَدَتْ فِي العُقُولِ حَيَارَى
وَتَعَجَّبَتْ عِرْسُ الرَّشِيدِ لِبَهْجَتِي * إِذْ مَا هَدَتْ تَبْنِي يَمْنَةً وَيَسَارًا
نَادَيْتُ يَا امْرَأَةَ الخَلِيفَةِ إِنَّ لِي * ثَوْبًا مِنَ الرِّيشِ العَلِيِّ مُحَارَا
لَوْ كَانَ فَوْقِي تَنْظُرِينَ عَجَائِبًا * تَمْحُو العَنَا وَتُبَدِّدُ الأَكْدَارَا
فَاسْتَفْصَلَتْ عِرْسُ الخَلِيفَةِ أَيْنَ ذَا * فَأَجَبْتُ فِي دَارِ الَّذِي قَدْ دَارَا
فَانْقَضَّ مَسْرُورٌ وَأَحْضَرَهُ لَهَا * وَإِذَا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الأَنْوَارَا
فَأَخَذْتُهُ مِنْ كَفِّهِ وَفَتَحْتُهُ * وَرَأَيْتُ مِنْهُ الجَيْبَ وَالأَزْرَارَا
فَدَخَلْتُ فِيهِ ثُمَّ أَوْلَادِي مَعِي * وَفَرَدْتُ أَجْنِحَتِي وَطِرْتُ فِرَارَا
يَا أُمَّ زَوْجِي أَخْبِرِيهِ إِذَا أَتَى * إِنْ حَبَّ وَصْلِي فَلْيُفَارِقْ دَارَا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة اما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح * سبحان من اعطاك الفصاحة والصباحة قالت هيهات ان يرجع ما فات * ثم قالت لام حسن الحزين المسكين والله ياسيدتي يا ام حسن انك توحشينني * فاذا جاء ولدك وطالت عليه ايام الفراق واشتهى القرب والتلاق * وهزته ارياح المحبة والاشواق فليجئني الى جزائر واق * ثم طارت هي واولادها وطلبت بلادها * فلما رأت ام حسن ذلك بكت ولطمت وجهها وانتحبت حتى غشي عليها * فلما افاقت قالت لها السيدة زبيدة يا سيدتي الحجة ما كنت اعرف ان هذا يجري ولوكنت اخبرتني بها ما كنت اتعرض لك * وما عرفت انها من الجن الطيارة الا في هذا الوقت * ولوعرفت انها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولاكنت اخليها تأخذ اولادها * ولكن يا سيدتي اجعليني

في حل فقالت العجوز و ما وجدت في يدها حيلة انت في حل * ثم خرجت من قصر الخلافة و لم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشي عليها * فلما افاقت من غشيتها استوحشت الى الصبية والى اولادها و الى روية ولدها فانشدت هذه الابيات

يوم الفراق بعادكم ابكاني ... اسفا لبعدكم من الاوطان
تاذيت من الم الفراق بحرقة ... والدمع قرح يا لبكا اجفاني
هذا الفراق فهل لنا من عودة ... فلقد ازال فراقكم كتماني
يا ليتهم عادوا الى حسن الوفا ... فلعل ان عادوا يعود زماني

ثم قامت وحفرت في البيت ثلثة قبور و اقبلت عليها بالبكاء اثناء الليل واطراف النهار و حين طالت غيبة ولدها و زاد بها القلق والشوق والحزن انشدت هذه الابيات

خيالك بين طابقة الجفون ... و ذكرك في اختلاف و السكون
وحبك قد جرى بي العظم مني ... كجري الماء في ثمر الغصون
و يوم لا اراك يضيق صدري ... و تعذرني العواذل في شجوني
ايا من قد تملكني هواه ... و زاد على محبته جنوني
خف الرحمن في وكن رحيما ... هواك اذاقني ريب المنون

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ام حسن صارت تبكي اثناء الليل

واطراف النهار للفراق ولدها وزوجته واولاده هل اما كان من امرها *
واما ما كان من امر ولدها حسن فانه لما وصل الى البنات
جلفن عليه ان يقيم عندهن ثلثة اشهر * ثم بعد ذلك جهزن له
المال وهيأن له عشرة احمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن
له من الزاد حملا واحدا وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن ان يرجعن
فاقبلن على عناقه من اجل التوديع * فتقدمت اليه البنت الصغيرة
وعانقته وبكت حتى غشي عليها وانشدت هذين البيتين

مَتَى تَنْطَفِي نَارُ الْفِرَاقِ بِقُرْبِكُمْ ... وَيُقْضَى بِكُمْ أَرَبِي وَنَبْقَى كَمَا كُنَّا
لَقَدْ رَاعَنِي يَوْمُ الْفِرَاقِ وَضَرَّنِي ... وَقَدْ زَادَنِي التَّوْدِيعُ يَا سَادَتِي وَهْنَا

ثم تقدمت اليه البنت الثانية وعانقته وانشدت هذين البيتين

وَدَاعُكَ مِثْلُ وَدَاعِ الْحَيٰوةِ ... وَفَقْدُكَ يُشْبِهُ فَقْدَ النَّدِيمِ
وَبُعْدُكَ نَارٌ كَوَتْ مُهْجَتِي ... وَقُرْبُكَ فِيهِ جِنَانُ النَّعِيمِ

ثم تقدمت اليه البنت الثالثة وعانقته وانشدت هذين البيتين

مَا تَرَكْنَا الْوَدَاعَ يَوْمَ افْتَرَقْنَا ... عَنْ مَلَالٍ وَلَا لِوَجْهٍ قَبِيحِ
أَنْتَ رُوحِي عَلَى الْحَقِيقَةِ قَطْعًا ... كَيْفَ أَخْتَارُ أَنْ أُوَدِّعَ رُوحِي

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين

لَمْ يُبْكِنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِهِ ... لَمَّا أَسَرَّ بِهِ إِلَيَّ مُوَدِّعِي
هُوَ ذٰلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُهُ ... فِي مَسْمَعِي أَجْرَيْتُهُ مِنْ مَدْمَعِي

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وانشدت هذين البيتين

لَا تَرْحَلَنَّ فَمَا لِي عَنْكُمُ جَلَدٌ ... حَتَّى أُطِيقُ بِهِ تَوْدِيعَ مُرْتَحِلِ

ولا من الصبر ما القي الفراق به … ولا من الدمع ما اذري على طلل

ثم تقدمت اليه البنت السادسة و عانقته و انشدت هذين البيتين

قد قلت مذ سار السياق بهم … والشوق ينهب مهجتي نهبا
لو كان لي ملك اصول به … لاخذت كل سفينة غصبا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته و انشدت هذين البيتين

اذا رأيت الوداع فاصبر … ولا يهولنك البعاد
وانتظر العود عن قريب … فان قلب الوداع عادوا

و ايضا هذين البيتين

ولقد جزعت لبعدكم و فراقكم … ما لي فؤاد منكم لوداعكم
الله يعلم ما تركت وداعكم … الا مخافة ان يذوبه فراقكم

ثم ان حسنا ودعهن و بكى الى ان غشي عليه بسبب فراقه لهن و انشد هذه الابيات

و لقد جرت يوم الفراق سوافحي … دررا نظمت عقودها من ادمعي
و حدا بهم حادي الركاب فلم اجد … جلدا و لا صبرا ولا قلبي معي
ودعتهم ثم انثنيت بحسرة … وتركت انس معاهدي و الاربع
فرجعت لا ادري الطريق ولم تطب … نفسي سوى اني اراك بمرجعي
يا صاحبي انصت لاخبار الهوى … حاشا لقلبك ان اقول ولا يعي
يا نفس مذ فارقتهم فارقي … طيب الحيوة وفي البقا لا تطمعي

ثم انه جد في المسير ليلا ونهارا حتى وصل الى بغداد دار السلام

وحرم الخلافة العباسية * ولم يدر بالذي جرى بعد سفره فدخل الدار طالبا والدته ليسلم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورق عظمها من كثرة النوح والسهر والبكاء والعويل * حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر ان ترد الكلام فصرف النجائب وتقدم الى امه فسألها عن زوجته واولاده فبكت حتى غشي عليها * فلما رآها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على زوجته وعلى اولاده فلم يجد لهم اثرا * ثم انه نظر في الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحا ولم يجد فيه الثوب * فعند ذلك عرف انها تمكنت من الثوب الريش واخذته وطارت واخذت اولادها معها * فرجع الى امه فرآها قد افاقت من غشيتها فسألها عن زوجته وعن اولاده * فبكت وقالت يا ولدي عظم الله اجرك فيهم وهذه قبورهم الثلثة * فلما سمع كلام امه صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشيا عليه واستمر كذلك من اول النهار الى الظهر فازدادت امه غما على غمها وقد يئست من حيوته * فلما افاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائرا في الدار متحيرا ثم انه انشد هذين البيتين

لَا تَخْفَى حُبُّهُمْ مَا كَانَ يَخْفَى وَنِيرَانُ الصَّبَا بِهِ لَيْسَ تُطْفَى
وَمَنْ مُزِجَتْ لَهُ نَارُ التَّصَابِي فَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ الْحُبَّ صِرْفًا

وايضا

شَكَى أَلَمَ الْفِرَاقِ النَّاسُ قَبْلِي وَرُوِّعَ بِالنَّوَى حَيٌّ وَمَيْتُ
وَأَمَّا مِثْلَ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي فَإِنِّي لَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

فلما فرغ من شعره اخذ سيفه وسلّه وجاء الى امه وقال لها ان لم تعلميني بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحي * فقالت له يا ولدي لا تفعل ذلك وانا اخبرك ثم قالت له اغمد سيفك واقعد حتى احدثك بالذي جرى * فلما اغمد سيفه وجلس الى جانبها اعادت عليه القصة من اولها الى آخرها * وقالت له يا ولدي لولا اني رأيتها بكت على طلب الحمام وخفت منك ان تجيء وتشكو اليك فتغضب عليّ ما كنت ذهبت بها اليه * ولولا ان السيدة زبيدة غضبت عليّ واخذت مني المصاغ قهرا ما كنت اخرجت الثوب ولو كنت اموت * ويا ولدي انت تعرف ان يد الخلافة لا تطاولها يد * فلما احضروا لها الثوب اخذته وقلّبته وكانت تظن انه ذهب منه شيء فوجدته لم يصبه شيء ففرحت واخذت اولادها وشدتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعد ما قلعت لها السيدة زبيدة كل ما عليها اكراما لها ولجمالها * فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون اليها ويتعجبون من حسنها وجمالها * ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت اليّ وقالت لي اذا جاء ولدك وطالت عليه ليالي الفراق * واشتهى القرب مني والتلاق وهزته ارياح المحبة والاشواق فليفارق وطنه ويذهب الى جزائر واق * هذا ما كان من حديثها في غيبتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما سمع كلام امه حين

حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه * و لم يزل كذلك الى آخر النهار * فلما افاق لطم على وجهه و صار يتقلب على الارض مثل الحية فقعدت امه تبكي عند راسه الى نصف الليل * فلما افاق من غشيته بكى بكاء عظيما و انشد هذه الابيات

يَقِفوا وانظروا حالَ الَّذي تَهجُرونه لعلَّكُم بعدَ الجَفا تَرحمونه
فإن تَنظُروه تُنكِروه لِسقمِه كأنكم واللهِ لا تَعرِفونه
وَ ما هُوَ إلَّا مَيِّتٌ في هَواكُم يُعَدُّ مِنَ الأمواتِ لولا أنينه
وَ لا تَحسَبُوا أنَّ التفرقَ هَيِّنٌ يَعِزُّ على المُشتاقِ والموتُ دونه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور في البيت وينوح ويبكي وينتحب مدة خمسة ايام لم يذق فيها طعاما ولا شرابا فقامت اليه امه و حلفته واقسمت عليه ان يسكت من البكاء وهو لا يقبل كلامها ولا زال يبكي و ينتحب وامه تسليه و هو لا يسمع منها شيأ ثم انشد هذه الابيات

أكَذَا ايجازي وُدَّ كلِّ قَرينٍ أمْ هذهِ شِيَمُ الظِّباءِ العِينِ
أمّا بيوتُ النَّحلِ بينَ شِفاهِهِم مَنضوضةٌ أو خانةُ الزرجونِ
قُصّوا عليَّ حديثَ مَن قَتلَ الهوى إنَّ التأسِّي رَوحُ كلِّ حزينِ
لا تَطرُقَنْ خَجِلاً لِلَوْمةِ لائمٍ ما أنتَ أوَّلُ حازمٍ مَفتونِ

و ما زال حسن على هذه الحالة يبكي الى الصباح ثم انه اغفت عيناه فرأى زوجته حزينة و هي تبكي فقام من نومه و هو صارخ و انشد هذين البيتين

خَيَالُكِ عِنْدِي لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً ... جَعَلْتُ لَهُ فِي القَلْبِ أَشْرَفَ مَوْضِعِ
وَلَوْلاَ رَجَاءُ الوَصْلِ مَا عِشْتُ لَحْظَةً ... وَ لَوْلاَ خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ أَتَهَجَّعِ

فلما اصبح الصباح زاد نحيبه و بكاؤه و لم يزل باكي العين حزين القلب ساهر الليل قليل الاكل و استمر على هذه الحالة مدة شهر كامل * فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله ان يسافر الى اخواته لاجل ان يساعدنه على قصده من حصولها فاحضر النجائب * ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركب واحدة منهن * ثم اوصى والدته على البيت و اودع جميع حوائجه الا قليلا ابقاه في الدار * ثم سار متوجها الى اخواته لعله ان يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته * ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر البنات في جبل السحاب * فلما دخل عليهن قدم اليهن الهدايا ففرحن بها و هنينه بالسلامة و قلن له يا اخانا ما سبب مجيئك بسرعة و مالك غير شهرين فبكى و انشد هذه الابيات

أَرَى النَّفْسَ فِي فِكْرٍ لِفَقْدِ حَبِيبِهَا ... فَلاَ تَتَهَنَّى بِالْحَيُوةِ وَ طِيبِهَا
سَقَامِي دَاءٌ لَيْسَ يُعْرَفُ طِبُّهُ ... وَهَلْ يَبْرَءُ الأَسْقَامَ غَيْرُ طَبِيبِهَا
فَيَا مَانِعِي طِيبَ المَنَامِ تَرَكْتَنِي ... أُسَائِلُ عَنْكَ الرِّيحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
غَرِيبَةُ عَهْدٍ مِنْ حَبِيبِي وَ قَدْ حَوَى ... مَحَاسِنَ تَدْعُو مُقْلَتِي لِصَبِيبِهَا
فَيَا أَيُّهَا الشَّخْصُ المُلِمُّ بِأَرْضِهِ ... عَسَى نَفْحَةٌ تُحْيِي القُلُوبَ بِطِيبِهَا

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى افاق من غشيته فلما افاق انشد هذين البيتين

عسى ولعل الدهر يلوي عنانه ... ويأتي بحبي والزمان هيور
ويسعدني دهري فتقضى حوائجي ... وتحصل من بعد الامور امور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما افاق انشد هذين البيتين

بالله يا منتهى سقمي وامراضي ... هل انت راض فاني في الهوى راض
اتهجرين بلا ذنب ولا سبب ... فواصلي وارحمي من هجرك الماضي

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما افاق انشد هذه الابيات

هجر المنام وواصل التسهيد ... والعين بالدمع المصون تجود
تبكي بدمع كالعقيق صبابة ... يربو على طول المدى ويزيد
اهدى الي الشوق يا اهل الهوى ... نارا لها بين الضلوع وقود
واذا ذكرتك لم تفض لي دمعة ... الا وفيها بارق ورعود

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

انى العشق والتبريح دنتم كما دنا ... وهل ودنا منكم كما ودكم منا
الا قاتل الله الهوى ما امره ... فياليت شعري مايريد الهوى منا
وجوهكم الحسنا وان شطت النوى ... تمثل في ابصارنا اينما كنا
فقلبي مشغول بتذكار حيكم ... ويطربني صوت الحمام اذا غنى
الا يا حماما بات يدعو اليفه ... لقد زدتني شوقا واصحبتني حزنا
تركت جفوني لا تمل من البكا ... على سادة غابوا برؤيتهم عنا
احن اليهم كل وقت وساعة ... واشتاق في الليل البهيم اذا جنا

فلمـــا سمعت كلامه اختة خرجت اليـــه فرأته راقدا مغشيـــا عليه فصرخت ولطمت وجهها * فسمعها اخواتها فخرجن اليها فرأين حسنا راقدا مغشيا عليه فاحتطن به وبكين عليه * ولم يخف عليهن حين رأينه ما حلّ به من الوجد والهيام والشوق والغرام * فسالنه عن حاله فبكى واخبرهن بماجرى له في غيابه حيث طارت زوجته واخذت اولادها معها * فحزنّ عليه وسالنه عن الذي قالت عنـــد ما راحت * قال يا اخواتي انها قالت لوالدتي تولي لولدك اذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق * وهزته ارياح المحبة والاشواق فليجئني في جزائر واق * فلما سمعن كلامه تغامزن وتذكرن وصارت كل واحدة تنظر الى اختها وحســـن ينظرهن * ثم اطرقن برؤسهن الى الارض ساعة وبعد ذلك رفعنهـــا وقلن لاحول ولاقوة الّا بالله العلي العظيم * ثم قلن له امدديدك الى السماء فان وصلت الى السماء تصل الى زوجك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البنات لما قلن لحسن امدديدك الى السماء فان وصلت اليها تصل الى زوجك واولادك جرت دموعه على خديه مثل المطـــــر حتى بلت ثيابه وانشد هذه الابيات

قَدْ هَيَّجَتْنِي الخُدُودُ الحُمْرُ والحَدَقُ ... وَفَارَقَ الصَّبْرُ لَمَّا اَقْبَلَ الاَرَقُ
بِيضٌ نَوَاعِمُ اَضْنَتْ بِالْجَفَا جَسَدِي ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُ لِاَبْصَارِ الوَرَى رَمَقُ
حُورٌ تَمِيسُ كَغِزْلَانِ المَهَا سَفَرَتْ ... عَنْ بَهْجَةٍ لَوْرَآهَا الاَوْلِيَا عَشِقُوا

يمشين مثل نسيم الروض في سحر | يعشقهن عزالي الهم والقلق
علقت منهن آمالي بغانية | قلبي لها بلظى النيران يحترق
خوداء ناعمة الاطراف مائسة | في وجهها الصبح بل في شعرها الغسق
قد هيجتني وكم في الحب من بطل | قد هيجته خدود البيض والحدق

فلما فرغ من شعره بكى و بكت البنات لبكائه و اخذتهن الشفقة و الغيرة عليه * وصرن يلطفن به و يصبرنه و يدعين له بجمع الشمل * فاقبلت عليه اخته و قالت له يا اخي طب نفسا و قرّ عينا واصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأنّى نال ما تمنّى و الصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر

دع المقادير تجري في أعنتها | ولا تبيتن الا خالي البال
مابين غمضة عين وانتباهتها | يغير الله من حال الى حال

ثم قالت له قوّ قلبك و اشدد عزمك فان ابن عشرة لايموت وهو في تسعة و البكاء و الغم و الحزن تمرض و تسقم و اقعد عندنا حتى تستريح * و انا اتحيل لك في الوصول الى زوجتك و اولادك ان شاء الله تعالى * فبكى بكاء شديدا و انشد هذين البيتين

لئن عوفيت من مرض بجسمي | فما عوفيت من مرض بقلبي
وليس دواء أمراض التصابي | سوى وصل الحبيب مع المحب

ثم جلس الى جانب اخته و صارت تحدثه وتسليه و تسأله عن الذي كان سببا في رواحها فاخبرها عن سبب ذلك * فقالت له و الله يا اخي اني اردت ان اقول لك احرق الثوب الريش فانساني الشيطان

ذلك و صارت تحدثه و تلاطفه * فلما طال عليه الامر و زاد به القلق انشد هذه الابيات

تمكن من قلبي حبيب ألفته ولیس لشيء قدرا للـه مدفع
من العرب قد حاز الملاحة كلها غزال و لكن في فؤادي يرتع
لئن عز صبري في هواه وحيلتي بكيت على ان البكا ليس ينفع
مليح له سبع و سبع كانه هلال له خمس و خمس وأربع

فلما نظرت اخته الى ما هو فيه من الوجد و الهيام و تباريح الهوى و الغرام قامت الى اخواتها وهي باكية العين حزينة القلب و بكت بين ايديهن ورمت نفسها عليهن و قبلت اقدامهن و سألتهن مساعدة اخيها على قضاء حاجته و اجتماعه باولاده و زوجته و عاهدتهن على ان يدبرن امرا يوصله الى جزائر واق * وما زالت تبكي بين يدي اخواتها حتى ابكتهن و قلن لها طيبي قلبك فانـا مجتهدات في اجتماعه باهله ان شاء الله تعالى * ثم انه اقام عندهن سنة كاملة و عينه لم تمسك من الدموع * وكان لاخواتها عم اخو و الدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان في كل سنة يزورها مرة واحدة و يقضي حوائجهـا * وكانت البنات قد حدثنه بحديث حسن وما وقع له مع المجوسي وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك و دفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور و قال لهـا يا بنت اخي اذا اهمك امر او نالك مكروه اوعرضت لك حاجة فالقي هذا البخور في النار و اذكريني فاني احضر لك بسرعة واقضي حاجتك وكان هذا الكلام في اول يوم من السنة *

فقالت تلك البنت لبعض اخواتها ان السنة مضت بتمامها وعمي لم يحضر فقومي اقدحي الزناد واتيني بعلبة البخور* فقامت البنت وهي فرحانة واحضرت علبة البخور وفتحتها واخذت منها شيأ يسيرا وناولته لاختها* فاخذته ورمته في النار وذكرت عمها فما فرغ البخور الا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادي ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته* فلما نظرته البنات صار يشير اليهن بيديه ورجليه ثم بعد ساعة وصل اليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه وسلمن عليه* ثم انه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه* فقال اني كنت في هذا الوقت جالسا انا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت اليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت اخي* فقالت يا عم اننا اشتقنا اليك وقد مضت السنة وما عادتك ان تغيب عنا اكثر من سنة* فقال لهن اني كنت مشغولا وكنت عزمت على ان احضر اليكن غدا فشكرنه ودعين له وقعدن يتحدثن معه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت له البنت الكبيرة يا عمي اننا كنا حدثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الاكبر التي اخذها وما قاسى من الامور الصعاب والاهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها الى بلاده قال نعم فما حدث له بعد هذا* قالت له انها غدرت

به و قد رزق منها بولدين فا خذتهما و سافرت بهما الى بلادها و هو غائب * و قالت لامه اذا حضر ولدك و طالت عليه ليالي الفراق واراد مني القرب والتلاق * وهزته ارياح المحبة و الاشتياق فليجئني الى جزائر واق * فحرك رأسه وعض على اصبعه ثم اطرق راسه الى الارض وصار ينكت في الارض باصبعه * ثم التفت يمينا و شمالا و حرك رأسه و حسن ينظره وهو متوار عنه * فقالت البنات لعمهن ردّ علينا الجواب فقد تفتتت منا الاكباد * فهز راسه اليهن وقال لهن يا بناتي لقد اتعب هذا الرجل نفسه ورمى روحه في هول عظيم و خطر جسيم فانه لا يقدر ان يقبل على جزائر واق * فعند ذلك نادت البنات حسنا فخرج اليهن و تقدم الى الشيخ عبد القدوس و قبل يده و سلم عليه ففرح به و اجلسه بجانبه * فقالت البنات لعمهن ياعم بين لاخينا حقيقة ما قلته * فقال له يا ولدي اترك عنك هذا العذاب الشديد فانك لا تقدر ان تصل الى جزائر واق و لو كان معك الجن الطيارة و النجوم السيارة لان بينك و بين الجزائر سبعة اودية و سبعة بحار و سبعة جبال عظام * وكيف تقدر ان تصل الى هذا المكان ومن يوصلك اليه بالله عليك ان ترجع من قريب ولا تتعب سرك * فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشي عليه و قعدت البنات حوله يبكين لبكائه * واما البنت الصغيرة فانها شقت ثيابها و لطمت على وجهها حتى غشي عليها * فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم و اخذته الرأفة عليهم * فقال لهم اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وابشر بقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى * ثم قال له يا ولدي قم وشد حيلك واتبعني * فقام حسن على

حيله بعد ان ودّع البنات وتبعه و قد فرح بقضاء حاجته * ثم ان
الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه واردف حسنا
خلفه وساربه مدة ثلثة ايام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل الى
جبل عظيم ازرق و حجارته كلها زرق * وفي وسط ذلك الجبل مغارة
وعليها باب من الحديد الصيني * فاخذ الشيخ بيد حسن وانزله
ثم نزل الشيخ واطلق الفيل ثم تقدم الي باب المغارة وطرقه
فانفتح الباب و خرج اليه عبد اسود اجرد كانّه عفريت وبيده
اليمنى سيف والاخرى ترس من بولاد * فلما نظر الشيخ عبد القدوس
رمى السيف والترس من يده وتقدم الى الشيخ عبد القدوس
وقبل يده * ثم اخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو واياه وقفل
العبد الباب خلفهما * فراى حسن المغارة كبيرة واسعة جدا ولها
دهليز معقود ولم يزالوا سائرين مقدار ميل * ثم انتهى بهم
السير الى فلاة عظيمة وتوجهوا الى ركن فيه بابان عظيمان
مسبوكان من النحاس الاصفر * ففتح الشيخ عبد القدوس بابا
منهما ودخل وردّه وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذران
تفتحه وتدخل حتى ادخل وارجع اليك عاجلا * فلما دخل الشيخ
غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان مسرج ملجم ان
سار طار وان طار لم يلحقه غبار * فقدمه الشيخ لحسن وقال له اركب *
ثم ان الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه برية واسعة فركب حسن
الحصان وخرج الاثنان من الباب وصارا في تلك البرية * فقال الشيخ
لحسن يا ولدي خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان الى الموضع
الذي يوصلك اليه فاذا نظرته وقف على باب مغارة مثل هذه فانزل

عن ظهره و اجعل عنانه في قربوص السرج و اطلقه * فانه يدخل المغارة فلاتدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة ايام ولاتضجر * فانه في اليوم السادس يخرج اليك شيخ اسود عليه لباس اسود و ذقنه بيضاء طويلة نازلة الى سرته * فاذا رأيته فقبل يديه و امسك ذيله و اجعله على راسك و ابك بين يديه حتى يرحمك فانه يسألك عن حاجتك * فاذا قال لك ما حاجتك فادفع اليه هذا الكتاب فانه ياخذه منك ولايكلمك ويدخل و يخليك فقف مكانك خمسة ايام أخر ولاتضجر * وفي اليوم السادس انتظره فانه يخرج اليك فان خرج اليك بنفسه فاعلم ان حاجتك تقضى و ان خرج اليك احد من غلمانه فاعلم ان الذي خرج اليك يريد قتلك و السلام * و اعلم يا ولدي ان كل من خاطر بنفسه اهلك نفسه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ عبد القدوس لما اعطى حسنا الكتاب اعلمه بما سيحصل له و قال له ان كل من خاطر بنفسه اهلك نفسه * فان كنت تخاف على نفسك فلاتلق بها الى الهلاك * و ان كنت لاتخاف فدونك وما تريد وقد بينت لك الامور * وان شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضر فانه يسيربك الى بنات اخي * و هن يوصلنك الى بلادك و يردنك الى وطنك و يرزقك الله خيرا من هذه البنت التي تعلقت بها * فقال حسن للشيخ وكيف تطيب لي الحيوة من غير ان ابلغ مرادي و الله اني لا ارجع ابدا

حتى ابلغ حبيبتي اوتدركني منيتي ثم بكى وانشد هذه الابيات

عَلَى فَقْدِ حِبِّي مَعْ تَزَايُدِ صَبْوَتِي وَقَفْتُ اُنَادِي بِانْكِسَارِي وَذِلَّتِي
وَقَبَّلْتُ تُرْبَ الرَّبْعِ شَوْقًا لِاَجْلِهِ وَلَمْ يُجْدِنِي اِلاَّ تَزَايُدَ حَسْرَتِي
رَعَى اللّٰهُ مَنْ بَانُوا وَفِي الْقَلْبِ ذِكْرُهُمْ فَوَاصَلْتُ آلاَمِي وَفَارَقْتُ لَذَّتِي
يَقُولُونَ لِي صَبْـرًا وَقَدْ رَحَلُوا بِهِ وَقَدْ اَضْرَمُوا يَوْمَ التَّرَحُّلِ زَفْرَتِي
وَمَا رَاعَنِي اِلاَّ الْوَدَاعُ وَقَوْلُهُ اِذَا غِبْتُ فَاذْكُرْنِي وَلاَ تَنْسَ صُحْبَتِي
لِمَنْ اَلْتَجِي مَنْ اَرْتَجِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ وَكَانُوا رَجَائِي فِي رَخَائِي وَشِدَّتِي
فَوَا حَسْرَتَا لَمَّا رَجَعْتُ مُوَدِّعًا وَسُرَّتْ عِدَاكَ الْمُبْغِضُونَ بِرَجْعَتِي
فَوَا اَسَفَا هٰذَا الَّذِي كُنْتُ حَاذِرًا وَيَالَوْعَتِي زِيدِي لَهِيبًا بِمُهْجَتِي
فَاِنْ غَابَ اَحْبَابِي فَلاَ عَيْشَ بَعْدَهُمْ وَاِنْ رَجَعُوا يَافَرْحَتِي وَمَسَـرَّتِي
فَوَاللّٰهِ لَمْ يَنْفُضْ دَمْعِي مِنَ الْبُكَا عَلَى فَقْدِهِمْ بَلْ عَبْرَةٌ بَعْدَ عَبْرَةِ

فلما سمع الشيخ عبد القدوس انشاده و كلامه علم انه لايرجع عن مراده و ان الكلام لايـــؤثر فيه و تيقن انه لابدان يخاطر بنفســه و لوتلفت مهجته * فقال اعلم ياولدي ان جزائر واق سبع جزائر فيهـــا عسكر عظيم و ذلك العسـكر كله بنات ابكار * و سكان الجــزائر الجوانية شياطين و مردة و سحرة وارهاط مختلفــة و كل من دخل ارضهم لايرجع و ما وصل اليهــم احد قط و رجع * فبالله عليك ان ترجع الى اهلك من قريب * و اعلم ان البنت التي قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلهـــا * و كيف تقدران تصل اليها فاسمع مني يا ولدي و لعل الله يعوضك خيرا منها * فقال حسن و الله ياسيدي لو قطعت في هواها اِربًا اِربًا ما ازددت الاّ حبـــا و طربا ولابدمن رؤية زوجتي و اولادي و الدخول في جزائر واق * و ان شاء الله تعالى ماارجع

الآبهـا و باولادي * فقال له الشيخ عبد القدوس حينئذ لابد لك من السفر فقال نعم و انما اريد منك الدعاء بالاسعاف و الاعانة * لعل الله يجمع شملي بزوجتي و اولادي عن قريب * ثم بكى من عظم شوقه و انشد هذه الابيـــــــات

أنتم مُرادي وأنتم أحسن البشرِ — أحلُّكم في محلّ السمع والبصرِ
ملكتم القلب مني وهو منزلكم — وبعدكم سادتي أصبحت في كدرِ
فلا تظنوا انتقالي عن محبتكم — فحبكم صيّر المسكين في ضررِ
غبتم فغاب سروري بعد غيبتكم — واصبح الصفو عندي غاية الكدرِ
تركتموني أراعي النجم من ألم — أبكي بدمع يحاكي هاطل المطرِ
يا ليل طلت على من بات في قلق — من شدة الوجد يرعى طلعة القمرِ
ان جزت يا ريح حياً فيه قد نزلوا — بلّغ سلامي لهم فالعمر في قصرِ
وقل لهم بعض ما لاقيت من ألم — ان الاحبة لا يدرون عن خبري

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه * فلما افاق قال له الشيخ عبد القدوس يا ولدي ان لك والدة فلا تذقها فقدك * فقال حسن للشيخ و الله يا سيدي ما بقيت ارجع الا بزوجتي او تدركني منيتي ثم بكى وناح و انشد هذه الابيـــات

وحق الهوى ما غيّر البعد عهدكم — ولا انا ممن للعهود يخونُ
وعندي من الأشواق ما لو شرحته — إلى الناس قالوا قد عراه جنونُ
فوجد وحزن وانتحاب ولوعة — ومن حاله هذا فكيف يكونُ

فلما فرغ من شعره علم الشيخ انه لا يرجع عن ما هو فيه ولو ذهبت روحه فما و له الكتاب ودعا له واوصاه بالذي يعمله * و قال له اني

قد اكدت لك في الكتاب على ابي الرويش ابن بلقيس بنت
معين فهو شيخي و معلمي وجميع الانس و الجن يخضعون له
و يخافون منه * ثم قال له توجه على بركة الله فتوجه ولرخى عنان
الحصان فطاربه اسرع من البرق * ولم يزل حسن مسرعا بالحصان
مدة عشرة ايام حتى نظر امامه شبحا عظيما اسود من الليل
قد سد مابين المشرق و المغرب * فلما قرب حسن منه صهل
الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لايحصى لها عدد
ولا يعرف لها مدد * وصارت تتمسح في الحصان فخاف حسن منها
و فزع * ولم يزل حسن سائرا و الخيول حوله الى ان وصل الى
المغارة التي و صفها له الشيخ عبد القدوس * فوقف الحصان على
بابها فنزل حسن من فوقه وعطر لجامه في قربوص سرجه * فدخل
الحصان المغارة و حسن على الباب كما امره الشيخ عبد القدوس
و صار منفكرا في عاقبة امره كيف نكون * حيران و لهان لايعلم
الذي يجري له و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنالما نزل من فوق ظهر
الحصان وقف على باب المغارة منفكرا في عاقبة امره كيف تكون
لايعلم الذي يجري له * ولم يزل واقفا على باب المغارة خمسة ايام
بلياليها و هو سهران حزين حيران متفكر حيث فارق الاهل
و الاوطان و الاصحاب و الخلان باكي العين حزين القلب * ثم انه
تذكر و الدته و تفكر فيما يجري له و في فراق زوجته و اولاده
و في ما قاساه فانشد هذه الابيات

لَدَيكُم دَوَاءُ القَلْبِ وَالقَلْبُ ذَاهِبٌ ... وَمِنْ سَفْحِ أَجْفَانِي دُمُوعٌ سَوَاكِبُ
فِرَاقٌ وَحُزْنٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... وَبُعْدٌ عَنِ الأَوْطَانِ وَالشَّوْقُ غَالِبُ
وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ ذُو صَبَابَةٍ ... بِبُعْدِ الَّذِي يَهْوَى دَهَتْهُ المَصَائِبُ
فَإِنْ كَانَ عِشْقِي قَدْ رَمَانِي بِنَكْبَةٍ ... فَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ النَّوَائِبُ

فلم يفرغ حسن من شعره الّا والشيخ ابو الرويش قد خرج له وهو اسود وعليه لباس اسود * فلما نظره حسن عرفه بالصفات التي اخبره بها الشيخ عبد القدوس * فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميه ومسك رجله وحطها على راسه وبكى قدامه * فقال له الشيخ ابو الرويش ما حاجتك يا ولدي فمد يده بالكتاب وناوله للشيخ ابي الرويش فاخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جوابا * فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكي * وما زال قاعدا مكانه مدة خمسة ايام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الارق فصار يبكي ويتضجر من الم البعاد وكثرة السهاد ثم انشد هذه الابيات

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَا ... إِنَّ المُحِبَّ لَفِي عَنَا
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الهَوَى ... لَمْ يَدْرِ مَا جَهْدُ البَلَا
لَوْ كُنْتُ أَحْبِسُ عَبْرَتِي ... لَوَجَدْتُ أَنْهَارَ الدِّمَا
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ قَدْ قَسَا ... قَلْبًا وَأَوْلَعَ بِالشَّقَا
فَإِذَا تَعَطَّفَ لَامَنِي ... فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَا
لَكِنْ دَهَتْ لِرَدَائِي ... فَأَصَابَنِي عَيْنُ الرَّدَى
بَكَتِ الوُحُوشُ لِوَحْشَتِي ... وَكَذَاكَ سُكَّانُ الهَوَا

ولم يزل حسن يبكي الى ان لاح الفجر * واذا بالشيخ ابي الرويش قد خرج اليه وهو لابس لباسا ابيض واومى اليه بيده ان يدخل * فدخل حسن فاخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وايقن ان حاجته قد قضيت * ولم يزل الشيخ سائرا وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا الى باب مقنطر عليه باب من البولاد ففتح الباب ودخل هو وحسن في دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب * ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى قاعة كبيرة مرخمة واسعة * وفي وسطها بستان فيه من سائر الاشجار والازهار والاثمار والاطيار على الاشجار تناغي وتسبح الله الملك القهار * وفي القاعة اربع لواوين يقابل بعضها بعضا وفي كل ايوان مجلس فيه فسقية * وعلى كل ركن من اركان كل فسقية صورة سبع من الذهب * وفي كل مجلس كرسي وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جدا وبين ايديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور * وكل شيخ منهم بين يديه طلبة يقرؤن عليه الكتب * فلما دخلا عليهم قاموا اليهما وعظموهما فاقبل عليهم واشار لهم ان يصرفوا الحاضرين فصرفوهم * وقام الاربعة مشائخ وجلسوا بين يدي الشيخ ابي الرويش وسألوه عن حال حسن * فعند ذلك اشار الشيخ ابو الرويش الى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من اول الامر الى آخره * فعند ذلك بكى حسن بكاء شديدا وحدثهم بحديثه الى آخره * فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشائخ كلهم وقالوا هل هذا هو الذي اطلعه المجوسي الى جبل السحاب بالنسور وهو في جلد الجمل * فقال لهم حسن نعم فاقبلوا على الشيخ ابي الرويش وقالوا له يا شيخنا ان بهرام تحيل

في طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذي رآه فوق الجبل من العجائب * فقال الشيخ ابو الرويش يا حسن حدثهم كيف نزلت واخبرهم بالذي رأيته من العجائب * فاعاد عليهم ما جرى له من اوله الى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف خلص منه الرجل وكيف صاد الصبية وكيف غدرت به زوجته واخذت اولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الاهوال والشدائد * فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم اقبلوا على الشيخ ابي الرويش وقالوا له يا شيخ الشيوخ والله ان هذا الشاب مسكين فعساك ان تساعده على خلاص زوجته واولاده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما حكى للمشائخ قصته قالوا للشيخ ابي الرويش هذا الشاب مسكين فعساك ان تساعده على خلاص زوجته واولاده * فقال لهم الشيخ ابو الرويش يا اخواني ان هذا امر عظيم خطير وما رأيت احدا يكره الحيوة غير هذا الشاب وانتم تعرفون ان جزائر واق صعبة الوصول ما وصل اليها احد الا خاطر بنفسه * وتعرفون قوتهم واعوانهم وانا حالف اني ما ادوس لهم ارضا ولا اتعرض لهم في شيء * وكيف يصل هذا الى بنت الملك الاكبر ومن يقدر ان يوصله اليها او يساعده على هذا الامر * فقالوا يا شيخ الشيوخ ان هذا الرجل اتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر اليك بكتاب اخيك الشيخ عبد القدوس فيجب عليك مساعدته * فقام حسن وقبل قدم ابي الرويش ورفع ذيله ووضعه على راسه وبكى وقال له سألتك بالله ان تجمع بيني

ربين اولادي و زوجتي و لو كان في ذلك ذهاب روحي ومهجتي * فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ ابى الرويش اغتنم اجر هذا المسكين و افعل معه جميلا لاجل اخيك الشيخ عبد القدوس * فقال ان هذا الشاب مسكين ما يعرف الذي هو قادم عليه و لكن نساعده على قدر الطاقة * ففرح حسن لما سمع كلامه و قبل يديه و قبل ايادي الحاضرين و احدا بعد واحد و سالهم المساعدة * فعند ذلك اخذ ابو الرويش ورقة ودواة وكتب كتابا وختمه و اعطاه لحسن و دفع له خريطة من الادم فيها بخور وآلات نار من زناد و غيره و قال له احتفظ على هذه الخريطة * و متى وقعت في شدة فبخّر بقليل منه و اذكرني فاني احضر عندك واخلصك منها * ثم امر بعض الحاضرين ان يحضر له عفريتا من الجن الطيارة في ذلك الوقت فحضر * فقال له الشيخ ما اسمك قال عبدك دهنش بن فقطش * فقال له ابو الرويش ادن مني فدنا منه فوضع الشيخ ابو الرويش فاه على اذن العفريت وقال له كلاما فحرّك العفريت راسه * ثم قال الشيخ لحسن ياولدي قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار * فاذا رفعك الى السماء وسمعت تسبيح الملائكة في الجو فلا تسبح فتهلك انت وهو * فقال حسن لاانكلم ابدا * ثم قال له الشيخ يا حسن اذا ساربك فانه يضعك ثاني يوم في وقت السحر على ارض بيضاء نقية مثل الكافور * فاذا وضعك هناك فامش عشرة ايام وحدك حتى تصل الى باب المدينة فاذا وصلت اليها فادخل و اسال عن ملكها * فاذا اجتمعت به فسلم عليه وقبل يده

و اعطه هذا الكتاب و مهما اشاريه اليك فافهمه * فقال حسن سمعا و طاعة وقام مع العفريت وقام المشائخ ودعوا له و وصوا العفريت عليه * فلما حمله العفريت على عاتقه ارتفع به الى عنان السماء ومشى به يوما وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء * فلما كان الصبح وضعه في ارض بيضاء مثل الكافور وتركه و انصرف * فلما ادرك حسن انه على الارض و لم يكن عنده احد سار في الليل و النهار مدة عشرة ايام الى ان وصل الى باب المدينه فدخلها و سال عن الملك فدلوه عليه * و قالوا ان اسمه الملك حسون ملك ارض الكافور * و عنده من العساكر و الجنود ما يملأ الارض في طولها والعرض فاستاذن فاذن له * فلما دخل عليه وجده ملكا عظيما فقبل الارض بين يديه * فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب و ناوله اياه فاخذه و قرأه ثم حرك رأسه ساعة * ثم قال لبعض خواصه خذ هذا الشاب و انزله في دار الضيافة فاخذه و سار حتى انزله هناك فاقام بها مدة ثلثة ايام في اكل و شرب و ليس عنده الا الخادم الذي معه * فصار ذلك الخادم يحدثه و يؤانسه و يسأله عن خبره و كيف وصل الى هذه الديار * فاخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه * و في اليوم الرابع اخذه الغلام و احضره بين يدي الملك * فقال له يا حسن انت قد حضرت عندي تريد ان تدخل جزائر واق كما ذكرلنا شيخ الشيوخ يا ولدي انا ارسلك في هذه الايام الا ان في طريقك مهالك كثيرة وبراري معطشة كثيرة المخاوف * ولكن اصبر ولا يكون الا خيرا فلابد ان احتيل و اوصلك الى ما تريد ان شاء الله تعالى *

و اعلم يا ولدي ان هنا عسكرا من الديلم يريدون الدخول في جزائر واق فهيؤن بالسلاح والخيل و العدد * و ما قدروا على الدخول * ولكن يا ولدي لا جل شيخ الشيوخ ابي الرويش ابن بلقيس بنت معين ما اقدر ان اردك اليه الا مقضي الحاجة * وعن قريب تأتي الينا مراكب من جزائر واق * وما بقي لها الا القليل * فاذا حضرت واحدة منها انزلتك فيها واوصي البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك الى جزائر واق * وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له انا صهر الملك حسون صاحب ارض الكافور * واذا رست المركب على جزائر واق وقال لك الريس اطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة في جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرك * فاذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد احاط بالبضائع فمد يدك وامسك صاحبة هذه الدكة التي انت تحتها واستجر بها * واعلم يا ولدي انها اذا اجارتك قضيت حاجتك فتصل الى زوجتك واولادك * وان لم تجرك فاحزن على نفسك وايئس من الحيوة وتيقن بهلاك نفسك * واعلم يا ولدي انك مخاطر بنفسك ولا اقدر لك على شيء غير هذا والسلام * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما قال له الملك حسون هذا الكلام واوصاه بالذي ذكرناه وقال له انا لا اقدر لك على شيء غير هذا قال له بعد ذلك واعلم انه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت الى هنا * فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشي عليه * فلما افاق انشد هذين البيتين

لَا بُدَّ لِي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ أَنَا مُتُّهَا مُتُّ
لَوْ سَارَ مَعِي الْأَسَدُ فِي غَابَاتِهَا لَقَهَرْتُهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

فلما فرغ حسن من شعره قبل الارض بين يدي الملك وقال له ايها الملك العظيم وكم بقي من الايام حتى تأتي المراكب * قال مدة شهر ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين * ثم يرجعون الى بلادهم فلا نرج سفرك فيها الاّ بعد ستة اشهر كاملة * ثم ان الملك امر حسنا ان يذهب الى دار الضيافة وامران يحمل له كل ما يحتاج اليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذي يناسب الملوك * فاقام في دار الضيافة شهرا وبعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار واخذ حسنا معه الى المراكب * فرأى مركبا فيها خلق كثير مثل الحصى ما يعلم عددهم الاّ الذي خلقهم * وتلك المركب في وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيها من البضائع الى البر * فاقام حسن عندهم حتى نزع اهلها البضائع منها الى البر وباعوا واشتروا وما بقي للسفر الاّ ثلثة ايام * فاحضر الملك حسنا بين يديه وجهز له ما يحتاج اليه وانعم عليه انعاما عظيما * ثم بعد ذلك استدعى ريس تلك المركب وقال له خذ هذا الشاب معك في المركب ولا تعلم به احدا واوصله الى جزائر واق واتركه هناك ولا تأت به فقال الريس سمعا وطاعة * ثم ان الملك اوصى حسنا وقال له لا تعلم احدا من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع احدا على قصتك فتهلك قال سمعا وطاعة * ثم ودعه بعد ان دعا له بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والاعداء وشكره الملك على ذلك

ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته * ثم سلمه للريس فاخذه وحطه في صندوق وانزله في قارب ولم يطلعه في المركب الّا والناس مشغولون في نقل البضائع * وبعد ذلك سافرت المراكب ولم تزل مسافرة مدة عشرة ايام * فلما كان اليوم الحادي عشر وصلوا الى البر فطلعه الريس من المركب * فلما طلع من المركب الى البر رأى فيه دِكَكًا لايعلم عددها الّا الله فمشى حسن حتى وصل الى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها * فلما اقبل الليل جاءت خلق كثير من النساء مثل الجراد المنتشر وهن ما شيات على اقدامهن وسيوفهن مشهورة في ايديهن * ولكنهن غائصات في الزرد * فلما رات النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لاجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التي تحتها حسن * فاخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق راسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكي * فقالت له يا هذا قم واقفا قبل ان يراك احد فيقتلك * فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائما على قدميه وقبل يديها * وقال لها يا سيدتي انا في جيرتك ثم بكى وقال لها ارحمي من فارق اهله وزوجته واولاده وبادر الى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فارحميني وايقني انك تؤجرين على ذلك بالجنة * وان لم تقبليني فاسالك بالله العظيم الستار ان تستري عليّ فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها * فلما سمعت كلامه ونظرت تضرعه رحمته ورق قلبها اليه وعلمت انه ما خاطر بنفسه وجاء الى هذا المكان الّا لامر عظيم * فعند ذلك قالت لحسن

حكاية اجارة المرأة التاجرة لحسن واعطائها الزردية والسيف والرمح والحياصة للبسه

يا ولدي طب نفسا وقر عينا و طيب قلبك و خاطرك و ارجع الى مكانك و اختف تحت الدكة كما كنت اولا الى الليلة الآتية يفعل الله ما يريده * ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان * ثم ان العساكر بتن يوقدن الشموع الممزوجة بالعود الند و العنبر الخام الى الصباح * فلما طلع النهار رجعت المراكب الى البر و اشتغل التجار بنقل البضائع والامتعة الى ان اقبل الليل * و حسن مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلب و لم يعلم بالذي قدر له في الغيب * فبينما هو كذلك اذ اقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها و ناولته زرديه و سيفا و حياصة مذهبة و رمحا ثم انصرفت عنه خوفا من العسكر * فلما رأى ذلك علم ان التاجرة ما احضرت له هذه العدة الا ليلبسها * فقام حسن و لبس الزردية و شد الحياصة على وسطه و تقلد بالسيف تحت ابطه واخذ الرمح بيده * وجلس على تلك الدكة و لسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه الستر و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اخذ السلاح الذي اعطته اياه الصبية التاجرة التي استجار بها و قالت له اجلس تحت الدكة ولاتخل احدا يفهم حالك تقلد به * ثم جلس فوق الدكة و لسانه لم يغفل عن ذكر الله و صار يطلب من الله الستر * فبينما هو جالس اذا قبلت المشاعل و الفوانيس و الشموع و اقبلت

عساكر النساء * فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن * فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصل الى خيامهن ودخلت كل واحدة خيمتها * فدخل حسن خيمة واحدة منهن واذا هي خيمة صاحبته التي كان استجار بها * فلما دخلت خيمتها القت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب والقى حسن سلاحه * ونظر الى صاحبته فوجدها عجوزا شمطاء زرقاء العينين كبيرة الانف وهي داهية من الدواهي اقبح ما يكون في الخلق * بوجه اجدر وحاجب امعط واسنان مكسرة وخدود مجعدة وشعر شائب ومخاط سائل وفم بالريالة سائل * وهي كما قال في مثلها الشاعر

لَهَا فِي زَوَايَا الْوَجْهِ تِسْعُ مَصَائِبٍ　　فَوَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ تُبْدِي جَهَنَّمَا
بِوَجْهٍ بَشِيعٍ ثُمَّ ذَاتٍ قَبِيحَةٍ　　كَصُورَةِ خِنْزِيرٍ تَرَاهُ مُرَمْرَمَا

وهي بَدِيَّةٌ معطاء كحية رقطاء * فلما نظرت العجوز الى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا الى هذه الديار وفي اي المراكب حضر وكيف سلم * وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله * فعند ذلك وقع حسن على اقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه * فلما افاق انشد هذه الابيات

مَتَى الْأَيَّامُ تَسْمَحُ بِالتَّلَاقِي　　وَيَجْمَعُ شَمْلَنَا بَعْدَ الْفِرَاقِ
وَاحظى بالَّذِي أَرْضَاهُ مِنْهُمْ　　عِتَابًا يَنْقَضِي وَالْوُدُّ بَاقِ
لَوِ انَّ النِّيلَ يَجْرِي مِثْلَ دَمْعِي　　لَمَا خَلَّى عَلَى الدُّنْيَا شَرَاقِي
وَفَاضَ عَلَى الْحِجَازِ وَارْضِ مِصْرٍ　　كَذَاكَ الشَّامِ مَعْ أَرْضِ الْعِرَاقِ

وَ قَالَ لِأَجْلِ صَدِّكَ يَاحَبِيبِي   تَرَفَّقْ بِي وَ وَاعِدْ بِالتَّلَاقِي

فلما فرغ حسن من شعره اخذ ذيل العجوز و وضعه فوق رأسه و صار يبكي و يستجير بها * فلما رات العجوز احتراقه و لوعته و توجعه و كربته حن قلبها اليه واجارته و قالت له لاتخف ابدا * ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ماجرى له من المبتدأ الى المنتهى * فتعجبت العجوز من حكايته و قالت له طب قلبك و طيب خاطرك ما بقي عليك خوف و قد وصلت الى مطلوبك و قضاء حاجتك ان شاء الله تعالى * ففرح حسن بذلك فرحا شديدا * ثم ان العجوز ارسلت الى قواد العسكر ان يحضروا وكان ذلك في أخر يوم من الشهر * فلما حضروا بين يديها قالت لهم اخرجوا و نادوا في جميع العسكر ان يخرجوا في غد بكرة النهار ولا يتخلف احد منهم فان تخلف احد راحت روحه فقالوا لها سمعا و طاعة * ثم خرجوا و نادوا في جميع العسكر بالرحيل في غد بكرة النهار ثم عادوا و اخبروها بذلك * فعلم حسن انها هي رئيسة العسكر و صاحبة الرأي فيه و هي المقدمة عليه * ثم ان حسنا لم يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار * وكان اسم تلك العجوز التي هو عندها شواهي وتكنى بام الدواهي * فما فرغت العجوز من امرها و نهيها الا و قد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من اماكنه و لم تخرج العجوز معهم * فلما سار العسكر و خلت منه الاماكن قالت شواهي لحسن ادن مني يا ولدي فدنا منها و وقف بين يديها فاقبلت عليه و قالت له ما السبب في مخاطرتك بنفسك و دخولك الى هذه البلاد * و كيف رضيت نفسك بالهلاك فاخبرني بالصحيح

عن جميع شانك ولا تخف عني منه شيأ ولا تخف فانك قد صرت في عهدي وقد اجرتك ورحمتك ورثيت لحالك * فان اخبرتني بالصدق اعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح الارواح وهلاك الاشباح * وحيث وصلت الي مابي عليك باس ولا اخلي احدا يصل اليك بسوء ابدا من كل مافي جزائر واق * فحكى لها قصته من اولها الى أخرها وعرفها بشان زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها * ثم اقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف اخذت اولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش * ولم يخف من حديثه شيأ من اوله الى يومه الذي هو فيه * فلما سمعت العجوز كلامه حركت راسها * وقالت له سبحان الله الذي سلمك واوصلك الى هنا واوقعك عندي ولو كنت وقعت عند غيري كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة * ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك الى زوجتك واولادك هو الذي اوصلك الى حصول بغيتك * ولولا انك لها محب وبها ولهان ماكنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة * والحمد لله على السلامة وحينئذ يجب علينا ان نقضي لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب ان شاء الله تعالى * ولكن اعلم يا ولدي ان زوجتك فى الجزيرة السابعة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة اشهر ليلا ونهارا * فاننا نسير من هنا حتى نصل الى ارض يقال لها ارض الطيور فمن شدة صياح الطيور وخفقان اجنحتها لايسمع بعضها كلام بعض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز قالت لحسن ان زوجتك فى الجزيرة السابعة وهي الجزيرة الكبيرة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة اشهر فاننا نسير من هنا الى ارض الطيور ومن شدة طير انها وخفقان اجنحتها لايسمع بعضها كلام بعض * ثم نسير في تلك الارض مدة احد عشر يوما ليلا و نهارا * ثم بعد ذلك نخرج منها الى ارض يقال لها ارض الوحوش فمن شدة صياح السباع و الضباع و الوحوش و عوّي الذئاب وزئير الاسود لانسمع شيأ فنسير فى تلك الارض مدة عشرين يوما * ثم نخرج منها الى ارض يقال لها ارض الجن * فمن شدة صياح الجان و صعود النيران و تطاير الشرار و الدخان من افواههم و تصاعد زفراتهم وتمردهم يسدون الطريق قدامنا و نصم آذاننا وتغشى ابصارنا حتى لانسمع ولا نرى * ولا يمكن ان يلتفت منا احد الى خلفه فيهلك و يضع الفارس في ذلك المكان رأسه على قربوس سرجه ولا يرفعها مدة ثلثة ايام * وبعد ذلك يقابلنا جبل عظيم ونهر جار متصلان بجزائر واق * و اعلم يا ولدي ان جميع هذا العسكر بنات ابكار و الحاكم علينا من الملوك امرأة من جزائر واق السبع * و مسيرة تلك السبع جزائر سنة كاملة للراكب المجدّ فى السير * و على شاطئ هذا النهر جبل أخر يسمى جبل واق * وهذا الاسم علم على شجرة اغصانها تشبه روس بني أدم * فاذا طلعت عليها الشمس تصيح تلك الروس جميعا و تقول في صياحها واق و اق سبحان الملك الخلاق * فاذا سمعنا صياحها نعلم ان الشمس قد طلعت * وكذلك اذا غربت الشمس تصيح تلك

الروس وتقول في صياحها ايضا واق واق سبحان الملك الخلاق * فنعلم ان الشمس قد غربت ولا يقدر احد من الرجال ان يقيم عندنا ولا يصل الينا ولا يطأ ارضنا * وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الارض مسافة شهر من هذا البر * وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة * وتحت يدها ايضا قبائل الجان المردة والشياطين * وتحت يدها من السحرة مالا يعلم عددهم الا الذي خلقهم * فان كنت تخاف ارسلت معك من يوصلك الى الساحل واجيء بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك الى بلادك * وان كان يطيب على قلبك الاقامة معنا فلا امنعك وانت عندي في عيني حتى تقضي حاجتك ان شاء الله تعالى * فقال لها يا سيدتي ما بقيت افارقك حتى اجتمع بزوجتي او تذهب روحي * فقالت له هذا امر يسير فطيب قلبك وسوف تصل الى مطلوبك ان شاء الله تعالى * ولا بد ان اطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك * فدعا لها حسن وقبل يديها وراسها وشكرها على فعلها وفرط مروتها وسار معها وهو متفكر في عاقبة امره واهوال غربته فصار يبكي وينتحب وجعل ينشد هذه الابيات

مِنْ مَكَانِ الْحَبِيبِ هَبَّ نَسِيمٌ فَتَرَانِي مِنْ فَرْطِ وَجْدِي اَهِيمُ
اِنَّ لَيْلَ الْوِصَالِ صُبْحٌ مُضِيءٌ وَنَهَارُ الْفِرَاقِ لَيْلٌ بَهِيمُ
وَوَدَاعُ الْحَبِيبِ صَعْبٌ شَدِيدٌ وَفِرَاقُ الْاَنِيسِ خَطْبٌ جَسِيمُ
لَسْتُ اَشْكُو جَفَاهُ اِلَّا اِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ فِي الْوَرَى صَدِيقٌ حَمِيمُ
وَسُلُوِّي عَنْكُمْ مُحَالٌ فَاِنِّي لَيْسَ يُسْلِي قَلْبِي عَذُولٌ ذَمِيمُ
يَا وَحِيدَ الْجَمَالِ عِشْقِي وَحِيدٌ يَا عَدِيمَ الْمِثَالِ قَلْبِي عَدِيمُ

كُلُّ مَنْ يَدَّعِي الْمَحَبَّةَ فِيكُمْ وَيَهَابُ الْمَلَامَ فَهُوَ مَلُومْ

ثم ان العجوز امرت بدق طبل الرحيل و سار العسكر وسار حسن صحبة العجوز و هو غريق في بحر الافكار و ينشد هذه الاشعار * والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعي ما اليه تلقيه * ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى اول جزيرة من الجزائر السبع وهي جزيرة الطيور * فلما دخلوها ظن حسن ان الدنيا قد انقلبت من شدة الصياح واوجعه راسه و طاش عقله و عمي بصره وانسدت اذناه وخاف خوفا شديدا وايقن بالموت * وقال في نفسه اذا كانت هذه ارض الطيور فكيف تكون ارض الوحوش * فلما رأته العجوز المسمّاة بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له يا ولدي اذا كان هذا حالك من اول جزيرة فكيف بك اذا وصلت الى بقية الجزائر * فسأل الله وتضرع اليه وطلب منه ان يعينه على ما بلاه به وان يبلغه مناه * ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا ارض الطيور وخرجوا منها * ودخلوا ارض الوحوش فخرجوا منها ودخلوا في ارض الجان * فلما رآها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم * ثم استعان بالله تعالى و سار معهم فعند ذلك خلصوا من ارض الجان ووصلوا الى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق و نصبوا خيامهم على شاطئ النهر * ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصعة بالدر و الجوهر و سبائك الذهب الاحمر على جنب النهر * فجلس عليها و تقدمت العساكر فعرضتهم عليه * ثم بعد ذلك نصبوا خيامهم حوله و استراحوا ساعة ثم اكلوا و شربوا و ناموا مطمئنين لانهم وصلوا الى بلادهم وكان حسن وانعا على وجهه لما ما حدث لم يظهر منه غير

عينيه * واذا بجماعة من البنات مشين الى قرب خيمة حسن * ثم قلعن ثيابهن و نزلن في النهر فصار حسن ينظـــر اليهن و هن يغتسلن فصرن يلعبن و ينشرحن ولا يعلمن انه ناظر اليهن لانهن ظنن انه من بنات الملوك * فاشتد على حسن وتره حيث كان ينظر اليهن وهن مجردات من ثيابهن * وقد رأى ما بين الافخاذ هـــن انواعا مختلفة ما بين ناعم مقبقب و سمين مربرب و غليظ المشافر وكامل وبسيط ووافر * ووجوههن كالاقمار وشعورهن كليل على نهار لانهن من بنات الملوك * ثم ان العجوز نصبت له سريرا و اجلسته فوقه * فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر * وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لان العجوز امرت ان ينادي في جميع العسكر ان يجتمعن قدام خيمته و يتجردن من ثيابهن وينزلن في النهر و يغتسلن فيه لعل زوجته ان تكون فيهن فيعرفها * و صارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعد طائفة فيقول ماهي في هؤلاء يا سيدتي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز كانت تســأل حسنا عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته من بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول ما هي في هؤلاء يا سيدتي * ثم بعد ذلك تقدمت جارية في أخر الناس وفي خدمتها عشر جوار وثلثون خادمة كلهن نهدا بكار فنزعن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتــدلل عليهن وترميهن في البحر و تغطسهن * ولم تزل معهن على هذه الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن * فقدمن اليهـــا

مناشف من حرير مزركشة بالذهب فاخذتها و تنشفت بهـــا * ثم
قدموا اليها ثيابا و حللا و حليا من عمل الجن فاخذتها و لبستها
و قامت تخطر بين العسكر هي وجواريها * فلما رأها حسن طار قلبه
و قال هذه اشبه الناس بالطيرة التي رأيتها في البحيرة في قصـــر
اخواتي البنات وكانت تتدلل على انبا عها مثلها * فقالت العجوز
ياحسن هل هذه زوجتك فقال لا و حيوتك يا سيدتي ما هذه
زوجتي ولا عمـــري رأيتها و مافي جميع البنات التي رأيتهـــن
في هذه الجزيرة مثل زوجتي ولا مثل قدها و اعتدالها و حسنهـا
و جمالها * فقالت العجوز صفها لي و عرفني بجميع اوصافهـــا حتى
تكـــون في ذهني فاني اعرف كل بنت في جـــزائر واق لاني
نقيبة عسكر البنـــات و الحاكمة عليهن و ان وصفتها لي عرفتهـــا
و تحيلت لك في اخذها * فقال لها حسن ان زوجتي صاحبة وجه
مليح و قد رجيح اسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين خدلجة
الساقين بيضاء الاسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصـــن
مائل بديعة الصفة حمـــراء الشفة بعيون كحال وشفائف رقاق على
خدها الايمن شامة و على بطنها من تحت سرتها علامة * و جهها
منير كقمر مستدير و خصرها نحيل و ردفها ثقيل و ريقها يشفـــي
العليل كانه الكوثر او السلسبيل * فقالت العجوز زدني في اوصافهـــا
بيانا زادك الله فيها افتتانا * فقال لها حسن ان زوجتي ذات وجـه
جميل وخد اسيل و عنق طويل و طرف كحيل و خدود كالشقيـق
وفم كخاتم عقيق و ثغر لامع البريق يغني عن الكأس و الابريق *
تدركبت في هيكل اللطافة و بين فخذيها تخت الخلافة ما مثـــل
حرمه بين المشاعر كما قال في حقه الشاعــــــــــــــــــــــــــر

اسم الذي حيرني ... حروفه مشتهرة
اربعة في خمسة ... وستة في عشرة

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال

ياقلب ان خانك المحبوب لاتذكر ... عنه وقصتك بالسلوان لا تخبر
واستعمل الصبر دايم للعدى تقهر ... فان والله ماخاب الذي يصبر

وايضا

ان شئت تسلم بطول الدهر مانبرح ... لا تيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واصبر ولا تحزنن قط ولا تفرح ... وان ضجرت ضحى فاقرأ الم نشرح

فاطرقت العجوز برأسها الى الارض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها الى حسن و قالت سبحان الله عظيم الشان اني بليت بك يا حسن فياليتني ماكنت عرفتك * لان المرأة التي و صفتها لي هي زوجتك بعينها فاني قد عرفتها بصفاتها * و هي بنت الملك الاكبر الكبيرة التي يحكم على جزائر واق باسرها * فافتح عينيك و تدبر امرك و ان كنت نائما فانتبه فانه لايمكنك الوصول اليها ابدا * و ان وصلت اليها لاتقدر على تحصيلها لان بينك و بينها مثل مابين السماء و الارض * فارجع يا ولدي من قريب ولاترم نفسك في الهلاك و ترميني معك فاني اظن انه ليس لك فيها نصيب و ارجع من حيث اتيت لئلا تروح ارواحنا و خافت على نفسها و عليه * فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فما زالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى افاق من غشيته * و صار يبكي حتى بل ثيابه بالدموع من عظم مالحقه من الهم و الغم من

كلام العجوز وقد يئس من الحيوة * ثم قال للعجوز يا سيدتي وكيف ارجع بعد ان وصلت الى هنا و ما كنت اظن في نفسي انك تعجزين عن تحصيل غرضي خصوصا و انت نقيبة عسكر البنات و الحاكمة عليهن * فقالت بالله عليك يا ولدي ان تختار لك بنتا من هؤلاء البنات و انا اعطيك اياها عوضا عن زوجتك لئلا تقع في يد الملوك فلا يبقى لي في خلاصك حيلة * فبالله عليك ان تسمع مني و تختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت و ترجع الى بلادك من قريب سالما ولا تجرعني غصتك * و الله لقد رميت نفسك في بلاء عظيم و خطر جسيم لا يقدر احد ان يخلصك منه * فعند ذلك اطرق حسن راسه و بكى بكاء شديدا و انشد هذه الابيات

وَقُلْتُ لِعُذَّالِي لَا تَعْذِلُونِي ... لِغَيْرِ الدَّمْعِ مَا خُلِقَتْ جُفُونِي
مَدَامِعُ مُقْلَتِي طَفَحَتْ فَفَاضَتْ ... عَلَى خَدِّي وَأَحْبَابِي جَفَوْنِي
دَعُونِي فِي الْهَوَى قَدْ رَقَّ جِسْمِي ... لِأَنِّي فِي الْهَوَى اهْوَى جُنُونِي
وَيَا أَحْبَابُ قَدْ زَادَ اشْتِيَاقِي ... الَيْكُمْ مَا لَكُمْ لَا تَرْحَمُونِي
جَفَوْتُمْ بَعْدَ مِيثَاقِي وَعَهْدِي ... وَخُنْتُمْ صُحْبَتِي وَتَرَكْتُمُونِي
وَيَوْمَ الْبَيْنِ لَمَّا أَنْ رَحَلْتُمْ ... سَقَيْتُ مِنَ الصُّدُودِ شَرَابَ هُونِي
أَنَا أَبْكِي عَلَيْهِمْ قَلْبُ غَيْرَانَا ... وَجُودِي بِالْمَدَامِعِ يَا عُيُونِي

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما قالت لحسن بالله يا ولدي ان تسمع مني كلامي و تختار لك واحدة من هؤلاء

البنات غير زوجتك وترجع الى بلادك من قريب سالما فاطرق راسه وبكى بكاء شديدا وانشد الابيات المذكورة * فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فما زالت العجوز ترش الماء على وجهه حتى افاق من غشيته * ثم اقبلت عليه وقالت له يا سيدي ارجع الى بلادك فاني متى سافرت بك الى المدينة راحت روحك وروحي * لان الملكة اذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك الى بلادها وجزائرها التي لم يصلها احد من اولاد بني آدم * وتقتلني حيث حملتك معي وطلعتك على هذه الابكار التي رأيتهن في البحر مع انه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل * فحلف حسن انه ما نظر اليهن نظر سوء قط * فقالت له يا ولدي ارجع الى بلادك وانا اعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغني به عن جميع النساء فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك * فلما سمع حسن كلامها بكى ومرغ خديه على اقدامها وقال يا سيدتي ومولاتي وقرة عيني كيف ارجع بعد ما وصلت الى هذا المكان ولا انظر من اريد * وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب ولعله ان يكون لي في الاجتماع نصيب ثم انشد هذه الابيات

يَا مُلُوكَ ٱلْجَمَالِ رِفْقًا بِأَسْرَى ... لِجُفُونٍ تَمَلَّكَتْ مُلْكَ كِسْرَى
قَدْ غَلَبْتُمْ رَوَائِحَ ٱلْمِسْكِ طِيبًا ... وَبَهَرْتُمْ مَحَاسِنَ ٱلْوَرْدِ زَهْرَا
وَنَسِيمُ ٱلنَّعِيمِ حَيْثُ حَلَلْتُمْ ... فَٱلصَّبَا مِنْ هُنَاكَ تَعْبِقُ نَشْرَا
عَاذِلِي كُفَّ عَنْ مَلَامِي وَنُصْحِي ... إِنَّمَا جِئْتَ بِٱلنَّصِيحَةِ نُكْرَا
مَا عَلَى صَبْوَتِي مِنَ ٱلْعَذْلِ وَٱللَّوْ ... مِ إِذَا لَمْ تُحِطْ بِذَلِكَ خُبْرَا

أسرتني العيون وهي مراض ... ورمتني في الحب عمدا وقهرا
أشتكي الدمع حين أكتم سري ... هاك مني الحديث نظما ونثرا
حمرة الخد قد أذابت فؤادي ... فتلظت مني الجوارح حرا
خبراني متى تركت حديثي ... فبأي الحديث أفرح صدرا
طول عمري في شوق الغيد لكن ... يحدث الله بعد ذلك أمرا

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته واقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفسا وقر عينا واخل فكرك من الهم والله لا خاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك او تدركني منيتي * فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز الى آخر النهار * فلما اقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام * ثم ان العجوز اخذت حسنا معها ودخلت به البلد واخلت له مكانا وحده لئلا يطلع عليه احد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من اتى به * ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الاكبر ابي زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول يا سيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا ان لم اجتمع بزوجتي واولادي فانا اخاطر بروحي اما ان ابلغ مرادي واما ان اموت * فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصاله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في امر هذا المسكين الذي رمى روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده الخوف ولا غيره وقد سلا نفسه * وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خلي * وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع اخوات بنات ابكار

مقيمات فيها بيمن الملك الاكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر واقطار واق * وكان تحت ذلك الملك في المدينة التي هي اكبر مدن ذلك البر * وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى سائر اقطارها * ثم ان العجوز لما رأت حسنا محترقا على الاجتماع بزوجته واولاده قامت وتوجهت الى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الارض بين يديها * وكان للعجوز فضل عليها لانها ربّت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك * فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها واجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها * فقالت لها والله يا سيدتي انها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية ساحضرها بين يديك * ثم قالت لها يا بنتي يا ملكة العصر والزمان اني قد اتيت معي بشيءٍ عجيب واريد ان اطلعك عليه لاجل ان تساعديني على قضاء حاجته * فقالت لها وما هو فاخبرتها بحكاية حسن من اولها الى آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك * وقالت لها يا سيدتي قد استجاربي شخص على الساحل كان مختفيا تحت الدكة فاجرته وانيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه احد وادخلته البلد * ثم قالت لها وقد خوّفته من سطوتك وعرفته بباسك وقوتك وكلما اخوفه يبكي وينشد الاشعار ويقول لي لابد من زوجتي واولادي او اموت ولا ارجع الى بلادي من غيرهم * وقد خاطر بنفسه وجاء الى جزائر واق ولم ار عمري آدميا

اقوى قلبه منه ولا اشد باسا الّا ان الهوى قد تمكن منه غاية التمكن
و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها ما رأيت اقوى قلبا منه الّا ان الهوى قد تمكن منه غاية التمكن * فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبا شديدا و اطرقت راسها الى الارض ساعة * ثم رفعت راسها و نظرت الى العجوز و قالت لها يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك انك تحملين الذكور و تأتين بهم معك الى جزائر واق و تدخلين بهم عليّ ولم تخافي من سطوتي * وحق راس الملك لولا مالك عليّ من التربية والحرمة لقتلتك انت و اياه في هذه الساعة اقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل احد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التي لم يقدر احد عليها * ولٰكن اخرجي واحضريه في هذه الساعة حتى انظره * فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لاتدري اين تذهب و تقول كل هذه المصيبة ساقها الله لي من هذه الملكة على يد حسن و مضت الى ان دخلت على حسن * فقالت له قم كلّم الملكة يا من آخر عمره قد دنا فقام معها و لسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى و يقول اللهم الطف بي في قضائك و خلصني من بلائك * فسارت به حتى اوقفته بين يدي الملكة نور الهدى واوصته العجوزفي الطريق بما يتكلم به معها * فلما تمثل بين يدي

نور الهدى رأها جارية لثاما فقبل الارض بين يديها و سلم عليها
و انشد هذين البيتين

اَدَامَ اَللّهُ عِزّكِ فِي سُرُورٍ وَخَوَّلَكِ الإِلَهُ بِمَا حَبَاكِ
وَزَادَكِ رَبُّنَا عِزّاً وَمَجْداً وَاَيَّدَكِ الْقَدِيرُ عَلَى عِدَاكِ

فلما فرغ من شعره اشارت الملكة الى العجوز ان تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته * فقالت العجوز ان الملكة ترد عليك السلام و تقول لك ما اسمك ومن اي البلاد انت و ما اسم زوجتك و اولادك الذين جئت من اجلهم و ما اسم بلادك * فقال لها وقد ثبت جنانه و ساعدته المقادير يا ملكة العصر و الاوان و وحيدة الدهر و الزمان اما انا فاسمي حسن الكثير الحزن و بلدي البصرة * و اما زوجتي فما اعرف لها اسما * و اما اسم اولادي فواحد اسمه ناصر والآخر اسمه منصور * فلما سمعت الملكة كلامه و حديثه قالت فمن اين اخذت اولادها * فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت له و هل قالت لكم شيأ عند ما طارت * قال انها قالت لوالدتي اذا جاء ولدك و طالت عليه ايام الفراق و اشتهى القرب و التلاق و هزته ارياح الاشتياق فليجئني الى جزائر واق * فحركت الملكة نور الهدى راسها ثم قالت له انها لو كانت ما تريدك ما قالت لامك هذا الكلام * و لولا انها تريدك و تشتهي قربك ما كانت اعلمتك بمكانها ولا طلبتك الى بلادها * فقال حسن يا سيدة الملوك و الحاكمة على كل ملك و صعلوك الذي جرى اخبرتك به ولا اخفيت منه شيأ و انا استجير بالله و بك ان

حكاية شرط الملكة على حسن بانها تعرض عليه كل بنت فى المدينة فان لم يعرف منهن زوجته قتلت الملكة اياه وقبوله هذا الشرط

لا تظلميني فارحميني و ارحمي اجري و ثوابي و ساعديني على الاجتماع بزوجتي و اولادي وردي لهفتي و قرة عيني باولادي و اسعفيني برؤيتهم ثم بكى و حن و اشتكى و انشد هذين البيتين

لا شكرنك ما ناحت مطوقة ... جهدي وان كنت لا اقضي الذي وجبا
فما تقلبت في نعماء سابغة ... الا وجدتك فيها الاصل والسببا

فاطرقت الملكه نور الهدى راسها الى الارض و حركتها زمانا طويلا ثم رفعتها و قالت له قد رحمتك و رثيت لك و قد عزمت على ان اعرض عليك كل بنت فى المدينة و فى بلاد جزيرتي * فان عرفت زوجتك سلمتها اليك وان لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز * فقال لها حسن قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان ثم انشد هذه الابيات

اقمتم غرامي في الهوى وقعدتم ... واسهرتم عيني القريح ونمتم
وعاهدتموني انكم لن تملوا ... فلما اخذتم بالقياد غدرتم
عشقتكم طفلا ولم ادر ما الهوى ... فلا تقتلوني انني متظلم
اما تتقون الله في قتل عاشق ... يبيت يراعي النجم والناس نوم
فبالله يا قومي اذا مت فاكتبوا ... على لوح قبري ان هذا متيم
لعل فتى مثلي اضر به الهوى ... اذا ما رأى قبري علي يسلم

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذي شرطته و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم * فعند ذلك امرت الملكه نور

الهدي ان لا تبقي بنت في المدينة حتي تطلع القصر و تمرّ امامه * ثم ان الملكة امرت العجوز شواهي ان تنزل بنفسها الى المدينة و تحضر كل بنت كانت في المدينة الي الملكة في قصرها * و صارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم تبق في المدينة بنت الّا و قد عرضتها على حسن * فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة و قالت له هل رأيتها في هؤلاء * فقال لها و حيوتك يا ملكة ماهي فيهن * فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلي واخرجي كل من كان في القصر و اعرضيه عليه * فلما عرضت عليه كل من في القصر لم ير زوجته فيهن و قال للملكة و حيوة راسك يا ملكة ماهي فيهن * فغضبت و صرخت على من حولها و قالت خذوه و اسحبوه على وجهه فوق الارض و اضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه احد بعده و يطلع على حالنا و يجوز علينا في بلادنا و يطأ ارضنا و جزائرنا * فسحبوه على وجهه و طرحوا ذيله فوقه و غمضوا عينيه و وقفوا بالسيوف على راسه ينتظرون الاذن * فعند ذلك تقدمت شواهي الى الملكة وقبلت الارض بين يديها ومسكت ذيلها ورفعته فوق راسها و قالت لها يا ملكة بحق التربية لا تعجلي عليه * خصوصا و انت تعرفين ان هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه و قاسى امورا ما قاساها احد قبله و نجاه الله عز و جل من الموت لطول عمره و قد سمع بعدلك فدخل بلادك و حماك * فان قتلته تنتشر الاخبار عنك مع المسافرين بانك تبغضين الاغراب و تقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك و مقتول سيفك ان لم تظهر زوجته في بلدك * و اي وقت

تشتهين حضوره فانا قادرة على رده اليك * و ايضا فانا ما اجرته الا طمعا في كرمك بسبب مالي عليك من التربية حتى ضمنت له انك توصلينه الى بغيته لعلمي بعدلك و شفقتك * و لولا اني اعلم منك هذا ما كنت ادخلته بلدك * وقلت في نفسي ان الملكة تتفرج عليه و على ما يقول من الاشعار و الكلام المليح الفصيح الذي يشبه الدر المنظوم * و هذا قد دخل بلادنا و اكل زادنا فوجب حقه علينا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما امرت غلمانها باخذ حسن و ضرب عنقه صارت العجوز تاخذ بخاطرها و تقول لها انه دخل بلادنا و اكل زادنا فوجب حقه علينا خصوصا وقد وعدته بالاجتماع بك * وانت تعرفين ان الفراق صعب و تعرفين ان الفراق قتال * خصوصا فراق الاولاد و ما بقي علينا من النساء واحدة الا انت فاربه وجهك * فتبسمت الملكة و قالت من اين له ان يكون زوجي و خلف مني اولادا حتى اريه وجهي ثم امرت بحضوره فادخلوه عليها واوقفوا بين يديها وكشفت وجهها * فلما رآه حسن صرخ صرخة عظيمة و خرّ مغشيا عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى افاق * فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

يَا نَسِيمًا هَبَّ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ... فِي زَرَوَا بِأَرْضِ مَنْ قَدْ قَالَ وَاقْ
بَلِّغِ الْأَحْبَابَ عَنِّي أَنَّنِي ... ذُقْتُ مِنْ طَعْمِ الْهَوَى مُرَّ الْمَذَاقْ

يا اهل الحب منوا و اعطفوا — ذاب قلبي من تباريح الفراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة و صاح صيحة عظيمة كاد منها القصر ان يسقط على من فيه ثم وقع مغشيا عليه * فما زالت العجوز تلاطفه حتى افاق و سألته عن حاله * فقال ان هذه الملكة اما زوجتي و اما اشبه الناس بزوجتي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما سألته عن حاله * قال لها ان هذه الملكة اما زوجتي و اما اشبه الناس بزوجتي * فقالت الملكة للعجوز و بلك يا داية ان هذا الغريب مجنون او مختل لانه ينظر في وجهي ويحملق عينيه * فقالت لها العجوز يا ملكة ان هذا معذور فلا تؤاخذيه فانه يقال في المثل مريض الهوى ماله دوا و هو و المجنون سوا * ثم ان حسنا بكى بكاء شديدا و انشد هذين البيتين

أرى آثارهم فاذوب شوقا — واسكب في مواطنهم دموعي
واسأل من بفرقتهم بلاني — يمن علي منهم بالرجوع

ثم ان حسنا قال للملكة والله ما انت زوجتي و لكنك اشبه الناس بها فضحكت الملكة نور الهدى حتى استلقت على قفاها و مالت على جنبها * ثم قالت يا حبيبي تمهل على روحك و ميزني وجاوبني عن الذي اسألك عنه ودع عنك الجنون و الحيرة و الذهول فانه

قد ترب لك الفرج * فقال حسن يا سيدة الملوك و ملجأ كل غني و صعلوك اني حين نظرتك جننت لانك اما زوجتي و اما اشبه الناس بزوجتي فاسئليني الآن عما تريدين فقالت اي شيء في زوجتك يشبهني * فقال لها يا سيدتي جميع مالك من الحسن و الجمال و الظرف و الدلال كاعتدال قوامك و عذوبة كلامك و حمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك يشبهها * ثم ان الملكة التفتت الى شواهي ام الدواهي و قالت لها يا امي ارجعيه الى موضعه الذي كان فيه عندك و اخدميه انت بنفسك حتى اتفحص من امره * فان كان هذا الرجل صاحب مروة بحيث يحفظ الرفق و الصحبة و الودّ وجب علينا مساعدته على قضاء حاجته * خصوصا و قد نزل ارضنا و اكل طعامنا مع ما يحمله من مشقات الاسفار و مكابدة اهوال الاخطار * ولكن اذا اوصلته الى بيتك فاوصي عليه اتباعك وارجعي اليّ بسرعة * وان شاء الله تعالى لايكون الاّ خيرا * فعند ذلك خرجت العجوز و اخذت حسنا و مضت به الى منزلها و امرت جواريها و خدمها وحشمها بخدمته * و امرتهم ان يحضروا له جميع ما يحتاج اليه وان لايقصروا في حقه * ثم عادت الى الملكة بسرعة فامرتها ان تحمل سلاحها و تأخذ معها الف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهي امرها و لبست دروعها و احضرت الالف فارس * ولما وقفت بين يديها و اخبرتها باحضار الالف فارس امرتها ان تسير الى مدينة الملك الاكبر ابيها و تنزل عند بنته منار السناء اختها الصغيرة * وتقول لها البسي ولديك الدرعين اللذين عملتهما لهما وارسليهما الى خالتهما فانها مشتاقة اليهما * وقالت لها اوصيك يا امي بكتمان امر حسن فاذا اخذتهما

منها قولي لها ان الملكة تشتاق لمحبتك الى زيارتها * فاذا اصطحبتيهما ولديها
و خرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضري بهما سريعا و خليها تصبر
على مهلها و تعالي من طريق غير الطريق الذي تجي منها *
و يكون سعيك ليلا و نهارا و احذري ان يطلع على هذا الامر
احد ابدا * ثم اني احلف بجميع الاقسام ان طلعت اختي زوجته
و ظهر ان ولديها ولداه لا امنعه من اخذها ولا من سفرها
معه باولادها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة قالت اني احلف بالله
و اقسم جميع الاقسام انها ان طلعت زوجته لا امنعه من اخذها
بل اساعده على اخذها وعلى سفرها معه الى بلاده * فوثقت العجوز
بكلامها و لم تعلم بما اضمرته في نفسها * و قد اضمرت العاهرة
في نفسها انها ان لم تكن زوجته ولااولادها يشبهونه تقتله * ثم ان
الملكة قالت للعجوز يا امي ان صدق حذري تكون زوجته اختي
منار السناء والله اعلم * فان هذه الصفات صفاتها وجميع الاوصاف
التي ذكرها من الجمال البارع والحسن الباهر لا يوجد في احد
غير اخواتي خصوصا الصغيرة * ثم ان العجوز قبلت يدها و رجعت الى
حسن و اعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح و قام الى
العجوز و قبل راسها * فقالت له يا ولدي لا تقبل راسي و قبلني
في فمي و اجعل هذه القبلة حلاوة السلامة و طب نفسا و قرّ عينا
ولا يكن صدرك الّا منشرحا ولا تستكره تقبيلي في فمي فاني انا
السبب في اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك * ولا تكن الّا منشرح

الصدر قرير العين مطمئن النفس * ثم ودعته و انصرفت فانشد حسن هذين البيتين

لِي فِي مَحَبَّتِكُمْ شُهُودٌ أَرْبَعٌ وَشُهُودُ كُلِّ قَضِيَّةٍ اثْنَانِ
خَفَقَانُ قَلْبِي وَاضْطِرَابُ جَوَارِحِي وَنُحُولُ جِسْمِي وَانْعِقَادُ لِسَانِي

ثم انشد ايضا هذين البيتين

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءَ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى يُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَقْضِيَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا شَرْخُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ

ثم ان العجوز حملت سلاحها و اخذت معها الف فارس حاملين السلاح و توجهت الى تلك الجزيرة التي فيها اخت الملكة وسارت الى ان وصلت الى اخت الملكة * وكان بين مدينة نور الهدى و بين مدينة اختها ثلثة ايام * فلما وصلت شواهي الى المدينة و طلعت الى اخت الملكة منار السناء سلمت عليها و بلغتها السلام من اختها نور الهدى و اخبرتها باشتياقها اليها و الى اولادها * و عرفتها ان الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها اياها * فقالت لها الملكة منار السناء ان الحق عليّ لاختي و انا مقصرة بعدم زيارتي لها ولكن ازورها الآن * ثم امرت بتبريز خيامها الى خارج المدينة و اخذت لاختها معها ما يصلح لها من الهدية و التحف * ثم ان الملك اباها نظر من طيقان القصر فراى الخيام منصوبة فسال عن ذلك * فقالوا له ان الملكة منار السنا ، نصبت خيامها بتلك الطريق لانها تريد زيارة اختها نور الهدى * فلما سمع الملك بذلك جهزلها عسكرا يوصلها الى اختها و اخرج من خزائنه من

الاموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف * وكانت بنات الملك السبعة شقائق من اب واحد وام واحدة الّا الصغيرة * وكان اسم الكبيرة نور الهدى * والثانية نجم الصباح * والثالثة شمس الضحى * والرابعة شجرة الدر * والخامسة قوت القلوب * والسادسة شرف البنات * والسابعة منار السناء * وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن وكانت اختهن من ابيهن فقط * ثم ان العجوز قدمت وقبلت الارض بين يدي منار السناء * فقالت لها منار السنا هل لك حاجة يا امي فقالت لها ان الملكة نور الهدى اختك تامرك ان تعيري على ولديك وتلبسيهما الدرعين اللذين فصلتهما لهما وان ترسليهما معي اليها * فآخذهما واسبق بهما واكون المبشرة بقدومك عليها * فلما سمعت منار السناء كلام العجوز اطرقت راسها الى الارض وقد تغير لونها ولم تزل مطرقة زمانا طويلا * ثم حرّكت راسها ورفعتها الى العجوز وقالت لها يا امي قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عند ما ذكرت اولادي فانهم من حين ولادتهم لم ينظر احد وجوههم من الجنّ والبشر لا انثى ولا ذكر * وانا اغار عليهم من النسيم اذا سرى فقالت لها العجوز اي شيءٍ هذا الكلام يا سيدتي اتخافين عليهم من اختك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز قالت للسيدة منار السناء اي شيءٍ هذا الكلام يا سيدتي اتخافين عليهم من اختك سلامة عقلك * وان خالفت الملكة في هذا الامر لا يمكنك المخالفة

فانها تعتب عليك * ولكن يا سيدتي اولادك صغار و انت معذورة في الخوف عليهم و المحب مولع بسوء الظن * و لكن يا بنتي انت تعلمين شفقتي و محبتي لك و لاولادك وقد ربيتكم قبلهم و انا اتسلمهم و آخذهم و افرش لهم خدي وافتح قلبي و اجعلهم في داخله و لا احتاج الى الوصية عليهم في مثل هذا الامر * فطيبي نفسا و قري عينا و ارسليهم لها و أكثر ما اسبقك به يوم و احد او يومان * ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ اختها و لم تدر ما هو مخبوء لها في الغيب * فسمحت بارسالهم مع العجوز * ثم انها دعت بهم و حممتهم و هيأتهم وغيرت عليهم والبستهم الدرعين و سلمتهم للعجوز * فاخذتهم و سارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها امهم مثل ما اوصتها الملكة نور الهدى * و لم تزل تجد في السير وهي خائفة عليهم الى ان وصلت بهم الى مدينة الملكة نور الهدى * فعدت بهم البحر و دخلت المدينة و توجهت بهم الى الملكة نور الهدى خالتهم * فلما رآهم الملكة فرحت بهم وعانقتهم وضمتهم الى صدرها و اجلست واحدا على فخذها الايمن و الثاني على فخذها الايسر * ثم التفتت الى العجوز و قالت لها احضري الآن حسنا فانا قد اعطيته زمامي و اجرته من حسامي * و قد تحصن بداري و نزل في جواري بعد ان قاسى الاهوال و الشدائد و تعدى اسباب الموت التي همها متزايد مع انه الى الآن لم يسلم من شرب كاسه و قطع انفاسه

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما امرت العجوز باحضار حسن قالت لها انه قاسى الاهوال و الشدائد و تعدى اسباب الموت التي همها متزايد مع انه الى الآن لم يسلم من شرب كاسه و قطع انفاسه * فقالت لها العجوز اذا احضرته بين يديك هل تجمعين بينه وبينهم * و ان لم يظهر انهم اولاده تعفي عنه و ترديه الى بلاده * فلما سمعت الملكة كلامها غضبت غضبا شديدا وقالت و يلك يا عجوز النحس الى متى هذه المخادعة في شان هذا الرجل الغريب الذي تجاسر علينا وكشف سترنا و اطلع على احوالنا هل يظن انه يجيء ارضنا و ينظر وجوهنا و يوسخ اعراضنا و يرجع الى بلاده سالما * فيفضح احوالنا في بلاده و بين اهله ويبلغ اخبارنا سائر الملوك في اقطار الارض * و تسافر التجار باخبارنا في جميع الجهات ويقولون انسيّ دخل جزائر واق وعدى بلاد السحرة و الكهنة و تخطى ارض الجان و ارض الوحوش و الطيور و رجع سالما فهذا لايكون ابدا * و انا اقسم بخالق السماء و بانيها و ساطح الارض و داحيها و خالق الخلق و محصيها ان لم يكونوا اولاده لا قتلنه و انا الذي اضرب عنقه بيدي * ثم انها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف و اغرت عليها الحاجب و عشرين مملوكا و قالت لهم امضوا مع هذه العجوز و اتوني بالصبي الذي عندها في بيتها بسرعة * فخرجت العجوز مجرورة مع الحاجب و المماليك و قد اصفرّ لونها و ارتعدت فرائصها * ثم سارت الى منزلها ودخلت على حسن فلما دخلت عليه قام اليها و قبل

يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه و قالت له ثم كلّم الملكة اما قلت لك ارجع الى بلادك و نهيتك عن هذا كله فماسمعت قولي وقلت لك اعطيك شيأ لايقدر عليه احد وارجع الى بـلادك من قريب فما اطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني واخترت الهلاك لي ولك * فدونك و ما اخترت فان الموت قريب ثم كلّم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة * فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف و يقول يا سلام سلّم اللهم الطف بي فيما قدرته عليّ من بلائك و استرني يا ارحم الراحمين * و فديئس من الحيوة و توجـه مع العشرين مملوكا و الحاجب و العجوز * فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصرا و منصورا جالسين في حجرها و هي تلاعبهما و تؤانسهما * فلما وقع نظره عليهما عرفهما و صرخ صرخة عظيمة و وقع على الارض مغشيا عليه من شدة الفـرح بولديه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة و وقع على الارض مغشيا عليه * فلما افاق عرف ولديه و عـرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فخلصا من حجر الملكة و وقفا عند حسن و انطقهما الله عز وجل بقولهما يا ابانا * فبكت العجوز و الحاضرون رحمة لهما و شفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذي جمع شملكما بابيكما * فلما افاق حسن من غشيته عانق اولاده ثم بكى حتى غشي عليه فلما افاق من غشيته انشد هذه الا بيـــات

وَحَقِّكُمْ إِنَّ قَلْبِي لَمْ يُطِقْ جَلَدًا عَلَى الفِرَاقِ وَلَوْ كَانَ الوِصَالُ رَدَى
يَقُولُ لِي طَيْفُكُمْ إِنَّ اللِّقَاءَ غَدًا وَهَلْ أَعِيشُ عَلَى رَغْمِ العِدَاةِ غَدَا
وَحَقِّكُمْ يَا سَادَتِي مِنْ يَوْمِ فُرْقَتِكُمْ مَا لَذَّ لِي طِيبُ عَيْشٍ بَعْدَكُمْ أَبَدَا
وَإِنْ قَضَى اللهُ نَحْبِي فِي مَحَبَّتِكُمْ أَمُوتُ فِي حُبِّكُمْ مِنْ أَعْظَمِ الشُّهَدَا
وَظَبْيَةٍ فِي زَوَايَا القَلْبِ مَرْتَعُهَا وَشَخْصُهَا كَالكَرَى عَنْ مُقْلَتِي شَرَدَا
إِنْ أَنْكَرَتْ فِي مَجَالِ الشَّرْعِ سَفْكَ دَمِي فَإِنَّهُ فَوْقَ خَدَّيْهَا لَقَدْ شَهِدَا

فلما تحققت الملكة ان الصغار اولاد حسن و ان اختها السيدة منار السناء زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ما عليه من مزيد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما تحققت ان الصغار اولاد حسن و ان اختها منار السناء زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ما عليه من مزيد و صرخت في وجه حسن فغشي عليه * فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

بَعُدْتُمْ وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ فِي الحَشَى وَغِبْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي الفُؤَادِ حُضُورُ
فَوَاللهِ مَا قَدْ مِلْتُ عَنْكُمْ لِغَيْرِكُمْ وَإِنِّي عَلَى جَوْرِ الزَّمَانِ صَبُورُ
تَمُرُّ اللَّيَالِي فِي هَوَاكُمْ وَتَنْقَضِي وَفِي القَلْبِ مِنِّي زَفْرَةٌ وَسَعِيرُ
وَكُنْتُ فَتًى لَا أَرْتَضِي البُعْدَ سَاعَةً فَكَيْفَ وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ شُهُورُ
أَغَارُ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْكَ نَسِيمَةٌ وَإِنِّي عَلَى الغِيدِ المِلَاحِ غَيُورُ

فلما فرغ حسن من شعره خرّ مغشيا عليه * فلما افاق رآهم

قد اخرجوه مسحوبا على وجهه فقام يمشي و يتعثر في اذيا له و هو لم يصدق بالنجاة مما ناله منها * فعز ذلك على العجوز شواهي و لم تقدر ان تخاطب الملكه في شانه من قوة غضبها * فلما خرج حسن من القصر صار متحيرا لا يعرف اين يروح ولا اين يجيء ولا اين يذهب و ضاقت عليه الارض بما رحبت و لم يجد من يحدثه و يؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده و يلجأ اليه * فايقن بالهلاك لانه لايقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر ان يجوز على وادي الجان و ارض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه * فلما افاق تفكر اولاده و زوجته و قدومها على اختها و تفكر ما يجري لها مع الملكة اختها * ثم ندم على حضوره في هذه الديار و على كونه لم يسمع كلام احد فانشد هذه الابيات

دعوا مقلتي تبكي على فقد من اهوى ... فقد عز سلواني وزادت بي البلوى
وكاس صروف البين صرفا شربتها ... فمن ذا على فقد الاحبة قد يقوى
بسطتم بساط العتب بيني وبينكم ... الا يا بساط العتب عنا متى يطوى
سهرت و نمتم اذ زعمتم بانني ... سلوت هواكم اذ سلوت عن السلوى
الا ان قلبي مولع بوصالكم ... و انتم اطباء الي حد تلم من الادوا
الم تنظروا ما حل بي من صدودكم ... ذللت لمن يسوى ومن لم يكن يسوى
كتمت هواكم و الغرام اذاعه ... و قلبي بنيران الهوى ابدا يكوى
فرقوا لحالي وارحموني لانني ... حفظت على الميثاق بي التقوى احوى
فيا هل ترى الايام تجمعني بكم ... فاني بكم قلبي وروحي كذا اهوى

فُؤَادِي جَرِيحٌ بِالْفِرَاقِ فَلَيْتَكُمْ تُفِيدُونَنَا عَنْ حَيِّكُمْ خَبَرًا يُرْوِي

ثم انــه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبا الى ان خرج الى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار على جانبه و هو لايعلم اين يتوجــه هذا ما كان من امر حسن * واما ماكان من امر زوجته منار السناء فانها ارادت الرحيل في اليوم الثاني بعــد اليوم الذي رحلت فيــه العجوز فبينماهي عازمــة علي الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك ابيها و قبل الارض بين يديهــا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المــــبـــاح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان منارالسناء بينماهي عازمــة على الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك ابيها و قبل الارض بين يديهــا و قال لها يا ملكــة ان اباك الملك الاكبر يسلم عليك ويــدعوك اليه فنهضت متوجهة مع الحاجب الى ابيها تنظر حاجته * فلمــا رأها ابوها اجلسها الى جانبه فوق السرير و قال لهــا يا بنتي اعلمي اني رأيت في هذه الليلة رؤيا وانا خائف عليك منهــا و خائف ان يصل لك من سفرك هذا هم طويل * فقالت له لأي شيءٍ يا ابت واي شيءٍ رأيت فى المنام * قال رأيت كأني دخلت كنزا فرأيت فيه اموالا عظيمة وجواهر و يواقيت كثيرة وكأنــه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعهــا الّا سبع حبات و هن احسن ما فيه فاخترت من السبــع جواهر واحدة و هي اصغر ها و احسنها واعظمها نورا و كأني اخذتهــا في كفي لما اعجبني حسنها وخرجت بهــا من الكنز * فلما خرجت

من بابه فتحت يدي و انا فرحان و قلبت الجوهرة و اذا بطائر غريب قد اقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد انقض علي من السماء و خطف الجوهرة من يدي و رجع بها الى المكان الذي اتيت بها منه * فلحقني الهم و الحزن و الضيق ففزعت فزعا عظيما ايقظني من المنام فنبهت و انا حزين متأسف على تلك الجوهرة * فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا لي ان لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن و تؤخذ منك قهرا بغير رضاك * و انت يا بنتي اصغر بناتي و اعزهن عندي و اكرمهن علي وهاانت مسافرة الى اختك ولا اعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي و ارجعي الى قصرك * فلما سمعت منار السناء كلام ابيها خفق قلبها و خافت على اولادها و اطرقت برأسها الى الارض ساعة ثم رفعتها الى ابيها و قالت له ايها الملك ان الملكة نور الهدى قد هيأت لي ضيافة و هي في انتظار قدومي عليها ساعة بعد ساعة * و لها اربع سنين ما رأتني و ان قعدت عن زيارتها تغضب علي و معظم تعودي عندها شهر زمان و احضر عندك * و من هذا الذي يطرق بلادنا و يصل الى جزائر واق و من يقدر ان يصل الى الارض البيضاء و الجبل الاسود و يصل الى جزيرة الكافور و قلعة الطيور و كيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرنا * ولو دخل اليها غريب لغرق في بحار الهلكات فطب نفسا و قر عينا من شان سفري فانه لاقدرة لاحد على ان يدوس ارضنا * و لم تزل تستعطفه حتى انعم عليها بالاذن في المسير و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايهــا الملك السعيد انها لم تزل تستعطفه حتى انعم عليها بالاذن في المسير * ثم انه امر الف فارس ان يسافروا معهــا ليوصلوها الى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل الى مدينة اختها فتدخل قصر اختها * و امرهم ان يقيمـوا عندها حتى يأخذوها و يحضروا بها الى ابيها * و اوصاها ابوها ان تقعد عند اختها يومين ثم تعود بسـرعة فقالت سمعــا و طاعة * ثم انها نهضت و خرجت و خرج معها ابوها و ودعها و قد اثر كلام ابيها في قلبهــا فخافت على اولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر * فجدت في السير ثلثة ايام بلياليها حتى وصلت الى النهر و ضربت خيامها على ساحله * ثم عدت النهـر و معها بعض غلمانها و حاشيتهــا و وزرائها * و لما وصلت الى مدينـة الملكة نور الهدى طلعت القصر و دخلت عليها فرأت اولادها يبكون عندها و يصيحون يا اباتا فجرت الدموع من عيونها و بكت * ثم ضمت اولادها الى صدرها و قالت لهـم هل رأيتم اباكم فلا كانت الساعة التي فارقته فيهــا و لو عرفت انه في دار الدنيــا لكنت اوصلتكم اليه * ثم ناحت على نفسها و على زوجها و على بكاء اولادها و انشدت هذه الابيـــات

أَأَحبابَنا إنّي على البُعدِ وَالْجَفا ... أَحِنُّ إِلَيكُم حَيثُ كُنتُم وَأَعطِفُ
وَطَرفِي إِلَى أَوطانِكُــم مُتَلَفِّتٌ ... وَقَلبِي عَلَى أَيّامِكُــم مُتَلَهِّفُ
وَكَم لَيلَةٍ بِتْنا عَلَى غَيرِ رِيبَــةٍ ... مُحِبِّينَ يُهنِينا الوَفى وَالتَّلَطُّفُ

فلمــا رأتها اختها قد ضمت اولادها و قالت انا التي فعلت بنفسي

و باولادي هكذا و اخربت بيتي لم تسلم عليها اختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من اين لك هذه الاولاد هل تزوجت بغير علم ابيك و زنيت فان كنت زنيت وجب تنكيلك * و ان كنت تزوجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك و اخذت اولادك و فرقت بينهم و بين ابيهم و جئت بلادنا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى قالت لاختها منار السناء و ان كنت زوجت من غير علمنا فلاي شي فارقت زوجك و اخذت اولادك و فرقت بينهم و بين ابيهم و جئت بلادنا و قد اخفيت اولادك عنا اتظنين اننا لا ندري بذلك و الله تعالى علام الغيوب قد اظهر لنا امرك وكشف حالك و بين عوارك * ثم بعد ذلك امرت اعوانها ان يمسكوها فقبضوا عليها فامسكوها و قيدتها بالقيود الحديد و ضربتها ضربا وجيعا حتى شرحت جسدها و صلبتها من شعرها و وضعتها في سجن * و كتبت كتابا الى الملك الاكبر ابيها تخبره بخبرها و تقول له انه قد ظهر في بلادنا رجل من الانس و اختي نور السناء تدعي انها تزوجته في الحلال و جاءت منه بولدين و قد اخفتهما عنا وعنك و لم تظهر على نفسها شيأ الى ان اتانا ذلك الرجل الذي من الانس و هو يسمى حسنا * و اخبرنا انه تزوج بها و قعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم اخذت اولادها و راحت من غير علمه * و اخبرت والدته عند رواحها وقالت لها قولي لولدك اذا حصل له اشتياق

ان يجيئني الى جزائر واق فقبضنا على الرجل عندنا و ارسلت اليها العجوز شواهي تحضرها عندي هي واولادها فجهزت نفسها و حضرت * و قد كنت امرت العجوز ان تحضرلي اولادها اولا فتسبق بهم اليّ قبل حضورها فجاءت العجوز بالاولاد قبل حضورها فارسلت الى الرجل الذي ادعى انها زوجته * فلما دخل عليّ و رأى الاولاد عرفهم وعرفوه فتحققت ان الاولاد اولاده و انها زوجته و علمت ان كلام الرجل صحيح و لم يكن عنده عيب * و رأيت ان القبح و العيب عند اختي فخفت من هتك عرضنا عند اهل جزائرنا * فلما دخلت عليّ هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها و ضربتها ضربا و جيعا وصلبتها من شعرها وقد اعلمتك بخبرها و الامر امرك فالذي تأمرنا به نفعله * و انت تعلم ان هذا الامر فيه هتيكة لنا و عيب في حقنا و حقك * و ربما تسمع اهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثلة فينبغي ان ترد لنا جوابا سريعا * ثم اعطت المكتوب للرسول و سار به الى الملك * فلما قرأه الملك الاكبر اغتاظ غيظا شديدا على ابنته منار السناء و كتب الى بنتــه نور الهدى مكتوبا يقول لها فيه انا قد فوضت امــرها اليك و حكمتك في دمها * فان كان الامر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاوريني في امرها * فلما وصل اليها كتاب ابيها و قرأتــه ارسلت الى منار السناء واحضرتها بين يديها و هي غريقة في دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيــل من حديد و عليها اللباس الشعر * ثم اوقفوها بين يدى الملكــة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها في هذه المذلة العظيمــة و الهوان الشديد تفكرت ما كانت فيه من العزو بكت بكاء شديــدا و انشدت هذين البيتـــــــــــــــين

يَارَبِّ اِنَّ الْعِدَى يَسْعَوْنَ فِي تَلَفِي وَيَزْعُمُونَ بِاَنِّي لَسْتُ بِالنَّاجِي
وَقَدْ رَجَوْتُكَ فِي اِبْطَالِ مَا صَنَعُوا يَا رَبِّ اَنْتَ مَلَاذُ الْخَائِفِ الرَّاجِي

ثم بكت بكاء شديدا حتى وقعت مغشيا عليها * فلما افاقت انشدت هذين البيتين

اَلِفَ الْحَوَادِثُ مُهْجَتِي وَاَلِفْتُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ وَ الْكَرِيمُ اَلُوفُ
لَيْسَ الْهُمُومُ عَلَيَّ صِنْفًا وَاحِدًا عِنْدِي بِحَمْدِ اللّٰهِ مِنْهُ اُلُوفُ

ثم انشدت ايضا هذين البيتين

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللّٰهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ اَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما امرت باحضار اختها الملكة منار السناء اوقفوها بين يديها و هي مكتفة فانشدت الاشعار السابقة * ثم ان اختها احضرت لها سلّما من خشب و مدتها عليه و امرت الخدام ان يربطوها على ظهرها فوق السلّم و مدت سواعدها وربطتها في الحبال * ثم كشفت راسها ولفت شعرها على السلم الخشب و قد انتزعت الشفقة عليها من قلبها * فلما رأت منار السناء نفسها في هذه الحالة من الذل و الهوان صاحت وبكت فلم يغثها احد * فقالت لها يا اختي كيف قسا قلبك عليّ فما ترحمينني ولا ترحمين هذه الاطفال الصغار * فلما

سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها و شتمتها و قالت لها يا عاشقة يا عاهرة لارحم الله من يرحمك كيف اشفق عليك يا خائنة * فقالت لها منار السناء وهي مشبوحة احتسبت عليك برب السماء فيما تسبينني به و انا بريئة منه و الله ما زنيت و انما تزوجته في الحلال و ربي يعلم هل قولي صحيح ام لا و قلبي قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك عليّ فكيف ترمينني بالزنا من غير علم * و لكن ربي يخلصني منك و ان كان الذي قذفتني به من الزنا حقا فسيعا قبني الله عليه * فتفكرت اختها في نفسها حين سمعت كلامها و قالت لها كيف تخاطبينني بهذا الكلام * ثم قامت لها وضربتها حتى غشي عليها فرشّوا على وجهها الماء حتى افاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب و من قوة الرباط و من فرط ما حصل لها من الاهانة ثم انشدت هذين البيتين

وَ اِذَا جَنَيْتُ جِنَايَةً ... وَ اَتَيْتُ شَيْأً مُنْكَرًا
اَنَا تَائِبٌ عَمَّا مَضَى ... وَ اَتَيْتُكُمْ مُسْتَغْفِرًا

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضبا شديدا و قالت لها اتتكلمين يا عاهرة قدامي بالشعر وتستعذرين من الذي فعلته من الكبائر * وكان مرادي ان ترجعي لزوجك حتى اشاهد فجورك وقوة عينك لانك تفتخرين بالذي وقع منك من الفجور و الفحش و الكبائر * ثم انها امرت الغلمان ان يحضروا لها الجريد فاحضروه فقامت و شمرت عن ساعديها و نزلت عليها بالضرب من رأسها الى قدميها * ثم دعت بسوط مضفور لو ضرب به الفيل لهرول مسرعا فنزلت بذلك السوط على ظهرها و بطنها و جميع اعضائها حتى

غشي عليها * فلما رأت العجوز شواهي ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها و هي تبكي و تدعو عليها * فصاحت على الخدم و قالت لهم ائتوني بها فتجاروا عليها و مسكوها و احضروها بين يديها فامرت برميها على الارض * و قالت للجواري اسحبوها على وجهها و اخرجوها فسحبوها و اخرجوها من بين يديها هذا ما ما كان من امر هؤلاء * و اما ما كان من امر حسن فانه قام متجلدا و مشى في شاطئ النهر و استقبل البرية و هو حيران مهموم و قد يئس من الحيوة و صار مدهوشا لا يعرف الليل من النهار لشدة ما اصابه * و ما زال يمشي الى ان قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده و نظرها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

دَبَّرْتُ أَمْرَكَ عِندَمَا ... كُنْتَ الْجَنِيْنَ بِبَطْنِ أُمِّكَ
وَعَلَيْكَ قَدْ حَنَّنْتُهَا ... حَتَّى لَقَدْ جَادَتْ بِضَمِّكَ
اِنَّا نُكَافِيْكَ الَّذِيْ ... يَأْتِي بِهَمِّكَ اَوْ بِغَمِّكَ
فَاخْضَعْ اِلَيْنَا نَاهِضًا ... نَأْخُذْ بِكَفِّكَ فِيْ مُهِمِّكَ

فلما فرغ من قراءة الورقة ايقن بالنجاة من الشدة و ظفره بجمع الشمل * ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا في موضع قفر ذي خطر لايجد فيه احدا يستأنس به فطار قلبه من الوحدة و الخوف و ارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف و انشد هذه الابيات

نَسِيْمَ الصَّبَا اِنْ جُزْتَ اَرْضَ اَحِبَّتِي ... فَبَلِّغْهُمُ عَنِّي جَزِيْلَ سَلَامِي
وَ قُلْ لَهُمُ اِنِّيْ رَهِيْنُ صَبَابَةٍ ... وَ اِنَّ غَرَامِي فَوْقَ كُلِّ غَرَامِ

عَسَى عَطْفَةٌ مِنْهُمْ يَهُبُّ نَسِيمُهَا فَيَحْيَى بِهَا فَوْراً رَمِيمُ عِظَامِي

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما قرأ الورقة ايقن بالنجاة من الشدة و تحقق الظفر بجمع الشمل * ثم قام و مشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا في موضع ذي خطر ولم يكن عنده احد يؤانسه فبكى بكاء شديدا وانشد الاشعار التي ذكرناها * ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من اولاد السحرة و الكهان وبين ايديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الادم بثلثة تروك منقوش عليها بالبولاد اسماء و خواتم * والقضيب و الطاقية مرميان على الارض و الولدان يختصمان و يتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما * و هذا يقول ما يأخذ القضيب الّا انا و الآخر يقول ما يأخذ القضيب الّا انا * فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما و قال لهما ما سبب هذه المخاصمة * فقالا له ياعم احكم بيننا فان الله تعالى ساقك الينا لتقضي بيننا بالحق فقال قصّا عليّ حكايتكما و انا احكم بينكما * فقالا له نحن الاثنان اخوان شقيقان وكان ابونا من السحرة الكبار وكان مقيما في مغارة في هذا الجبل * ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية و هذا القضيب * واخي يقول ما يأخذ القضيب الّا انا و انا اقول ما يأخذه الّا انا فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا * فلما سمع

حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب و الطاقية و ما مقدارهما فان القضيب بحسب الظاهر يساوي ستة جدد و الطاقية تساوي ثلثة جدد * فقالا له انت ما تعرف فضلهما فقال لهما اي شيء فضلهما قالا له في كل منهما سرّ عجيب و هو ان القضيب يساوي خراج جزائر واق باقطارها و الطاقية كذلك * فقال حسن يا ولدي بالله اكشفا لي عن سرّهما * فقالا له يا عم ان سرهما عظيم لان ابانا عاش مائة وخمسة و ثلثين سنة يعالج تدبيرهما حتى احكمهما غاية الاحكام و ركب فيهما السرّ المكنون و استخدمهما الاستخدامات الغريبة و نقشهما على مثل الفلك الدائر وحلّ بهما جميع الطلسمات * و عند ما فرغ من تدبيرهما ادركه الموت الذي لابد لكل احد منه * فاما الطاقية فان سرها ان كل من وضعها على رأسه اختفى عن اعين الناس جميعا فلا ينظره احد ما دامت على رأسه * و اما القضيب فان سره ان كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن * و الجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت امره و حكمه * و كل من ملكه و صار في يده اذا ضرب به الارض خضعت له ملوكها و تكون جميع الجن في خدمته * فلما سمع حسن هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض ساعة * ثم قال في نفسه و الله انني لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية ان شاء الله تعالى فانا احق بهما منهما * ففي هذه الساعة اتحيل على اخذهما منهما لاستعين بهما على خلاصي وخلاص زوجتي و اولادي من هذه الملكة الظالمة * و نسافر من هذا المكان المظلم الذي ما لاحد من الانس خلاص منه ولا مفر * لعل و الله ما ساقني لهذين الغلامين الاّ لاستخلص

منهما القضيب و الطاقية * ثم رفع راسه الى الغلامين و قال لهما ان شئتما فصل القضية فانا امتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية * فان امتحنتكما و ميزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما * فقالا له ياعم و كلناك في امتحاننا واحكم بيننا بما تختار * فقال لهما حسن هل تسمعان مني و ترجعان الى قولي فقالا له نعم * فقال لهما حسن انا أخذ حجرا وارميه فمن سبق منكم اليه و اخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب * و من تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية * فقالا قبلنا منك هذا الكلام و رضينا به * ثم ان حسنا اخذ حجرا ورماه بعزمه فغاب عن العيون فتسارع الغلامان تحته * فلما بعدا اخذ حسن الطاقية ولبسها و اخذ القضيب في يده و انتقل من موضعه لينظر صحة قولهما في شان سرّ ابيهما * فسبق الولد الصغير الى الحجر واخذه و رجع به الى المكان الذي فيه حسن فلم يرله اثرا * فصاح على اخيه و قال له اين الرجل الحاكم بيننا * فقال لااراه ولم اعرف هل طلع الى السماء العليا اونزل الى الارض السفلى * ثم انهما فتشا عليه فلم ينظراه و حسن واقف في مكانه فشتما بعضهما وقالا قد راح القضيب و الطاقية لا لي ولا لك * وكان ابونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنا نسينا ما اخبرنا به * ثم انهما رجعا على اعقابهما و دخل حسن المدينة و هو لابس الطاقية وفي يده القضيب ولم يره احد من الناس * ثم دخل القصر و طلع الى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها و هو لابس الطاقية فلم تره * ومشى حتى تقرب من رفّ كان فوق

راسهـا و عليه زجاج و صيني فحركه بيده فوقع الذي فوقـه على الارض * فصاحت شواهي ذات الدواهي و لطمت على وجهها ثم قامت و ارجعت الذي وقع الى مكانه * و قالت في نفسها والله ما اظن الاّ ان الملكـة نور الهدى ارسلت اليّ شيطانا فعمل معي هذه العملة * فانا اسأل الله تعالى ان يخلصني منها و يسلمني من غضبها * فيارب اذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب و الصلب مع اختها و هي عزيزة عند ابيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي اذا غضبت عليه و ادرك شهـــر زاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيد ان العجـــوز ذات الدواهي قالت اذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع اختهـا فكيف يكون حال الغريب معها اذا غضبت عليه * ثم انها قالت اقسمت عليك ايها الشيطان بالحنّان المنان العظيم الشان القوي السلطان خالق الانس و الجان * و با لنقش الذي على خاتم سليمان بن داوٗد عليهما السلام ان تكلمني وتجيبني * فاجا بهـا حسن و قال لها ما انا شيطان انا حسن الولهان الهائم الحيران * ثم قلـع الطاقية من فوق راسه فظهر للعجوز و عرفته فاخذته و اختلت بـه و قالت له اي شيءٍ حصل لك في عقلك حتى عبرت الى هنـا رح اختف * فان هذه الفا جرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب و هي اختها فكيف اذا وقعت بك * ثم حكت له جميع ما وقـع لزوجته

و ما هي فيه من الضيق و العقوبة و العذاب * وكذلك حكت له ما وقع لها من العـــذاب * ثم قالت له ان الملكة ندمت حيث اطلقتك و قد ارسلت اليك من يحضرك لها و تعطيه من الذهب قنطارا و تجعله في رتبتي عندها * و حلفت ان ارجعـــوك تقتلك و تقتل زوجتك و اولادك * ثم ان العجوز بكت و اظهرت لحســن مافعلته الملكة بها فبكى حسن و قال يا سيدتي كيف الخلاص من هذه الديار و من هذه الملكة الظالمة و ما الحيلة التي توصلني الى ان اخلص زوجتي و اولادي ثم ارجع بهم الى بلادي سالما * فقالت له العجوز و يلك انج بنفسك فقال لابدلي من خلاصها و خلاص اولادي منها قهرا عنها * فقالت له العجـــوز وكيف تخلصهم قهرا عنها رح واختف يا ولدي حتى يأذن الله تعالى * ثم ان حسنا اراها القضيب النحاس و الطاقية * فلما رأتهما العجوز فرحت بهما فرحا شديدا و قالت له سبحان من يحيى العظام وهي رميم * والله يا ولدي ماكنت انت و زوجتك الّا من الهالكين والأٓن يا ولدي قد نجوت انت و زوجتك و اولادك * لاني اعرف القضيب و اعرف صاحبه * فانه كان شيخي الذي علمني السحر وكان ساحرا عظيما مكث مائة وخمسة و ثلثين سنة حتى اتقن هذا القضيب و هذه الطاقية * فلما انتهى اتقانهما ادركه الموت الذي لابد منه * وسمعته يقول لولديه يا ولديّ هذان ما هما من نصيبكما و انما يأتي شخص غريب الديار يأخذهمـــا منكما قهرا ولا تعرفان كيف يأخذهما * فقالا يا ابانا عرّفنا كيف يصل الي اخذهمامنا * فقال لا اعرف ذلك فكيف وصلت يا ولدي لاخذهما * فحكى لها كيف اخذهما من الولدين * فلما حكى لها فرحت بذلك

و قالت له يا ولدي كما ملكت زوجتك واولادك اسمع مني ما اقول لك عليه * انا ما بقي لي عند هذه الفاجرة اقامة بعد ما تجاسرت عليّ و نكلتني * و انا راحلة عنها الى مغارة السحرة لاقيم عندهم و اعيش معهم الى ان اموت * و انت يا ولدي البس الطاقيـة و خذ القضيب في يدك و ادخل على زوجتك و اولادك في المكان الذي هم فيه و اضرب الارض بالقضيب * و قل يا خدام هذه الاسماء تطلع اليك خدامه فان طلع لك احد من روس القبائل فأمره بما تريد و تختار * ثم انه ودّعها و خرج ولبس الطاقية و اخذ القضيب معه و دخل المكان الذي فيه زوجته * فرأها في حالة العدم مصلوبة على السلّم و شعرها مربوط فيه و هي باكية العين حزينة القلب في اسوء حال لاتدري طريقا لخلاصها * و اولادها تحت السلّم يلعبون و هي تنظرهم وتبكي عليهم و على نفسها بسبب ماجرى لها مما اصابها وهي تقاسي من العذاب والضرب الموءلم اشد النكال * فلما رأها في اسوء الحالات سمعها تنشد هذه الابيات

لَمْ يَبْقَ اِلَّا نَفَسٌ هَافِتٌ ... وَمُقْلَةٌ اِنْسَانُهَا بَاهِتٌ
وَمُغْرَمٍ تَضْرِمُ اَحْشَاوُهُ ... بِالنَّارِ اِلَّا اَنَّهُ سَاكِتٌ
يَرْثِي لَهُ الشَّامِتُ مِمَّا رَأى ... يَا وَيحَ مَنْ يَرْثِي لَهُ الشَّامِتُ

ثم ان حسنا لما رأى ما هي فيه من العذاب و الذل و الهوان بكى حتى غشي عليه * فلما افاق و رأى اولاده و هم يلعبون وقد غشي على امهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه * فصاحوا يا ابانا فغطى راسه واستفاقت امهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها و انما نظرت اولادها وهم يبكون و يصيحون يا ابانا * فبكت امهم

لما سمعتهم يذكرون اباهم ويبكون وانكسر قلبها و تقطعت احشاؤها و نادت من كبد قد تصدع و قلب موجع اين انتم و اين ابوكم * ثم تذكرت اوقات اجتماع شملها و تذكرت ما جرى عليها بعد فراقه فبكت بكاء شديدا حتى جرحت دموعها خديها و بلت الارض و صارت خدودها غريقة في دموعها من كثرة البكاء * و ليس لها يد مطلوقة حتى تمسح دموعها بها عن خدودها و شبع الذباب من جلدها و لم تجد لها مساعدا غير البكاء و التسلي بانشاد الاشعار فانشدت هذه الابيات

وَذَكَرْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ بَعْدَ مُوَدِّعِي ... فَجَرَتْ دُمُوعِي انْهُرًا فِي مَرْجِعِي
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الرِّكَابِ فَلَمْ اجِدْ ... صَبْرًا وَلَا جَلَدًا وَلَا قَلْبِي مَعِي
وَرَجَعْتُ لَا ادْرِي الطَّرِيقَ وَلَمْ افِقْ ... مِنْ لَوْعَتِي وَتَوَلُّعِي وَتَوَجُّعِي
وَاضَرُّ مَا بِي فِي رُجُوعِي شَامِتٌ ... قَدْ جَاءَنِي فِي صُورَةِ الْمُتَخَشِّعِ
يَا نَفْسُ اذْ بَعُدَ الْحَبِيبُ فَفَارِقِي ... طِيبَ الْحَيٰوةِ وَفِي الْبَقَا لَا تَطْمَعِي
يَا صَاحِبِي انْصِتْ لِاخْبَارِ الْهَوَى ... حَاشَا لِقَلْبِكَ انْ اقُولَ وَلَا يَعِي
ارْوِي الْغَرَامَ مُسَلْسَلًا بِعَجَائِبٍ ... وَغَرَائِبٍ حَتَّى كَانِّي الْاصْمَعِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة و العشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما دخل على زوجته رأى اولاده وسمعها تنشد الابيات التي ذكرناها وقد التفتت يمينا وشمالا لترى سبب صياح اولادها و ندائهم لابيهم فلم ترا احدا * و لما

لم ترا حدا تعجبت من ذكر اولادها لابيهم في هذا الوقت هذا ماكان من امرها * واما ماكان من امر حسن فانه لما سمع شعرها بكى حتى غشي عليه وجرت دموعه على خديه مثل المطر * ودنا من الاولاد وكشف الطاقية عن رأسه فلما رأوه عرفوه و صاحوا بقولهم يا ابانا فبكت امهم حين سمعتهم يذكرون اباهم * وقالت لا حيلة في قدر الله وقالت في نفسها يا للعجب ما سبب ذكرهم لابيهم في هذا الوقت وندائهم له ثم بكت وانشدت هذه الابيات

خَلَتِ الدِّيَارُ مِنَ السِّرَاجِ الطَّالِعِ ... يَا مُقْلَتِي جُودِي بِفَيْضِ الأَدْمُعِ
رَحَلُوا فَكَيْفَ تَصَبُّرِي مِن بَعْدِهِمْ ... اقسمتُ مَا قَلْبِي وَلَا صَبْرِي مَعِي
يَا رَاحِلِينَ وَفِي الفُؤَادِ مَحَلُّهُمْ ... هَلْ بَعْدَ ذَا يَا سَادَتِي مِنْ مَرْجِعِ
مَا ضَرَّ لَوْ رَجَعُوا وَفُزْتُ بِأُنْسِهِمْ ... وَرَثَوا لِفَيْضِ مَدَامِعِي وَتَوَجُّعِي
أَجْرَوا سَحَائِبَ مُقْلَتِي يَوْمَ النَّوَى ... عَجَبًا وَلَمْ يُطْفِي تَضَرُّمَ اضْلُعِي
وَطَمِعْتُ أَنْ يَبْقُوا فَعَانَدَنِي البَقَا ... فِيهِمْ وَخَيَّبَ بِالتَّفَرُّقِ مَطْمَعِي
بِاللهِ يَا أَحْبَابَنَا عُودُوا لَنَا ... فَلَقَدْ كَفَى مَا قَدْ جَرَى مِن أَدْمُعِي

فلم يطق حسن الصبردون ان كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته * فلما عرفته زعقت زعقة ازعجت جميع من في القصر ثم قالت له كيف وصلت الى هاهنا هل من السماء نزلت او من الارض طلعت * ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمي البصر وجرى القلم بما حكم الله في القدم * فبالله عليك من اي مكان جئت رح واختف لئلا ينظرك احد فيعلم اختي بذلك فتذبحني وتذبحك * فقال لها حسن يا سيدتي وسيدة كل ملكة انا خاطرت بروحي وجئت

الى هنا فاما ان اموت واما ان اخلصك من الذي انت فيه واسافر انا وانت و اولادي الى بلادي على رغم انف هذه الفاجرة اختك * فلما سمعت كلامه تبسمت و ضحكت و صارت تحرك راسها زمانا طويلا و قالت له هيهات ياروحي هيهــات ان يخلصني احد مما انا فيه الا الله تعالى * ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك في الهلاك فان لها عسكرا جرارا ما يقدر احد ان يقابله * وهب انك اخذتني و خرجت فكيف تصل الى بلادك و تخلص من هذه الجزائر و صعوبة هذه الاماكن الخطرة * وقد رأيت في الطريق الذي نظرتها من العجائب و الغــرائب و الاهوال و الشدائد مالا يخلص منه احد من الجن المتمردة * فرح من قريب ولا تزدني هما على همي ولا غما على غمي ولا تدعي انك تخلصني من هذا فمن يوصلني الى بلادك في هذه الاوديــة و الارض المعطشة و الاماكن المهلكة * فقال لها حسن وحيوتك يا نور عيني ما اخرج من هنا ولا اسافر الابك * فقالت له يا رجل كيف تقــدر على هذا الامراي شيء جنسك فانك لا تعرف الذي تقوله و لوكنت تحكم على جان و عفاريت و سحــرة و ارهاط واعوان فانه لايقدر احد ان يتخلص من هذه الاماكن * ففز انت بنفسك سالما و خلني لعل الله يحدث بعد الامور امورا * فقال لها حسن يا سيدة الملاح انا ماجئت الا لاخلصك بهذا القضيب و بهذه الطاقية * ثم حكى لها حكايته مع الولدين فبينمـــا هو في الحديث واذا بالملكة دخلت عليهما فسمعت حديثهما * فلما رأى حسن الملكة لبس الطاقية فقالت لاختهــا يا فاجرة من الذي كنت تتحدثين معه فقالت لها و من عندي يكلمني غير هذه الاطفال *

فاخذت السوط و صارت تضربها به و حسن واقف ينظر و لم تزل تضربها حتى غشي عليها * ثم امرت بنقلهـا من ذلك المحل الى محل أخر فحلوها و خرجوا بها الى محل غيره و خرج حسن معهم الى المكان الذي او صلوها اليه ثم القوها مغشيا عليها و وقفوا ينظرون اليها * فلما افاقت من غشيتها انشدت هذه الابـــــيـــــات

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا ... نَدَمًا اَفَاضَ الدَّمْعَ مِنْ اَجْفَانِي
وَنَذَرْتُ اِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا ... مَا عُدْتُ اَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَــانِي
وَ اَقُولُ لِلْحُسَّادِ مُوتُوا حَسْرَةً ... وَاللّٰهِ اِنِّي قَدْ بَلَغــتُ اَمَانِي
طَفَحَ السُّـــرُورُ عَلَيَّ حَتَّى اَنَّهُ ... مِنْ فَرْطِ مَاقَدْ سَرَّنِي اَبْكَانِي
يَا عَيْنُ مَا بَالُ الْبُكَالَكِ عَادَةً ... تَبْكِينَ فِي فَرَحٍ وَفِي اَحْزَانِ

فلما فرغت من شعرها خرج من عندها الجواري فعند ذلك قلع حسن الطاقية * فقالت له زوجته انظر يا رجل ما حلّ بي هذا كله الّا لكوني عصيتك و خالفت امرك و خرجت من غير اذنك * فبالله عليك يارجل لاتوأخذني بذنبي * و اعلم ان المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه و انا اذنبت و اخطأت ولكن استغفر الله العظيم مما وقع مني * و ان جمع الله شملنا لا اعصي لك امرا بعــد ذلك ابدا و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المــبـــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنـــي ايها الملك السعيد ان زوجة حسن اعتــذرت اليه و قالت له لاتوأخذني بذنبي و انا استغفر الله العظيم * فقال لهـــا حسن و قد اوجعه قلبه عليها انت ما اخطأت و ما اخطأ الّا انا لانني

سافرت و خليتك عند من لايعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة ولا مقدار * و اعلمي يا حبيبة قلبي و ثمرة فؤادي و نور عيني ان الله سبحانه اقدرني على تخليصك فهل تحبين ان اوصلك الى دبار ابيك و تستوفي عنده ما قدره الله عليك * اوتسافرين الى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج * فقالت له و من يقدر على تخليصي الّا رب السماء فرح بلادك وخلّ عنك الطمع فانك لاتعرف اخطار هذه الديار وان لم تطعني سوف تنظر * ثم انها انشدت هذه الابيات

عَلَيَّ وَعِنْدِي مَاتُرِيْدُ مِنَ الرِّضَى فَمَالَكَ غَضْبَانًا عَلَيَّ وَمُعْرِضًا
وَمَا قَدْ جَرَى حَاشَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا مِنَ الْوِدَادِ يُنْسَى قَدْ يمَاوِينقضى
وَمَا بَرِحَ الْوَاشِي لَنَا مُتَجَنِّبًا فَلَمَّا رَأَى الْإِعْرَاضَ مِنَّا تَعَرَّضَا
فَانِّي بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ لَوَاثِقٌ وَإِنْ جَهِلَ الْوَاشِي وَقَالَ وَحَرَّضَا
فَنَكْتُمُ سِرًّا بَيْنَنَا وَنَصُونُهُ وَلَوْكَانَ سَيْفُ الْعَذْلِ بِاللَّوْمِ مُنْتَضَى
أَظَلُّ نَهَارِي كُلَّهُ مُتَشَوِّقًا لَعَلَّ بَشِيرًا مِنْكَ يُقْبِلُ بِالرِّضَى

ثم بكت هي و اولادها و سمع الجواري بكاءهم فدخلن عليهم فوجدن الملكة منار السناء تبكى هي و اولادها ولم ينظرن حسنا عندهم فبكى الجواري رحمة لهم و دعين على الملكة نور الهدى * فصبر حسن الى ان اقبل الليل و ذهب الحرس الموكلون بهـا الى مراقدهم * ثم بعد ذلك قام و شدّ وسطه و جاء الى زوجته وحلّها و قبل راسها وضمها الى صدره و قبل مابين عينها وقال لها ما اطول شوقنا الى ديارنا و اجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا فى المنام او في اليقظة * ثم انه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر و قد اسبل الله عليهما الستر و سارا * فلما وصلا

 حكاية وصول حسن مع زوجته واولاده الى باب سراية الملكة ورؤيتهم اياه مقفولا وندامتهم على خروجهم ووصول شواهي ذات الدواهي

الى خارج القصر ووقفا عند الباب الذى يقفل على سراية الملكة * فلما صارا هناك رأياه مقفولا فقال حسن لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم انالله وانا اليه راجعون * ثم انهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب ودقّ يدا على يد وقال كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته الّا هذا فانه اذا طلع علينا النهار يأخذ وننا وكيف تكون الحيلة في هذا الامر * ثم ان حسنا انشد هذين البيتين

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِالْأَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ ۞ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ ٱلْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ۞ وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

ثم بكى حسن وبكت زوجته لبكائه ولِمَا هي فيه من الاهانة وآلام الزمان فالتفت حسن الى زوجته وانشد هذين البيتين

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ ۞ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَرِيهَةِ يَلْقَانِي
وَاِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ ۞ وَاِنْ يَصْفُ لِي يَوْمًا تَكَدَّرَ فِي الثَّانِي

وانشد ايضا هذين البيتين

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ اَنَّنِي ۞ اَعَزُّ وَاَنَّ النَّائِبَاتِ تَهُونُ
وَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ ۞ وَبِتُّ اُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

فقالت له زوجته والله مالنا فرج الّا ان نقتل ارواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم والّا نصبح نقاسى العذاب الاليم * فبينما هما فى الكلام واذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما افتح لك يا سيدتي منار السناء وزوجك حسن الّا ان تطاوعاني فيما اقوله لكما * فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وارادا الرجوع الى المكان الذي كانا

فيه * واذا بقائل يقول مالكما سكتّما ولم تردّا عليّ الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها مهما تامرينا به نعمله ولكن افتحي لنا الباب اولا فان هذا الوقت ما هو وقت كلام * فقالت له والله ما افتح لكما حتى تحلفا لي انكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ومهما اصابكما اصابني وان سلمتما سلمت وان عطبتما عطبت فان هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكلني من اجلكما وانت يا بنتي تعرفين مقداري * فلما عرفاها اطمأنا بها وحلفا لها بالايمان التي تثق بها فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب وخرجا * فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومي من فخار احمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجري جريا اقوى من جري المهر النجدي فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعاني ولا تفزعا من شيء فاني احفظ اربعين بابا من السحر اقل باب منها اجعل به هذه المدينة بحرا عجاجا متلاطما بالامواج واسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك اعمله قبل الصبح ولكني كنت لااقدر ان افعل شيأ من ذلك الشر خوفا من الملك ابيها ورعاية لاخواتها لانهم مستعزون بكثرة الاعوان والارهاط والخدم ولكن سوف اريكما عجائب سحري فسيرا بنا على بركة الله تعالى وعونه * فعند ذلك فرح حسن وزوجته وايقنا بالخلاص وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا وزوجته والعجوز شواهي

حكاية خروج حسن مع زوجته واولاده وشواهي ذات الدواهي وضربه الارض بالقضيب وخروج عشرة عفاريت منها

لما طلعـــوا من القصر وايقنوا بالخلاص خرجوا الى ظاهر المدينة فاخذ حسن القضيب بيده و ضرب به الارض وقوّى جنانـــه و قال يا خدام هذه الاسماء احضروا لي و اطلعوني على احوالكم واذا بالارض قد انشقت وخرج منها عشرة عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الارض و راســه في السحاب فقبلــوا الارض بين يدي حسن ثلث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك ياسيدنا والحاكم علينا باي شئ تامرنا فنحن لامرك سامعـــون ومطيعون ان شئت نيبس لك البحـــار و ننقل لك الجبال من اماكنها * ففرح حسن بكلامهم و بسرعة جوابهم فشجّع قلبه وقوّى جنانه و عزمه وقال لهم من انتم وما اسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن اي طائفـــة انتم ومن اي قبيلة ومن اي رهط فقبلوا الارض ثانيا وقالوا بلسان واحد نحن سبعة ملوك كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن و الشياطين والمردة فنحـــن سبعة ملوك نحكم على تسعـــة واربعيـــن قبيلة من سائر طوائف الجـــن و الشياطين و المـــردة و الارهاط و الاعوان الطيارة و الغواصة و سكان الجبال و البـــراري و القفار و عمار البحار فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام و عبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنـــا جميعـــا ونصير تحت طاعته * فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحا عظيما وكذلك زوجته و العجوز * فعند ذلك قال حسن للجان اريد منكم ان تطلعوني على رهطكم وجندكم واعوانكم فقالوا يا سيدنا اذا اطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لانهم جنود كثيرة مختلفة الصـــور والخلق والالوان والوجوه و الابدان * فمنا رؤس بلا ابدان ومنا

ابدان بلا رؤس و منا من هو على صفة الوحوش و منا من هو على صفة السباع * ولكن ان شئت ذلك فلابد لنا من ان نعرض عليك اولا من هو على صفة الوحوش ولكن يا سيدي ما تريد منا في هذا الوقت فقال لهم حسن اريد منكم ان تحملوني انا و زوجتي و هذه المرأة الصالحة في هذه الساعة الى مدينة بغداد * فلما سمعوا كلامه اطرقوا رؤسهم فقال لهم حسن لِمَ لاتجيبون * فقالوا بلسان واحد ايها السيد الحاكم علينا اننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا اننا لانحمل احدا من بني آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا احدا من بني آدم على اكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن في هذه الساعة نشدّ لك من خيول الجن ما يبلغك بلادك انت و من معك * فقال لهم حسن وكم بيننا و بين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك و قال لهم كيف جئت انا الى هنا فيما دون السنة فقالوا له انت قد حنن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ماكنت تصل الى هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك ابدا لان الشيخ عبد القدوس الذي اركبك الفيل و اركبك الجواد الميمون قطع بك في ثلثة ايام مسافة ثلث سنين للفارس المجد في السير * واما الشيخ ابو الرويش الذي اعطاك للدهنش فانه قد قطع بك في اليوم و الليلة مسافة ثلث سنين و هذا من بركة الله العظيم لان الشيخ ابا الرويش من ذرية آصف بن برخيا و هو يحفظ اسم الله الاعظم و من بغداد الى قصر البنات سنة فهذه هي السبع سنين * فلما سمع حسن كلامهم تعجب عجبا عظيما وقال

سبحان الله مهون العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذي هون علينا كل امر شديد واوصلني الى هذه الديار وسخرلي هؤلاء العالم وجمع شملي بزوجتي و اولادي فما ادري هل انا نائم اويقظان وهل انا صاح اوسكران * ثم التفت اليهم و قال لهم اذا اركبتموني خيولكم فبكم يوم تصل بنا الى بغداد * فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد ان تقاسي الامور الصعاب والشدائد والا هوال وتقطع اوديـــة معطشة و قفارا موحشة وبراري و مهالك كثيـــرة و لانأمن عليك يا سيدي من اهـــل هذه الجزائر و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجان قالوا لحسن لانأمن عليك يا سيدي من اهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الاكبر ولا من هذه السحرة والكهنة فربمـــا يقهروننا و يأخذونكم منا ونبتلي بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا انتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الاكبـــر وحملتم الانس من بلاده وحملتم ايضا ابنته معكم ولوكنت معنا وحدك لهان علينا الامر ولكن الذي اوصلك الى هذه الجزائر قـــادر ان يوصلك الى بلادك و يجمـــع شملك بامك قريبا غير بعيد فاعزم و توكّل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك الى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعا وطاعة * ثم دقوا الارض با رجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا واذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلثـــة افراس مسرجة ملجمة وفي مقدم كل سرج

خرج في احدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الاخرى ملآنة زادا * ثم قدموا الخيل فركب حسن جوادا واخذ ولدا قدامه وركبت زوجته الجواد الثاني واخذت ولدا قدامها * ثم نزلت العجوز من فوق الزير و ركبت الجواد الثالث و ساروا و لم يزالوا سائرين طول الليل حتى اصبح الصباح فعرجوا عن الطريق و قصدوا الجبل و السنتهم لا تفتر عن ذكر الله و ساروا النهار كله تحت الجبل * فبينماهم سائرون اذ نظر حسن الى جبل قدامه مثل العامود وهو طويل كالدخان المتصاعد الى السماء فقرأ شيأ من القرأن و الصحف و تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم * فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه * فلما دنوا منه وجدوه عفريتا راسه كالقبة العظيمة وانيابه كالكلاليب وحنكه كالزقاق و منخراه كالابريق و اذناه كالادراق * و فمه كالمغارة و اسنانه كعواميد الحجارة و يداه كالمداري و رجلاه كالصواري و راسه فى السحاب و قدماه في تخوم الارض تحت التراب * فلما نظر حسن الى العفريت انحنى و قبل الارض بين يديه فقال له يا حسن لاتخف مني انا رئيس عمار هذه الارض * و هذه اول جزيرة من جزائر واق و انا مسلم موحّد بالله و سمعت بكم و عرفت قدومكم و لما اطلعت على حالكم اشتهيت ان ارحل من بلاد السحرة الى ارض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة من الانس والجان اعيش فيها منفردا وحدي و اعبد الله حتى يدركني اجلي * فاردت ان ارافقكم واكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر * و انا ما اظهر الّا بالليل فطيبوا قلوبكم من جهتي فانني مسلم مثل ما انتم مسلمون * فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحا

شديدا وايقن بالنجاة * ثم التفت اليه وقال له جزاك الله خيرا فسر معنا على بركة الله * فسار العفريت قدامهم وصاروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ماجرى له وما قاساه * ولم يزالوا سائرين طول الليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين طول الليل الى الصباح والخيل تسير بهم كالبرق الخاطف * فلما طلع النهار مدّ كل واحد يده في خرجه واخرج منه شيأ واكله * واخرج ماء وشربه ثم جدوا في السير ولم يزالوا سائرين والعفريت اماهم وقد عرج بهم عن الطريق الى طريق اخرى غير مسلوكة على شاطئ البحر ومازالوا يقطعون الاودية والقفار مدة شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلثين طلعت عليهم غبرة سدت الاقطار واظلم منها النهار * فلما نظرها حسن حار ولحقه الاصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة * فالتفتت العجوز الى حسن وقالت له يا ولدي هذه عساكر جزائر واق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضا باليد * فقال لها حسن ما اصنع يا امي * فقالت له اضرب الارض بالقضيب ففعل فطلع اليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له لاتخف ولا تحزن * ففرح حسن بكلامهم وقال احسنتم ياسادة الجن والعفاريت هذا وقتكم * فقالوا له اطلع انت وزوجتك واولادك ومن معك

فوق الجبل و خلونا نحن و اياهم لاننا نعرف انكم على الحق وهم على الباطل وينصرنا الله عليهم * فنزل حسن وزوجته و اولاده و العجوز عن ظهور الخيل و صرفوا الخيل و طلعوا على طرف الجبل و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا صعد هو وزوجته و اولاده و العجوز على طرف الجبل بعد ان صرفوا الخيل * ثم بعد ذلك اقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة و ميسرة و دارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة * وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان و التهبت النيران واقدمت الشجعان و فرّ الجبان و رمت الجن من افواهها لهيب الشرر الى ان اقبل الليل المعتكر * فافترق الجمعان و انفصل الفريقان * و لما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الارض اشعلوا النيران * وطلع سبعة ملوك الى حسن و قبلوا الارض بين يديه فاقبل عليهم و شكرهم ودعا لهم بالنصر و سألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى * فقالوا له انهم لا يثبتون معنا غير ثلثة ايام فنحن كنا اليوم ظافرين بهم و قد قبضنا منهم مقدار الفين و قتلنا منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم فطب نفسا وانشرح صدرا * ثم انهم ودعوه ونزلوا الى عسكرهم يحرسونه * وما زالوا يشعلون النيران الى ان طلع الصباح و اضاء بنوره و لاح * فركبت الفرسان الخيل القراح و تضاربوا بمرهفات الصفاح * وتطاعنوا بسمر الرماح * و باتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار و استعر بينهم في الحرب

حكاية نصب الملوك السبعة للواحد من حسن ومن معه سريرا
واحضار الملوك السبعة نور الهدى وعسكرها اسارى عند
حسن وغضب العجوز عليها وشفاعة منار السناء
لاختها عند حسن في عدم تعذيبها

لهيب النار * ولم يزالوا في نضال و سباق حتى انهزمت عساكر واق * و انكسرت شوكتهم و انحطت همتهم و زلّت اقدامهم * واينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولّوا الادبار و ركنوا الى الفرار و قتل اكثرهم و امرت الملكة نور الهدى و كبار مملكتها و خواصها * فلما اصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن و نصبوا له سريرا من المرمر مصفحا بالدر و الجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريرا أخر للسيدة منار السناء زوجته وذلك السرير من العاج المصفح بالذهب الوهاج وجلست فوقه * ونصبوا جنبه سريرا أُخر للعجوز شواهي ذات الدواهي وجلست فوقه * ثم انهم قدموا الاسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين * فلما رأتها العجوز قالت لها ماجزاؤك يا فاجرة يا ظالمة الاّ من يجوع كلبتين ويعطش فرسين و يربطك معهما في اذنا بهما ويسوقهما الى البحر والكلبتين وراءك حتى يتمزق جلدك * وبعد ذلك يقطع من لحمك ويطعمك * كيف فعلت باختك هذه الفعال يا فاجرة مع انها تزوجت في الحلال بسنة الله ورسوله لانه لا رهبانية فى الاسلام و الزواج من سنن المرسلين عليهم السلام * وما خلقت النساء الاّ للرجال * فعند ذلك امر حسن بقتل الا سارى جميعها فصاحت العجوز و قالت اقتلوهم ولاتبقوا منهم احدا * فلما رأت الملكة منار السناء اختها في هذه الحالة وهي مقيدة مأسورة بكت عليها و قالت لها يا اختي ومن هذا الذي اسرنا في بلادنا و غلبنا * فقالت لها هذا امر عظيم ان

هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وفي سائر ملكنا وتغلب علينا وعلى ملوك الجن * فقالت لها اختها انه ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا اسركم الّا بهذه الطاقية والقضيب فتحققت اختها ذلك وعرفت انه خلصها بهذا السبب فتضرعت لاختها حتى حنّ قلبها عليها * ثم قالت لزوجها حسن ماتريد ان تفعل باختي فها هي بين يديك وهي ما فعلت معك مكروها حتى تؤاخذها به * فقال لها كفى تعذيبها اياك مكروها * فقالت له كل مكروه فعلته معي كانت معذورة فيه * واما انت فانك قد احرقت قلب ابي بفقدي فكيف يكون حاله بعد اختي * فقال لها حسن الرأي رأيك مهما اردته فافعليه * فعند ذلك امرت الملكة منار السناء بحل الاسارى جميعهم فحلوهم لاجل اختها وكذلك اختها * وبعد ذلك اقبلت على اختها وعانقتها وصارت تبكي هي واياها * ولم تزالا كذلك ساعة زمانية * ثم قالت الملكة نور الهدى لاختها يا اختي لاتؤاخذيني بما فعلته معك * فقالت لها السيدة منار السناء يا اختي ان هذا كان مقدرا عليّ * ثم جلست هي واختها على السرير تتحدثان وبعد ذلك اصلحت منار السناء بين العجوز وبين اختها على احسن ما يكون وطابت قلوبهما * ثم ان حسنا صرف العسكر الذين كانوا في خدمة القضيب وشكرهم على ما فعلوه من نصره على اعدائه * ثم ان السيدة منار السناء حكت لاختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من اجلها * وقالت لها يا اختي من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد ايده الله تعالى بشدة البأس حتى دخل بلادنا واخذك واسرك وهزم عسكرك وقهر اباك الملك الاكبر

اللذي يحكم على ملوك الجن يجب ان لايفرط في حقه * فقالت لها اختها و الله يا اختي لقد صدقت فيما اخبرتني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل * و هل كل هذا من اجلك يا اختي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة منارالسناء لما اخبرت اختها باوصاف حسن قالت لها والله ان هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصا بسبب مروته وهل كل هذا من اجلك قالت نعم * ثم انهم باتوا يتحدثون الى الصباح فلما طلعت الشمس اراد الرحيل فودع بعضهم بعضا و ودعت منار السناء العجوز بعد ما اصلحت بينها و بين اختها نورالهدى * فعند ذلك ضرب حسن الارض بالقضيب فطلع له خدامه و سلموا عليه و قالوا له الحمد لله على هدو سرك فأمرنا بما تريد حتى نعمله لك في اسرع من لمح البصر فشكرهم على قولهم و قال لهم جزاكم الله خيرا * ثم انه قال لهم شدوا لنا جوادين من احسن الخيل ففعلوا ما امرهم به فى الوقت وقدموا له جوادين مسرجين فركب حسن جوادا منهما واخذ ولده الكبير قدامه و ركبت زوجته الجواد الآخر و اخذت ولدها الصغير قدامها و ركبت الملكة نورالهدى و العجوز و توجه الجميع الى بلادهم فسار حسن و زوجته يمينا و سارت الملكة نورالهدى و العجوز شمالا * ولم يزل حسن سائرا هو و زوجته و اولاده مدة شهر كامل * و بعد الشهر اشرفوا على مدينة فوجدوا حولها اشجارا وانهارا * فلما وصلوا الى تلك الاشجار نزلوا عن ظهور

الخيل و ارادوا الراحة * ثم جلسوا يتحدثون واذاهم بخيول كثيرة قد اقبلت عليهم * فلما رأهم حسن قام على رجليه و تلقاهم و اذاهم الملك حسون صاحب ارض الكافور و قلعة الطيور * فعند ذلك تقدم حسن الى الملك و قبل يديه وسلم عليه و لما رأه الملك ترجل عن ظهر جوادة وجلس هو وحسن على الفرش تحت الاشجار بعد ان سلم على حسن و هناه بالسلامة وفرح به فرحا شديدا * و قال له يا حسن اخبرني بماجرى لك من اوله الى آخره فاخبره حسن بجميع ذلك * فتعجب منه الملك حسون و قال له يا ولدي ما وصل احد الى جزائرواق و رجع منها ابدا الاّ انت فامرك عجيب ولكن الحمدلله على السلامة * ثم بعد ذلك قام الملك و ركب و امر حسنا ان يركب و يسير معه ففعل ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى المدينة فدخلوا دار الملك فنزل الملك حسون و نزل حسن هو و زوجته و اولاده في دار الضيافة * فلما نزلوا اقاموا عنده ثلثة ايام في اكل وشرب ولعب وطرب * ثم بعد ذلك استاذن حسن الملك حسون فى السفر الى بلاده فاذن له فركب هو و زوجته واولاده وركب الملك معهم و ساروا عشرة ايام * فلما راد الملك الرجوع ودع حسنا وسارحسن وزوجته و اولاده * ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل * فلما كان بعد الشهر اشرفوا على مغارة كبيرة ارضها من النحاس الاصفر * فقال حسن لزوجته انظري هذه المغارة هل تعرفينها قالت لا * قال ان فيها شيخا يسمى ابا الرويش وله عليّ فضل كبير لانه هو الذي كان سببا فى المعرفة بيني و بين الملك حسون * وصار يحدث زوجته بخبر ابى الرويش

واذا بالشيخ ابى الرويش قد خرج من باب المغارة * فلما رآه حسن نزل عن جواده و قبل يديه فسلم عليه الشيخ ابو الرويش و هناه بالسلامة و فرح به و اخذه ودخل به المغارة و جلس هو واياه * وصار حسن يحدث الشيخ ابا الرويش بماجرى له في جزائر واق * فتعجب الشيخ ابو الرويش غاية العجب وقال يا حسن كيف خلصت زوجتك و اولادك فحكى له حكاية القضيب و الطاقية * فلما سمع الشيخ ابو الرويش تلك الحكاية تعجب و قال يا حسن يا ولدي لولا هذا القضيب و هذه الطاقية ماكنت خلصت زوجتك و اولادك * فقال له حسن نعم يا سيدي * فبينماهما في الكلام واذا بطارق يطرق باب المغارة فخرج الشيخ ابو الرويش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد اتى و هو راكب فوق الفيل فتقدم الشيخ ابو الرويش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحا عظيما وهناه بالسلامة * وبعد ذلك قال الشيخ ابو الرويش لحسن احك للشيخ عبد القدوس جميع ماجرى لك يا حسن فشرع حسن يحكي للشيخ عبد القدوس جميع ماجرى له من اوله الى آخره الى ان وصل الى حكاية القضيب و الطاقية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا شرع يحكى للشيخ عبد القدوس و الشيخ ابى الرويش وهم فى المغارة يتحدثون جميع ماجرى له من اوله الى آخره الى ان وصل الى حكاية القضيب و الطاقية * فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي اما انت فقد

خلصت زوجتك و اولادك ولم يبق لك حاجة بهما * و اما نحن فاننا كنا السبب في وصولك الى جزائر واق و قد عملت معك الجميل لاجل بنات اخي و انا اسألك من فضلك و احسانك ان تعطيني القضيب و تعطي الشيخ ابا الرويش الطاقية * فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس اطرق رأسه الى الارض و استحى ان يقول ما اعطيهما لكما * ثم قال في نفسه ان هذين الشيخين قد فعلا معي جميلا عظيما وهما اللذان كانا السبب في وصولي الى جزائر واق * و لولاهما ما وصلت الى هذه الاماكن ولا خلصت زوجتي و اولادي ولا حصلت هذا القضيب و هذه الطاقية * ثم رفع رأسه و قال نعم انا اعطيهما لكما * ولكن يا سادتي اني اخاف من الملك الاكبر والد زوجتي ان يأتيني بعساكر الى بلادنا فيقاتلونني و لا اقدر على دفعهم الا بالقضيب و الطاقية * فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي لا تخف فنحن نبقى لك جاسوسا وردأ في هذا الموضع * وكل من اتى اليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شيء اصلا جملة كافية فطب نفسا و قر عينا و انشرح صدرا ما عليك بأس * فلما سمع حسن كلام الشيخ اخذه الحياء و اعطى الطاقية للشيخ ابي الرويش وقال للشيخ عبد القدوس اصحبني الى بلادي وانا اعطيك القضيب * ففرح الشيخان بذلك فرحا شديدا وجهز لحسن من الاموال والذخائر مايعجز عنه الوصف * ثم اقام عندهما ثلثة ايام و بعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه * فلما ركب حسن دابة و اركب زوجته دابة صفر الشيخ عبد القدوس

واذا بفيل عظيم قد اقبل يهرول بيديه و رجليــه من صدر البرية فاخذه الشيخ عبد القدوس وركبه و سارهو وحسن وزوجته واولاده * و اما الشيخ ابو الرويش فانـــه دخل المغارة وما زال حسن و زوجته واولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الارض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة و المنافذ القريبة * حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربــه من ديار و الدته ورجوع زوجته واولاده اليه وحيث وصل حسن الى تلك الديار بعد هذه الاهوال الصعبة حمد الله تعالى على ذلك و شكره على نعمتــه وفضله و انشد هذه الابـــــــــــيـــــــــات

لَعَلَّ اللّٰهُ يَجْمَعُنَـــا قَرِيبًا فَنُصْبِحُ فِي مُكَانَقَةِ العِنَاقِ
وَأُخْبِرُكُمْ بِأَعْجَبَ مَاجَرَى لِي وَمَا لَاقَيْتُ مِنْ أَلَمِ الفِرَاقِ
وَأَشْفِي مُقْلَتِي نَظَرًا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ القَلْبَ أَصْبَحَ فِي اشْتِيَاقِ
خَبَأْتُ لَكُمْ حَدِيثًا فِي فُؤَادِي لِأُخْبِرَكُمْ بِـــهِ عِنْدَ التَّلَاقِي
أُعَاتِبُكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْــكُمْ عِتَــابًا يَنْقَضِي وَالوُدُّ بَاقِي

فلمـــا فرغ حسن من شعـــره نظر و اذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء و الفسقية و القصر الاخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد * فقال لهم الشيخ عبـــد القدوس يا حسن ابشر بالخير فانت الليلة ضيف عند بناتك اخي ففرح حسن بذلك فرحا شديــدا وكذلك زوجته * ثم انهم نزلوا عند القبة و استراحوا و اكلوا وشربوا ثم ركبوا و ساروا حتى قربوا من القصر * فلما اشرفوا عليه خرجت لهم بنات الملك اخ الشيخ عبـــد القدوس و تلقينهم و سلمن عليهم و على

عمهم وسلم عليهن عمهن و قال لهن يا بنات اخي ها انا قد قضيت حاجة اخيكن حسن وساعدته على خلاص زوجته و اولاده * فتقدمت اليه البنات و عانقنه وفرحن به و هنينه بالسلامة و العافية و جمع الشمل بزوجته و اولاده وكان عندهن يوم عيد * ثم تقدمت اخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديدا وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من الم الفراق وتعب سرها و ما قاسته من فراقه وانشدت هذين البيتين

وَمَا نَظَرْتُ مِن بَعْدِ بُعْدِكَ مُقْلَتِي ... اِلَى اَحَدٍ اِلاَّ وَ شَخْصُكَ مَاثِلُ

وَمَا غَمَضَتْ اِلاَّ رَاَيْتُكَ فِي الكَرَى ... كَاَنَّكَ بَيْنَ الجَفْنِ وَالعَيْنِ نَازِلُ

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحا شديدا فقال لها حسن يا اختي انا ما اشكر احدا في هذا الامر الاّ انت من دون سائر الاخوات فالله تعالى يكون لك بالعون و العناية * ثم انه حدثها بجميع ماجرى له في سفره من اوّله الى أخره وما قاساه و ما اتفق له مع اخت زوجته وكيف خلص زوجته و اولاده * و حدثها ايضا بما رأه من العجائب و الاهوال الصعاب حتى ان اختها كانت ارادت ان تذبحه وتذبحها و تذبح اولادها * وما سلمهم منها الاّ الله تعالى * ثم حكى لهــا حكاية القضيب و الطاقيــة و ان الشيخ ابا الرويش و الشيخ عبد القدوس طلبا هما منه و انه ما اعطاهما لهمــا الاّ من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء * فقال والله ما انسى كلما فعلته معي من الخير من اول الامــر الى أخره و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اجتمع بالبنات حكى لاخته جميع ما قاساه وقال لها انا ما انسى الذي فعلته معي من اول الزمان الى آخره فالتفتت اخته الى زوجته منار السناء وعانقتها وضمت اولادها الى صدرها * ثم قالت لها يا بنت الملك الاكبر اما في قلبك رحمة حتى فرقت بينه وبين اولاده وحزنت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل ان يموت فضحكت وقالت بهذا حكم الله سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه الله * ثم احضروا شيأ من الاكل والشرب واكلوا جميعا وشربوا وانشرحوا * ثم انه اقام عندهم عشرة ايام في اكل وشرب وفرح وسرور * ثم بعد العشرة ايام تجهز حسن للسفر * فقامت اخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف * ثم ضمته الى صدرها لاجل الوداع وعانقته فاشار اليها حسن وانشد هذه الابيات

مَاسَلْوَةُ الْعُشَّاقِ اِلَّا الْبَعِيدُ ... وَمَا فِرَاقُ الْحِبِّ اِلَّا الشَّدِيدُ
وَمَا الْجَفَا وَالْبُعْدُ اِلَّا الْعَنَا ... وَمَا قَتِيلُ الْحُبِّ اِلَّا شَهِيدُ
مَا اَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى عَاشِقٍ ... قَدْ فَارَقَ الْخِلَّ وَاَمْسَى فَرِيدُ
دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدِّهِ ... يَقُولُ يَا لَلدَّمْعِ هَلْ مِنْ مَزِيدُ

ثم ان حسنا اعطى الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحا شديدا وشكر حسن على ذلك وبعد ان اخذه منه ركب ورجع الى محله * ثم ركب حسن وزوجته واولاده من قصر البنات

ثم خرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا * ثم توجه حسن الى بلاده فسار في البر الاقفر مدة شهرين و عشرة ايام حتى وصل الى مدينة بغداد دار السلام * فجاء الى داره من باب السر الذي يفتح الى جهة الصحراء و البرية وطرق الباب و كانت والدته من طول الغيبة قد هجرت المنام ولزمت الحزن و البكاء و العويل حتى مرضت وصارت لم تأكل طعاما ولم تلتذ بمنام بل تبكي في الليل و النهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه اليها * فلما وقف على الباب سمعها تبكي و تنشد هذه الابيات

بِٱللهِ يَا سَادَتِي طِبُّوا مَرِيضَكُمُ فَجِسْمُهُ نَاحِلٌ وَٱلْقَلْبُ مَكْسُورُ
فَإِنْ سَمَحْتُمْ بِوَصْلٍ مِنْكُمُ كَرَمًا فَٱلصَّبُّ مِنْ نِعَمِ ٱلْاَحْبَابِ مَغْمُورُ
لَا يَأْسَ مِنْ قُرْبِكُمْ فَٱللهُ مُقْتَدِرٌ فَبَيْنَمَا ٱلْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسنا ينادي على الباب يا اماه ان الايام قد سمحت بجمع الشمل * فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت الى الباب وهي مابين مصدّق ومكذّب * فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفا و زوجته و اولاده معه فصاحت من شدة الفرح و وقعت في الارض مغشيا عليها * فما زال حسن يلاطفها حتى افاقت و عانقته ثم بكت * و بعد ذلك نادت غلمانه و عبيده و امرتهم ان يدخلوا جميع مامعه في الدار فادخلوا الاحمال في الدار * ثم دخلت زوجته و اولاده فقامت لها امه و عانقتها و قبلت راسها و قبلت قدميها و قالت لها يا بنت الملك الاكبر ان كنت اخطأت في حقك فها انا استغفر الله العظيم * ثم التفتت الى ابنها وقالت له يا ولدي ما سبب هذه الغيبة الطويلة * فلما سألته عن ذلك اخبرها

بجميع ما جرى له من اوله الى آخره * فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة و وقعت في الارض مغشيا عليها من ذكر ماجرى لولدها * فلم يزل يلاطفها حتى افاقت و قالت له يا ولدي و الله لقد فرطت فى القضيب و الطاقية فلوكنت احتفظت عليهما و ابقيتهما لكنت ملكت الارض بطولها و عرضها و لكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك انت و زوجتك و اولادك و با توافي اهنى ليلة و اطيبها * فلما اصبح الصباح غيّر ما عليه من الثياب و لبس بدلة من احسن القماش ثم خرج الى السوق و صار يشترى العبيد و الجواري و القماش و الشئ النفيس من الحلي و الحلل و الفراش و من الاواني المثمنة التي لايوجد مثلها عند الملوك * ثم اشترى الدور و البساتين و العقارات و غير ذلك * ثم انه اقام هو و اولاده وزوجته و والدته في اكل و شرب و لذة * ولم يزالوا في ارغد عيش واهناه حتى اتاهم هادم اللذات و مفرق الجماعات فسبحان ذى الملك و الملكوت و هو الحي الباقي الذي لايموت

ومما يحكى ايضا

انه كان في قديم الزمان و سالف العصر و الاوان بمدينة بغداد رجل صياد يسمى خليفه وكان ذلك الرجل فقير الحال صعلوكا لم يتزوج في عمره قط * فاتفق له يوما من الايام انه اخذ شبكته ومضى بها الى البحر مثل عادته ليصطاد قبل الصيادين * فلما وصل الى البحر تحزّم و تشمّر * ثم تقدم الى البحر و نشر شبكته و رماها اول مرة و ثاني مرة فلم يطلع فيها شئ و لم يزل يرميها الى ان رماها عشر مرات فلم يطلع فيها شئ ابدا * فضاق صدره وتحير فكره

في امره و قال استغفر الله العظيم الذي لا اله الّا هو الحي القيوم و اتوب اليه لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن الرزق على الله عزوجل و اذا اعطى الله عبدا لايمنعه احد و اذا منع عبدا لا يعطيه احد * ثم انه من كثرة ما حصل له من الغم انشد هذين البيتين

إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ مِنْهُ بِنَكْبَةٍ فَهَيِّئْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرًا
فَإِنَّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ بِجُودِهِ سَيُعْقِبُ بَعْدَ الْعُسْرِ مِنْ فَضْلِهِ يُسْرًا

ثم جلس ساعة يتفكر في امره وهو مطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك انشد هذه الابيات

اِصْبِرْ عَلَى حُلْوِ الزَّمَانِ وَمُرِّهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ
فَلَرُبَّ لَيْلٍ فِي الْهُمُومِ كَلَيْلَةٍ عَالَجْتُهُ حَتَّى ظَفِرْتُ بِفَجْرِهِ
وَلَقَدْ تَمُرُّ الْحَادِثَاتُ عَلَى الْفَتَى وَتَزُولُ حَتَّى لَا تَعُودُ لِفِكْرِهِ

ثم قال في نفسه ارمي هذه المرة الاخرى و اتوكل على الله لعله لايخيب رجائي * ثم انه تقدم ورمى الشبكة على طول باعه في البحر وطوى حبلها و صبر عليها ساعة زمانية * ثم بعد ذلك سحبها فوجدها ثقيلة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما رمى شبكته في البحر مرارا ولم يطلع له فيها شيء تفكر في نفسه وانشد الابيات السابقة ثم قال في نفسه ارمي هذه المرة الاخرى و اتوكل على الله لعله لايخيب رجائي فقام ورمى الشبكة و صبر عليها ساعة زمانية ثم

حكاية طرح خليفة الصياد الشبكة فى المرة الثالثة وطلوع قردا عور اعرج وغضب الصياد عليه وتكلم القردمعه بان يرميه الشبكة ثانيا وطلوع قرد أخرمخضب اليدين مفلج الثنايا مكحل العينين في وسطه ثوب خَلَق

سحبها فوجدها ثقيلة * فلما عرف انها ثقيلة مارسها بلطف و سحبها حتى طلعت الى البر واذا فيها قرد اعور اعرج * فلما رآه خليفة قال لاحول ولا قوة الّا بالله انا لله وانا اليه راجعون * اي شيءٍ هذا البخت المبخوس و الطالع المنحوس ما الذي حصل لي في هذا النهار المبارك ولكن هذا كله بتقادير الله تعالى * ثم انه اخذ القرد و ربطه في حبل و تقدم الى شجرة طالعة على ساحل البحر وربط فيها القرد وكان معه سوط فاخذه في يده و رفعه فى الهواء و اراد ان ينزل به علي القرد * فا نطق الله هذا القرد بلسان فصيح و قال له يا خليفة امسك يدك ولا تضربني وخلني مربوطا في هذا الشجر ورح الى البحر و ارم شبكتك وتوكل على الله فانه يأتيك برزقك * فلما سمع خليفة كلام القرد اخذ الشبكة وتقدم الى البحر و رماها و ارخى لها الحبل ثم سحبها فوجدها اثقل من المرة الاولى فلم يزل بعالج فيها حتى طلعت الى البر واذا فيها قرد أُخر مفلج الثنايا مكحل العينين مخضب اليدين و هو يضحك وفي وسطه ثوب خَلَق فقال خليفة الحمد لله الذى ابدل سمك البحر بقرود * ثم اتى الى ذلك القرد المربوط فى الشجرة وقال له انظر يا مشئوم ما اقبح ما اشرت به عليّ فما اوقعني فى القرد الثاني الّا انت فانك لما صبحتني بعرجك و عورك اصبحت غلبانا تعبانا لااملك د رهما ولا دينارا * ثم انه اخذ مسوقة في يده ولفّها فى الهواء ثلث مرات واراد ان ينزل بها على القرد فاستغاث منه وقال له

سألتك بالله ان تعفو عني لاجل صاحبي هذا واطلب منه حاجتك فانه يدلك على ما تريد فرمى خليفة المسوقة وعفا عنه * ثم اتى الى القرد الثاني ووقف عنده فقال له القرد يا خليفة هذا الكلام ما يفيدك شيأ الّا اذا سمعت مني ما اقوله لك فان سمعت مني وطاوعتني ولم تخالفني كنت انا السبب في غناك * فقال له خليفة ما الذي تقوله لي حتى اطيعك فيه * فقال له خلني مربوطا مكاني ورح الى البحر وارم شبكتك حتى اقول لك اي شيء تفعله بعد هذا * فاخذ خليفة الشبكة ومضى الى البحر ورماها وصبر عليها ساعة ثم سحبها فوجدها ثقيلة * فما زال يعالج فيها حتى طلّعها الى البر واذا فيها قرد أخر الّا ان هذا القرد احمر وفي وسطه ثياب زرق وهو مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين * فلما نظره خليفة قال سبحان الله العظيم سبحان مالك الملك ان هذا اليوم مبارك من اوله الى أخره لان طالعه سعيد بوجه القرد الاول والصحيفة تظهر من عنوانها * فهذا اليوم يوم قرود ولم يبق في البحر ولا سمكة ونحن ما خرجنا اليوم الّا لنصطاد القرود الحمد لله الذي بدل السمك بقرود * ثم التفت الى القرد الثالث وقال له اي شيء تكون انت الأخر يا مشؤم فقال له هل انت لا تعرفني يا خليفة قال لاقال انا قرد ابي السعادات اليهودي الصيرفي* فقال له خليفة واي شيء تصنع فقال له اصبّحه من اول النهار فيكتسب خمسة دنانير وامسيه في أخر النهار فيكتسب خمسة دنانير* فلتفت خليفة الى القرد الاول وقال له انظر يا مشؤم ما احسن قرود الناس واما انت فتصبحني بعرجك وعورك وشؤم طلعتك

ف

فاصير فقيرا مفلسا جائعا * ثم انه اخذ المسوقة ولفها في الهواء ثلث مرات و اراد ان ينزل بها عليه * فقال له قرد ابي السعادات اتركه يا خليفة وارفع يدك وتعال عندي حتى اقول لك اي شيء تعمل * فرمى خليفة المسوقة من يده وتقدم اليه و قال له على اي شيء تقول لي يا سيد القرود كلها * فقال له خذ الشبكة و ارمها في البحر و خلني انا وهؤلاء القرود قاعدين عندك و مهما طلع لك فيها فهاته وتعال عندي وانا اخبرك بما يسرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قرد ابي السعادات لما قال لخليفة خذ شبكتك و ارمها في البحر وكل شيء طلع لك فيها هاته و تعال عندي حتى اخبرك بما يسرك قال له خليفة سمعا و طاعة * ثم انه اخذ الشبكة و طواها على كتفه و انشد هذه الابيات

إذا ضاق صدري أستعين بخالقي ... قدير على تيسير كل عسير
فقبل ارتداد الطرف من لطف ربنا ... فكاك أسير و انجبار كسير
فسلم الى الله الامور جميعها ... فافضاله يدريه كل بصير

ثم انشد ايضا هذين البيتين

انت الذي قد رميت الناس في تعب ... نفي الهموم واسباب البليات
لا تطمعني بشيء لست ادركه ... كم طامع فات تحصيل الارادات

فلما فرغ خليفة من شعره تقدم الى البحر و رمى فيه الشبكة وصبر عليها ساعة ثم سحبها واذا فيها فرخ سمك كبير الراس

و ذنبه كانه مغرفة و عيناه كانهما ديناران * فلما رآه خليفة فرح به لانه ما اصطاد نظيره في عمره فاخذه و هو متعجب منه و اتى به الى قرد ابى السعادات اليهودي وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها * فقال له ما تريد ان تصنع بهذا يا خليفة و اي شيء تعمل في قردك * فقال له خليفة انا اخبرك يا سيد القرود كلها بما افعله * اعلم اني قبل كل شيء اتدبر في هلاك هذا الملعون قردي و اتخذك عوضا منه و اطعمك في كل يوم ما تشتهيه * فقال له القرد حيث انك قد اخترتني فانا اقول لك كيف تفعل انت و يكون فيه صلاح حالك ان شاء الله تعالى * فافهم ما اقوله لك و هو انك تهيئ لي انا الأخر حبلا وتربطني به في شجرة ثم تتركني و تذهب الى وسط الوصيف و تطرح شبكتك في بحر الدجلة و اذا طرحتها فاصبر عليها قليلا و اسحبها فانك تجد فيها سمكة ما رأيت اظرف منها طول عمرك فهاتها و تعال عندي و انا اقول لك كيف تفعل بعد ذلك * فعند ذلك قام خليفة من وقته و ساعته و طرح الشبكة في بحر الدجلة و سحبها فراى فيها سمكة بياض قدر الخروف ما راى مثلها في طول عمره و هي اكبر من الحوت الاول فاخذها و ذهب بها الى القرد * فقال له القرد هات لك قدرا من الحشيش الاخضر و اجعل نصفه في قفة و حط السمكة عليه و غطها بالنصف الأخر و اتركنا مربوطين * ثم احمل القفة على كتفك و ادخل بها في مدينة بغداد و كل من كلمك او سألك فلا ترد عليه جوابا حتى تدخل سوق الصيارف فتجد في صدر السوق دكان المعلم ابى السعادات اليهودي شيخ الصيارف و تراه قاعدا على مرتبة ووراءه مخدة و بين يديه صندوقان واحد للذهب و الأخر للفضة و عنده مماليك و عبيد و غلمان فتقدم اليه و حط القفة

قدامه وقل له يا ابا السعادات اني قد خرجت اليوم الى الصيد و طرحت الشبكة على اسمك فبعث الله تعالى هذه السمكة فيقـــول هل اريتها لغيري فقل له لا والله فياخذها منك و يعطيك دينارا فرده عليه فيعطيك دينارين فردهما عليه وكلما يعطيك شيأ رده عليه و لو اعطاك وزنها ذهبا فلا تأخذ منه شيأ * فيقول لك قل لي ما تريد فقل له و الله ما ابيعها الّا بكلمتين فاذا قال لك وما هما الكلمتان فقل له قم على رجليك و قل اشهدوا يا من حضـــر فى السوق اني ابدلت قرد خليفة الصياد بقردي و ابدلت قسمه بقسمي و بخته ببختي و هذا ثمنها ومالي حاجة بالذهب * فاذا فعل معك ذلك فانا كل يوم اصبحك و امسيك و تبقى كل يوم تكسب عشرة دنانير ذهبا ويصير ابو السعادات اليهودي يصبحه قرده هذا الاعور الاعرج فيبليه الله كل يوم بغرامة يغرمها * و لا يزال كذلك حتى يفتقر و يصير لا يملك شيأ ابدا فاسمع مني ما اقوله لك تسعد وترشد * فلما سمع خليفة الصياد كلام القرد قال له قبلت ما اشرت به عليّ يا ملك القرود كلها * و اما هذا المشوم لا بارك الله فيه فاني لا ادري اي شيء اعمل معه فقال له سيبه فى الماء و سيبني انا الأخر فقال سمعا وطاعة * ثم تقدم الى القرود وحلّها و تركها فنزلت فى البحر و تقدم خليفة الى السمكة و اخذها و غسلها و جعـــل تحتها حشيشا اخضر فى المقطف و غطـــاها بحشيش ايضا و حملها على كتفه و سار يغني بهـــــــــــــذا المـــــوال

سَلِّمْ امُورَكَ الَى رَبِّ السَّمَا تَسْلَمْ وَافعَلْ جَمِيلاً بِطُولِ عُمْرِكَ وَلَا تَنْدَمْ

وَلَا تُعَاشِرْ لِأَرْبَابِ التُّهَمِ تُتَّهَمْ   وَصُنْ لِسَانَكَ وَلَا تَشْتِمْ بِهِ تُشْتَمْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفه الصياد لمــا فرغ من مغانيه حمل القفة على كتفه وسار * ولم يزل سائرا الى ان دخل مدينة بغداد * فلما دخلها عرفه الناس فصاروا يصيحون عليه ويقولون اي شيء معك يا خليفة وهولا يلتفت الى احد منهم حتى وصل الى سوق الصيارف وفات الدكاكين كما اوصاه القرد * ثم نظر الى ذلك اليهودي فرآه جالسا فى الدكان والغلمان في خدمته وهو كأنه ملك من ملوك خراسان * فلما رآه خليفة عرفــه فمشى حتى وقف بين يديه فرفع اليهودي اليه رأسه فعرفه وقال له اهلا بك يا خليفة ما حاجتك وما الذي تريد * فان كان احد كلمك اوخاصمك قل لي حتى اروح معك الى الوالي فياخذ لك حقك منه * فقال لاوحيوة راسك ياقيم اليهود ما كلمني احد وانمــا انا سرحت اليوم من بيتي على بختك ومضيت الى البحــر ورميت شبكتي في الدجلة فطلعت هذه السمكة * ثم فتح المقطف ورمى السمكة قدام اليهودي * فلمــا رآها اليهودي استحسنها وقال وحــق التورئة والشعر والكلمات اني كنت نائما البارحة فرايت فى المنام كاني بين يدي العذراء وهي تقول لي اعلم يا ابا السعادات اني قد ارسلت اليك هدية مليحة فلعل الهدية هذه السمكة من غير شك * ثم انــه التفت الى خليفة وقال له بحق دينك هل رآها احد غيري فقال له خليفة لا واللــه وحق ابي بكر الصــديق يا قيم اليهود ما رآها

احد غيرك * فالتفت اليهودي الى بعض غلمانه و قال له تعال خذ هذه السمكة ورح بهـا الى البيت وخل سعادة تجزها و تقلي وتشوي الى حين اقضي شغلي و اجيء * فقال له خليفة ايضا رح يا غلام خل امرأة المعلم تقلى منها وتشوي منها * فقال الغلام سمعا و طاعة يا سيدي * ثم انه اخذ السمكة و ذهب بها الى البيت واما اليهودي فانه مدّ يده بدينار ونا وله الخليفة الصياد و قال له خذ هذا لك يا خليفة واصرفه على عيالك * فلما نظره خليفة فى كفه قال سبحان مالك الملك وكأنـه ما نظر شيـأ من الذهب في عمره و اخذ الدينار و مشى قليلا * ثم انه تذكر وصية القرد فرجع ورمى له الدينـار و قال له خذ ذهبك و هات سمك الناس هـل انت عندك الناس سخرية * فلما سمع اليهودي كلامه ظن انه يلعب معه فناوله دينارين على الدينار الاول * فقال له خليفة هات السمك بلالعب هل انت تعرف اني ابيع السمك بهذا الثمن * فمدّ اليهودي يده الى اثنين أخرين وقال له خذ هذه الخمسة دنانير حق السمك و اترك الطمـع * فاخذها خليفة في يده و توجه بها وهو فرحان وصـار ينظر الى الذهب ويتعجب منـه ويقول سبحـان الله ليس مع خليفـة بغداد مثـل ما معي في هذا اليـوم و لم يـزل سائـرا حتي وصـل الى راس السوق * ثم تذكر كلام القرد و الوصية التي اوصاه بها فرجع الى اليهـودي و رمى له الذهب فقال له مالك يا خليفة اي شيء تطلب اتاخـذ صرف دنانيرك دراهم * فقال له لا اريد دراهم ولا دنانير و انما اريد ان تعطيني سمك الناس * فغضب اليهودى و صرخ عليه و قال له يا صيـاد اتجيء لي بسمكة لا تساوي دينارا و اعطيك فيها خمسة

دنانير فلا ترضى هل انت مجنون قل لي بكم تبيعها * فقال له خليفة
انا لا ابيعها بفضة ولا بذهب و ما ابيعها الا بكلمتين تقولهما لي *
فلما سمع اليهودي قوله كلمتين قامت عيناه في ام رأسه وضاقت
انفاسه و قرط على اضراسه * و قال له يا نطاعة المسلمين هل تريد
ان افارق ديني لاجل سمكتك و تفسد عليّ ملتي و عقيدتي
التي وجدت عليها آبائي من قبلي * و صاح على غلمانه فحضروا
بين يديه فقال لهم و يلكم دونكم هذا النحس قطعوا بالصك قفاه
و اكثروا من الضرب اذاه * فنزلوا عليه بالضرب و ما زالوا يضربونه
حتى وقع تحت الدكان * فقال لهم اليهودي خلوا عنه حتى يقوم فقام
خليفة على حيله كأنه لم يكن به شيء * فقال له اليهودي قل لي اي
شيء تريده في ثمن هذه السمكة و انا اعطيك اياه فانك مانلت
منا خيرا في هذه الساعة * فقال خليفة لاتخف عليّ يا معلم من
الضرب لاني أكل ضربا قدر عشرة حمير * فضحك اليهودي من كلامه
و قال له بالله عليك قل لي اي شيء تريده وانا وحق ديني اعطيك
اياه فقال له لايرضيني منك في ثمن هذه السمكة الا كلمتان * فقال له
اليهودي اظن انك تطلب مني ان اسلم فقال له خليفة والله يايهودي
ان اسلمت فاسلامك لا ينفع المسلمين ولا يضر اليهود * وان بقيت
على كفرك فكفرك لا يضر المسلمين ولا ينفع اليهود * ولكن اللذي
اطلبه منك ان تقوم على قدميك و تقول اشهدوا عليّ يا اهل
السوق اني قد ابدلت قردي بقرد خليفة الصياد وحظي في الدنيا بحظه
و بختي ببخته * فقال اليهودي ان كان هذا الامر مرادك فهو عليّ
هيّن و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اليهودي قال لخليفة الصياد ان كان هذا الامر مرادك فهو عليّ هيّن * ثم قام اليهودي من وقته و ساعته و وقف على قدميه و قال مثل ما قال له خليفة الصياد * و بعد ذلك التفت اليه و قال له هل بقي لك عندي شيء فقال الصيادلا فقال له اليهودي مع السلامة * فنهض خليفة من وقته و ساعته و اخذ قفته و شبكته و جاء الى بحر الدجلة و رمى الشبكة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما طلعها الّا بعد جهد * فلما طلعها رآها ملآنه با لسمك من جميع الاصناف فجاءت له امراة و معها طبق فاعطته دينارا فاعطاها به سمكا * وجاء اليه خادم أخر و اخذ منه بدينار وهكذا حتى باع سمكا بعشرة دنانير * ولم يزل يبيع في كل يوم بعشرة دنانير الى نهاية عشرة ايام حتى جمع مائة دينار ذهبا * و كان لذلك الصياد بيت من داخل ممر التجار * فبينما هو نائم في بيته ليلة من الليالي اذ قال في نفسه يا خليفة ان الناس كلهم يعرفون انك رجل فقير صياد و قد حصل معك مائة دينار من الذهب * فلا بد ان امير المؤمنين هارون الرشيد يسمع بخبرك من احاد الناس * فربما يحتاج الى مال فيرسل اليك و يقول لك اني محتاج الى مبلغ من الدنانير * و قد بلغني ان عندك مائة دينار فاقرضني اياها * فاقول يا امير المؤمنين انا رجل فقير والذي اخبرك ان عندي مائة دينار كذب عليّ و ليس معي ولا عندي شيء من ذلك فيسلمني الى الوالي و يقول له جرّده من ثيابه و عاقبه بالضرب

من هذه الورطة اني اقوم في هذه الساعة و اعاقب نفسي بالسوط لاكون قد تمرّنت على الضرب * و قال له حشيشه قم تجرّد من ثيابك فقام من وقته و ساعته و تجرّد من ثيابه و اخذ في يده سوطا كان عنده * وكان عنده مخدّة من جلد فصار يضرب على تلك المخدة ضربة و على جلده ضربة و يقـــول آه آه و الله ان هذا كلام باطل يا سيـــدي و انهم يكذبون عليّ و انا رجل فقيـــر صياد وليس معي شيء من حطـــام الدنيا * فسمع الناس خليفة الصياد و هو يعاقب نفســـه ويضرب فوق المخـــدة بالسوط * ولوقع الضرب على جسده و على المخدّة دويّ في الليل * ومن جملة من سمعه التجار * فقالوا يا ترى ما لهـــذا المسكين يصيح و نسمع وقع الضرب نازلا عليه فكأنّ اللصوص قد نزلوا عليه و هم الذين يعاقبونه * فعند ذلك قاموا كلهم على حسّ الضرب و الصياح وخرجوا من منازلهم و جاؤا الى بيت خليفة فرأوه مقفولا * فقالوا لبعضهم ربما تكون اللصـــوص نزلوا عليه من وراء القاعة فينبغي ان نطلع من السطوح فطلعـوا السطوح و نزلوا من الممرق * فرأوه عريانا و هو يعاقب نفسه فقالوا له مالك يا خليفة اي شيء خبرك * فقال لهم اعلموا يا جماعة اني حصلت بعـــض دنانير و انا خائف ان يـــرفع امري الى امير المؤمنيـــن هارون الرشيد فيحضرني بين يديه و يطلب مني تلك الدنانيـــر فانكر * واذا انكرت اخاف ان يعاقبني فها انا اعاقب نفسي و اجعل ذلك تمرينا لنفسي على ما يأتي * فضحك عليه التجار و قالوا له اترك هذه الفعال لا بارك الله فيك ولا في الدنانير التي جاءتك * فعلى اقلقتنـــا في هذه الليلة و ازعجت قلوبنا فبطل خليفة الضرب عن نفسه و نام الى الصباح * فلما قام من النـــوم واراد ان يذهب الى

ق

شغله تفكر في امر المائة دينار التي حصلت معه و قال في نفسه اذا تركتها في البيت يسرقها اللصوص * و ان وضعتها في كمر على وسطي فربما ينظرهم احد فيترصدني حتى انفرد في مكان خال عن الناس فيقتلني و يأخذها مني * ولكن انا افعل شيأ من الحيل و هو مليح نافع جدا * ثم انه نهض من وقته و ساعته وخيط له جيبا في طوق جبته و ربط المائة دينار في صرّة و وضعها في ذلك الجيب الذي عمله * ثم قام واخذ شبكته وقفّته و عصاه و سار حتى وصل الى بحر دجلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما وضع المائة دينار في جيبه اخذ قفّته و عصاه و شبكته و ذهب الى بحر دجلة و رمى شبكته فيه ثم سحبها فلم يطلع له شيء * فانتقل من ذلك الموضع الى موضع غيره ورمى شبكته فيه فلم يطلع له شيء * ولم يزل ينتقل من مكان الى مكان حتى بعد عن المدينة مسافة نصف يوم وهو يرمي الشبكة ولم يطلع له شيء * فقال في نفسه والله اني ما بقيت ارمي شبكتي في الماء الّا هذه المرة فامّا عليها وامّا بها * فطرح الشبكة بقوة عزمه و شدة غيظه فطارت الصرّة التي فيها المائة دينار من طوقه و وقعت في وسط البحر و راحت في قوة التيّار * فرمى الشبكة من يده و تجرد من ثيابه و تركها على البر ونزل في البحر وغطس خلف الصرة * ولم يزل يغطس ويطلع نحو مائة مرة حتى ضعفت قوته و طلع هفتانا فلم يقع بتلك الصرة * فلما يئس منها طلع الى البر فلم يجد سوى العصا والشبكة و القفة وطلب

ثيابه فلم يقع لها على اثر * فقال في نفسه الهجن ما يضرب به المثل لا تكمل التحفة الا بنيك الجمل * ثم انه فرد الشبكة والتف فيها واخذ العصا في يده والقفة على كتفه وسار يهرول مثل الجمل الهائم يجري يمينا و شمالا وخلفا واماما اشعث اغبر كالعفريت المتمرد اذا انطلق من السجن السليماني * هذا ماكان من امر خليفة الصياد * واما ماكان من امر الخليفة هارون الرشيد فانه كان له صاحب جوهري يقال له ابن القرناص وقد كان جميع الناس والتجار والدلالين والسماسرة يعرفون ان ابن القرناص تاجر الخليفة * وجميع ما يباع في مدينة بغداد من التحف و غيرها من الامور المثمنة لا يباع حتى يعرض عليه * و من جملة ذلك المماليك والجواري * فبينما ذلك التاجر الذي هو ابن القرناص جالس في دكانه يوما من الايام * واذا بشيخ الدلالين قد اقبل عليه ومعه جارية ما رأى الراؤن مثلها وهي في غاية من الحسن و الجمال و القد والاعتدال * ومن جملة محاسنها انها تعرف في جميع العلوم والفنون وتنظم الاشعار وتضرب على جميع آلات الطرب * فاشتراها ابن القرناص الجوهري بخمسة آلاف دينار ذهبا وكساها بالف دينار واتى بها الى امير المؤمنين * فباتت عنده تلك الليلة واختبرها الخليفة في كل علم و في كل فن فرآها عارفة بجميع العلوم والصنائع ليس لها في عصرها نظير وكان اسمها قوت القلوب وهي كما قال الشاعر

أُرَدِّدُ الطَّرْفَ فِيهَا كُلَّمَا سَفَرَتْ   وَفِي تَمَنُّعِهَا لِلطَّرْفِ رَنَّاتُ
تَحْكِي الغَزَالَ بِجِيدٍ كُلَّمَا التَفَتَتْ   وَلِلْغَزَالِ كَمَا قَدْ قِيلَ لَفْتَاتُ

وابن هذا من قول الآخر

حكاية اشتراء ابن القرناص الجوهري جاريه عالمة فائقة في الحسن اسمها قوت القلوب لاجل الخليفه هارون الرشيد

*

مَنْ لِي بِأَسْمَرَ تُرْوَى عَنْ مَعَاطِفِهِ السُّمْرِ الرِّشَاقُ عَوَالٍ سَمْهَرِيَّاتُ
سَاجِي الجُفُونِ حَرِيرِيِّ العِذَارِ لَهُ فِي قَلْبِ عَاشِقِهِ المُضْنَى مَقَامَاتُ

فلما اصبح الصباح ارسل الخليفة هارون الرشيد الى ابن القرناص الجوهري فلما حضر رسم له بعشرة آلاف دينار ثمن تلك الجارية * ثم ان الخليفة اشتغل قلبه بتلك الجارية المسمّاة بقوت القلوب * وترك السيدة زبيدة بنت القاسم وهي بنت عمه وترك جميع المحاظي وقعد شهرا كاملا لم يخرج من عند تلك الجارية الّا لصلوة الجمعة ثم يعود اليها على الفور * فعظم ذلك على ارباب الدولة فشكوا هذا الامر الى الوزير جعفر البرمكي * فصبر الوزير على امير المؤمنين حتى كان يوم الجمعة * فدخل الجامع واجتمع بامير المؤمنين وحكى له جميع ماوقع له من القصص التي تتعلق بالعشق الغريبة لاجل ان يستخرج ما عنده * فقال له الخليفة يا جعفر والله ان ذلك الامر ليس باختياري ولكن قلبي تعلق في شرك الهوى وما ادري كيف يكون العمل * فقال له الوزير جعفر اعلم يا امير المؤمنين ان هذه المحظية قوت القلوب قد صارت تحت امرك ومن جملة خدمك وما تملكه اليد تزهده النفس وانا اخبرك بشيء آخر وهو ان احسن ما تفتخر به الملوك وابناء الملوك هو الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص * فاذا فعلت ذلك ربما تشتغل به عنها وربما تنساها * فقال له الخليفة نعم ما قلته يا جعفر فامض بنا على الفور في هذه الساعة الى الصيد * فلما انقضت صلوة الجمعة خرجا من الجامع وركبا من وقتهما وساعتهما وسارا الى الصيد والقنص وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد لما طلع هو وجعفر الى الصيد و القنص سارا حتى و صلا الى البرية * وقد كان امير المؤمنين و الوزير جعفر راكبين على بغلتين فتشاغلا في الحديث مع بعضهما و سبقهما العسكر و قد حمي عليهما الحر * فقال الرشيد يا جعفر اني قد لحقني العطش الشديد * ثم ان الرشيد مدّ نظره فرأى زوالا على كوم عال * فقال للوزير هل انت ناظر ما انا ناظره فقال له الوزير نعم يا امير المؤمنين انظر زوالا على كوم عال وهو اما حارس بستان اوحارس مقاتة وعلى كل حال فلا تخلو جهته من الماء * ثم قال الوزير انا امضي اليه وآتيك بالماء من عنده * فقال الرشيد ان بغلتي اسرع من بغلتك فقف انت ههنا من اجل العسكر وانا اروح بنفسي و اشرب من عند هذا الشخص واعود * ثم ان الرشيد ساق بغلته فخرجت مثل الريح في المسير اومثل الماء في الغدير * و لم تزل منطلقة به حتى وصل الى ذلك الزوال في مقدار لمح البصر فلم يجد ذلك الزوال الّا خليفة الصياد فرآه الرشيد وهو عريان ملتف بالشبكة وعيناه من غاية الاحمرار كأنهما مشاعل النار بصورة هائلة وقامة مائلة و هو اشعث اغبر كأنه عفريت اوغضنفر * فسلم عليه الرشيد فرد عليه السلام وهو غضبان ومن نفسه تلتهب النيران * فقال له الرشيد يا رجل هل عندك شيءٌ من الماء * فقال له خليفة يا هذا هل انت اعمى اومجنون فدونك بحر دجلة فانه وراء هذا الكوم * فدار الرشيد من خلف الكوم ونزل الى بحر دجلة و شرب وسقي بغلته * ثم طلع

من وقته وساعته ورجع الى خليفة الصياد فقال له ما شانك يا رجل واقفا هنا وما صنعتك * فقال له خليفة ان هذا السؤال اعجب واغرب من سوالك عن الماء اما ترى آلة صنعتي على كتفي * فقال له الرشيد كأنك صياد فقال له نعم * فقال له الرشيد فاين جبتك واين شملتك واين حزامك واين ثيابك * وقد كانت الحوائج التي راحت من خليفة مثل الذي ذكرها له سواء بسواء * فلما سمع خليفة ذلك الكلام من الخليفة ظن في نفسه انه هو الذي اخذ ثيابه من على شاطئ البحر * فنزل خليفة من وقته وساعته من فوق الكوم اسرع من البرق الخاطف وقبض على لجام بغلة الخليفة وقال له يا رجل هات لي حوائجي وخل عنك اللعب والمزاح * فقال له الخليفة انا والله ما رأيت ثيابك ولا اعرفها وقد كان الرشيد له خدود كبار وفم صغير * فقال له خليفة لعل صنعتك انك مغن اوزمّار ولكن هات لي ثيابي بالتي هي احسن والّا اضربك بهذه العصا حتى تبول على نفسك وتلوث ثيابك * ثم ان الخليفة لما عاين العصا مع خليفة الصياد وغلبته عليه قال في نفسه والله انا ما احمل من هذا الصعلوك الهوتري نصف ضربة بهذه العصا * وكان على الرشيد قباء من الطلس فقلعه وقال لخليفة يا رجل خذ هذا القباء عوضا عن ثيابك فاخذه خليفة وقلبه وقال ان ثيابي تساوي عشرة مثل هذه العباءة المزوّقة * فقال الرشيد البسه حتى اجيء لك بثيابك فاخذه خليفة ولبسه فرآه طويلا عليه * وقد كان مع خليفة سكين مربوطة في اذن القفة فاخذها وقطع بها ذيل القباء مقدار ثُلُثة حتى صار لتحت ركبته * ثم انه التفت الى الرشيد وقال له بحق الله عليك يا زمّار ان تخبرني عن قدر جامكيتك في كل شهر عند استاذك في صنعة

المـــزمار فقال له الخليفة جامكيتي في كل شهر عشرة دنانير ذهبا فقال له خليفة و الله يا مسكين لقد حملتني همـــك * و الله ان العشرة دنانير اكتسبها في كل يوم فهـــل تريد ان تكون معي في خدمتي و انا اعلمك صنعة الصيد و اشارکک فى المكسب فتحمـــل في كل يوم بخمسة دنانير وتكون غلامي و احميك من استـــاذک بهذه العصا * فقال له الرشيد رضيت بذلک فقال له خليفة انزل الآن من فوق ظهر الحمارة و اربطها حتى تبقى تنفعنا في حمل السمک وتعال حتى اعلمک الصيد في هذه الساعة * فعند ذلک نزل الرشيد عن ظهر بغلته وربطها و شمّر اذياله في دور منطقته * فقال له خليفة يا زامر امسک هذه الشبكة كذا واعملها على ذراعک كذا و ارمها في بحر الدجلة كذا * فقوّى الرشيد قلبه وفعل مثل ما اراه خليفة ورمى الشبكة فى البحر وسحبها فما قدر ان يطلعها فجاء اليه خليفة و سحبها معه فلم يقدرا على تطليعها * فقال له خليفة يا زامر النحس ان كنت اخـــذت عباءتک عوضا عن ثيابي فى المرة الاولى ففـــي هذه المرة أخذ حمارتک في شبكتي ان رأيتها تقطعت واضربک حتى تنساب على روحک وتخرأ * فقال له الرشيد اسحب انا و انت معا فسحبها الاثنان معا فما قدرا ان يطلعا تلک الشبكة الّا بالمشقة * فلما اطلعاها نظراها فاذاهي ملآنة من جميع انواع السمک و من سائر الوانه و ادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملک السعيد ان خليفة الصياد لما طلع الشبكة هو والخليفة رأياها ملآنة من جميع اصناف السمک * فقال له خليفة

و الله يا زمار انك قبيح * و لكن اذا عانيت الصيد تكون صيادا عظيما فالرأي الصواب انك تركب حمارتك و تروح الى السوق و تأتي بفردين و انا احفظ هذا السمك حتى تحضر و نحمله انا و انت على ظهر حمارتك * و عندي الميزان و الارطال و جميع ما نحتاج اليه فنأخذ الجميع معنا و ليس عليك الا ان تمسك الميزان و تقبض الاثمان * فان معنا سمكا يساوي عشرين دينارا فاسرع بمجيء الفردين ولا تبطئ * فقال له الخليفة سمعا و طاعة ثم تركه و ترك السمك وساق بغلته و هو في غاية الفرح ولم يزل يضحك على ما جرى له مع الصياد حتى وصل الى جعفر * فلما رآه جعفر قال له يا امير المؤمنين لعلك لما رحت الى الشرب وجدت بستانا طيبا فدخلته و تفرجت فيه وحدك * فلما سمع الرشيد كلام جعفر ضحك ثم ان جميع البرامكه قاموا و قبلوا الارض بين يديه و قالوا له يا امير المؤمنين ادام الله عليك الافراح واذهب عنك الاتراح ما سبب تاخيرك حين ذهبت الى الشرب وما الذى جرى لك * فقال لهم الخليفة لقد جرى لي حديث غريب و امر مطرب عجيب * ثم اعاد عليهم حديث خليفة الصياد وما جرى له معه من قوله انت سرقت ثيابي ومن كونه اعطاه قباه و من كون الصياد قطع القباء لما رآه طويلا * فقال جعفر والله يا امير المؤمنين لقد كان في خاطري اني اطلب القباء منك ولكن اروح في هذه الساعة الى الصياد واشتريها منه * فقال له الخليفة والله لقد قطع ثلثها من جهة ذيلها واتلفها * ولكنني يا جعفر قد كليت من صيدي في البحر لاني قد اصطدت سمكا كثيرا وهو على شاطئ البحر عند معلمي خليفة فانه واقف هناك ينتظرني حتى ارجع اليه وآخذ له فردين ومعهما الساطور* ثم

اروح انا واياه الى السوق فنبيعه و نقسم ثمنه * فقال له يا امير المؤمنين وانا اجيء اليكم بالذي يشتري منكم * فقال له الخليفة يا جعفر وحق أبائي الطاهرين ان كل من جاءلي بسمكة من السمك الذي قدام خليفة الذي علمني الصيد اعطيه فيها دينارا ذهبا * فنادى المنادي في العسكر ان اطلعوا واشتروا سمكا لامير المؤمنين فطلع المماليك وقصدوا شاطئ البحر * فبينما خليفة ينتظر امير المومنين حتى يحضر له قردين واذا بالمماليك قد انقضّوا عليه مثل العقبان واخذوا السمك ووضعوه في مناديل مزركشة من الذهب وصاروا يتضاربون عليه * فقال خليفة لاشك ان هذا السمك من سمك الجنة * ثم اخذ سمكتين بيده اليمنى وسمكتين بيده اليسرى ونزل في الماء الى حلقه وصار يقول يا الله بحق هذا السمك ان عبدك الزمّار شريكي يجيء في هذه الساعة * واذا بعبد قد اقبل عليه وكان ذلك العبد مقدما على جميع العبيد الذين كانوا عند الخليفة * وكان سبب تأخيره عن المماليك ان جواده وقف يبول في الطريق * فلما وصل عند خليفة وجد السمك لم يبق منه شيء قليل ولا كثير فنظر يمينا وشمالا فراى خليفة الصياد واقفا في الماء ومعه السمك * فعند ذلك قال له يا صياد تعال فقال له الصياد رح بلا فضول * فتقدم اليه الخادم وقال له هات هذا السمك وانا اعطيك الثمن * قال خليفة الصياد للخادم هل انت قليل العقل انا لاابيعه * فسحب عليه الدبوس فقال له خليفة لاتضرب يا شقي فالانعام خير من الدبوس * ثم انه رمى اليه السمك فاخذه الخادم وجعله في منديله وحطّ يده في جيبه فلم يجد ولا درهما واحدا * فقال العبد يا صياد ان بختك مشئوم وانا والله ما معي شيء من الدراهم

ولكن في غد تعال في دار الخلافة وقل دلّوني على الطواشي صندل فيدلّك الخدام عليّ فاذا جئتني هناك يحصل لك الذي فيه النصيب فتأخذه وتروح الى حال سبيلك * فعند ذلك قال خليفة ان هذا اليوم مبارك وبركته ظاهرة من اوله * ثم انه اخذ شبكته على كتفه و مشى حتى دخل بغداد ومشى في الا سواق فرأى الناس خلعة الخليفة عليه وصاروا ينظرون اليه حتى دخل الحارة وكان دكان خيّاط امير المؤمنين على باب الحارة فنظر الخياط خليفة الصياد وعليه خلعة تساوي الف دينار وهي من ملابس الخليفة * فقال يا خليفة من اين لك هذه الفرجية فقال له خليفة واي شيء لك في الفضول انا اخذتها من الذي علمته الصيد وصار غلامي وعفوت عنه من قطع يده لانه سرق ثيابي واعطاني هذه العباءة عوضا عنها * فعلم الخياط ان الخليفة قد عبر عليه وهو يصطاد ومزح معه واعطاه الفرجية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخياط علم ان الخليفة قد عبر على خليفة الصياد وهو يصطاد وقد مزح معه واعطاه الفرجية * ثم توجه الصياد الى بيته هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر الخليفة هارون الرشيد فانه ما طلع الى الصيد و القنص الاّ لاجل ما يشتغل عن الجارية قوت القلوب * وكانت زبيدة لما سمعت بالجارية واشتغال الخليفة بها اخذها ما يأخذ النساء من الغيرة حتى امتنعت من الطعام والشراب وهجرت لذيذ المنام وصارت تنتظر غياب الخليفة اوسفره حتى تنصب لقوت القلوب شرك المكائد *

فلما علمت ان الخليفة خرج الى الصيد و القنص امرت الجواري ان يفرشن الدار واكثرت من الزينة و الافتخار * ووضعت الاطعمة والحلويات وعملت من جملة ذلك طبقا صينيا فيه حلاوة من الطف ما يكون ووضعت فيه البنج وبنّجته * ثم انها امرت بعض الخدام ان يمضي الى الجاريـــة قوت القلوب ويدعوها الى زاد السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين * و يقول لها ان زوجة امير المؤمنين قد شربت اليوم دواء و قد سمعت بطيب نغمك فاشتهت ان تتفرج على شيء من صناعتك فقالت سمعا وطاعة لله وللسيدة زبيدة * ثم انها نهضت قائمـــة من و قتها وساعتها ولم تعلم بما هو مخبوء لها في الغيب واخذت معها ما تحتاج من الآلات وسارت مع الخادم * ولم تزل سائرة حتى دخلت على السيدة زبيدة * فلما دخلت عليها قبلت الارض بين يديها مرارا عديدة * ثم نهضت قائمة على قدميها وقالت السلام على الستر الرفيع و الجناب المنيـع و السلالة العباسية و البضعة النبويـــة بلغك الله الاقبال والسلام في الايام و الاعوام * ثم وقفت من جملـــة الجواري و الخدام فعند ذلك رفعت اليها السيدة زبيدة رأسها ونظرت الى حسنها وجمالها * فرأت جارية اسيلة الخدود رمّانية النهود بوجه اقمر و جبين ازهر و طرف احور قد سكنت جفونها فتورا وابتهج وجهها نورا * كأنّ الشمس تطلع من غرّتها و ظلام الليل من طرّتها و المسك يفوح من نكهتها والازهار تزهو من بهجتها و القمر يبدو من جبينها و الغصن يميل من قدها كأنها البدر التام قد اشرق في جنح الظلام * وقد تغزلت عيناها و تقوست حاجباها وصيغت من المرجان شفتاها * تذهل بحسنها من نظرها و تسحر بطرفها كل من رأها جلّ من خلقها و كملها و سوّاها و هي كما قال الشاعر فيمن ضـــا ها ها

اِذَا غَضِبَتْ رَأَيْتَ النَّاسَ قَتْلَى وَاِنْ رَضِيَتْ فَاَرْوَاحٌ تَعُودُ
لَهَا مِنْ طَرْفِهَا لَحَظَاتُ سِحْرٍ تُمِيتُ بِهَا وَتُحْيِي مَنْ تُرِيدُ
وَتَسْبِي الْعَالَمِينَ بِمُقْلَتَيْهَا كَأَنَّ الْعَالَمِينَ لَهَا عَبِيدُ

ثم ان السيدة زبيدة قالت لها اهلا وسهلا ومرحبا بك ياقوت القلوب اجلسي حتى تفرجينا على اشغالك وحسن صناعتك فقالت سمعا وطاعة * ثم جلست ومدت يدها واخذت الدف الذي قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

اَيَا ذَا الطَّارِ مُلْبِسِي طَارَ شَوْقاً وَيَصْرُخُ مِنْ جَوَاهُ وَاَنْتَ تَضْرِبُ
فَلَمْ تَأْخُذْ سِوَى قَلْبٍ جَرِيحٍ عَلَى تَوْقِيعِكَ الْاِنْسَانُ يَرْغَبُ
فَقُلْ قَوْلاً ثَقِيلاً اَوْ خَفِيفاً وَلَحِّنْ مَا تَشَاءُ فَاَنْتَ تُطْرِبُ
وَطِبْ وَاخْلَعْ عِذَارَكَ يَا مُحِبُّ وَقُمْ وَارْقُصْ وَمِلْ وَاعْجَبْ وَعَجِّبْ

ثم ضربت ضربا كثيرا وغنت حتى اوقفت الطير وهاج بهم المكان ثم حطت الدف واخذت الشبابة التي قيل فيها هذا البيت

لَهَا اَعْيُنٌ اِنْسَانُهَا بِاَصَابِعٍ يُشِيرُ اِلَى لَحْنٍ صَحِيحٍ بِلَا شَكْلِ

وكما قال الشاعر ايضا هذا البيت

اِذَا اَنْهَتْ اِلَى الْقَصْدِ الْاَغَانِي يَطِيبُ الْوَقْتُ مِنْ طَرَبٍ بِوَصْلِ

ثم انها حطت الشبابة بعد ان طرب بها كل من حضر ثم اخذت العود الذي قال فيه الشاعر

وَغُصْنٍ رَطِيبٍ عَادَ عُودًا لِقَيْنَةٍ تَحِنُّ اِلَيْهِ الْاَكْرَمُونَ الْاَفَاضِلُ
تَجُسُّ وَتَبْلُوهُ لِفَرْطِ ذَكَائِهَا بِاَنْمُلِهَا مَا اَتْقَنَتْهُ السَّلَاسِلُ

فشدت اوتاره و حركت أثانه و حطته في حجرها و انحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها فكأن الشاعر قال فيها و في عودها هذه الابيات

قَدْ أَفْصَحَتْ بِالْوَتَرِ الأَعْجَمِيّ ... وَأَفْهَمَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمِ
وَخَبَّرَتْ أَنَّ الْهَوَى قَاتِلٌ ... يُرْدِي بِعَقْلِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ
جَارِيَةٌ لِلّٰهِ مِنْ كَفِّهَا ... مُصَوَّرٌ يَنْطِقُ عَنْ ذِي فَمِ
قَدْ حَبَسَتْ بِالْعُودِ مَجْرَى الْهَوَى ... حَبْسَ الطَّبِيبِ الْعَذْلِ مَجْرَى الدَّمِ

ثم ضربت اربع عشرة طريقة و غنت عليه نوبة كاملة حتى اذهلت الناظرين و اطربت السامعين ثم انشدت هذين البيتين

قَدُومُ عَلَيْكَ مُبَارَكٌ ... فِيهِ السُّرُورُ يَجَدَّدُ
إِقْبَالُهُ مُتَوَاتِرٌ ... وَنَعِيمُهُ لَا يَنْفَدُ

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قوت القلوب لما غنت الاشعار و ضربت على الاوتار بين يدي السيدة زبيدة قامت بعد ذلك ولعبت بالشعبذة والدكيات وكل فن مليح حتى ان السيدة زبيدة كادت ان تعشقها و قالت في نفسها ما يلام ابن عمي الرشيد في عشقها * ثم ان الجارية قبلت الارض بين يدي زبيدة و قعدت فقدموا لها الطعام ثم قدموا الحلوى و قدموا الصحن الذي فيه البنج فاكلت منه * فما استقرت الحلوى في جوفها حتى انقلبت راسها و انطرحت على الارض نائمة * فقالت السيدة زبيدة للجواري ارفعنها الى بعض المقاصير حتى اطلبها فقلن لها سمعا و طاعة * ثم قالت لبعض

الخدام اعمل لنا صندوقا و ائتني به * ثم امرت ان يعمل صورة قبر ويشيعوا ان الجارية قد شرقت و ماتت و نبهت على خواصها ان كل من قال انها بالحيوة تضرب رقبته * و اذا بالخليفة قد اتى في تلك الساعة من الصيد و القنص و اول ما سأل سأل عن الجارية * فتقدم اليه بعض خدمه وقد كانت اوصته السيدة زبيدة انه اذا سأله الخليفة عنها يقول له انها ماتت فقبل الارض بين يديه و قال له يا سيدي تعيش راسك و تيقن ان قوت القلوب غصّت بالطعام فماتت * فقال الخليفة لا بشّرك الله بالخير يا عبد السوء ثم قام و دخل القصر فسمع بموتها مِنْ كل مَن في القصر * فقال اين قبرها فاتوا به الى التربة واروه القبر الذي عمل تزويرا وقالوا له هذا قبرها * فلما نظره صاح و اعتنق القبر و بكى وانشد هذين البيتين

بِاللّهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا ... وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا أَنْتَ لَا رَوْضٌ وَلَا أُفُقٌ ... فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

ثم ان الخليفة بكى عليها بكاء شديدا و مكث هناك ساعة زمانية * ثم قام من عند القبر و هو في غاية الحزن فعلمت السيدة زبيدة ان حيلتها قد تمت * فقالت للخادم هات الصندوق فاحضره بين يديها فاحضرت الجارية ووضعتها فيه و قالت للخادم اجتهد في بيع الصندوق و اشترط على من يشتريه انه يشتريه وهو مقفول ثم تصدّق بثمنه * فاخذه الخادم و خرج من عندها وامتثل امرها هذا ما كان من امر هؤلاء * و اما ما كان من امر خليفة الصياد فانه لما اصبح الصباح و اضاء بنوره ولاح قال ليس لي شغل في هذا اليوم احسن من رواحي الى الطواشي الذي قد اشترى مني السمك فانه

واعدني ان اروح اليه في دار الخلافة * ثم ان خليفة خرج من داره قاصدا دار الخلافة * فلما وصل اليها وجد المماليك و العبيد و الخدم قياما و قعودا * فتأملهم و اذا بالخادم الذي اخذ منه السمك جالس و المماليك في خدمته فصاح عليه غلام من المماليك فالتفت اليه الخادم لينظر من هو و اذا هو بالصياد * فلما عرف الصياد انه رآه و تحقق ذاته قال له ما قصرت يا شُقَير هكذا تكون اصحاب الامانات * فلما سمع الخادم كلامه ضحك عليه و قال له والله لقد صدقت يا صياد * ثم ان الخادم صندل اراد ان يعطيه شيأ فمدّ يده الى جيبه و اذا بصياح عظيم فرفع الخادم رأسه لينظر ما الخبر * واذا بالوزير جعفر البرمكي خارج من عند الخليفة * فلما رآه الخادم نهض اليه قائما و مشى بين يديه و صارا يتحدثان و هما ماشيان حتى طال الوقت فوقف خليفة الصياد مدة و الخادم لم يلتفت اليه * فلما طال وقوفه تعرّض اليه الصياد و هو بعيد عنه و اشار اليه بيده و قال يا سيدي شُقَير خلني اروح * فسمعه الخادم و استحى ان يرد عليه بسبب حضور الوزير جعفر و صار الخادم يتحدث مع الوزير و يتشاغل عن الصياد * فقال خليفة يا مُماطِل قبح الله كل ثقيل و كل من يأخذ متاع الناس و يتثاقل عليهم انا دخيلك يا سيدي كِرش النخال ان تعطيني الذي لي لاجل ان اروح * فسمعه الخادم فاستحى من جعفر و رآه ايضا جعفر و هو يشير بيديه و يتحدث مع الخادم * ولكنه لم يعرف ما يقول له * فقال للخادم وقد انكر عليه ياطواشي اي شيء يطلب منك هذا السائل المسكين * فقال له صندل الخادم اما تعرف هذا يا مولانا الوزير * فقال الوزير جعفر والله ما اعرفه و من اين اعرف هذا و انا ما رأيته الا في هذه

الساعة فقال له الخادم يا مولانا هذا الصياد الذي نهبنا سمكه من شاطئ دجلة * وكنت انا ما لحقت شياً و استحييت ان ارجع الى امير المومنين بلا شي. وكل المماليك قد اخذوا * فلما وصلت اليه وجدته واقفا في وسط البحر يدعو الله و معه اربع سمكات فقلت له هات ما معك و خذ حقه فلما اعطاني السمك ادخلت يدي في جيبي و اردت ان اعطيه شياً فما رايت فيه شياً. * فقلت له تعال اليّ في القصر وانا اعطيك شياً تستعين به على فقرك * فجاء ني في هذا اليوم فمددت يدي و اردت ان اعطيه شياً فجئت انت فقمت في خدمتك واشتغلت بك عنه * فطال عليه الامر فهذه قصته و هذا سبب وقوفه و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان صندل الطواشي لما حكى لجعفر البرمكي حكاية خليفة الصياد قال له بعد ذلك فهذه قصته و هذا سبب وقوفه * فلما سمع الوزير كلام الطواشي تبسم منه وقال يا طواشي كيف جاء هذا الصياد في وقت حاجته و لم تقضها له اما تعرفه يا رئيس الطواشية * قال لا قال هذا معلم امير المومنين و شريكه و قد اصبح اليوم مولانا الخليفه ضيق الصدر حزين القلب مشتغل البال و ماله شيء يشرح صدره الاّ هذا الصياد * فلا تخله يروح حتى اشاور عليه الخليفة و احضره بين يديه فلعل الله يفرج ما به ويسليه على فقد قوت القلوب بسبب حضوره فيعطيه شياً يستعين به فتكون انت السبب في ذلك * فقال له الخادم يا مولاي افعل ما تريد فالله تعالى يبقيك ركنا لدولة امير المومنين ادام الله ظلها وحفظ فرعها و اصلها *

ثم ان الوزير جعفر نهض متوجها الى الخليفه و الخادم امر المماليك انهم لا يفارقون الصياد * فقال خليفة الصياد عند ذلك ما اجمل احسانك يا شُقَير قد صار الطالب مطلوبا لاني جئت لاطلب مالي فحبسوني على البواقي * فلما دخل جعفر على الخليفة وجده قاعدا وهو مطرق برأسه الى الارض ضيق الصدر كثير الفكر يترنّم بقول الشاعر

تُكلِّمُني السُّلْوَانَ عَنْهَا عَوَاذِلِي ... وَمَالِيَ عَلَى قَلْبِي اِذَا لَمْ يُطِعْ اَمْرِي
وَكَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ عَنْ حُبِّ طِفْلَةٍ ... عَلَى حُبِّهَا فِي الهَجْرِ لَا يَجْدِي صَبْرِي
وَلَمْ اَنْسَهَا وَالكَاسُ قَدْ دَارَ بَيْنَنَا ... وَقَدْ مَالَ بِي مِنْ خَمْرِ اَلْحَاظِهَا سُكْرِي

فلما صار جعفر بين يدي الخليفه قال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حرمة الدين و ابن عم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم و على آله اجمعين * فرفع الخليفه راسه وقال و عليك السلام ورحمة الله و بركاته فقال جعفر عن اذن امير المؤمنين يتكلم خادمه ولا حرج عليه * فقال الخليفة و متى كان عليك حرج في الكلام وانت سيد الوزراء تكلم بما تريد * فقال له الوزير جعفر اني خرجت يا مولانا من بين يديك اريد داري فرايت استاذك و معلمك و شريكك خليفة الصياد واقفا بالباب و هو متغير عليك ويشتكي منك * ويقول سبحان الله قد علمته الصيد وذهب ليأتيني بقفتين فلم يعد اليّ و ما هذا شان الشركة ولا شان المعلمين فانكان لك غرض في الشركة فلا باس والّا فعرّفه ليشارك غيرك * فلما سمع الخليفه كلامه تبسم و زال ما كان عنده من ضيق الصدر * ثم قال لجعفر بحيوتي عليك أَحَقٌّ ما تقوله من ان الصياد واقف بالباب قال

جعفر و حيوتك يا امير المؤمنين انه واقف بالباب * فعند ذلك قال الخليفه يا جعفر والله لاسعينّ في قضاء حقه * فان يرد الله له على يدي شقاوة نالها وان يرد له على يدي سعادة نالها * ثم ان الخليفه اخذ ورقة و قطعها قطعا و قال يا جعفر اكتب بيدك عشرين قدرا من دينار الى الف دينار و مراتب الولاية و الامارات من اقل العمل الى الخلافة * وعشرين صنفا من انواع النكال من اقل التعزير الى القتل * فقال جعفر سمعا و طاعة يا امير المؤمنين ثم كتب الاوراق بيده كما امره الخليفة * ثم بعد ذلك قال الخليفة يا جعفر اقسم بحق آبائي الطاهرين واتصالي بحمزة و عقيل اني اريد ان احضر خليفه الصياد و امره ان يأخذ ورقة من هذه الاوراق لايعرف ما فيها الّا انا وانت * فأي شيء كان فيها ملكته له و لو كان فيها الخلافة نزعت نفسي منها وملكته اياها و لا ابخل بها عليه * وان كان فيها شنق او قطع او هلاك فعلته به فاذهب و ائتني به * فلما سمع جعفر هذا الكلام قال في نفسه لا حول و لا قوة الّا بالله العلي العظيم ربما يطلع لهذا المسكين شيء باتلافه فاكون انا السبب * ولكن الخليفه قد حلف و ما بقي الّا انه يدخل و لا يكون الّا ما يريده الله * ثم توجه الى خليفة الصياد و قبض على يده و اراد الدخول به فطار عقل خليفة من راسه و قال في نفسه اي شيء عبثي حتى جئت الى هذا العبد النحس شقير فجمع بيني و بين كرش النخال * ثم ان جعفر لم يزل سائرا به و المماليك خلفه و قدامه وهو يقول ما كفى الحبس حتى يكون هؤلاء خلفي و قدامي فيحرموني ان اهرب * ولم يزل جعفر سائرا به حتى قطع سبعة دهاليز * ثم قال لخليفة ويلك يا صياد انك تقف بين يدي امير المؤمنين وحامي حرمة الدين

ثم رفع الستر الاكبر فوقعت عين خليفة الصياد على الخليفة وهو جالس على سريره وارباب الدولة قيام في خدمته * فلما عرفه تقدم اليه وقال اهلا وسهلا يا زمار مايصح منك ان تعمل صيادا ثم تتركني قاعدا احرس السمك وتروح ولم تجيء * فما شعرت الّا والمماليك قد اقبلوا على دواب مختلفة الالوان فخطفوا السمك مني وانا واقف وحدي وهذا كله من تحت رأسك * فلوكنت جئت بالافراد سريعا كنا بعنا منه بمائه دينار ولكن انا جئت في طلب حقي فحبسوني وانت من حبسك في هذا الموضع فتبسم الخليفه * ثم رفع طرف الستارة واخرج راسه من تحتها وقال له تقدم وخذلك ورقة من هذه الاوراق * فقال خليفة الصياد لامير المؤمنين انت كنت صيادا واراك اليوم صرت منجما * ولكن من كثرت صنائعه كثرفقره * فقال جعفر خذ الورقة بسرعة من غير كلام واتمثل ما امرك به امير المؤمنين * فتقدم خليفة الصياد ومد يده وقال هيهات ان كان هذا الزمار يرجع غلامي ويصطاد معي * ثم اخذ الورقة وناولها للخليفة وقال يا زمار اي شيءٌ طلع لي فيها لاتخف منه شيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما اخذ ورقة من الاوراق وناولها للخليفة قال له يا زمار اي شيءٌ طلع لي فيها لاتخف منه شيأ * فاخذها الخليفة بيده وناولها للوزير جعفر وقال له اقرأ ما فيها فنظر اليها جعفر وقال لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * فقال الخليفة خبر خيريا جعفر ما رايت فيها فقال

يا امير المومنين طلع في الورقة يضرب الصياد مائة عصا * فامر الخليفة بضربه مائة عصا فامتثلوا امره وضربوا خليفة مائة عصا * ثم قام وهو يقول لعن الله هذا اللعب ياكرش النخال هل الحبس والضرب من جملة اللعب * فقال جعفر يا امير المومنين ان هذا المسكين جاء الى البحر وكيف يرجع عطشانا * نرجو من صدقات امير المومنين ان يأخذ له ورقة اخرى فلعله يطلع له فيها شيء فيرجع به ليستعين به على فقره * فقال الخليفة والله يا جعفر ان اخذ ورقة وطلع له فيها قتل لاقتلنه فتكون انت السبب * فقال جعفر ان كان يموت فانه يستريح * فقال له خليفة الصياد لابشرك الله بالخير هل انا ضيقت عليكم بغداد حتى تطلبوا قتلي * فقال جعفر خذ لك ورقة واستخر الله تعالى فمد يده واخذ ورقة واعطاها لجعفر فاخذها منه وقرأها وسكت * فقال له الخليفة مالك سكت يا ابن يحيى فقال يا امير المومنين انه طلع في الورقة لايعطى الصياد شيأ * فقال الخليفة ماله رزق عندنا قل له يروح من وجهي * فقال جعفر بحق اباءك الطاهرين ان تخليه يأخذ الثالثة لعله يطلع له فيها رزق * فقال الخليفة دعه يأخذ له ورقة لاشيء غيرها * فمد يده واخذ الورقة الثالثة واذا فيها يعطى الصياد دينارا * فقال جعفر لخليفة الصياد طلبت لك السعادة فما اراد الله لك الا هذا الدينار * فقال خليفة الصياد كل مائة عصا بدينار خير كبير لاصح الله لك بدنا * فضحك الخليفة منه واخذ جعفر بيد خليفة وخرج به * فلما وصل الى الباب رآه صندل الخادم فقال له تعال يا صياد انعم علينا مما اعطاك امير المومنين وهو يمزح معك * فقال له خليفة والله صدقت يا شقير وهل تريد ان تقاسمني

يا اسود الجلد وقد اكلت مائـــة عصا واخذت دينارا واحدا انت في حلّ منه * ثم رمى الدينار للخادم وخرج ودموعه تجري على صحن خده * فلما نظره الخادم وهو على تلك الحالة عرف انه صادق فرجع اليه وصاح على الغلمان ان ردوه فردوه * فمدّ يده الى جيبه فاخرج منه كيسا احمر ففتحه ونفضه واذا فيه مائة دينار من الذهب * وقال يا صياد خذ هذا الذهب حق سمكك وامض الى حال سبيلك * فعند ذلك فرح خليفة الصياد واخذ المائة دينار ودينار الخليفة وخرج وقد نسي الضرب * ولما اراد الله تعالى انفاذ ما قضاه عبر خليفة الصياد في سوق الجواري فرأى حلقة كبيرة وفيها خلق كثير * فقال خليفة في نفسه اي شيء هؤلاء الناس * ثم تقدم وشق بين الناس من تجار وغيرهم فقال التجار وسّعوا للناخوذة زليط فوسّعوا له * فنظر خليفة واذا بشيخ قائم على رجليه وبين يديه صندوق وعليه خادم جالس والشيخ ينادي ويقول يا تجار يا ارباب الاموال من يخاطر ويبادر بالعطاء لهذا الصندوق المجهول من دار السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين الرشيد * بِكَمْ عليكم بارك الله فيكم * فقال واحد من التجار والله ان هذه مخاطرة فانا اقول كلاما وما عليّ فيه ملام هو عليّ بعشرين دينارا * فقال آخر بخمسين دينارا ثم تزايد التجـــار فيه الى ان وصل مائة دينار * فقال المنادي هل عندكم زيادة يا تجار فقال خليفة الصياد عليّ بمائة دينار ودينار * فلما سمع التجار كلام خليفة حسبوه يلعب فضحكوا عليه وقالوا يا طواشي بع الى خليفة بالمائة دينار ودينار * فقال الطواشي والله ما ابيعه الّا له خذ يا صياد بارك الله لك فيه وهات الذهب * فاخرج خليفة

الذهب وسلّمه الى الخادم ووقعت المعاقدة * ثم ان الخادم تصدق بالذهب و هو في موضعه و رجع الى القصر و اعلم السيدة زبيدة بما فعل ففرحت بذلك * ثم ان خليفة الصياد حمل الصندوق على كتفه فلم يقدر على حمله لعظم ثقله * فحمله على راسه و اتى به الى الحارة و وضعه عن راسه وكان قد تعب فقعد يتفكر فيما جرى له و صار يقول فى نفسه يا ليت شعري ما في هذا الصندوق * ثم فتح باب داره و عالج فى الصندوق حتى ادخله داره و بعد ذلك عالج ان يفتحه فلم يقدر * فقال في نفسه اي شيءٔ حصل في عقلي حتى اشتريت هذا الصندوق فلابد من كسره و انظر ما فيه * ثم عالج القفل فلم يقدر فقال في نفسه انا اخليه الى غد * ثم طلب ان ينام فلم يجد موضعا ينام فيه لان الصندوق جاء على قياس البيت فطلع و نام فوقه و استمر ساعة و اذا بشيءٔ يتحرك ففزع خليفة وفرّ عنه النوم و قد طار عقله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما نام على الصندوق استمرّ ساعة و اذا بشيءٔ يتحرك ففزع و طار عقله و قام من النوم و قال كأنّ فيه جانا * الحمد لله الذي ما جعلني فتحته لانني لو كنت فتحته لقاموا عليّ فى الظلام واهلكوني و لم يحصل لي منهم خير * ثم انه رجع و نام و اذا بالصندوق يتحرك ثاني مرة اكثر من الاول فنهض خليفة قائما و قال هذه نوبة اخرى لكنها مزعجة * ثم بادر الى سراج فلم يجده ولم يكن معه مايشتري به

سراجا فخرج من البيت و صاح يا اهلّ الحارة * و كان أكثر اهل الحارة نائمين فانتبهوا على صياحه و قالوا مالك يا خليفة * فقالَ الحقوني بسراج فان الجان خرجوا عليّ فضحكوا عليه و اعطوه سراجا فاخذه و دخل به بيته و ضرب قفل الصندوق بحجر فكسره و فتح الصندوق * و اذا هو بجارية كأنها حورية وهي نائمة فى الصندوق وكانت مبنجة و قد تقايت البنج في تلك الساعة فاستفاقت و فتحت عينيها وحسّت بالضيق فتحركت * فلما رأها خليفه نهض اليها و قال بالله ياسيدتي من اين انت ففتحت عينيها و قالت هات لي ياسمينا ونرجسا * فقال خليفه ما هنا الاّ تمر حناء فاستفاقت في نفسها ونظرت خليفة * فقالت له اي شيءُ انت ثم انها قالت و اين انا قال لها انت في بيتي قالت اما انا في قصر الخليفة هارون الرشيد * فقال لها اي شيءُ الرشيد يا مجنونة ما انت الاّ جاريتي و في هذا اليوم اشتريتك بمائة دينار و دينار و جئت بك الى بيتي و كنت في هذا الصندوق نائمة * فلما سمعت الجارية كلامه قالت له ما اسمك قال اسمي خليفه ما بال نجمي قد سعد و انا اعرف نجمي غير ذلك فضحكت و قالت دعني من هذا الكلام هل عندك شيءُ يوءكل * فقال والله و لا شيءُ يشرب و انا والله لي يومان ما اكلت شيأً و انا الأن محتاج الى لقمة فقالت له اما معك دراهم * فقال الله يحفظ هذا الصندوق الذي افقرني لاني اوردت ما كان معي فيه وبقيت مفلسا فضحكت عليه الجارية وقالت قم اطلب من جيرانك شيأً أكله فاني جائعة * فقام خليفة وخرج من البيت وصاح يا اهل الحارة وقد كانوا راقدين فانتبهوا وقالوا مالك يا خليفة * فقال يا جيراني انا جائع وما عندي شيءٌ أكله

فنزل له واحد بر غيف وآخر بكسرة وآخر بقطعة جبن وآخر بخيارة فامتلأ حجره ودخل البيت وحط الجميع بين يديها وقال لها كلي * فضحكت عليه وقالت له كيف آكل من هذا ولا عندي كوز ماء اشرب منه فاخاف ان اشرق بلقمة فاموت * فقال خليفة انا املأ لك هذه الجرّة ثم اخذ الجرة وخرج في وسط الحارة وصاح يا اهل الحارة فقالوا له مامصيبتك في هذه الليلة ياخليفة * فقال لهم انتم اعطيتموني طعاما فاكلت ولكن عطشت فاسقوني فنزل له هذا بكوز وهذا بابريق وهذا بقلّة * فملأ الجرة ودخل بها البيت وقال لها يا سيدتي ما بقي لك حاجة فقالت صحيح ما بقي لى حاجة في هذه الساعة * فقال لها كلميني وحدثيني بحديثك فقالت ويلك ان كنت لم تعرفني فانا اعرفك بنفسي انا قوت القلوب جارية الخليفة هارون الرشيد * وقد غارت مني السيدة زبيدة وبنجتني ووضعتني في هذا الصندوق * ثم قالت الحمد لله الذي كان هذا الامر السهل ولم يكن غيره ولكن ما جرى لي هذا الامر الّا من اجل سعادتك فلابد ان نأخذ من الخليفة الرشيد مالا كثيرا يكون سببا في غنائك * فقال لها خليفة اما هو الرشيد الذى كنت في قصره محبوسا قالت نعم * قال والله مارايت ابخل منه * ذلك الزمار القليل الخير والعقل فانه ضربني امس مائة عصا واعطاني دينارا واحدا مع اني علمته الصيد وشاركته فغدر بي * فقالت له دع عنك هذا الكلام القبيح وافتح عينيك وعليك بالادب اذا رأيته بعد هذه المرة فانك تبلغ مرادك * فلما سمع كلامها كان كأنه نائم واستيقظ وكشف الله عن بصيرته لاجل سعادته * فقال لها على الراس والعين * ثم قال لها بسم الله نامي فقامت

ونامت ونام هو بعيدا عنها الى الصباح * فلما اصبحت طلبت منه دواة وورقة فاحضر هما لها فكتبت الى التاجر الذي هو صاحب الخليفة تخبره بحالها وما جرى لها من انها عند خليفة الصياد وقد اشتراها * ثم دفعت له الورقة وقالت له خذ هذه الورقة وامض بها الى سوق الجواهر واسأل عن دكان ابن القرناص الجوهري واعطه هذه الورقة ولا تتكلم * فقال لها خليفة سمعا وطاعة ثم انه اخذ الورقة من يدها ومضى بها الى سوق الجواهر وسأل عن دكان ابن القرناص فارشدوه اليه فاتاه وسلم عليه فردّ عليه السلام واحتقره في عينه * وقال له اي حاجة لك فناوله الورقة فاخذها ولم يقرأها لظنه انه صعلوك يطلب منه صدقة * فقال لبعض غلمانه اعطه نصف درهم فقال له خليفة لاحاجة لي بالصدقة ولكن اقرأ الورقة * فاخذ الورقة وقرأها ففهم ما فيها فلما عرف ما فيها قبلها ووضعها على راسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن القرناص لما قرأ الورقة وفهم ما فيها قبلها ووضعها على راسه ونهض قائما وقال له يا اخي اين بيتك * فقال له خليفة وما تريد ببيتي فهل مرادك ان تروح اليه وتسرق جاريتي فقال له لا بل اشتري لك شيأ تاكله انت واياها * فقال له بيتي في الحارة الفلانية فقال له احسنت لاعطاك الله عافية يا مدبور * ثم صاح على عبدين من عبيده وقال لهما امضيا مع هذا الرجل الى دكان محسن الصيرفي وقولا له يا محسن اعط هذا الف دينار من الذهب وارجعا به اليّ بسرعة فمضى

العبدان مع خليفة الى دكان الصيـرفي و قالا له يا محسن اعط هذا الرجل الف دينار من الذهب فاعطاه اياها فاخذها خليفة ورجع مع العبدين الى دكان سيدهمـا فوجدوه راكبا زرزوريـة تساوي الف دينار و المماليك والغلمان حوله و في جنب بغلته بغلة مثلها مسرجة ملجمة * فقال لخليفة بسم الله اركب هذه البغلة فقال خليفة انا لااركب و الله اني اخاف ان ترميني فقال له التاجر ابن القرناص و الله لابد من ركوبك * فتقدم خليفة ليركبها فركبها مقلوبا ومسك ذنبهـا و صرخ فرمته على الارض فضحكوا عليه * ثم قام وقال انا ما قلت لك ما اركب هذا الحمار الكبير * ثم ان ابن القرناص ترك خليفة فى السوق وراح الى اميـر المؤمنين و اعلمه بالجارية ثم رجع و نقلها الى بيته * ثم ان خليفة ذهب الى البيت لينظر الجارية فرأى اهل الحارة مجتمعين و هم يقولون ان خليفة اليوم مرهوب بالكليـة يا ترى هذه الجارية من اين له * فقال واحد منهم هذا قوّاد مجنون لعله وجدها فى الطريق سكرانة فحملها و اتى بها الى بيته و ما غاب الّا لانه عرف ذنبه * فبينماهم فى الكلام و اذا بخليفة اقبل عليهم فقالوا له اي شيءٍ حالك يا مسكين اما تعرف اي شيءٍ جرى لك فقال لا و الله * فقالوا في هذه الساعة جاء مماليك و اخذوا جاريتك التي سرقتها و طلبوك فما وجدوك * فقال خليفه كيف اخذوا جاريتي فقال واحد لوكان وقع كانوا قتلوه فلم يلتفت خليفة اليهم بل رجع يجري الى دكان ابن القرناص فرآه راكبا * فقال له والله ما يصح منك فانك شاغلتني و ارسلت مماليكك فاخذوا جاريتي * فقال يا مجنون تعال و انت ساكت ثم اخـذه و اتى به الى دار مليحة البناء فدخل به هناك فنظر الجارية قاعدة فيها على سرير من ذهب وحولها عشر

جوار كأنهن الاقمار * فلما رأها ابن القرناص قبل الارض بين يديها فقالت له ما فعلت بسيدي الجديد الذي اشتراني بجميع ما يملك * فقال لها يا سيدتي اعطيته الف دينار من الذهب و حكى لها خبر خليفة من اوله الى آخره فضحكت و قالت لا تؤاخذه فانه رجل عامي * ثم قالت وهذه الف دينار اخرى هبة مني اليه و ان شاء الله تعالى يأخذ من الخليفة ما يغنيه * فبينماهم فى الحديث واذا بخادم من عند الخليفة قد اقبل يطلب قوت القلوب لانه علم انها في بيت ابن القرناص و حين علم ذلك لم يصبر عنها فامر باحضارها * فلما توجهت اليه اخذت خليفة معها وذهبت حتى اقبلت علي الخليفة * فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه فقام اليها وسلم عليها و رحب بها و سألها كيف كان حالها مع من اشتراها فقالت له انه رجل يسمى خليفة الصياد وها هو واقف بالباب * و قد ذكرلي ان له مع مولانا امير المؤمنين محاسبة من اجل الشركة التي كانت بينه و بينه فى الصيد فقال هل هو واقف فقالت نعم * فامر باحضاره فحضر و قبل الارض بين يدى الخليفة ودعاله بدوام العز والنعم * فتعجب الخليفة منه و ضحك عليه وقال له يا صياد هل كنت امس شريكي حقيقة * ففهم خليفة كلام امير المؤمنين فقوى قلبه و ثبّت جنانه و قال له وحق من انعم عليك بخلافة ابن عمك ما اعلمها على اي حالة و ما كان مني غير النظر و الحديث * ثم اعاد عليه جميع ماجرى له من الاول الى الآخر و صار الخليفة يضحك عليه * ثم انه حدثه بحديث الخادم وماجرى له معه و كيف اعطاه المائة دينار على الدينار الذي اخذه من الخليفة * وحدثه ايضا بدخوله السوق و اشترائه الصندوق بالمائة دينار و دينار وهو لايعلم مافيه * و حكى له

جميع الحكاية من المبتدأ الى المنتهى * فضحك عليه الخليفة وانشرح صدره وقال له نحن على ما تريد يا موصل الحق الى اهله ثم سكت * وبعد ذلك امرله الخليفة بخمسين الف دينار ذهبا وخلعة سنية من ملابس الخلفاء الكبار وبغلة * واهدى اليه عبيدا من السودان يخدمونه وصار كأنه بعض الملوك الموجودة في ذلك الزمان وقد فرح الخليفه بقدوم جاريته * وعلم ان هذا كله من فعال السيده زبيدة بنت عمه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة فرح برجوع قوت القلوب وعرف ان هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه فزاد غضبه عليها وهجرها مدة من الزمان وصار لايدخل عليها ولا يميل اليها * فلما تحققت ذلك حصل لها من غيظه هم عظيم واصفر لونها بعد الاحمرار * فلما اعياها الصبر ارسلت الى ابن عمها امير المؤمنين تعتذر اليه وتقرّ بذنبها وقد انشدت هذه الابيات

أَمِيلُ اِلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الرِّضَى ... لِأُطْفِئَ مِنِّي حَسْرَةً وَتَأَسُّفَا
أَيَا سَادَتِي رِقُّوا لِفَرْطِ صَبَابَتِي ... فَهَذَا الَّذِي لَاقَيْتُهُ مِنْكُمْ كَفَى
لَقَدْ عِيلَ صَبْرِي بَعْدَكُمْ يَا اَحِبَّتِي ... وَكَدَّرْتُمُ مَا كَانَ عَيْشِي الَّذِي صَفَا
حَيَوتِي اِذَا اَوْفَيْتُمُوا بِعُهُودِكُمْ ... وَمَوْتِي اِذَا لَمْ تَسْمَحُوا لِي بِالْوَفَا
هَبُوا اَنَّنِي اَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَسَامِحُوا ... فَوَاللّٰهِ مَا اَحْلَى الْحَبِيبَ اِذَا عَفَا

فلما وصلت مراسلة السيدة زبيدة الى امير المؤمنين وقرأها عرف انها اعترفت بذنبها وارسلت تعتذر اليه مما فعلت * فقال في نفسه إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وارسل اليها رد الجواب عن مراسلتها مشتملا على الرضى والسماح والعفو عما مضى فحصل لها الفرح العظيم * ثم ان الخليفة رتب لخليفة الصياد في كل شهر خمسين دينارا جائزة له وصار له عند الخليفة منزلة عظيمة ومقام عال وحرمة واحتشام * ثم ان خليفة قبل الارض بين يدي امير المؤمنين عند خروجه وخرج يمشي ويتبختر * فلما وصل الى الباب نظر اليه الخادم الذي اعطاه المائة دينار فعرفه وقال له يا صياد من اين لك هذا كله * فحدثه بما جرى له من اوله الى أخره ففرح الخادم بذلك حيث كان هو السبب في غنائه * وقال له اما تعطيني انعاما من هذا المال الذي صار لك * فمد خليفة يده الى جيبه فطلع منه كيسا فيه الف دينار من الذهب وناوله للخادم * فقال له الخادم خذ مالك بارك الله لك فيه وتعجب من مروته وسماحة نفسه على فقره * ثم ان خليفة خرج من عند الخادم وهو راكب على البغلة والخدام ماسكة كفلها وهو سائر الى ان اتى الى الخان والناس يتفرجون عليه ويتعجبون مما حصل له من العز * فتقدم اليه الناس بعد ما نزل من فوق البغلة وسألوه عن سبب تلك السعادة فاخبرهم بما جرى له من الاول الى الأخر * ثم انه اشترى دارا مليحة الاركان وانفق عليها جملة من المال حتى صارت كاملة المعاني وسكن في تلك الدار وصار ينشد هذين البيتين

أُنْظُرْ لِدَارٍ شِبْهِ دَارِ النَّعِيمْ ... أَلْهَمَّ تَنْفِيهِ وَتَشْفِي السَّقِيمْ
قَدْ جُعِلَتْ بُنْيَانُهَا لِلْعُلَى ... وَالْخَيْرُ فِيهَا كُلَّ وَقْتٍ مُقِيمْ

ثم انـــه لما استقر في داره خطب له بنتا من بنـــات اعيان اهل المدينة من البنات الحسان و دخل بهـــا وحصل له غاية الانس و الحظ الزائد والانبساط وصار في نعمة زائدة و سعادة كاملة * فلما رأى نفسه في ذلک النعيم شكر الله سبحانه وتعالى على ما اعطاه من النعم الوافرة و المكارم المتواترة وصار لربّه حامدا حمد الشاكر مترنّما بقول الشاعر

لَکَ الْحَمْدُ يَا مَنْ فَضْلُهُ مُتَوَاتِرٌ ... وَيَا مَنْ لَهُ جُودٌ عَمِيمٌ وَ غَامِرُ
لَکَ الْحَمْدُ مِنِّي فَاقْبَلِ الْحَمْدَ اِنَّنِي ... لِجُودِکَ وَالْاِحْسَانِ وَالْفَضْلِ ذَاكِرُ
لَقَدْ جُدْتَ اِنْعَاماً عَلَيَّ وَمِنَّةً ... وَ فَضْلاً وَ اِحْسَاناً فَهَا اَنَا شَاكِرُ
وَكُلُّ الْوَرَى مِنْ بَحْرِ جُودِکَ نَاهِلٌ ... وَ اَنْتَ لَهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ نَاصِرُ
وَ خَوَّلْتَنَا يَارَبِّ اٰثَارَ نِعْمَــةٍ ... وَ اَسْبَغْتَهَـــا يَا مَنْ لِذَنْبِي غَافِرُ
بِجَاهِ الَّذِي قَدْ جَاءَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ... نَبِيٌّ كَرِيمٌ صَادِقُ الْقَوْلِ طَاهِرُ
عَلَيْهِ صَلَوةُ اللّٰهِ ثُمَّ سَلَامُــهُ ... وَاَنْصَارِهِ وَ الْاٰلِ مَازَارَ زَائِــرُ
وَ اَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ اُولِي النُّهَى ... مَدَى الدَّهْرِ مَاغَنَّى عَلَى الْاَيْکِ طَائِرُ

ثم ان خليفة صار يتردد على الخليفة هارون الرشيد مع القبول عنده * وصـــار الرشيد يشمله باحسانه وجوده * ولم يزل خليفة في اتم نعمة وسرور وعز وحبور وفي نعمة زائدة ورفعة متصاعدة وعيشة طيبة هنية ولذة صافية مرضية الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من له العز والبقا و هو حي دائم لايموت ابدا

ومما يحكى

انه كان في قديم الـــــزمان وســـــالف العصر و الا وان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلک الرجل من احسن اهل زمانه كثير

المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض و البساتين ويلتهي بهوى النساء الملاح * فاتفق انه كان نائما في ليلة من الليالي فرأى في نومه انه في روضة من احسن الرياض وفيها اربع طيور * ومن جملتها حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية فاعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم * وبعد ذلك رأى انه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه * ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج اشواقه الى الصباح * فقال في نفسه لابد ان اروح اليوم الى من يفسّر لي هذا المنام و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج اشواقه الى الصباح * فلما اصبح الصباح قال لابد ان اروح اليوم الى من يفسّر لي هذا المنام فقام و صار يمشي يمينا و شمالا الى ان بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام * ثم بعد ذلك طلب الرجوع الى منزله فبينما هو فى الطريق اذ خطر بباله انه يميل الى دار من دور التجار * و كانت تلك الدار لبعض الاغنياء فلما وصل اليها واذا به يسمع بها صوت انين من كبد حزين و هو ينشد هذه الابيات

نَسِيمُ الصَّبَا هَبَّتْ لَنَا مِنْ رُسُومِهَا   مُعَطَّرَةً يَشْفِي الْعَلِيلَ شَمِيمُهَا
وَقَفْتُ بِأَطْلَالٍ دَوَارِسَ سَائِلاً   وَلَيْسَ يُجِيبُ الدَّمْعَ الاَّرَمِيمُهَا
فَقُلْتُ نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللّٰهِ خَبِّرِي   هَلِ الدَّارُ هذِي قَدْ يَعُودُ نَعِيمُهَا
وَأَحْظَى بِظَبْيٍ مَالَ بِي لِينُ قَدِّهِ   وَأَجْفَانُهُ الْوَسْنَى ضَنَانِي سَقِيمُهَا

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر فى داخل الباب فرأى روضة من احسن الرياض في باطنها ستر من ديباج احمر مكلل بالدر و الجوهر *وعليه من وراء الستر اربع جوار بينهن صبية دون الخماسية و فوق الرباعية كانها البدر المنير و القمر المستدير *بعينين كحيلتين و حاجبين مقرونين و فم كأنه خاتم سليمان و شفتين و اسنان كالدر و المرجان* وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها و قدها و اعتدالها* فلما رأها مسرور دخل الدار وبالغ فى الدخول حتى وصل الى الستر فرفعت راسها اليه و نظرته *فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام *فلما نظرها وتاملها طاش عقله وذهب لبه* ونظر الى الروضة و كانت من الياسمين و المنثور و البنفسج و الورد و النارنج و جميع ما يكون فيها من المشموم * و قد توشحت جميع الاشجار بالاثمار و الماء منحدر من اربعة لواوين يقابل بعضها بعضا* فتأمل في الليوان الاول فرأى مكتوبا على دائره بالزنجفر الاحمر هذان البيتان

أَلَا يَا دَارُ لَمْ يَدْخُلْكِ حُزْنٌ ... وَلَمْ يَغْدُرْ بِصَاحِبِكِ الزَّمَانُ
فَنِعْمَ الدَّارُ تَأْوِي كُلَّ ضَيْفٍ ... إِذَا مَا الضَّيْفُ ضَاقَ بِهِ الْمَكَانُ

ثم تأمل فى الليوان الثاني فرأى مكتوبا في دائره بالذهب الاحمر هذه الابيات

لَاحَتْ عَلَيْكِ ثِيَابُ السَّعْدِ يَادَارُ ... مَا غَرَّدَتْ فِي غُصُونِ الرَّوْضِ أَطْيَارُ
وَدَامَ فِيكِ عَبِيرَاتٌ مُعَطَّرَةٌ ... وَتَنْقَضِي بِكِ لِلْأَحْبَابِ أَوْطَارُ
وَعَاشَ أَهْلُكِ فِي عِزٍّ وَفِي نِعَمٍ ... مَا لَاحَ نَجْمٌ عَلَى الْعَلْيَاءِ سَيَّارُ

ثم تأمل في الليوان الثالث فرأى مكتوبا في دائره باللازورد الازرق هذان البيتان

بَقِيتِ فِي الْعِزِّ وَالْاِقْبَالِ يَا دَارُ ... مَا جَنَّ لَيلٌ وَمَا قَدْ لَاحَ اَنْوَارُ
فِي بَابِكِ السَّعْدُ يَأْوِي كُلَّ مَنْ دَخَلا ... وَالْخَيرُ مِنكِ لِمَنْ وَافَاكِ مِدْرَارُ

ثم تأمل في الليوان الرابع فرأى مكتوبا في دائره بالمداد الاصفر هذا البيت

هَذِهِ رَوْضَةٌ وَهَذَا غَدِيرٌ ... مَجْلِسٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ

و في تلك الروضة طيور من قمري و حمام و بلبل و يمام و كل طير يغرد بصوته و الصبيه تتمايل في حسنها و جمالها و قدها و اعتدالها يفتتن بها كل من رآها * ثم قالت ايها الرجل ما الذي اقدمك على دار غير دارك و على جوار غير جواريك من غير اجازة اصحابها * فقال لها يا سيدتي رأيت هذه الروضة فاعجبني حسن اخضرارها و فيح ازهارها و ترنم اطيارها فدخلتها لا تفرج فيها ساعة من الزمان و اروح الى حال سبيلي * فقالت له حبا و كرامة * فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر الى غنج طرفها و رشاقة قدها تحير من حسنها و جمالها و من لطافة الروضة و الطير فطار عقله من ذلك و صار متحيرا في امره وانشد هذه الابيات

قَمَرٌ تَبَدَّى فِي بَدِيعِ مَحَاسِنٍ ... بَيْنَ الرُّبَا وَالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ
وَالْآسِ وَالنِّسْرِينِ ثُمَّ بَنَفْسَجٍ ... فَاحَتْ رَوَائِحُهُ مِنَ الْاَغْصَانِ
يَا رَوْضَةً كَمُلَتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا ... وَحَوَتْ جَمِيعَ الزَّهْرِ وَالْاَفْنَانِ
فَالْبَدْرُ يُجْلَى تَحْتَ ظِلِّ غُصُونِهَا ... وَالطَّيْرُ تُنْشِدُ اَطْيَبَ الْاَلْحَانِ

قُمْرِيُّهَا وَهَزَارُهَا وَيَمَامُهَا ... وَكَذَا الْبَلَابِلُ هَيَّجَتْ اَشْجَانِي
وَقَفَ الْغَرَامُ بِمُهْجَتِي مُتَحَيِّرًا ... فِي حُسْنِهَا كَتَحَيُّرِ السَّكْرَانِ

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة اعقبته الف حسرة و سلبت بها عقله و لبه و اجابته على شعره بهذه الابيات

لَا تَرْتَجِي وَصْلَ الَّتِي عَلِقْتَهَا ... وَ اقْطَعْ مَطَامِعَكَ الَّتِي اَمَّلْتَهَا
وَذَرِ الَّذِي تَرْجُوهُ اَنَّكَ لَمْ تُطِقْ ... صَدَّ الَّتِي فِي الْغَانِيَاتِ عَشِقْتَهَا
تَجْنِي عَلَى الْعُشَّاقِ اَلْحَاظِي وَلَمْ ... يَعْظُمْ عَلَيَّ مَقَالَةٌ قَدْ قُلْتَهَا

فلما سمعت مسرور كلامها تجلّد و صبر و كتم امرها في سرّه وتفكر و قال في نفسه ما للبلية الّا الصبر * ثم داموا على ذلك الى ان هجم الليل فامرت بحضور المائدة فحضرت بين ايديهما * و فيها من سائر الالوان من السُمانى و افراخ الحمام ولحوم الضأن * فاكلا حتى اكتفيا * ثم امرت برفع الموائد فرفعت وحضرت آلات الغسل فغسلا ايديهما * ثم امرت بوضع الشمعدانات فوضعت و جعل فيها شمع الكافور * ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله ان صدري ضيق في هذه الليلة لاني محمومة * فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك * فقالت يا مسرور انا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيأ قال نعم انا عارف به * فقدمته بين ايديهما واذا هو من الأبنوس مقطع بالعاج له رقعة مرقومة بالذهب الوهاج و حجارته من درّ وياقوت و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها لما امرت باحضار الشطرنج احضروه بين ايديهما * فلما رأه مسرور حار فكره فالتفتت اليه زين المواصف و قالت له هل انت تريد الحُمْر ام البيض * فقال يا سيدة الملاح و زين الصباح خذي انت الحمر لانهم ملاح و لمثلك املح ودعي لي الحجارة البيض * فقالت رضيت بذلك فاخذت الحمر و صفّتها مقابلة البيض و مدت يديها الى القطع تنقل في اول الميدان فنظر الى اناملها فرأى كانها من عجين * فاندهش مسرور من حسن اناملها و لطف شمائلها فالتفتت اليه و قالت له يا مسرور لا تندهش و اصبر و اثبت * فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الاقمار إذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار * فبينما هو كذلك و اذا هي تقول له الشاه مات فغلبته عند ذلك و علمت زين المواصف انه بحبها مجنون * فقالت له يا مسرور لا العب معك الّا برهن معلوم و قدر مفهوم فقال لها سمعا و طاعة * فقالت له احلف لي و احلف لك ان كلّامنّا لا يغدر صاحبه فتحالفا معاعلى ذلك * فقالت يا مسرور ان غلبتك اخذت منك عشرة دنانير وان غلبتني لم اعطك شيأ فظن انه يغلبها * فقال لها يا سيدتي لا تحنثي في يمينك فاني اراك اقوى مني في اللعب * فقالت له رضيت بذلك و صارا يلعبان و يتسابقان بالبيادق والحقتهم بالافراز وصفّتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الافراس * وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الازرق فوضعته عن راسها و شمرت عن معصم كأنه عامود من نور و مرت بكفها على القطع الحمر و قالت له خذ حذرك

فاندهش مسرور و طار عقله و ذهب لبّه و نظر الى رشاقتها و رقة معانيها فاحتار و اخذه الانبهار فمد يده الى البيض فراحت الى الحمر * فقالت يا مسرور اين عقلك الحمر لي و البيض لك * فقال لها ان من ينظر اليك ليس يملك عقله * فلما نظرت زين المواصف الى حاله اخذت منه البيض و اعطته الحمر فلعب بها فغلبته * ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنانير * فلما عرفت زين المواصف انه مشغول بهواها قالت يا مسرور ما بقيت تنال مرادك الّا اذا كنت تغلبني كما هو شرطك * و لا بقيت العب معك في كل مرة الّا بمائة دينار فقال لها حبا و كرامة * فصارت تلاعبه و تغلبه و تكرر ذلك و هو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك الى الصباح وهو لم يغلبها ابدا * فنهض قائما على اقدامها فقالت له ما الذي تريد يا مسرور قال امضي الى منزلي و أتي بمال لعلي ابلغ أمالي * فقالت له افعل ما تريد مما بدالك فمضى الى منزله و اتا ها بالمال جميعه * فلما وصل اليها انشد هذين البيتين

رَأيتُ طَيرًا مَرَّ بِي فِي المَنَام فِي رَوضِ اِنسٍ زَهرُهُ ذُوابتِسَام
لَكِنَّهُ لَمَّا بَدَا صِدتُهُ مِنكَ لَوفا تأويلَ هذا المَنام

فلما حضر عندها مسرور بجميع ماله صار يلعب معها و هي تغلبه و لم يقدر ان يغلبها بدور واحد * و لم يزالا كذلك ثلثة ايام حتى اخذت منه جميع ماله * فلما نفد ماله قالت له يا مسرور ما الذي تريد * قال الاعبك على دكان العطارة قالت له كم تساوي تلك الدكان * قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة اشواط فغلبته ثم لعب معها

على الجواري و العقارات و البساتين و العمارات فاخذت منه ذلك كله و جميع ما يملكه * وبعد ذلك التفتت اليه و قالت له هل بقي معك شيء من المال نلعب به * فقال لها وحق من اوقعني معك في شرك المحبة ما بقيت يدي تملك شيأً من المال وغيره لا قليلا ولا كثيــرا * فقالت له يا مسرور كل شيء يكون اوله رضا لا يكون أخره ندامة * فان كنت ندمت خذ مالك و اذهب عنا الى حال سبيلك و انا اجعلك في حلّ من قبلي * فقال لها مسرور وحق من قضى علينا بهذه الامور لوا ردت اخذ روحي لكانت قليلة في رضاك فما اعشق احدا سواك * فقالت له يا مسرور حينئذ اذهب واحضر القاضي والشهود و اكتب لي جميع الا ملاك والعقارات فقال حبا وكرامة * ثم نهض قائما في الوقت والساعة واتى بالقاضي و الشهود واحضرهم عندها * فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبّه و تبلبل خاطره من حسن انا ملها * و قال لها يا سيدتي لا اكتب الحجة الاّ بشرط ان تشتري العقارات والجواري و الاملاك وتصير كلهــا تحت تصرفك و في حيازتك * فقالت قد انفقنا على ذلك فاكتب لي حجة بان ملك مسرور وجواريه وما تملكها يده ينقل الى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا * فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك واخذت الحجــة زين المواصف وادرك شهــر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايهــا الملك السعيد ان زين المواصف لمــا اخذت

الحجة من القاضي مشتملة على ان جميع ما كان ملكا لمسرور صار ملكا لها قالت له يا مسرور اذهب الى حال سبيلك * فالتفتت الى جاريتها هبوب و قالت له انشدنا شيأ من الاشعار فانشد في شان لعب الشطرنج هذه الابيات

اَشْكُوا الزَّمَانَ وَمَا قَدْ حَلَّ بِي وَجَرَى ... وَاشْتَكِي الخُسْرَ والشِّطْرَنْجَ وَالنَّظَرَا
فِي حُبِّ جَارِيَةٍ غَيْدَاءَ نَاعِمَةٍ ... مَا مِثْلُهَا فِي الوَرَى اُنْثَى وَلَا ذَكَرَا
فَفَوَّقَتْ لِي سِهَامًا مِنْ لَوَاحِظِهَا ... وَقَدَّمَتْ لِي جُيُوشًا تَغْلِبُ البَشَرَا
حُمْرًا وَبِيضًا وَفُرْسَانًا مُصَادِمَةً ... فَبَارَزَتْنِي وَقَالَتْ لِي خُذِ الحَذَرَا
وَاَهْمَلَتْنِي اِذَا مَدَّتْ اَنَا مِلَهَا ... فِي جُنْحِ لَيْلٍ بَهِيمٍ يُشْبِهُ الشَّعَرَا
لَمْ اَسْتَطِعْ لِخَلَاصِ البِيضِ اَنْقُلُهَا ... وَالوَجْدُ صَيَّرَ مِنِّي الدَّمْعَ مُنْهَمِرَا
بَيَادِقٌ وَرُخُوخٌ مَعْ فَرَازِنَةٍ ... كَرَّتْ فَاَدْبَرَ جَيْشُ البِيضِ مُنْكَسِرَا
لَقَدْ رَمَتْنِي بِسَهْمٍ مِنْ لَوَاحِظِهَا ... فَصَارَ قَلْبِي بِذَاكَ السَّهْمِ مُنْفَطِرَا
وَخَيَّرَتْنِي بَيْنَ العَسْكَرَيْنِ مَعًا ... فَاخْتَرْتُ تِلْكَ الجُيُوشَ البِيضَ مُقْتَمِرَا
وَقُلْتُ هَذِي جُيُوشُ البِيضِ تَصْلُحُ لِي ... هُمُ المُرَادُ وَاَمَّا اَنْتِ فَالحُمْرَا
وَلَاعَبَتْنِي عَلَى رَهْنٍ رَضِيتُ بِهِ ... وَلَمْ اَكُنْ عَنْ رِضَاهَا اَبْلُغُ الوَطَرَا
يَا لَهْفَ قَلْبِي وَيَا شَوْقِي وَيَا حَزَنِي ... عَلَى وِصَالِ فَتَاةٍ تُشْبِهُ القَمَرَا
مَا القَلْبُ فِي حُرَقٍ كَلَّا وَلَا اَسَفٍ ... عَلَى عَقَارِي وَلَكِنْ يَأْلَفُ النَّظَرَا
وَصِرْتُ حَيْرَانَ مَبْهُوتًا عَلَى وَجَلٍ ... اُعَاتِبُ الدَّهْرَ فِيمَا تَمَّ لِي وَجَرَى
قَالَتْ فَمَا لَكَ مَبْهُوتًا فَقُلْتُ لَهَا ... هَلْ شَارِبُ الخَمْرِ قَدْ يَصْحُو اِذَا سَكِرَا
اِنْسِيَّةٌ سَلَبَتْ عَقْلِي بِقَامَتِهَا ... اِنْ لَانَ مِنْهَا فُؤَادٌ يُشْبِهُ الحَجَرَا
اَطْمَعْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ اليَوْمَ اَمْلِكُهَا ... عَلَى الرِّهَانِ وَلَا خَوْفًا وَلَا حَذَرَا

لَازَالَ يَطْمَعُ قَلْبِي فِي تَوَاصُلِهَا حَتَّى بَقِيتُ عَلَى الْحَالَيْنِ مُفْتَقِرَا
هَلْ يَرْجِعُ الصَّبُّ عَنْ عِشْقٍ اَضَرَّ بِهِ وَلَوْغَدَا فِي بِحَارِ الْوَجْدِ مُنْحَدِرَا
فَاَصْبَحَ الْعَبْدُ لَا مَالٌ يُقَلِّبُهُ اَسِيرَ شَوْقٍ وَوَجْدٍ مَا قَضَى وَطَرَا

فلما سمعت زين المواصف هذه الابيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون * و ارجع الى عقلك وامض الى حال سبيلك فقد افنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج * ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك اليه * فالتفت مسرور الى زين المواصف و قال لها يا سيدتي اطلبي اي شيء و لك كل ما تطلبينه فاني اجيء به اليك و احضره بين يديك * فقالت يا مسرور ما بقي معك شيء من المال * فقال لها يا منتهى الأمال اذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال * فقالت له هل الذي يعطي يصير مستعطيا * فقال لها ان لي قرائب و اصحابا و مهما طلبته يعطوني اياه * فقالت له اريد منك اربع نوافج من المسك الاذفر و اربع اواني من الغالية و اربعة ارطال من العنبر و اربعة آلاف دينار و اربعمائة حلة من الديباج الملوكي المزركش * فان كنت يا مسرور تأتني بذلك الامر ابحت لك الوصال * فقال لها هذا عليّ هيّن يا مخجلة الاقمار * ثم ان مسرورا خرج من عندها ليأتيها بذلك الذي طلبته منه فارسلت خلفه هبوبا الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذي ذكرهم لها * فبينما هو يمشي في شوارع المدينة اذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف الى ان لحقته * فقال لها يا هبوب الى اين ذاهبة * فقالت له إن سيدتي ارسلتني خلفك من اجل كذا وكذا واخبرته

بما قالته لها زين المواصف من اوله الى آخره * فقال والله يا هبوب ان يدي لا تملك شيأ من المال قالت له فلاي شيء وعدتها * فقال كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل فى الحب لابد منه * فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفسا وقر عينا والله لاكونن سببا في اتصالك بها ثم انها تركت و مشت * و ما زالت ماشية الى ان وصلت الى سيدتها فبكت بكاء شديدا * و قالت لها يا سيدتي والله انه رجل كبير المقدار محترم عند الناس * فقالت لها سيدتها لاحيلة في قضاء الله تعالى ان هذا الرجل ما وجد عندنا قلبا رحيما لاننا اخذنا ماله و لم يجد عندنا مودة و لا شفقة فى الوصال * وان ملت الى مراده اخاف ان يشيع الامر * فقالت لها هبوب يا سيدتي ما سهل علينا حاله و اخذ ماله ولكن ما عندك الّا انا وجاريتك سكوب فمن يقدر ان يتكلم منا فيك و نحن جواريك * فعند ذلك اطرقت برأسها الى الارض ساعة فقال لها الجواري يا سيدتي الرأي عندنا ان ترسلي خلفه و تنعمي عليه ولا تدعيه يسأل احدا من اللئام فما امرّ السؤال * فقبلت كلام الجواري ودعت بدواة وقرطاس وكتبت اليه هذه الابيات

دَنَا الوَصْلُ يَا مَسْرُورُ فَابْشِرْ بِلَا مَطْلِ ... اِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ بِالْفِعْلِ
وَلَا تَسْأَلِ الْاَنْذَالَ فِى الْمَالِ يَا فَتى ... فَقَدْ كُنْتُ فِي سُكْرِي وَقَدْ رُدَّ لِي عَقْلِي
فَمَالُكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ جَمِيعُهُ ... وَزِدْتُكَ يَا مَسْرُورُ مِنْ فَوْقِهِ وَصْلِي
لِاَنَّكَ ذُو صَبْرٍ وَفِيكَ حَلَاوَةٌ ... عَلَى جَوْرِ مَحْبُوبٍ جَفَاكَ بِلَا عَدْلِ
فَبَادِرْ لِتَغْنَمْ وَصْلَنَا وَلَكَ الْهَنَا ... وَلَا تُعْطِ اِهْمَالًا فَتَدْرِي بِنَا اَهْلِي
هَلُمَّ اِلَيْنَا مُسْرِعًا غَيْرَ مُبْطِئٍ ... وَكُلْ مِنْ ثِمَارِ الْوَصْلِ فِي غَيْبَةِ الْبَعْلِ

ثم انها طوت الكتاب و اعطته لجاريتها هبوب فاخذته و مضت به الى مسرور فوجدته يبكي و ينشد قول الشـــــاعر

وَهَبَّ عَلَى قَلْبِي نَسِيمٌ مِنَ ٱلْجَوَى ... فَفَتَّتَ ٱلْأَكْبَادَ مِنْ فَرْطِ لَوْعَتِي
لَقَدْ زَادَ وَجْدِي بَعْدَ بُعْدِ أَحِبَّتِي ... وَفَاضَتْ جُفُونِي فِي تَزَايُدِ عَبْرَتِي
وَعِنْدِي مِنَ ٱلْأَوْهَامِ مَا إِنْ أَبُحْ بِهِ ... لِصُمِّ ٱلْحَصَى وَٱلصَّخْرِ لَانَتْ بِسُرْعَةِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى مَا يَسُرُّنِي ... وَأَحْظَى بِمَا أَرْجُوهُ مِنْ نَيْلِ بُغْيَتِي
وَتُطْوَى لَيَالِي ٱلصَّدِّ مِنْ بَعْدِ هَجْرِهَا ... وَأَبْرَأُ مِمَّـا دَاخِلَ ٱلْقَلْبِ خَلَّتِ

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا لما زاد به الهيام صار ينشد الاشعار وهو في غاية الشوق * فبينما هو يترنّم بتلك الابيات و يردّدها اذ سمعته هبوب فطرقت عليه الباب فقام و فتح لهـــا فدخلت و ناولته الكتاب فاخذه و قرأه * و قال لها يا هبوب ماوراءك من اخبار سيدتك * فقالت يا سيدي ان في هذا الكتاب ما يغني عن ردّ الجواب و انت من ذوي الالباب ففرح مسرور فرحا شديدا و انشـــد هذين البيـــــــتيـــــــن

وَرَدَ ٱلْكِتَابُ فَسَـــرَّنَا مَضْمُونُهُ ... وَأَرَدْتُ أَنِّي فِي ٱلْفُؤَادِ أَصُونُهُ
وَ ازْدَدْتُ شَوْقًا عِنْدَ مَا قَبَّلْتُهُ ... فَكَأَنَّمَـــا دُرُّ ٱلْهَوَى مَكْنُونُهُ

ثم انه كتب كتابا جوابا لها و اعطاه لهبوب فاخذته و اتت به الى زين المواصف * فلما وصلت اليها به صارت تشرح لها محاسنه و تذكر

و

اوصافه وكرمه و صارت مساعدة له على جمع شمله بها * فقالت لها زين المواصف يا هبوب انه ابطأ عن الوصول الينا * فقالت لها هبوب انه سيأتي سريعا فلم تمتمم كلامها و اذا به قد اقبل و طرق الباب ففتحت له و اخذته و ادخلته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه و رحبت به و اجلسته الى جانبها * ثم قالت لجاريتها هبوب هاتي له بدلة من احسن ما يكون * فقامت هبوب و اتت ببدلة مذهبة فاخذتها و افرغتها عليه * و افرغت على نفسها بدلة ايضا من افخر الملابس و وضعت على راسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب * و ربطت على السبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر و الجواهر و اليواقيت * و ارخت من تحت العصابة سالفتين و وضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج * و ارخت شعرها كانه الليل الداجي * و تبخرت بالعود و تعطرت بالمسك و العنبر * فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فصارت تمشي و تتبختر في خطواتها و تنعطف فانشدت الجارية من بديع شعرها هذه الابيات

خَجِلَتْ غُصُونُ البَانِ مِنْ خُطُوَاتِهَا   وَسَطَتْ عَلَى العُشَّاقِ مِنْ لَحَظَاتِهَا
قَمَرٌ تَبَدَّى فِي غَيَاهِبِ شَعْرِهَا   كَالشَّمْسِ تُشْرِقُ فِي دُجَى وَفَرَاتِهَا
طُوبَى لِمَنْ بَاتَتْ تَلِيهِ بِحُسْنِهَا   وَيَمُوتُ فِيهَا حَالِفًا بِحَيَوتِهَا

فشكرتها زين المواصف * ثم انها اقبلت على مسرور و هي كالبدر المشهور * فلما رآها مسرور نهض قائما على قدميه و قال ان صدقني ظني فما هي انسية و انما هي من عرايس الجنة * ثم انها دعت بالمائدة فحضرت و اذا مكتوب على اطراف المائدة هذه الابيات

عمّ بالملاعق في ربيع السكاريج … والذ بنوع القلايا والطياهيج
قلية سمّاقة ما زلت اعشقها … مع الفراخ الغوالي والفراريج
لله در الكباب الذي يزهو بحمرته … والبقل يغمس في خل السكاريج
نعم الارز بالبان الحليب غدت … فيه الكفوف الى حد الدماليج
يا لهف قلبي على لونين من سمك … لدى رغيفين من خبز التواريج

ثم انهم اكلوا و شربوا و تلذذوا و طربوا و رفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكاس و الطاس و طابت منهم الانفاس وملأ الكاس مسرور وقال يا من انا عبدها و هي سيدتي ثم صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عجبت لعيني ان تملّى بملئها … بحسن فتاة اشرقت بجمالها
وليس لها في عصرها من مشابه … للطف معانيها وحسن خصالها
ويحسد غصن البان لين قوامها … اذا خطرت في حلة يا عدالها
بوجه منير يخجل البدر في الدجى … وفرق حكى في النور ضوء هلالها
اذا خطرت في الارض بعبق نشرها … نسيما يرى في سهلها وجبالها

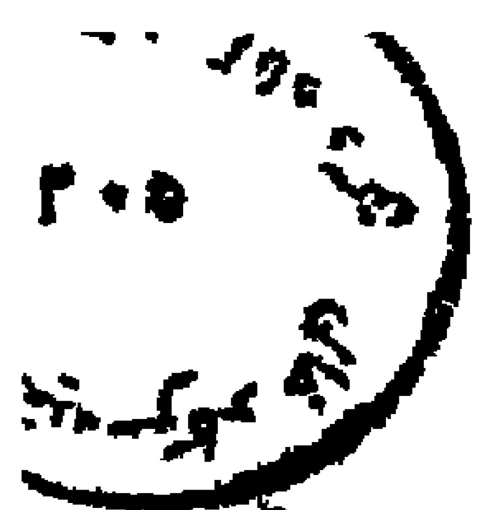
فلما فرغ مسرور من شعره قالت يا مسرور كلّ من تمسك بدينه وقد اكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا * فخل عنك هذه الامور وانا ارد عليك املاكك وجميع ما اخذناه منك * فقال يا سيدتي انت في حلّ مما تذكرينه * وان كنت غدرت في اليمين التي بيني وبينك فانا اروح واصير مسلما * فقالت لها جاريتها هبوب يا سيدتي انت صغيرة السن وتعرفين كثيرا وانا استشفع عندك بالله العظيم * فان لم تطيعيني في امري وتجبري خاطري لاانام الليلة

عندك فى الدار * فقالت لها يا هبوب مايكون الاّ ما تريدينه قومي جددي لنا مجلسا أخر فنهضت الجارية هبوب و جددت مجلسا وزينته وعطرته باحسن العطر كما تحب وتختار * وجهزت الطعام واحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما امر جاريتها هبوب بتجديد مجلس الانس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس * فقالت زين المواصف يا مسرور قد أن اوان اللقاء والتداني فان كنت لحبنا تعاني فانشد لنا شعرا بديع المعاني فانشد مسرور هذه القصيدة

أُسِرْتُ وَفِى قَلْبِي لَهِيبٌ تَضَرَّمَا ... بِحَبْلِ وِصَالٍ فِى الْفِرَاقِ تَصَرَّمَا
وَحُبِّ فَتَاةٍ قَدْ تَّ قَلْبِي قَوَامُهَا ... وَقَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي بِخَدٍّ تَنَعَّمَا
لَهَا الْحَاجِبُ الْمَقْرُونُ وَالطَّرْفُ أَحْوَرٌ ... وَثَغْرٌ يُحَاكِي الْبَرْقَ حِينَ تَبَسَّمَا
لَهَا مِنْ سِنِينِ الْعُمْرِ عَشْرٌ وَأَرْبَعٌ ... وَدَمْعِي حَكَى فِى حُبِّهَا تِيكَ عَنْدَمَا
فَعَايَنْتُهَا مَا بَيْنَ نَهْرٍ وَرَوْضَةٍ ... بِوَجْهٍ يَفُوقُ الْبَدْرَ فِى أُفُقِ السَّمَا
وَقَفْتُ لَهَا شِبْهَ الْأَسِيرِ مَهَابَةً ... وَقُلْتُ سَلَامُ اللّٰهِ يَا سَاكِنَ الْحِمَا
فَرَدَّتْ سَلَامِي عِنْدَ ذَلِكَ رَغْبَةً ... بِلُطْفِ حَدِيثٍ مِثْلِ دُرٍّ تَنَظَّمَا
وَحِينَ رَأَتْ قَوْلِي لَدَيْهَا تَحَقَّقَتْ ... مَرَامِي وَصَارَ الْقَلْبُ مِنْهَا مُصَمِّمَا
وَقَالَتْ أَمَا هَذَا الْكَلَامُ جَهَالَةٌ ... فَقُلْتُ لَهَا كُفِّي عَنِ الصَّبِّ اللَّوْمَا
فَإِنْ تَقْبَلِينِي الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ هَيِّنٌ ... فَمِثْلُكِ مَعْشُوقٌ وَمِثْلِي مُتَيَّمَا



فلما رأت مني المرام تبسمت … وقالت ورب خالق الأرض والسما
يهودية أقسى التهود دينها … وما أنت إلا للنصارى ملازما
فكيف ترى وصلي ولست بملتي … فإن تبغ هذا الفعل تصبح نادما
وتلعب بالدينين هل حل في الهوى … ويصبح مثلي بالملام مكلما
وتهوى به الأديان في كل وجهة … وتبقى على ديني ودينك مجرما
فإن كنت تهواني تهود محبة … وصير سوى وصلي عليك محرما
وتحلف بالإنجيل قولا محققا … لتحفظ سري في هواك وتكتما
وأحلف بالتوراة أيمان صادق … بأني على العهد الذي قد تقدما
حلفت على ديني وشرعي ومذهبي … وحلفتها مثلي يمينا معظما
وقلت لها ما الاسم يا غاية المنى … فقالت أنا زين المواصف في الحمى
فناديت يا زين المواصف إنني … بحبك مشغوف الفؤاد متيما
وعاينت من تحت اللثام جمالها … فصرت كئيب القلب والحال مغرما
فمازلت تحت الستر أخضع شاكيا … كثير غرام في الفؤاد تحكما
فلما رأت حالي وفرط تولهي … جلت لي وجها ضاحكا متبسما
وهب لنا ريح الوصال وعطرت … نوافح عطر المسك جيدا ومعصما
وقد عبقت منها الأماكن كلها … وقبلت من فيها رحيقا ومبسما
ومالت كغصن البان تحت غلائل … وحللت وصلا كان قبل محرما
وبتنا بجمع الشمل والشمل جامع … بضم ولثم وارتشاف من اللمى
وما زينة الدنيا سوى من تحبه … يكون قريبا منك كي تتحكما
فلما تجلى الصبح قامت وودعت … بوجه جميل فائق قمر السما
وقد أنشدت عند الوداع ودمعها … على الخد منثورا وبعضا منظما

فَلَمْ أَنسَ عَهْدَ اللهِ مَا عِشْتُ فِي الوَرَى ... وَحُسْنِ اللَّيَالِي وَالْيَمِينِ الْمُعَظَّمَا

فعند ذلك طربت زين المواصف وقالت يا مسرور ما احسن معانيك ولا عاش من يعاديك * ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ماظن انه محال وفرح بمـــا نال من طيب الوصال * فعند ذلك قالت له زين المواصف يا مسرور ان مالك حرام علينا حلال لك لاننا قد صرنا احبابا * ثم انها ردت عليه جميع ما اخذته منه من الاموال * وقالت له يامسرور هل لك من روضة نأتي اليها و نتفرج عليهـــا قال نعم يا سيدتي لي روضة ليس لها نظير * ثم مضى الى منزله و امر جواريـــه ان يصنعن طعـــاما فاخرا وان يهيئن مجلسا حسنا وصحبة عظيمة * ثم انـــه دعاها الى منزله فحضرت هي وجواريهـــا فاكلوا و شربوا وتلذذوا وطربوا و دار بينهم الكاس و طابت منهم الانفاس وخلا كل حبيب بحبيبه * فقالت له يا مسرور انه خطر ببالي شعر رقيق اريد ان اقوله على العود * فقال لها قوليه فاخذت العود بيـــدها و اصلحت شانه وحركت اوتاره وحسنت النغمات و انشدت تقول هذه الابيات

قَدْ مَالَ بِي طَرَبٌ مِنَ الْأَوْتَارِ ... وَصَفَا الصَّبُوحُ لَنَا لَدَى الْأَسْحَارِ
وَالْحُبُّ يَكْشِفُ عَنْ فُؤَادٍ مُتَيَّمٍ ... فَبَدَا الْهَوَى بِتَهَتُّكِ الْأَسْتَارِ
مَعَ خَمْرَةٍ رَقَّتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا ... كَالشَّمْسِ تُجْلَى فِي يَدِ الْأَقْمَارِ
فِي لَيْلَةٍ جَاءَتْ لَنَا بِسُرُورِهَا ... تَمْحُو بِصَفْوٍ شَائِبَ الْأَكْدَارِ

فلما فرغت من شعرها قالت له يا مسرور انشدنا شيأ من اشعارك ومتّعنا بفواكه اثمارك فانشد هذين البيتـــــــــــــــــــــــين

طَرِبْنَا عَلَى بَدْرٍ يُدِيرُ مُدَامَةً ... وَنَغْمَةِ عُودٍ فِي رِيَاضٍ مَقَامُنَا
وَغَنَّتْ قَمَارِيهَا وَمَالَتْ غُصُونُهَا ... سُحَيْرًا وَفِي أَنْحَائِهَا غَايَةُ الْمُنَى

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف انشد لنا شعرا فيما وقع لنا ان كنت مشغولا بحبنا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف قالت لمسرور ان كنت مشغولا بحبنا فانشد لنا شعرا فيما وقع لنا فقال حبا وكرامة وانشد هذه القصيدة

قِفْ وَاسْتَمِعْ مَا جَرَى لِي ... فِي حُبِّ هَذَا الْغَزَالِ
رِيمٌ رَمَانِي بِنَبْلٍ ... وَلَحْظُهُ قَدْ غَزَا لِي
فُتِنْتُ عِشْقًا وَإِنِّي ... فِي الْحُبِّ ضَاقَ احْتِيَالِي
هَوِيتُ ذَاتَ دَلَالٍ ... مَحْجُوبَةً بِالنِّصَالِ
أَبْصَرْتُهَا وَسْطَ رَوْضٍ ... وَقَدُّهَا ذُو اعْتِدَالِ
سَلَّمْتُ قَالَتْ سَلَامًا ... لَمَّا صَغَتْ لِمَقَالِي
سَأَلْتُ مَا الْاسْمُ قَالَتْ ... اِسْمِي وِفَاقُ جَمَالِ
سُمِّيتُ زَيْنَ الْمَوَاصِفْ ... فَقُلْتُ رِقِّي لِحَالِي
فَإِنَّ عِنْدِي غَرَامًا ... هَيْهَاتَ صَبٌّ مِثَالِي
قَالَتْ فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى ... وَطَامِعًا فِي وِصَالِي
أُرِيدُ مَالًا جَزِيلًا ... فَوْقَ كُلِّ نَوَالِ
أُرِيدُ مِنْكَ ثِيَابًا ... مِنَ الْحَرِيرِ غَوَالِ

وربع قنطار مسك   برسم ليل وصالي
ولؤلؤاً وعقيقاً   من النفيس الغالي
وفضة ونضاراً   من الحلي الحالي
اظهرت صبراً جميلاً   على عظيم اشتغالي
فانعمت لي بوصل   في ليلة ذي هلال
إن لامني الغير فيها   اقول يا لرجال
لها شعور طوال   واللون لون ليال
وخدها فيه ورد   مثل اللظى في اشتعال
وجفنها فيه سيف   ولحظها كالنبال
وثغرها فيه خمر   وريقها كالزلال
كأنه عقد در   حوى نظام اللآل
وجيدها جيد ظبي   مليحة في كمال
وصدرها كرخام   ونهدها كالقلال
وبطنها فيه طي   معطر بالغوالي
وتحت ذلك شيء   له انتهت آمالي
مربرب وسمين   مكلثم يا موالي
كأنه تخت ملك   عليه اعرض حالي
وبين العمودين تلقى   له مصاطبا بتعالي
لكنه فيه وصف   يلهي عقول الرجال
له شفاه كبار   ونفرة كالبغال
يبدو بحمرة عين   ومشفر كالجمال

اذا اتيت اليه بهمة في الفعال
تلقاه حر الملاقي بقوة و حقالي
يرد كل شجاع محلول عزم القتال
و تارة تلتقيه بلحية في مطال
ينبيك عنه مليح ذو بهجة و جمال
كمثل زين المواصف مليحة في الكمال
اتيت ليلا اليها و نلت شيأ حلالي
و ليلة بت معها فاقت جميع الليالي
لما اتى الصبح قامت و وجهها كالهلال
تهز منها قواما هز الرماح العوالي
و ودعتني و قالت متى تعود الليالي
فقلت يا نور عيني اذا اردت تعالي

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طربا عظيما وحصل لها غاية الانشراح * وقالت يامسرور قددنا الصباح ولم يبق الا الرواح خوفا من الافتضاح * فقال حبا وكرامة * ثم نهض قائما على قدميه واتى بها الى ان اوصلها الى منزلها ومضى الى محله وبات وهو متفكر في محاسنها * فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة واتى بها اليها وجلس عندها * واقاما على ذلك مدة ايام وهما في ارغد عيش واهناه * ثم انه ورد عليها في بعض الايام كتابا من عند زوجها * مضمونه انه يصل اليها عن قريب فقالت في نفسها لا سلمه الله ولا احياه * لانه ان وصل الينا تكدر عيشنا ياليتني كنت يئست منه * فلما اتى اليها مسرور جلس يتحدث معها

على العادة * فقالت له يا مسرور قد ورد علينا كتاب من عند زوجي مضمونه انه يصل الينا من سفره عن قريب * فكيف يكون العمل وما لاحد منا عن صاحبه صبر * فقال لها لست ادري ما يكون بل انت اخبر و ادرى باخلاق زوجك * ولاسيما انت من اعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن مثله الرجال * فقالت انه رجل صعب و له غيرة على اهل بيته * ولكن اذا قدم من سفره و سمعت بقدومه فاقدم عليه و سلم عليه واجلس الى جانبه * وقل له يا اخي انا رجل عطار واشترْ منه شيأً من انواع العطارة * و تردّد عليه مرارا و اطل معه الكلام و مهما امرك به فلا تخالفه فيه * فلعل ما احتال به يكون مصادفا فقال لها سمعا و طاعة * وخرج مسرور من عندها و قد اشتعلت في قلبه نار المحبة * فلما وصل زوجها الى الدار فرحت بوصوله و رحبت به و سلمت عليه * فنظر في وجهها فرأى فيه لون الاصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران و عملت فيه بعض حيل النساء فسألها عن حالها * فذكرت له انها مريضة من وقت ما سافر هي و الجواري * وقالت له ان قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك وصارت تشكو اليه مشقة الفراق و تبكي بدمع مهراق * و تقول لوكان معك رفيق ما حمل قلبي هذا الهم كله * فبالله عليك ياسيدي ما بقيت تسافر الّا برفيق و لاتقطع عني اخبارك لاجل ان اكون مطمئنة القلب و الخاطر عليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما قالت لزوجها لاتسافر الّا برفيق ولا تقطع عني اخبارك لاجل ان اكون مطمئنة

القلب والخاطر عليك قال لها حبا وكرامة * والله ان امرك رشيد
ورأيك سديد وحيوتك على قلبي مايكون الّا ما تريدينه * ثم
انه خرج بشيءٍ من بضاعته الى دكانه وفتحها وجلس يبيع فى
السوق * فبينما هو في دكانه واذا بمسرور قد اقبل وسلم عليه وجلس
الى جانبه وصار يحدّثه ومكث يتحدث معه ساعة * ثم اخرج كيسا
وحلّه واخرج منه ذهبا ودفعه الى زوج زين المواصف وقال له
اعطني بهذه الدنانير شيأ من انواع العطارة لا بيعه في دكاني فقال
له سمعا وطاعة * ثم اعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردّد عليه اياما
فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له انا مرادي رجل اشاركه فى
المتجر * فقال له مسرور وانا الأخر مرادي رجل اشاركه في المتجر *
لان ابي كان تاجرا في بلاد اليمن وخلف لي مالا عظيما وانا خائف
على ذهابه * فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له هل لك ان
تكون رفيقا لي واكون لك رفيقا وصاحبا وصديقا فى السفر
والحضر واعلمك البيع والشراء والاخذ والعطاء * فقال له مسرور حبا
وكرامة * ثم انه اخذه واتى به الى منزله واجلسه فى الدهليز * ودخل
الى زوجته زين المواصف وقال لها اني رافقت رفيقا ودعوته الى
الضيافة فجهزي لنا ضيافة حسنة * ففرحت زين المواصف وعرفت انه
مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاما حسنا من فرحتها
بمسرور حيث تمّ تدبير حيلتها * فلما حضر مسرور في دار زوج زين
المواصف قال اخرجي معي اليه ورحبي به وقولي له آنستنا * فغضبت
زين المواصف وقالت له انحضرني قدام رجل غريب اجنبي اعوذ بالله
ولو قطعتني قطعا ما احضر قدامه * فقال لها زوجها لاي شيءٍ

تستحيين منه وهو نصراني ونحن يهود و نصير اصحابا * فقالت انا ما اشتهي ان احضر قدام الرجل الاجنبي الذي ما نظرته عيني قط ولا اعرفه * فظن زوجها انها صادقة في قولها * ولم يزل يحايلها حتى قامت وتلفلفت واخذت الطعام وخرجت الى مسرور ورحبت به * فاطرق راسه الى الارض كانه مستحي فنظر الرجل الى اطراقه و قال لاشك ان هذا زاهد فاكلوا كفايتهم * ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف تجاه مسرور فصارت تنظره وينظرها الى ان مضى النهار * فانصرف مسرور الى منزله والتهبت في قلبه النار * واما زوج زين المواصف فانه صار متفكرا في لطف صاحبه وفي حسنه * فلما اقبل الليل قدمت اليه زوجته طعاما ليتعشى كعادته وكان عنده في الدار طير هزار اذا جلس ياكل ياتي اليه ذلك الطير وياكل معه ويرفرف على راسه * وكان ذلك الطير قد الف مسرورا فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام * فحين غاب مسرور وحضر صاحبه فلم يعرفه ولم يقرب منه فصار متفكرا في امر ذلك الطير وفي بعاده عنه * واما زين المواصف فانها لم تنم بل صار قلبها مشغولا بمسرور واستمر ذلك الامر الى ثاني ليلة وثالث ليلة * ففهم اليهودي امرها وتقلد عليها وهي مشغولة البال فانكر عليها * وفي رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمة في حضنه فانكر ذلك عليها وكتم امره * فلما اصبح الصباح ذهب الى دكانه وجلس فيها * فبينما هو جالس واذا بمسرور قد اقبل و سلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا يا اخي * ثم قال له اني مشتاق اليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية * ثم قال له قم يا اخي معي الى منزلي حتى نعقد المؤاخاة * فقال مسرور حبا

وكرامة * فلما وصلا الى المنزل تقدم اليهودي واخبر زوجته بقدوم مسرور وانه يريد ان يتجر هو واياه ويؤاخيه وقال لها هيئي لنا مجلسا حسنا * ولا بد انك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة * فقالت له بالله عليك لاتحضرني قدام هذا الرجل الغريب فمالي غرض ان احضر قدامه فسكت عنها * وامر الجواري ان تقدم الطعام والشراب * ثم انه استدعى بالطير الهزار فنزل في حجر مسرور ولم يعرف صاحبه * فعند ذلك قال له ياسيدي ما اسمك قال اسمي مسرور * والحال ان زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الاسم * ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير اليه وتغمزه بحاجبها فعرف ان الحيلة قد تمت عليه * فقال يا سيدي امهلني حتى اجيء باولاد عمي يحضرون المؤاخاة * فقال له مسرور افعل ما بدالك فقام زوج زين المواصف وخرج من الدار وجاء من وراء المجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوج زين المواصف قال لمسرور امهلني حتى اجيء باولاد عمي ليحضروا عقد المؤاخاة بيني وبينك * ثم انه مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء اليهـا وصار ينظر هما منها وهما لا ينظرانه * واذا بزين المواصف قالت لجاريتها سكوب اين راح سيدك قالت الى خارج الدار * قالت لها اغلقي البـاب ومكّنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يدق الباب بعد ان تخبريني * قالت لها الجارية وهو كذلك * كل ذلك وزوجها يعاين حالهم * ثم ان زين المواصف

اخذت الكاس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت الى مسرور * فقام لها وتلقاها وقال لها والله ان ريقك احلى من هذا الشراب وصارت تسقيه ويسقيها * وبعد ذلك رشته بماء الورد من فرقه الى قدمه حتى فاحت روائحه في المجلس * كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما * وقد امتلأ قلبه غيظا مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة * فاتى الى الباب فوجده مغلقا فطرقه طرقا قويا من شدة غيظه * فقالت الجارية يا سيدتي قد جاء سيدي * فقالت افتحي له الباب فلا ردّه الله بسلامة فمضت سكوب الى الباب وفتحته * فقال لها مالك تغلقين الباب فقالت هكذا في غيابك لم يزل مغلقا ولا يفتح ليلا ولا نهارا * فقال احسنت فانه يعجبني ذلك * ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم امره وقال يا مسرور دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم ولنتآخى في يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعا وطاعة * افعل ما تريد * فعند ذلك مضى مسرور الى منزله وصار زوج زين المواصف متفكرا في امره ولا يدري ما يصنع * وصار خاطره في غاية التكدير وقال في نفسه حتى الهزار انكرني والجواري اغلقت الابواب في وجهي وملن الى غيري * ثم انه صار من شدة قهره يردّد انشاد هذه الابيات

لَقَدْ عَاشَ مَسْرُورٌ زَمَانًا مُنَعَّمًا ... بِلَذَّةِ أَيَّامٍ وَعَيْشٍ تَصَرَّمَا
نُعَسًا يُعَدِّيني الايَّامُ فِيمَنْ أُحِبُّهُ ... وَقَلْبِي بِنِيرَانٍ بِزَيْدٍ تَضَرَّمَا
صَفَا لَكَ دَهْرٌ بِالْمَلِيحَةِ قَدْ مَضَى ... وَلَازِلْتُ فِي ذَاكَ الْجَمَالِ مُهَيَّمَا

لقد عاينت عيناي حسن جمالها فاصبح قلبي في هواها متيما
لقد طالما قد ارشفتني مع الرضا بعذب ثنايا ها رحيقا على ظما
فمالك يا طير الهزار تركتني وصرت لغيري في الغرام مسلما
وقد ابصرت عيني امورا عجيبة تنبه اجفاني اذا كن نوما
رأيت حبيبي قد اضاع مودتي وطير هزاري لم يكن لي محوما
وحق اله العالمين الذي اذا اراد قضاء في الخليقة ابرما
لافعل ما يستوجب الظالم الذي بجهل دنا من وصلها و تقدما

فلما سمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها و اصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر * فقالت الجارية ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر و لكن دعيه يقول ما يقول * فلما تحقق زوجها ان هذا الامر صحيح صار يبيع في كل ما تملكه يده * و قال في نفسه ان لم اغربهما عن اوطانهما لم يرجعا عما هما فيه ابدا * فلما باع جميع املاكه كتب كتابا مزورا ثم قرأه عليها و ادعى ان هذا الكتاب جاءه من عند اولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو و زوجته * فقالت وكم نقيم عندهم قال اثني عشر يوما فاجابته الى ذلك * و قالت له هل آخذ معي بعض جواري قال خذي منهن هبوب و سكوب ودعي هنا خطوب * ثم هيأ لهن هودجا مليحا وعزم علي الرحيل بهن * فارسلت زين المواصف الى مسرور ان فات الميعاد الذى بيننا و لم تأت فاعلم انه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة و ابعدنا عن بعضنا فلاتنس العهود و المواثيق التي بيننا فاني اخاف من حيله و مكره * ثم ان زوجها جهز حاله للسفر * و اما زين المواصف فانها صارت تبكي و تنتحب و لا يقرّ لها قرار في

ليل و لانهار * فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها * فلما رأت زين المواصف ان زوجها لابد له من السفر لمّت قماشها و متاعها * و اودعت جميع ذلك عند اختها و اخبرتها بما جرى لها و ودعتها و خرجت من عندها و هي تبكي * ثم رجعت الى بيتهـا فرات زوجها قد احضر الجمال و صار يضع عليها الاحمال * و هيأ لزين المواصف احسن الجمال * فلما رأت زين المواصف انه لابد من فراقها لمسرور تحيرت * فاتفق ان زوجها قد خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول و كتبت عليه هذه الابيات و ادرك شهرزاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المبـاح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما رات زوجها احضر الجمال و علمت بالسفر تحيرت * فاتفق ان زوجها خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول و كتبت عليه هذه الابيـات

أَلَا يَا حَمَامَ الدَّارِ بَلِّغْ سَلَامَنَا ... مِنَ الصَّبِّ لِلْمَحْبُوبِ عِنْدَ فِرَاقِنَا
وَبَلِّغْهُ أَنِّي لَا أَزَالُ حَزِينَةً ... وَنَادِمَةً عَلَى مَا كَانَ مِنْ طِيبِ وَقْتِنَا
كَمَا أَنَّ حِبِّي لَا يَزَالُ مُتَيَّمًا ... حَزِينًا عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ سُرُورِنَا
قَضَيْنَا زَمَانًا بِالْمَسَرَّةِ وَالْهَنَا ... وَفُزْنَا بِوَصْلٍ لَيْلَنَا وَنَهَارَنَا
فَلَمْ نَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَصْبَحَ صَائِحًا ... عَلَيْنَا غُرَابُ الْبَيْنِ يَنْعَى فِرَاقَنَا
رَحَلْنَا وَخَلَّيْنَا الدِّيَارَ بَلَاقِعًا ... فَيَا لَيْتَنَا لَمْ نُخْلِ تِلْكَ الْمَسَاكِنَا

ثم اتت الى الباب الثاني وكتبت عليه هذه الابيـات

أيا واصلاً بالباب بالله فانظرا جمال حبيبي في الدياجي واخبرا
بأني أبكي ان تذكرت وصله ولا ينفد الدمع الذي بالبكا جرى
فان لم تجد صبراً على ما اصابني فضع فوق هاتيك التراب وغبرا
وسافر الى شرق البلاد وغربها وعش صابراً فالله للأمر قدرا

ثم اتت الى الباب الثالث وبكت بكاء شديدا وكتبت عليه هذه الابيات

رويدك يا مسرور ان زرت دارها فاعبر الى الابواب واقرأ سطورها
ولا تنس عهد الود ان كنت صادقاً فكم طعمت حلوا الليالي ومرها
فبالله يا مسرور لا تنس قربها فقد تركت فيك الهنا وسرورها
الا وابك ايام الوصال وطيبها وانت متى ما جئت ارخت ستورها
فسافر قصيات البلاد لأجلنا وخض بحرها واستقص عنا بروزها
لقد ذهبت عنا ليالي وصالنا وفرط ظلام الهجر اطفأ نورها
رعى الله اياماً مضت ما اسرها بروض الاماني اذ قطفنا زهورها
فهلا استمرت مثل ما كنت ارتجي ابى الله الا وردها وصدورها
فهل ترجع الايام تجمع شملنا واوفي اذا وافت لربي نذورها
وكن عالماً ان الامور بكف من يخط على لوح الجبين سطورها

ثم بكت بكاء شديدا ورجعت الى الدار تبكي وتنتحب وصارت تتذكر ما مضى وقالت سبحان الله الذي حكم علينا بهذا ثم زاد تأسفها على مفارقة الأحباب وعلى فراق الديار وانشدت هذه الابيات

عليك سلام الله يا منزلاً خلا لقد قضت الايام فيك سرورها
الا يا حمام الدار لازلت نائحاً لمن فارقت اقمارها وبدورها
رويدك يا مسرور فابك لفقدنا لقد فقدت عيني لفقدك نورها

وَلَوْ نَظَرَتْ عَيْنَاكَ يَوْمَ رَحِيلِنَا   وَنِيرَانَ قَلْبِي زَادَ دَمْعِي سَعِيرُهَا
وَلَا تَنْسَ ذَاكَ الْعَهْدَ فِي ظِلِّ رَوْضَةٍ   حَوَتْ شَمْلَنَا فِيهَا وَارْخَتْ سُتُورُهَا

ثم حضرت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذي صنعه لها فلما ان صارت على ظهر البعير انشدت هذه الابيات

عَلَيْكَ سَلَامُ اللّهِ يَا مَنْزِلًا خَلَا   وَقَدْ طَالَ مَازِدْنَا هُنَاكَ تَجَمُّلَا
فَلَيْتَ زَمَانِي فِي ذُرَاكَ تَصَرَّمَتْ   لَيَالِيهِ حَتَّى فِي الصَّبَابَةِ اُقْتُلَا
جَزِعْتُ عَلَى بُعْدِي وَشَوْقِي لِمَوْطِنٍ   شُغِفْتُ بِهِ لَمْ اَدْرِ مَا قَدْ تَحَصَّلَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَرَى فِيهِ عَوْدَةً   تَرُوقُ كَمَا رَاقَتْ لَنَا فِيهِ اَوَّلَا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لاتحزني على فراق منزلك فانك تعودين اليه عن قريب و صار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا الى ظاهر البلاد واستقبلوا الطريق و علمت ان الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها * كل هذا و مسرور قاعد في منزله متفكر في امره و امر محبوبته فحس قلبه بالفراق فنهض قائما على قدميه من وقته و ساعته وسار حتى جاء الى منزلها فرأى الباب مقفولا ورأى الابيات التي كتبتها زين المواصف فقرأ على الباب الاول * فلما قرأه وقع في الارض مغشيا عليه ثم افاق من غشيته وفتح الباب الاول ودخل الى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث * فلما قرأ جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج في اثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب فرأها في أخره وزوجها في اوله لاجل حوائجه فلما رأها تعلق بالهودج باكيا حزينا من الم الفراق و انشد هذه الابيات

لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ ذَنْبٍ رُمِينَا بِسِهَامِ الصُّدُودِ طُولَ السِّنِينَا
يَا مُنَى القَلْبِ جِئْتُ لِلدَّارِ يَوْمًا عِنْدَ مَا زِدْتُ فِي هَوَاكِ شُجُونَا
فَرَأَيْتُ الدِّيَارَ قَفْرًا يَبَابًا فَشَكَوْتُ النَّوَى وَزِدْتُ أَنِينَا
وَسَأَلْتُ الجِدَارَ عَنْ كُلِّ قَصْدِي أَيْنَ رَاحُوا وَصَارَ قَلْبِي رَهِينَا
قَالَ سَارُوا عَنِ المَنَازِلِ حَتَّى صَيَّرُوا الوَجْدَ فِي الفُؤَادِ كَمِينَا
كَتَبُوا لِي عَلَى الجِدَارِ سُطُورًا فِعْلَ أَهْلِ الوَفَا مِنَ العَالَمِينَا

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت انه مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت انه مسرور فبكت هي وجواريها * ثم قالت له يا مسرور سألتك بالله ان ترجع عنا لئلا يراك ويراني زوجي * فلما سمع مسرور ذلك غشي عليه * فلما افاق ودّعا بعضهما وانشد هذه الابيات

نَادَى الرَّحِيلُ سُحَيْرًا فِي الدُّجَى الهَادِي قَبْلَ الصَّبَاحِ وَهَبَّتْ نَسْمَةُ النَّادِي
شَدُّوا المَطَايَا وَجَدُّوا فِي تَرَحُّلِهِمْ وَأَسْرَعَ الرَّكْبُ لَمَّا زَمْزَمَ الحَادِي
وَعَطَّرُوا أَرْضَهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَعَجَّلُوا سَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ الوَادِي
تَمَلَّكُوا مُهْجَتِي عِشْقًا وَقَدْ رَحَلُوا وَغَادَرُونِي عَلَى آثَارِهِمْ غَادِي
يَا جِيرَةً قَصْدِيَ أَنْ لَا أُفَارِقَهُمْ حَتَّى بَلَلْتُ الثَّرَى مِنْ دَمْعِيَ الغَادِي
يَا وَيْحَ قَلْبِيَ بَعْدَ البُعْدِ مَا صَنَعَتْ يَدُ الفِرَاقِ عَلَى رَغْمِي بِأَكْبَادِي

و ما زال مسرور ملازما للركب و هو يبكي و ينتحب و هي تستعطفه في ان يرجع قبل الصباح * خشية الافتضاح * فتقدم الى الهودج وودعها ثاني مرة وغشي عليه ساعة زمانية * فلما افاق وجدهم سائرين فالتفت نحو سيرهم وشمّ ريح القبول و صار يترنم بانشاد هذه الابيات

مَا هَبَّ رِيحُ القُرْبِ لِلْمُشْتَاقِ ... اِلَّا شَكَا مِنْ لَوْعَةِ الْاَشْوَاقِ
هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسْمَةٌ سَحَرِيَّةٌ ... مَا فَاقَ اِلَّا وَهْوَ فِي الْاَعْمَاقِ
مُلْقًى عَلَى فُرُشِ السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى ... يَبْكِي الدِّمَاءَ بِدَمْعِهِ الْمُهْرَاقِ
مِنْ جِيرَةٍ رَحَلُوا وَ قَلْبِي مَعَهُمْ ... بَيْنَ الرِّكَابِ يُسَاقُ بِالسُّوَّاقِ
وَ اللّٰهِ مَا فِي الْقُرْبِ هَبَّتْ نَسْمَةٌ ... اِلَّا وَقَفْتُ لَهَا عَلَى الْاَحْدَاقِ

ثم رجع مسرور الى الدار و هو في غاية الاشتياق فرأها خالية من الاطناب موحشة من الاحباب فبكى حتى بلّ الثياب و غشي عليه و كادت ان تخرج روحه من جسده * فلما افاق انشد هذين البيتين

يَا رَبْعُ رِقَّ لِذِلَّتِي وَ خُضُوعِي ... وَ نُحُولِ جِسْمِي وَانْهِمَالِ دُمُوعِي
وَانْشُرْ اِلَيْنَا مِنْ عَبِيرِ نَسِيمِهِمْ ... اَرَجًا لِتَشْفِيَ خَاطِرِي الْمَوْجُوعِ

فلما رجع مسرور الى منزله صار متحيرا من اجل ذلك باكي العين و لم يزل على هذا الحال مدة عشرة ايام * هذا ما كان من امر مسرور * و اما ما كان من امر زين المواصف فانها عرفت ان الحيلة قد تمت عليها فان زوجها ما زال سائرا بها مدة عشرة ايام * ثم انزلها في بعض المدن فكتبت زين المواصف كتابا لمسرور و ناولته لجاريتها هبوب و قالت ارسلي هذا الكتاب الى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا و كيف غدر بنا اليهودي * فاخذت الجارية منها

الكتاب وارسلته الى مسرور * فلما وصل اليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بلّ التراب وكتب كتابا و ارسله الى زين المواصف و ختمه بهذين البيـــــتيـــــن

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى أَبْوَابِ سُلْوَانِ ... وَكَيْفَ يَسْلُو الَّذِي فِي حَرِّ نِيرَانِ
مَا كَانَ أَطْيَبَ أَوْقَاتٍ لَهُمْ سَلَفَتْ ... فَلَيْتَ مِنْهَا لَدَيْنَا بَعْضَ أَحْيَانِ

فلما وصل الكتاب الى زين المواصف اخذته و قرأته و اعطته لجاريتها هبوب و قالت لها اكتمي خبره * فعلم زوجها انهما يتراسلان فاخذ زين المواصف وجواريها و سافر بهن مسافة عشرين يوما * ثم نزل بهن في بعض المدن * هذا ما كان من امر زين المواصف * و اما ما كان من امر مسرور فانه صار لا يهنأ له نوم و لا يقرّ له قرار ولم يكن له اصطبار * و لم يزل كذلك اذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في المنام ان زين المواصف قد جاءت اليه في الروضة و صارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله و ذهل لبـــه و هملت عيناه بالدموع و قد اصبح قلبه في غاية الولوع فانشـــد هذه الابـــيـــات

سَلَامٌ عَلَى مَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ طَيْفُهَا ... فَهَيَّجَ أَشْوَاقِي وَ زَادَ غَرَامِي
وَقَدْ قُمْتُ مِنْ ذَاكَ الْمَنَامِ مُوَلَّعًا ... بِرُؤْيَةِ طَيْفٍ زَارَنِي بِمَنَامِي
فَهَلْ تَصْدُقُ الْأَحْلَامُ فِيمَنْ أُحِبُّهُ ... وَتَشْفِي غَلِيلِي فِي الْهَوَى وَسَقَامِي
فَطَوْرًا تُعَاطِينِي وَطَوْرًا تَضُمُّنِي ... وَطَوْرًا تُوَاسِينِي بِطِيبِ كَلَامِ
وَلَمَّا تَقَضَّى فِي الْمَنَامِ عِتَابُنَا ... وَصَارَتْ عُيُونِي بِالدُّمُوعِ دَوَامِ
رَشَفْتُ رُضَابًا مِنْ لُمَاهَا كَأَنَّهُ ... رَحِيقٌ أَرَى رَيَّاهُ مِسْكَ خِتَامِ

عَجِبْتُ لِمَا قَدْ كَانَ فِي النَّوْمِ بَيْنَنَا وَ قَدْ نِلْتُ مِنْهَا مُنْيَتِي وَ مَرَامِي
وَقَدْ قُمْتُ مِنْ ذَاكَ الْمَنَامِ وَلَمْ اَجِدْ مِنَ الطَّيْفِ اِلَّا لَوْعَتِي وَ غَرَامِي
فَاَصْبَحْتُ كَالْمَجْنُونِ حِينَ رَأَيْتُهَا وَ اَمْسَيْتُ سَكْرَانًا بِغَيْرِ مُدَامِ
اَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللّٰهِ بَلِّغِي تَحِيَّةَ اَشْوَاقِي لَهُمْ وَ سَلَامِي
وَ قُولِي لَهُمْ ذَاكَ الَّذِي تَعْهَدُونَهُ سَقَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ كَأْسَ حِمَامِ

ثم انه توجه الى منزلها و ما زال يبكي حتى وصل اليه فنظر الى المكان فوجده خاليا و رأى خيالها يلوح قدامه وكان شخصها امامه فاشتعلت نيرانه و زادت احزانه و وقع مغشيا عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا لما رأى فى المنام زين المواصف و هي تعانقه فرح غاية الفرح ثم انتبه من النوم و راح الى دارها فرأى الدار خالية فزادت احزانه ووقع مغشيا عليه * فلما افاق جعل ينشد هذه الابيات

تَنَشَّقْتُ مِنْهُمْ فَائِحَ الْعِطْرِ وَالْبَانِ فَرُحْتُ بِقَلْبٍ زَائِدِ الْوَجْدِ وَلَهَانِ
اُعَالِجُ اَشْوَاقِي كَئِيبًا مُتَيَّمًا بِرَبْعٍ خَلَا عَنْ حُسْنِ اِنْسِي وَخُلَّانِي
فَاَمْرَضَنِي بِالْبَيْنِ وَالْوَجْدِ وَالْاَسَى وَ ذَكَّرَنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ بِخُلَّانِي

فلما فرغ من شعره سمع غرابا ينعق على جانب الدار فبكى و قال سبحان الله لا ينعق الغراب الّا على الدار الخراب ثم تحسر و تنهد و انشد هذه الابيات

مَا لِلْغُرَابِ بِدَارِ الْحِبِّ يَبْكِيهَا ... وَ النَّارُ تَحْرِقُ اَحْشَائِي وَ تَكْوِيهَا
عَلَى زَمَانٍ تَقَضَّى فِي مَحَبَّتِهِمْ ... قَدْ رَاحَ قَلْبِي ضَيَاعًا فِي مَهَاوِيهَا
اَمُوتُ وَجْدًا وَنَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي ... وَ اَكْتُبُ الْكُتْبَ مَالِي مَنْ يُؤَدِّيهَا
وَا حَسْرَتِي لِضَنَى جِسْمِي وَقَدْ رَحَلَتْ ... حَبِيبَتِي يَا تَرَى تَأْتِي لَيَالِيهَا
فَيَا نَسِيمَ الصَّبَا اِنْ زُرْتَهَا سَحَرًا ... سَلِّمْ عَلَيْهَا وَقِفْ بِالدَّارِ حَيِّيهَا

و قد كان لزين المواصف اخت تسمى نسيما و كانت تنظر اليه من مكان عال * فلما رأته على تلك الحالة بكت و تحسرت و انشدت هذه الابيات

كَمْ ذَا التَّرَدُّدُ فِي الْاَوْطَانِ تَبْكِيهَا ... وَ الدَّارُ تَنْدُبُ بِالْاَحْزَانِ بَانِيهَا
كَانَ السُّرُورُ بِهَا مِنْ قَبْلِ اَنْ رَحَلَتْ ... سُكَّانُهَا وَ شُمُوسُ اَشْرَقَتْ فِيهَا
اَيْنَ الْبُدُورُ الَّتِي كَانَتْ طَوَالِعَهُ ... مَحَتْ صُرُوفُ الرَّدَى اَبْهَى مَعَانِيهَا
دَعْ مَا مَضَى مِنْ مِلَاحٍ كُنْتَ تَأْلَفُهَا ... وَ انْظُرْ عَسَى تَرْجِعُ الْاَيَّامُ تُبْدِيهَا
لَوْلَاكَ مَا رَحَلَتْ سُكَّانُهَا اَبَدًا ... وَلَا رَأَيْتَ غُرَابًا فِي اَعَالِيهَا

فبكى مسرور بكاء شديدا لما سمع هذا الكلام و فهم الشعر و النظام * وكانت اختها تعرف ما هما عليه من العشق و الغرام و الوجد و الهيام * فقالت له بالله عليك يا مسرور كفّ عن هذا المنزل لئلا يشعر بك احد فيظن انك تأتي من اجلي * لانك رحّلت اختي و تريد ان ترحلني انا الاخرى * وانت تعرف انه لولا انت ما خلت الديار من سكانها فتسلّ عنها و اتركها فقد مضى ما مضى * فلما سمع مسرور ذلك من اختها بكى بكاء شديدا * و قال لها يا نسيم لو قدرت

ان الطير لطرت شوقا اليها فكيف اتسلى عنها فقالت مالك حيلة الّا الصبر * فقال لها سألتك بالله ان تكتبي لها كتابا من عندك وتردي لنا جوابا ليطيب خاطري وتنطفى النار التي في ضمائري فقالت حبا وكرامة * ثم اخذت دواة وقرطاسا وصار مسرور يصف لها شدة شوقه ومايكا بده من الم الفراق ويقول ان هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين * المفارق المسكين * الذي لايقر له قرار * في ليل ولا في نهار * بل يبكي بدموع غزار * قد قرحت الدموع اجفانه * واضرمت في كبده احزانه * وطال تأسفه وكثر قلقه مثل طير فقد الفه * وعجل تلفه * فيا اسفي من مفارقتك * ويا لهفي على معاشرتك * لقد ضر جسمي النحول * ودمعي صار في همول * وضاقت عليّ الجبال والسهول * فامسيت من فرط وجدي اقول *

وَجْدِي عَلَى تِلْكَ ٱلْمَنَازِلِ بَاقِ   زَادَتْ اِلَى سُكَّانِهَا اَشْوَاقِي
وَبَعَثْتُ نَحْوَكُمْ حَدِيثَ صَبَابَتِي   وَبِكَاْسِ حُبِّكُمْ سَقَانِي السَّاقِي
وَعَلَى رَحِيلِكُمْ وَبُعْدِ دِيَارِكُمْ   جَرَتِ ٱلْجُفُونُ بِدَمْعِهَا ٱلْمُهْرَاقِ
يَا حَادِيَ ٱلْاَظْعَانِ عَرِّجْ بِالْحِمَى   فَالْقَلْبُ مِنِّي زَائِدُ ٱلْاِحْرَاقِ
وَاقْرَأْ سَلَامِي لِلْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ   مَا اِنْ لَهُ غَيْرُ اللَّمَا مِنْ رَاقِ
أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ فَشَتَّتَ شَمْلَهُ   وَرَمَى حَشَا شَتَّهُ بِسَهْمِ فِرَاقِ
بَلِّغْ لَهُمْ وَجْدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي   مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِمْ وَمَا اَنَا لَاقِ
قَسَمًا بِحُبِّكُمْ يَمِينًا اَنَّنِي   اُوفِي لَكُمْ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
مَا مِلْتُ قَطُّ وَلَا سَلَوْتُ هَوَاكُمْ   كَيْفَ السُّلُوُّ لِعَاشِقٍ مُشْتَاقِ
فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلَامُ تَحِيَّةً   مَمْزُوجَةً بِالْمِسْكِ فِي ٱلْاَوْرَاقِ

فتعجبت اختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة اشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الاذفر وبخرته بالند والعنبر واوصلته الى بعض التجار وقالت له لاتسلم هذا الا لاختي اوجاريتها هبوب فقال حبا وكرامة * فلما وصل الكتاب الى زين المواصف عرفت انه من املاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها واجرت الدموع من جفنيها * ولم تزل تبكي حتى غشي عليها * فلما افاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هي فيه من الحنين الى الاحباب وشكت حالها اليه وما نالها من الوجد عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه ان هذا كتاب الى سيدي ومالك رقي ومولاي * وصاحب سري ونجواي * اما بعد فقد اقلقني السهر * وزادني الفكر * ومالي على بعدك مصطبر * يا من حسنه يفوق الشمس والقمر * فالشوق اقلقني * والوجد اهلكني * وكيف لا اكون كذلك وانا مع الهالكين * فيا بهجة الدنيا وزينة الحيوة هل لمن انقطعت انفاسه * ان يطيب كاسه * لانه لاهو مع الاحياء ولا مع الاموات * ثم انشدت هذه الابيات

كِتَابُكَ يَا مَسْرُورُ قَدْ هَيَّجَ الْبَلْوَى ... فَوَاللّٰهِ مَالِي عَنْكَ صَبْرٌ وَلَا سَلْوَى
وَلَمَّا قَرَأْتُ الْخَطَّ حَنَّتْ جَوَارِحِي ... وَمِنْ مَاءِ دَمْعِي هَا طِلًا لَمْ أَزَلْ أُرْوَى
وَلَوْ كُنْتُ طَيْرًا طِرْتُ فِي جُنْحِ لَيْلَةٍ ... فَلَمْ أَدْرِ طَعْمَ الْمَنِّ بَعْدَكَ وَالسَّلْوَى

حَرَامٌ عَلَيَّ العَيْشُ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ ۞ فَإِنِّي عَلَى حَرِّ التَّفَرُّقِ لَا أَقْوَى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك و العنبر و ختمته و ارسلته مع بعض التجار و قالت له لا تسلمه الا لاختي نسيم * فلما وصل الى اختها نسيم اوصلته الى مسرور فقبله و وضعه على عينيه و بكى حتى غشي عليه هذا ما كان من امرهم * و اما ما كان من امر زوج زين المواصف فانه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها و بجاريتها من محل الى محل * فقالت له زين المواصف سبحان الله الى اين تسير بنا و تبعدنا عن الاوطان * قال الى ان اقطع بكم سنة حتى لا يصل اليكن مراسلات من مسرور * و انظر كيف اخذتن جميع مالي واعطيتنه لمسرور فكل شيء ضاع لي أخذه منكن * و انظر هل ينفعكن مسرور او يقدر على خلاصكن من يدي * ثم انه مضى الى الحداد و صنع لهن ثلثة قيود من الحديد و اتى بها اليهن و نزع ما كان عليهن من الثياب الحرير و البسهن ثيابا من الشعر * وصار يبخرها بالكبريت * ثم جاء اليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود في ارجل هؤلاء الجواري فاول ما قدم زين المواصف * فلما رأها الحداد غاب صوابه وعض على انامله و طار عقله من رأسه و زاد غرامه * و قال لليهودي ما ذنب هؤلاء الجواري فقال انهن جواري و سرقن مالي وهربن مني * فقال له الحداد خيب الله ظنك و الله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة و اذنبت كل يوم الف ذنب لا يؤاخذها * و ايضا لا يظهر عليها علامة السرقة و لا تقدر على وضع الحديد في رجليها * ثم سأله ان لا يقيدها وصار يستشفع عنده

في عدم تقييدها * فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب * فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جوابا * ثم قبل شفاعة الحداد و وضع في رجليها قيدا صغيرا و قيد الجواري بالقيود الثقيلة * وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة * فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي و جواريها ليلا و نهارا الى ان انتحلت جسومهن و تغيرت الوانهن * و اما الحداد فانه وقع في قلبه لزين المواصف عشق عظيم * فسار الى منزله وهو باشد الحسرات وجعل ينشد هذه الابيات

شَلَّتْ يَمِينُكَ يَاقَيْنُ بِمَا وَثَقَتْ ... تِلْكَ القُيُودَ عَلَى الاَقْدَامِ وَالْعَصَبِ
قَيَّدْتَ اَقْدَامَ مَوْلَاةٍ مُنَعَّمَةٍ ... اِنْسِيَّةٍ خُلِقَتْ مِنْ اَعْجَبِ الْعَجَبِ
لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ مَا كَانَتْ خَلَاخِلُهَا ... مِنَ الْحَدِيدِ وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الذَّهَبِ
وَلَوْ رَأَى حُسْنَهَا قَاضِي القُضَاةِ رَثَى ... لَهَا وَاَجْلَسَهَا تِيهًا عَلَى الرُّتَبِ

و كان قاضي القضاة مارا على دار الحداد و هو يترنم بانشاد هذه الابيات فارسل اليه * فلما حضر قال يا حداد من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها * فنهض الحداد قائما على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده * وقال ادام الله ايام مولانا القاضي وفسح في عمره انها جارية صفتها كذا و كذا * وصار يصف له الجارية و ما هي فيه من الحسن و الجمال و القد و الاعتدال و الظرف و الكمال بوجه جميل و خصر نحيل و ردف ثقيل * ثم اخبره بما هي فيه من الذل و الحبس و القيود و قلة الزاد * فقال القاضي يا حداد دلّها علينا و اوصلها الينا حتى نأخذ لها حقها * لان هذه الجارية صارت متعلقة برقبتك * و ان كنت لا تدلّها علينا فان الله يجازيك يوم

القيمة * فقال الحداد سمعا و طاعة * ثم انه توجه من وقته و ساعته الى دار زين المواصف فوجد الباب مغلوقا و سمع كلاما رخيما من كبد حزين فانّ زين المواصف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الابيات

قَدْ كُنْتُ فِي وَطَنِي وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... وَالحِبُّ يَمْلَأُ لِي بِالصَّفْوِ أَقْدَاحَا
دَارَتْ عَلَيْنَا بِمَا نَهْوَاهُ مِنْ طَرَبٍ ... فَلَبْسُ تُنْكِرُ إِمْسَاءً وَإِصْبَاحَا
لَقَدْ قَضَيْنَا زَمَانًا كَانَ يُنْعِشُنَا ... كَأْسًا وَعُودًا وَقَانُونًا وَأَفْرَاحَا
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ أُلْفَتَنَا ... وَالحِبُّ وَلَّى وَوَقْتُ الصَّفْوِ قَدْ رَاحَا
فَلَيْتَ عَنَّا غُرَابُ البَيْنِ مُنْزَجِرٌ ... وَلَيْتَ فَجْرَ وِصَالِي فِي الهَوَى لَاحَا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام * ثم طرق الباب عليهن فقلن من بالباب * فقال لهن انا الحداد ثم اخبرهن بما قاله القاضي و انه يريد حضورهن لديه و اقامة الدعوة بين يديه حتى يخلص لهن حقهن و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحداد لما اخبر زين المواصف بكلام القاضي وانه يريد حضورهن لديه واقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن * قالت للحداد كيف نروح اليه والباب مغلوق علينا والقيود في ارجلنا والمفاتيح مع اليهودي * قال لهن الحداد انا اعمل للاقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود * قالت فمن يعرفنا بيت القاضي فقال الحداد انا اصفه لكنّ * فقالت زين المواصف وكيف نمضي عند القاضي ونحن

لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت * فقال لهن الحداد ان القاضي لايعيبكن وانتن في هذه الحالة * ثم نهض الحداد من وقته و ساعته و صنع مفاتيح للاقفال * ثم فتح الباب و فتح القيود و حلها من ارجلهن واخرجهن و دلهن على بيت القاضي * ثم ان جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتهـا من الثياب الشعر و ذهبت بهـا الى الحمام و غسلتها و البستها ثياب الحرير فرجع لونها اليها * و من تمام السعادة ان زوجها كان في وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف با حسن الزينة و مضت الى بيت القاضي * فلما نظرها القاضي و قف قائما على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام و حلاوة الفاظ و رشقته في ضمن ذلك بسهام الالحاظ * و قالت له ادام الله مولانا القاضي وايد به المنقاضي * ثم اخبرتـه بامر الحداد وما فعل معها من فعل الا حواد * وبما صنع بها اليهودي من العذاب الذي يدهش الالباب * واخبرته انه قد زاد بهن الهلاك و لم يجدن لهن من فكاك * فقال القاضي يا جارية ما اسمك قالت اسمي زين المواصف وجـاريتي هذه اسمها هبوب * فقال لها القاضي ان اسمك وافق مسماه وطابق لفظه معناه فتبسمت و لفت وجهها * فقال لها القاضي يا زين المـواصف ألكِ بعل ام لا قالت ما لي بعل قال وما دينك قالت دين الاسلام و ملة خير الانام * فقال لها اقسمي بالشريعة ذات الأيات والعبر * انك على ملة خير البشر * فا قسمت له وتشهدت فقال لها القاضي كيف انقضى شبابك مع هذا اليهودي * فقالت اعلم ايها القاضي ادام الله أيامك بالتراضي وبلغك أمالك * وختم بالصالحات اعمالك * ان ابي خلف لي بعد و فاته خمسة عشر الف دينـــار وجعلهـــا في يد هذا اليهودي ليتجر فيهـا و الكسب بيننا و بينه

وراس المال ثابت بالبينة الشرعية * فعند ما مات ابي طمع اليهودي فيّ وطلبني من امي ليتزوج بي * فقالت له امي كيف اخرجها من دينهــا واجعلها يهودية فوالله لاعرفن الدولــة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها واخذ المال وهرب الى مدينة عدن * وعند ماسمعنا به انه في مدينة عدن جئنا في طلبه * فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا انــه يتاجر في البضائع و يشتري بضاعة بعد بضاعة فصدقنا * فلم يزل يخادعنا حتى حبسنا و قيدنا وعذبنا اشد العذاب * ونحن غرباء وما لنا معين الّا الله تعالى و مولانا القاضي * فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب هل هذه سيدتك وانتن غرباء و ليس لها بعل قالت نعم * قال زوجيني بها و انا يلزمني العتق و الصيام و الحج و الصدقــة ان لم اخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد ان اجازيه بما فعل * فقالت له هبوب لك السمع و الطاعة * فقال القاضي روحي طيبي قلبك و قلب سيدتك * وفي غد ان شاء الله تعالى ارسل الى هذا الكافر واخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب في عذابه * فدعت له الجارية و انصرفت من عنده وخلته في كرب وهيام وشوق و غرام * وبعد ان انصرفت من عنده هي و سيدتها سألتا على دار القاضي الثــاني فدلوهما عليه * فلما حضرتا لديه اعلمتاه بذلك * وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت امرها الى القضاة الاربعة * وكل واحد يسألها ان تتزوج به فتقول له نعم و لم يعرف بعضهم خبر بعض * فصار كل واحد يطمع فيها و لم يعلم اليهودي بشيء من ذلك لانه كان في دار الوليمة * فلما اصبح الصباح نهضت جاريتها و افرغت عليها حلة من افخر الملابس و دخلت بها على القضاة الاربعة في مجلس الحكم * فلما رأت القضاة حاضرين

اسفرت عن وجهها ورفعت قناعها و سلمت عليهم * فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم * وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده *وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه * وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه * فعند ذلك قالوا لها باظريفة الخصال و بديعة الجمال لا يكن قلبك الاّ طيبا فلا بد من ان نخلص لك حقك و نبلغك مرادك فدعت لهم* ثم ودعتهم وانصرفت وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان القضـــاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال و بديعة الجمال لايكن قلبك الاّ طيبا بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم* ثم ودعتهم وانصرفت* هذا كله و اليهودي مقيم عند اصحابـــه في الوليمة و ليس له علم بذلك * وصارت زين المــواصف تدعو ولاة الا حكام وارباب الا قلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من اليـم العذاب* ثم بكت وانشدت هذه الا بـــــيـــــات

يَا عَيْنُ سُحِّي الدَّمْعَ كَالطُّوفَانِ ... فَعَسَى يَدُ مَعْي تَنْطَفِي اَحْزَانِي
مِنْ بَعْدِ لُبْسِي لِلْحَرِيرِ مُطَرَّزًا ... اَضْحَى لِبَاسِي مَلْبَسَ الرُّهْبَانِ
وَالْعِطْرُ كِبْرِيتٌ بُخُورُ مَلَابِسِي ... شَتَّانَ بَيْنَ النَّدِّ وَالرَّيْحَانِ
لَوْ كُنْتَ يَا مَسْرُورُ تَعْلَمُ حَالَنَا ... مَا كُنْتَ تَرْضَى ذِلَّتِي وَ هَوَانِي
وَ هُبُوبُ فِي قَيْدِ الْحَدِيدِ اَسِيرَةٌ ... مَعْ كَافِرٍ بِالْوَاحِدِ الدَّيَّانِ
وَزَهِدْتُ اَحْوَالَ الْيَهُودِ وَدِينَهُمْ ... وَالْيَوْمَ دِينِي اَشْرَفُ الْاَدْيَانِ

وَسَجَدْتُ لِلرَّحْمٰنِ سَجْدَةَ مُسْلِمٍ ۞ وَتَبِعْتُ شَرْعَ مُحَمَّدٍ بِبَيَانِ
مَسْرُورُ لَا تَنْسَ ٱلْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ۞ وَٱحْفَظْ وَثِيقَ ٱلْعَهْدِ وَٱلْاِيمَانِ
اَبْدَلْتُ دِينِي فِي هَوَاكَ وَاِنَّنِي ۞ مِنْ فَرْطِ حُبِّي لَمْ يَزَلْ كِتْمَانِي
بَادِرْ اِلَيْنَا اِنْ حَفِظْتَ وِدَادَنَا ۞ حِفْظَ ٱلْكِرَامِ وَلَا تَكُنْ مُتَوَانِي

ثم انهـا كتبت كتابا يتضمن جميع ما عمله معهـا اليهودي من الاول الى الآخـر وسطرت فيه هذه الاشعار * ثم طوت الكتاب وناولتـه بجاريتهـا هبوب وقالت لهـا احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرساه الى مسرور * فبينما هما كذلك واذا باليهودي قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين * فقال مالي اراكما فرحانتين هل جاءكما كتاب من عند صد يقكما مسرور * فقالت له زين المواصف نحن مالنا معين عليك الا الله سبحانه وتعـالى فانه هو الذي يخلصنا من جورك * وان لم تردنا الى بلادنا واوطاننا فنحن في غد نترافع واياك الى حاكم هذه المدينة وقاضيها * فقال اليهودي ومن خلص القيود من ارجلكما ولكن لابد ان اصنع لكل واحدة منكن قيدا قدره عشرة ارطال واطوف بكن حول المدينة * فقالت له هبوب جميع ماتنوبنه لنا تقع فيه ان شاء الله تعالى كما ابعدتنـا عن اوطاننا * وفي غد نقف واياك قدام حاكم المدينة واستمرّوا على ذلك الى الصباح * ثم نهض اليهودي وجاء الى الحداد ليصنع قيودا لهن * فعند ذلك قامت زين المواصف هي وجواريها واتت الى دار الحكم ودخلتها * فرأت القضاة فسلمت عليهم فردّ عليها جميع القضاة السلام * ثم قال قاضي القضاة لمن حوله ان هذه الجارية

زهراوية وكل من رآها حبها وخضع لحسنها وجمالها * ثم ان القاضي ارسل معها من الرسل اربعة وكانوا اشرافا وقال لهم احضروا غريمها في اسوء حال * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر اليهودي فانه لما صنع لهن القيود توجه الى المنزل فلم يجد هن فيه فاحتار في امره * فبينما هو كذلك واذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضربا شديدا وجروه سحبا على وجهه حتى اتوا به الى القاضي * فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من امرك انك فعلت ما فعلت * وابعدت هؤلاء عن اوطانهن وسرقت مالهن وتريد ان تجعلهن يهودا فكيف تريد تكفير المسلمين * فقال اليهودي يا مولاي ان هذه زوجتي * فلما سمع القضاة منه ذلك الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب على الارض وانزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضربا وجيعا فان ذنبه لا يغفر * فنزعوا عنه ثيابه الحرير والبسوه ثيابها من الشعر والقوه على الارض ونتفوا لحيته وضربوه ضربا وجيعا على وجهه بالنعال * ثم اركبوه على حمار وجعلوا وجهه الى كفله وامسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به حول المدينة حتى جرسوه في سائر البلد ثم عادوا به الى القاضي وهو في ذل عظيم * فحكم عليه القضاة الاربعة بان تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب * فاندهش الملعون من ذلك القول وغاب عقله وقال يا سادات القضاة ما تريدون مني فقالوا له قل ان هذه الجارية ما هي زوجتي وان المال مالها وانا تعديت عليها وشتتها عن اوطانها * فاقر بذلك وكتبوا باقراره حجة واخذوا منه المال ودفعوه الى زين المواصف واعطوها الحجة

وخرجت * فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيرا في عقله * وقد ظن كل واحد من القضاة انها يؤول امرها اليه * فلما وصلت الى منزلهـــا جهزت امرها من جميع ما تحتاج اليه و صبرت الى ان دخل الليل * فاخذت ماخف حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها في ظلام الليل * و لم تزل سائرة مسافة ثلثة ايام بليا ليها * هذا ما كان من امر زين المواصف * و اما ما كان من امر القضاة فانهم بعد ذهابها امروا بحبس اليهودي زوجها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان القضاة امروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف * فلما اصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون ان تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند احد منهم * ثم ان القـــاضي الذي ذهب اليه اوّلا قال انا اريد اليوم ان انفرج على خارج المدينة لان لي حاجة هناك * ثم ركب بغلته واخذ غلامه وصار يطوف في ازقة المدينة طولا وعرضا ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبر * فبينما هو كذلك اذ وجد باقي القضـــاة دائرين وكل واحد منهم يظن انها ليس بينها و بين غيره ميعاد * فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في ازقة المدينة فاخبروه بشانهم * فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله * ثم صار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم الى منزله مريضا ورقدوا على فرش الضنى * ثم ان قاضي القضاة تذكر الحداد فارسل

اليه فلما حضر بين يديه قال يا حداد هل تعرف شيأ من خبر الجارية التي دللتها علينا فوالله ان لم تطلعني عليها والاّ ضربتك بالسياط * فلما سمع الحداد كلام القاضي انشد هذه الابيـــات

إِنَّ الَّتِي مَلَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَلَكَتْ ... مَجَامِعَ الْحُسْنِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ حُسْنَا
رَنَتْ غَزَالًا وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَبَدَتْ ... شَمْسًا وَمَاجَتْ غَدِيرًا وَانْثَنَتْ غُصْنَا

ثم ان الحداد قال والله يا مولاي حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني ابدا * وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي وقد مضيت الى منزلهـــا فلم اجدها ولم ارا احدا يخبرني عن شانها فكانها غطست في قرار الماء اوعرج بها الى السماء * فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه ان تخرج منها وقال والله ماكان لنا حاجة برؤينها * فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من اجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الاربعة * وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج الى الطبيب * ثم ان وجهاء الناس دخلوا على القاضي الاول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما في ضميره وانشد هذه الابيـــات

كُفُّوا الْمَلَامَ كَفَانِي مُؤْلِمُ السَّقَمِ ... وَاسْتَعْذِرُوا قَاضِيًا يَقْضِي عَلَى الْأُمَمِ
مَنْ كَانَ يَعْذِلُنِي فِي الْحُبِّ يَعْذِرُنِي ... وَلَا يَلُمْ فَقَتِيلُ الْحُبِّ لَمْ يُلَمِ
فَقَاضِيًا كُنْتُ وَالْأَقْدَارُ تُسْعِدُ بِي ... عَلَى الْمَرَاتِبِ فِي خَطِّي وَفِي قَلَمِي
حَتَّى رُمِيتُ بِسَهْمٍ لَا طَبِيبَ لَهُ ... مِنْ طَرْفِ جَارِيَةٍ جَاءَتْ لِسَفْكِ دَمِي
مَا مِثْلُ مُسْلِمَةٍ تَشْكِي ظُلَامَتَهَا ... وَثَغْرُهَا كَيَتِيمِ الدُّرِّ مُنْتَظِمِ
نَظَرْتُ تَحْتَ مُحَيَّاهَا وَقَدْ سَفَرَتْ ... بَدْرًا بَدَا تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ فِي الظُّلَمِ

قَدْ عَمَّهَا الْحُسْنُ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمِ وَجْهًا مُنِيرًا وَثَغْرًا بَاسِمًا عَجَبَا
مِنَ الْبَرِيَّةِ فِي عُرْبٍ وَلَا عَجَمِ وَاللهِ مَا نَظَرَتْ عَيْنِي كَطَلْعَتِهَا
إِذَا وَعَدْتُ أَفِي يَا قَاضِيَ الْأُمَمِ يَا حُسْنَ مَا وَعَدَتْنِي وَهْيَ قَائِلَةٌ
لَا تَسْأَلُوا عَنْ شُجُونِي يَا أُولِي الْهِمَمِ هَذَا مَقَامِي وَهَذَا مَا بُلِيتُ بِهِ

فلما فرغ القاضي من هذه الابيات بكى بكاء شديدا* ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الابيات

فِي الْقَبْرِ مَقْتُولَ الْحَبِيبِ وَصَدِّهِ كَمُلَتْ صِفَاتُ الْعَاشِقِينَ لِمَنْ غَدَا
وَيَرَاعُهُ سِجْنُ الْحُسَامِ بِغِمْدِهِ قَدْ كَانَ هَذَا لِلْبَرِيَّةِ قَاضِيًا
مَوْلًى تَذَلَّلَ فِي الْأَنَامِ لِعَبْدِهِ فَقَضَى عَلَيْهِ الْحُبُّ لَمْ نَرَ قَبْلَهُ

ثم انهم ترحموا عليه وانصرفوا الى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضررا ولا الما يحتاج الى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة فاجابهم مترنما بهذه الابيات

بُلِيتُ بِهَا وَمِثْلِي لَا يُلَامُ رُمِيتُ بِنَبْلَةٍ مِنْ كَفِّ رَامِ
أَتَتْنِي مَرْأَةٌ تُدْعَى هُبُوبًا تَعُدُّ الدَّهْرَ عَامًا بَعْدَ عَامِ
وَمَعْهَا طِفْلَةٌ أَبْدَتْ مُحَيًّا يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
فَبَيَّنَتِ الْمَحَاسِنَ وَهْيَ تَشْكُو وَأَدْمُعُ جَفْنِهَا ذَاتُ انْسِجَامِ
سَمِعْتُ كَلَامَهَا وَنَظَرْتُ فِيهَا فَأَضْنَتْنِي بِثَغْرٍ ذِي ابْتِسَامِ
وَقَدْ رَحَلَتْ بِقَلْبِي أَيْنَ رَاحَتْ وَخَلَّتْنِي رَهِينًا فِي غَرَامِي
فَهَذِي قِصَّتِي فَارْثُوا لِحَالِي وَحُطُّوا قَاضِيًا غَيْرِي غُلَامِي

ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فجهزوه و دفنوه و ترحموا عليه * ثم توجهوا الى القاضي الثالث فوجدوه مريضا و حصل له ما حصل للثاني * وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى لحبها * و وجدوا الشهود ايضا مرضى بحبها فان كل من رآها مات بحبها * و ان لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فان كل من رآها مات بعشقها * وان لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله اجمعين * هذا ما كان من امرهم * و اما ما كان من امر زين المواصف فانها جدت في السير مدة ايام حتى قطعت مسافة بعيدة * فاتفق انها خرجت هي و جواريها فمرت على دير في الطريق و فيه راهب كبير اسمه دانس وكان عنده اربعون بطريقا * فلما رأى جمال زين المواصف نزل اليها و عزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة ايام ثم سافروا فنزلت عنده هي و جواريها في ذلك الدير * فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها فسدت عقيدته و افتتن بها * و صار يرسل اليها مع البطارقة واحدا بعد واحد لاجل ان يؤلفها * فصار كل من ارسله اليها يقع في حبها و يراودها عن نفسها له وهي تتعذر و تتمنع * و لم يزل دانس يرسل اليها واحدا بعد واحد حتى ارسل اليها اربعين بطريقا * وكل واحد حين يراها يتعلق بعشقها و يكثر من ملاطفتها و يراودها عن نفسها ولايذكر لها اسم دانس فتمتنع من

ذلك و تجاوبهم باغلظ جواب * فلما فرغ صبر دانس و اشتد غرامه قال في نفسه ان صاحب المثل يقول * ما حك جسمي غير ظفري و لا سعى في مرامي مثل اقدامي * ثم نهض قائما على قدميه وصنع طعاما مفتخرا و حمله و وضعه بين يديها وكان ذلك في اليوم التاسع من العشرة ايام التي اتفق معها على اقامتها عنده لاجل الاستراحة * فلما وضعه بين يديها قال تفضلي بسم الله خيرا الزد ما حصل * فمدت يدها وقالت بسم الله الرحمن الرحيم واكلت هي و جواريها * فلما فرغت من الاكل قال لها يا سيدتي اريد ان انشدك ابياتا من الشعر قالت له قل فانشد هذه الابيات

مَلَكْتِ قَلْبِي بِالْأَلْحَاظِ وَ وَجْنَاتِ ... وَفِي هَوَاكِ غَدَا نَثْرِي وَابْيَاتِي
اَتَتْرُكِينَ مُحِبًّا مُغْرَمًا دَنِفًا ... اُعَالِجُ الْعِشْقَ حَتَّى فِي الْمَنَامَاتِ
لَا تَتْرُكِينِي صَرِيعًا وَالِهًا فَلَقَدْ ... تَرَكْتُ اَشْغَالَ دَيْرِي بَعْدَ لَذَّاتِي
يَا غَادَةً جَوَّزَتْ فِي الْحُبِّ سَفْكَ دَمِي ... رِفْقًا بِحَالِي وَعَطْفًا فِي شِكَايَاتِي

فلما سمعت زين المواصف شعره اجابته عن شعره بهذين البيتين

يَا طَالِبَ الْوَصْلِ لَا يَغْرُرْكَ بِي اَمَلُ ... اُكْفُفْ سُؤَالَكَ عَنِّي اَيُّهَا الرَّجُلُ
لَا تُطْمِعِ النَّفْسَ فِيمَا لَسْتَ تَمْلِكُهُ ... اِنَّ الْمَطَامِعَ مَقْرُونٌ بِهَا الْوَجَلُ

فلما سمع شعرها رجع الى صومعته و هو متفكر في نفسه و لم يدر كيف يصنع في امرها ثم بات تلك الليلة في اسوء حال * فلما جن الليل قامت زين المواصف و قالت لجواريها قوموا بنا فاننا لا نقدر على اربعين رجلا رهبانا وكل واحد منهم يراودني عن نفسي * فقال لها الجواري حبا و كرامة * ثم انهن ركبن دوابهن و خرجن من باب الدير و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما خرجت هي و جواريها من الدير لولا لم يزلن سائرات * واذا هن بقافلة سائرة فاختلطن بها و اذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين المواصف * فسمعت اهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف و يذكرون ان القضاة و الشهود ما توا في حبها وولّى اهل المدينة قضاة و شهودا غيرهم و اطلقوا زوج زين المواصف من الحبس * فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت الى جواريها * وقالت لجاريتها هبوب ألّا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها اذا كان الرهبان الذين عقيدتهم ان الترهب عن النساء عبادة قد افتتنوا في هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم انه لا رهبانية فى الاسلام * و لكن امض بنا الى اوطاننا مادام امرنا مكتوما * ثم انهن سرن و بالغن فى السير * هذا ما كان من امر زين المواصف و جواريها * واما ما كان من امر الرهبان فانهم لما اصبح الصباح اتوا الى زين المواصف لاجل السلام فرأوا المكان خاليا فاخذهم المرض في اجوا انهم * ثم ان الراهب الاول مزق ثيابه و صار ينشد هذه الابيات

أَلَايَا أُصَيْحَابِي تَعَالَوْا فَإِنَّنِي ... مُفَارِقُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ وَرَاحِلُ
فَإِنَّ فُؤَادِي فِيهِ آلَامُ لَوْعَةٍ ... وَقَلْبِي بِهِ مِنْ زَفْرَةِ الْحُبِّ قَاتِلُ
لِأَجْلِ فَتَاةٍ قَدْ أَتَتْ نَحْوَ أَرْضِنَا ... لَهَا الْبَدْرُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ يُعَادِلُ
فَرَاحَتْ وَخَلَّتْنِي قَتِيلَ جَمَالِهَا ... طَرِيحَ سِهَامٍ صَادَفَتْهَا مَقَاتِلُ

ثم ان الراهب الثاني انشد هذه الابيات

يَا رَاحِلِينَ بِمُهْجَتِي رِفْقاً عَلَى مِسْكِينِكُمْ وَتَعَطَّفُوا بِالْمَرْجِعِ
رَاحُوا فَرَاحَتْ رَاحَتِي مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَأَوْا وَطِيبُ حَدِيثِهِمْ فِي مَسْمَعِي
شَطُّوا فَشَطَّ مَزَارُهُمْ يَا لَيْتَهُمْ مَنُّوا عَلَيْنَا فِي الْمَنَامِ بِمَرْجِعِ
أَخَذُوا فُؤَادِي عِنْدَ مَا رَحَلُوا وَقَدْ تَرَكُوا جَمِيعِي فِي سَوَافِحِ أَدْمُعِي

ثم ان الراهب الثالث انشد هذه الابيات

يَصْدِرُكُمْ قَلْبِي وَعَيْنِي وَمَسْمَعِي فَقَلْبِي لَكُمْ مَأْوَى وَكُلِّي بِأَجْمَعِ
وَذِكْرُكُمْ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ فِي فَمِي وَيَجْرِي كَمَجْرَى الرُّوحِ فِي كُلِّ أَضْلُعِ
وَصَيَّرْتُمُونِي كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَى وَأَغْرَقْتُمُونِي فِي الْغَرَامِ بِمَدْمَعِي
دَعُونِي أَرَاكُمْ فِي الْمَنَامِ لَعَلَّكُمْ تُرِيحُوا خُدُودِي مِنْ تَبَارِيحِ أَدْمُعِي

ثم ان الراهب الرابع انشد هذين البيتين

خَرِسَ اللِّسَانُ وَقَلَّ فِيكَ كَلَامِي وَالْحُبُّ مِنْهُ تَوَجُّعِي وَسَقَامِي
يَا بَدْرَ تِمٍّ فِي السَّمَاءِ مَحَلُّهُ قَدْ زَادَ فِيكَ تَوَلُّهِي وَهُيَامِي

ثم ان الراهب الخامس انشد هذه الابيات

أَهْوَى قَمَراً عَادِلَ الْقَدِّ رَشِيقْ وَالْخَصْرُ نَحِيلٌ شَاكِيُ الضَّرَرْ
وَالرِّيقُ لَهُ شِبْهُ سُلَافٍ وَرَحِيقْ وَالرِّدْفُ ثَقِيلٌ لَا هِيَ الْبَشَرْ
وَالْقَلْبُ غَدَا بِالْغَرَامِ حَرِيقْ وَالصَّبُّ قَتِيلٌ بَيْنَ السَّمَرْ
وَالدَّمْعُ عَلَى الْخَدِّ قَانٍ كَعَقِيقْ فِي الْخَدِّ يَسِيلُ مِثْلَ الْمَطَرْ

ثم ان الراهب السادس انشد هذه الابيات

يَا مُتْلِفِي فِي الْحُبِّ فَرْطَ صُدُودِهِ يَا غُصْنَ بَانٍ لَاحَ نَجْمُ سُعُودِهِ
أَشْكُو إِلَيْكَ كَآبَتِي وَصَبَابَتِي يَا مُحْرِقِي فِي نَارِ وَرْدِ خُدُودِهِ

هَلْ مِثْلُ صَبٍّ فِيكَ غَادَرَ نُسْكَهُ ... وَغَدَا عَلَيْهِ رُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ

ثم ان الراهب السابع انشد هذه الابيات

سَجَنَ الفُؤَادَ وَدَمْعَ عَيْنِي اَطْلَقَا ... وَالوَجْدُ جَدَّدَهُ وَصَبْرِي مَزَّقَا
حُلْوُ الشَّمَائِلِ مَا اَمَرَّ صُدُودَهُ ... يَرْمِي الفُؤَادَ بِسَهْمِهِ عِنْدَ اللِّقَا
يَا عَاذِلِي اقْصُرْ وَتُبْ عَمَّا مَضَى ... مَا اَنْتَ فِي خَبَرِ الغَرَامِ مُصَدَّقَا

وهكذا باقي البطارقة والرهبان كلهم يبكون وينشدون الاشعار * واما كبيرهم دانس فانه زاد به البكاء والعويل ولم يجد لوصالها من سبيل * ثم انه صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي يَوْمَ سَارَ اَحِبَّتِي ... وَفَارَقَنِي مَنْ كَانَ سُؤْلِي وَمُنْيَتِي
فَيَا حَادِيَ الاَظْعَانِ رِفْقًا بِعِيسِهِمْ ... عَسَى اَنْ يَمُنُّوا بِالرُّجُوعِ لِدَارَتِي
جَفَا جَفْنَ عَيْنِي النَّوْمُ يَوْمَ فِرَاقِهِمْ ... وَجَدَّدَتُ اَحْزَانِي وَفَارَقْتُ لَذَّتِي
اِلَى اللهِ اَشْكُو مَا اُلَاقِي بِحُبِّهَا ... لَقَدْ اَنْحَلَتْ جِسْمِي وَاَوْدَتْ بِقُوَّتِي

ثم انهم لما يئسوا امنها اجمع رأيهم على انهم يصوّرون صورتها عندهم واتفقوا على ذلك الى ان اتاهم هادم اللذات * هذا ما كان من امر هؤلاء الرهبان اصحاب الدير * واما ما كان من امر زين المواصف فانها سارت تقصد محبوبها مسرورا * ولم تزل سائرة الى ان وصلت الى منزلها وفتحت الابواب ودخلت الدار * ثم ارسلت الى اختها نسيم * فلما سمعت اختها بذلك فرحت فرحا شديدا واحضرت لها الفراش ونفيس القماش * ثم انها فرشت لها والبستها وارخت الستور على الابواب * واطلقت العود والند والعنبر والمسك

الاذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار اعظم ما يكون * ثم ان زين المواصف لبست افخر قماشها وتزينت احسن الزينة * كل ذلك جرى و مسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد و حزن ما عليه من مزيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما دخلت دارها اتت لها اختها بالفراش والقماش وفرشت لها والبستها افخر الثياب * كل ذلك جرى * ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد * ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها التي تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الاول الى الآخر * ثم انها التفتت الى هبوب واعطتها دراهم وامرتها ان تذهب وتأتي لها بشيء تاكله هي وجواريها * فذهبت واتت بالذي طلبته من الاكل والشرب * فلما انتهى اكلهن وشربهن امرت هبوب ان تمضي الى مسرور وتنظر اين هو وتشاهد ما هو فيه من الاحوال * وكان مسرور لا يقرّ له قرار ولا يمكنه اصطبار * فلما زاد عليه الوجد والغرام والعشق والهيام صار يتسلى بانشاد الاشعار ويذهب الى الدار ويقبل الجدار * فاتفق انه مضى الى محل التوديع وصار ينشد هذا الشعر البديع

اخفيت ما القاه منه وقد ظهر ‏ والنوم من عيني تبدل بالسهر
ناديت لما قد سبت قلبي الفكر ‏ يا دهر لاتبقي علي ولا تذر

هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ

لَوْكَانَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ مُنْصِفِي ... مَا كَانَ نَوْمِي مِنْ عُيُونِي قَدْ نُفِي
يَا سَادَتِي رِفُوا لِصَبٍّ مُدْنَفٍ ... وَارْثُوا لِحَالِ كَبِيرِ قَوْمٍ ذَلَّ فِي
شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيِّ قَوْمٍ افْتَقَرْ

لَجَّ الْعَوَاذِلُ فِيكَ مَا طَاوَعْتُهُمْ ... وَسَدَدْتُ كُلَّ مَسَامِعِي وَبَهَتُّهُمْ
وَحَفِظْتُ مِيثَاقَ الَّذِينَ حَبَبْتُهُمْ ... قَالُوا عَشِقْتَ مُفَارِقًا فَأَجَبْتُهُمْ
كُفُّوا اذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ

ثم انه رجع الى منزله وقعد يبكي فغلب عليه النوم فرأى في منامه كأنّ زين المواصف اتت الى الدار فانتبه من نومه وهو يبكي * ثم سار متوجها الى منزل زين المواصف وهو ينشد هذه الابيات

أَلَا لِلَّتِي فِي الْحُبِّ قَدْ مَلَكَتْ أَسْرِي ... وَقَلْبِي عَلَى نَارٍ أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ
عَشِقْتُ الَّتِي أَشْكُو إِلَى اللهِ بُعْدَهَا ... وَصَرْفَ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثَ مِنْ دَهْرِ
مَتَى الْمُلْتَقَى يَا غَايَةَ الْقَلْبِ وَالْمُنَى ... وَأَحْظَى بِجَمْعِ الشَّمْلِ يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ

وكان آخر ما انشد من الشعر وهو ماش في زقاق زين المواصف * فشمّ منه الروائح الزكية فهاج لبه وفارق صدره قلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه * واذا بهبوب متوجهة الى قضاء حاجة فرأها وهي مقبلة من صدر الزقاق * فلما رأها فرح فرحا شديدا * فلما رأته هبوب اتت اليه وسلمت عليه وبشّرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له انها ارسلتني في طلبك اليها * ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد * ثم اخذته ورجعت به اليها * فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها * ولم يزالا يقبلان

بعضهما بعضا ويتعانقان حتى غشي عليهما زمنا طويلا من شدة المحبة والفراق * فلما افاق من غشيتهما امرت جاريتها هبوب باحضار قلّة مملوءة من شراب السكر وقلّة مملوءة من شراب الليمون * فاحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم اكلوا وشربوا* وما زالوا كذلك الى ان اقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من اوله الى أخره * ثم انها اخبرته باسلامها ففرح واسلم هو ايضا وكذلك جواريها وتابوا الى الله تعالى * فلما اصبح الصباح امرت باحضار القاضي والشهود واخبرتهم انها عازبة وقد وفت العدة * ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها عليه وصاروا في الذ عيش * هذا ما كان من امر زين المواصف ومسرور * واما ما كان من امر زوجها اليهودي فانه حين اطلقه اهل المدينة من السجن سافر منها موجها الى بلاده * ولم يزل مسافرا حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين المواصف ثلثة ايام * فاخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها امضي الى مقبرة اليهود واحفري قبرا وضعي عليه الرياحين ورشّي حوله الماء * وان جاء اليهودي وسألك عني فقولي له ان سيدتي ماتت من قهرها عليك * ومضى لموتها مدة عشرين يوما * فان قال لك اريني قبرها فخذيه الى القبر وتحيلي على دفنه فيه بالحيوة فقالت سمعا وطاعة* ثم انهم رفعوا الفراش وادخلوه في مخدع ومضت الى بيت مسرور فقعد هو واياها في اكل وشرب* ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلثة ايام هذا ما كان من امرهم * واما ما كان من امر زوجها فانه لما اقبل من السفر دق الباب * فقالت هبوب مَنْ بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدها * فقال لها ما يبكيك واين

سيدتك * فقالت له ان سيدتي قد ماتت بسببه فهرها عليك * فلما سمع منها ذلك الكلام تحير في امره وبكى بكاء شديدا * ثم قال لها يا هبوب اين قبرها فاخذته ومضت بـه الى المقبرة وارته القبر الذي حفرته * فعند ذلك بكى بكاء اشديدا ثم انشد هذين البيتين

شَيْآنِ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى يُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَقْضِيَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا شَرْخُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْاَحْبَابِ

ثم بكى بكاء شديدا و انشد هذه الابيات

اَوَّاهُ وَا اَسَفَا قَدْ خَانَنِي جَلَدِي وَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبِي مُتُّ بِالْكَمَدِ
يَا مَا دَهَانِي مِن بَعْدِ الْحَبِيبِ وَيَا تَقْطِيعَ قَلْبِي عَلَى مَا قَدَّمَتْهُ يَدِي
يَا لَيْتَنِي قَدْ كَتَمْتُ السِّرَّ فِي زَمَنِي وَلَمْ اَبُحْ بِغَرَامٍ هَاجَ فِي كَبِدِي
قَدْ كُنْتُ فِي عِيشَةٍ مَرْضِيَّةٍ رَغَدٍ وَصِرْتُ مِنْ بَعْدِهَا فِي الذُّلِّ وَالنَّكَدِ
فَيَا هَبُوبُ لَقَدْ هَيَّجْتِ لِي شَجَنًا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ مِنْ دُونِ الْوَرَى سَنَدِي
زَيْنُ الْمَوَاصِفِ لَا كَانَ الْفِرَاقُ وَلَا كَانَ الَّذِي فَارَقَتْ رُوحِي بِهِ جَسَدِي
لَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى نَقْضِ الْعُهُودِ وَقَدْ عَاتَبْتُ نَفْسِي عَلَى التَّفْرِيطِ فِي عَمَدِي

فلما فرغ من شعره بكى وانّ واشتكى فخرّ مغشيا عليه * فلما غشي عليه اسرعت هبوب بجرّه ووضعه في القبر وهو بالحيوة * ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت الى سيدتهـا واعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحا شديدا وانشدت هذين البيتين

الدَّهْرُ اَقْسَمَ لَا يَزَالُ مُكَدِّرِي حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِي
مَاتَ الْعَذُولُ وَمَنْ هَوِيتُ مُوَاصِلِي فَانْهَضْ اِلَى دَاعِ السُّرُورِ وَشَمِّرِي

ثم انهم اقاموا مع بعضهم على الاكل والشرب واللهـو واللعب

والطرب الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات

وممايحكى

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من اكابر التجار ومن الامناء الاحرار* الّا انه كان مولعا بالسفر الى جميع الاقطار ويحب السير في البراري والقفار* والسهول والاوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار* وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وطالما ركب الاخطار* وقاسى في السفر ما يشيب الاطفال الصغار* وكان اكثر التجار في ذلك الزمان مالا واحسنهم مقالا* صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال* وغرائر واعدال وبضائع واموال واقمشة عديمة المثال* من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وازرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغلمان مصرية* وكانت غرائر احماله من الحرير* لانه كان كثير الاموال بديع الجمال مائس الاعطاف شهي الانعطاف كما قال فيه بعض واصفيه

وَتَاجِرٍ عَايَنْتُ عُشَّاقَهُ ... وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ثَائِرْ
فَقَالَ مَالِلنَّاسِ فِي ضَجَّةٍ ... قُلْتُ عَلَى عَيْنِكَ يَا تَاجِرْ

وقال آخر في وصفه واجاد واتى فيه بالمراد

وَتَاجِرٍ فِي وَصْلِهِ زَارَنَا ... وَالْقَلْبُ مِنَ الْحَاظِهِ حَائِرْ
فَقَالَ لِي مَالَكَ فِي حَيْرَةٍ ... قُلْتُ عَلَى عَيْنِكَ يَا تَاجِرْ

وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى عليا نورالدين * كأنه البدر اذا بدر في ليلـة اربعة عشر بديع الحسن و الجمال ظريف القـد و الاعتدال * فجلس ذلك الصبي يوما من الايام في دكان والده على جري عادته للبيع والشراء و الاخذ و العطاء * وقد دارت حوله اولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم * بجبين ازهر و خد احمر و عذار اخضر و جسم كالمرمر كما قال فيه الشاعـر

وَ مَلِيـحٍ قَالَ صِفْنِـي قُلْتُ أَنْتَ فِي الْحُسْنِ رَجِيحْ
قُلْتُ قَوْلًا بِاخْتِصَـار كُلُّ مَا فِيـكَ مَلِيـحْ

وكما قال فيه بعض واصفيه

لَهُ خَالٌ عَلَى صَفَحَاتِ خَدٍّ كَنُقْطَةِ عَنْبَرٍ فِي صَحْنِ مَرْمَرْ
وَ أَلْحَاظٌ بِأَسْيَـافٍ تُنَادِي عَلَى عَاصِي الْهَوَى اَللّٰهُ اَكْبَرْ

فعزمه اولاد التجار و قالوا يا سيدي نورالدين نشتهي في هذا اليوم اننا نتفرج نحن و اياك في البستان الفلاني * فقال لهم حتى اشاور والدي فاني لم اقدر ان اروح الا باجازته * فبينما هم في الكلام و اذا بوالده تاج الدين قد اتى * فنظر اليه ولده و قال يا ابي ان اولاد التجار قد عزموني لاجل ان اتفرج انا و اياهم في البستان الفلاني فهل تأذن لي في ذلك فقال نعم يا ولدي * ثم انه اعطاه شيأ من المال و قال له توجه معهم * فركب اولاد التجار حميرا و بغالا و ركب نورالدين بغلة * و سار معهم الى بستان فيه ما تشتهي الانفس و تلذ الا عين * وهو مشيد الاركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه ايوان و باب سماوي يشبه ابواب الجنان و بوابه اسمه رضوان و فوقه مائة مكعب عنب من سائر الالوان الاحمر كأنه مرجان * والاسود كأنه

الوف السودان والابيض كأنه بيض الحمام * وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح * كل هذه الانواع مختلفة الالوان صنوان وغير صنوان * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كامل ما تشتهي الانفس واللسان ووجدوا العنب مختلف الالوان صنوانا وغير صنوان كما قال فيه الشاعر

عِنَبٌ طَعْمُهُ كَطَعْمِ الشَّرَابِ ... حَالِكٌ لَوْنُهُ كَلَوْنِ الغُرَابِ
بَيْنَ أَوْرَاقِهِ زَهَا فَتَرَاهُ ... كَبَنَانِ النِّسَاءِ بَيْنَ الخِضَابِ

وكما قال فيه الشاعر ايضا

عَنَاقِيدُ حَكَتْ لَمَّا تَدَلَّتْ ... عَلَى قُضْبَانِهَا جِسْمِي نُحُولَا
حَكَتْ عَسَلًا وَمَاءً فِي إِنَاءٍ ... وَعَادَتْ بَعْدَ حِصْرِمِهَا شَمُولَا

ثم انتهوا الى عريشة البستان فرأوا رضوان بوّاب البستان جالسا في تلك العريشة كانه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوبا على باب العريشة هذين البيتين

سَقَى اللهُ بُسْتَانًا تَدَلَّتْ قُطُوفُهُ ... فَمَالَتْ بِهَا الأَغْصَانُ مِنْ شِدَّةِ الشُّرْبِ
إِذَا رَقَصَتْ أَغْصَانُهُ بِيَدِ الصَّبَا ... تُنَقِّطُهَا الأَنْوَاءُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ

ورأوا مكتوبا في داخل العريشة هذين البيتين

أُدْخُلْ بِنَا يَا صَاحِ فِي رَوْضَةٍ ... تَجْلُو عَنِ القَلْبِ صَدَا هَمِّهِ
نَسِيمُهَا يَعْثُرُ فِي ذَيْلِهِ ... وَزَهْرُهَا يَضْحَكُ فِي كُمِّهِ

وفي ذلك البستان فواكه ذات افنان و اطيار من جميع الاصناف و الالوان * مثل فاخت و بلبل و كروان و قمري و حمام يغرد على الاغصان * و انهارها بها الماء الجاري * و قد راقت تلك المجاري * بازهار و اثمار ذات لذات كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

سَرَتِ النَّسِيمُ عَلَى الْغُصُونِ فَشَابَهَتْ خَوْدًا تَعَثَّرُ فِي جَمِيلِ ثِيَابِهَا
وَحَكَتْ جَدَاوِلُهَا السُّيُوفَ اِذَا انْتَضَتْ اَيْدِي الْفَوَارِسِ مِنْ غِلَافِ قِرَابِهَا

و كما قال فيه الشاعر ايضا

وَالنَّهرُ مُدَّ عَلَى الْغُصُونِ وَلَمْ يَزَلْ اَبَدًا يُمَثِّلُ شَخْصَهَا فِي قَلْبِهِ
حَتَّى اِذَا فَطِنَ النَّسِيمُ سَرَى لَهَا مِنْ غَيْرَةٍ فَامَالَهَا مِنْ قُرْبِهِ

و اشجار ذلك البستان عليها من كل فاكهة زوجان * و فيه من الرمان ما يشبه اكر القيروان * كما قال فيه الشاعر و اجاد

وَرُمَّانٍ رَقِيقِ الْقِشْرِ يَحْكِي نُهُودَ الْبِكْرِ اِذْ بَرَزَتْ فُحُولَا
اِذَا قَشَّرْتَهُ يَبْدُو لَدَيْنَا مِنَ الْيَاقُوتِ مَا بَهَرَ الْعُقُولَا

و كما قال فيه الشاعر

مُلَمْلَمَةٌ تُبْدِي لِقَاصِدِ جَوْفِهَا يَوَاقِيتَ حُمْرًا فِي مَعَاطِفِ عَبْقَرِ
وَ رُمَّانَةٍ شَبَّهْتُهَا اِذْ رَأَيْتُهَا بِنَهْدِ الْعَذَارَى اَوْ بِقُبَّةِ مَرْمَرِ
وَفِيهَا شِفَاءٌ لِلْمَرِيضِ وَ صِحَّةٌ وَ فِيهَا حَدِيثٌ لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ
وَ فِيهَا يَقُولُ اللّٰهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَقَالًا بَلِيغًا فِي الْكِتَابِ الْمُسَطَّرِ

و في ذلك البستان تفاح سكري و مسكي و داماني يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

تُفَّاحَةٌ جَمَعَتْ لَوْنَيْنِ قَدْ حَكَيَا | خَدَّيْ حَبِيبٍ وَمَحْبُوبٍ قَدِ اجْتَمَعَا
لَاحَا عَلَى الْغُصْنِ كَالضِّدَّيْنِ مِنْ عَجَبٍ | فَذَاكَ اَسْوَدُ وَالثَّانِي بِهِ لَمَعَا
تَعَانَقَا فَبَدَا وَاشٍ فَرَاعَهُمَا | فَاحْمَرَّ ذَا خَجَلًا وَاصْفَرَّ ذَا وَلَعَا

و في ذلك البستان مشمش لوزي و كافوري و جيلاني و عنتابي كما قال فيه الشاعر

وَالْمِشْمِشُ اللَّوْزِيُّ يَحْكِي عَاشِقًا | جَاءَ الْحَبِيبُ لَهُ فَحَيَّرَ لُبَّهُ
وَكَفَاهُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَيَّمِ مَا بِهِ | يَصْفَرُّ ظَاهِرُهُ وَيُكْسَرُ قَلْبُهُ

و قال فيه آخر و اجاد

اُنْظُرْ اِلَى الْمِشْمِشِ فِي زَهْرِهِ | حَدَائِقٌ يَجْلُو سَنَاهَا الْحَدَقْ
كَالْاَنْجُمِ الزُّهْرِ اِذَا مَا زَهَتْ | اَلْغُصْنُ يَزْهُو بِهَا فِي الْوَرَقْ

و في ذلك البستان برقوق و قراصيا و عناب * تشفي السقيم من الاوصاب * و يقطعون الدوخة و الصفراء من الرأس * والتين فوق اغصانه ما بين احمر و اخضر * يحير العقول و النواظر * كما قال فيه الشاعر *

كَأَنَّمَا التِّينُ يَبْدُو مِنْهُ اَبْيَضُهُ | مَعَ اَخْضَرٍ بَيْنَ اَوْرَاقٍ مِنَ الشَّجَرِ
اَبْنَاءُ رُومٍ عَلَى اَعْلَى الْقُصُورِ وَقَدْ | جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ بَاتُوا عَلَى حَذَرِ

و قال آخر واجاد

اَهْلًا بِتِينٍ جَاءَنَا | مُنَضَّدًا عَلَى طَبَقْ
كَسُفْرَةٍ مَضْمُومَةٍ | قَدْ جُمِعَتْ بِلَا حَلَقْ

و قال آخر واجاد

اَنْعِمْ بِتِينٍ طَابَ طَعْمُهَا وَاكْتَسَى | حُسْنًا وَقَارَبَ مَنْظَرًا مِنْ مَخْبَرِ

يُبدِي تَعاطِيهِ اِذَا مَا ذُقتُه ... رِيحَ الإِنَاءِ وَطِيبَ طَعمِ السُّكَّرِ
وَحَكَى اِذَا مَا صُبَّ فِي اَطبَاقِهِ ... اُكَرًا صُنِعنَ مِنَ العَزِيزِ الاَخضَرِ

و ما احسن قول بعضهم

قَالُوا وَقَدْ اَلِمَتْ نَفْسِي تَفَكُّهَهَا ... بِغَيْرِ فَاكِهَةٍ فِي حُبِّهَا هَامُوا
لِاَيِّ شَيءٍ تُحِبُّ التِّينَ قُلتُ لَهُم ... لِلتِّينِ قَومٌ وَلِلجُمَّيْزِ اَقوَامُ

و احسن منه قول الآخر

اَلتِّينُ يُعجِبُنِي مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ... لَمَّا اسْتَوَى وَالتَوَى فِي غُصنِهِ الزَّاهِي
كَاَنَّهُ عَابِدٌ وَالسُّحْبُ مَاطِرَةٌ ... فَاضَتْ مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ

وفي ذلك البستان من الكمثرى الطوري و الحلبي والرومي ما هو مختلف الالوان صنوان و غير صنوان و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة و الستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكرناه * و وجدوا فيه من الكمثرى الطوري و الحلبي و الرومي ما هو مختلف الالوان صنوان و غير صنوان ما بين اصفر و اخضر يدهش الناظر * كما قال فيه الشاعر

يَهنِيكَ كُمَّثرَى غَدَا لَونُهَا ... لَونَ مُحِبٍّ زَائِدِ الصُّفرَةْ
شَبِيهَةً بِالبِكرِ فِي خِدرِهَا ... وَالوَجهُ مِنهَا مُسبَلُ السُّترَةْ

و في ذلك البستان من الخوخ السلطاني ما هو مختلف الالوان من اصفر و احمر كما قال فيه الشاعر

كَأَنَّمَا الْخَوْخُ فِي رَوْضِهِ وَقَدْ بَدَا احْمَرَهُ الْعَنْدَمِي
بَنَادِقُ مِنْ ذَهَبٍ اَصْفَرٍ قَدْ خُضِبَتْ وَجْهُهَا بِالدَّمِ

و في ذلك البستان من اللوز الاخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار و لبه من داخل ثلثة اثواب صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه

ثَلَثَةُ اَثْوَابٍ عَلَى جَسَدٍ رَطْبٍ مُخَالِفَةُ الْاَشْكَالِ مِنْ صُنْعَةِ الرَّبِّ
تُرِيهِ الرَّدَى فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَاِنْ يَكُنِ الْمَسْجُونُ فِيهَا بِلَا ذَنْبٍ

و قال آخر واجاد

اَمَا تَرَى اللَّوْزَ حِينَ تُظْهِرُهُ مِنَ الاَفَانِينِ كَفُّ مُعْتَطِفِ
وَقِشْرُهُ قَدْ جَلَا الْقُلُوبَ لَنَا كَأَنَّهُ الدُّرُّ دَاخِلَ الصَّدَفِ

واحسن منه قول الآخر

بَاحْسَنِ لَوْزٍ اَخْضَرَ اَصْغَرُهُ مِلْؤُ الْيَدِ
كَأَنَّمَا زَبِيرُهُ نَبْتُ عِذَارِ الْاَمْرَدِ
وَقَدْ غَدَتْ لُبُوبُهُ مِنْ زَوْجٍ وَمُفْرَدِ
كَأَنَّهَا اللآلِئُ تُصَانُ فِي زَبَرْجَدِ

و قال آخر واجاد

مَا اَبْصَرَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ اللَّوْزِ فِي حُسْنِهِ لَمَّا بَدَتْ اَنْوَارُهُ
اَلرَّأْسُ مِنْهُ بِاشْتِعَالٍ شَائِبٍ حِينَ انْتَشَا وَاخْضَرَّ مِنْهُ عِذَارُهُ

و في ذلك البستان النبق مختلف الالوان صنوان و غير صنوان كما قال فيه بعض واصفيه هذا الشعر

اُنْظُرْ اِلَى النَّبِقِ فِي الْاَغْصَانِ مُنْتَظِمًا كَمِشْمِشٍ مُعْجِبٍ يَزْهُو عَلَى الْقُضُبِ

كَأَنَّ صُفْرَتَهُ لِلنَّاظِرِيْنَ غَدَتْ تَحْكِي جَلَاجِلَ قَدْ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ

وقال أخر واجاد

وَسِدْرَةٍ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ حُسْنِهَا فِي فُنُونِ
كَأَنَّمَا النَّبْقُ فِيهَا وَقَدْ بَدَا لِلْعُيُونِ
جَلَاجِلٌ مِنْ نُضَارٍ قَدْ عُلِّقَتْ فِي غُصُونِ

وفي ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيه الشاعر الولهان

وَحَمْرَاءَ مِلْءُ الْكَفِّ تَزْهُو بِحُسْنِهَا فَظَاهِرُهَا نَارٌ وَبَاطِنُهَا ثَلْجُ
وَمِنْ عَجَبٍ ثَلْجٌ مَعَ النَّارِ لَمْ يَذُبْ وَمِنْ عَجَبٍ نَارٌ وَلَيْسَ لَهَا وَهْجُ

وقال بعضهم واجاد

وَأَشْجَارِ نَارَنْجٍ كَأَنَّ ثِمَارَهَا إِذَا مَا بَدَتْ لِلنَّاظِرِ الْمُتَفَرِّسِ
خُدُودُ نِسَاءٍ قَدْ تَبَرَّجْنَ زِينَةً بِأَيَّامِ عِيدٍ فِي غَلَائِلِ سُنْدُسِ

وقال أخر واجاد

كَأَنَّ رُبَى النَّارَنْجِ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا وَأَضْحَتْ بِهِ الْأَغْصَانُ وَهْيَ تَمِيدُ
خُدُودٌ عَلَيْهَا بَهْجَةُ الْحُسْنِ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا بِأَوْقَاتِ السَّلَامِ خُدُودُ

وقال أخر واجاد

وَشَادِنٍ قُلْنَا لَهُ صِفْ لَنَا بُسْتَانَنَا هَذَا وَنَارَنْجَنَا
فَقَالَ لِي بُسْتَانُكُمْ طَلْعَتِي وَمَنْ جَنَى النَّارَنْجِ نَارًا جَنَى

وفي ذلك البستان الاترج لونه كلون التبر وقد حط من اعلى مكان وتدلى في الاغصان * كما قال فيه كأنه سبائك العقيان * وقد قال فيه الشاعر الولهان *

أَمَا تَرَى أَيْكَةَ ٱلْأُتْرُجِّ مُثْمِرَةً يُخْشَى عَلَيْهَا إِذَا مَالَتْ مِنَ ٱلْعَطَبِ
كَأَنَّهَا عِنْدَ مَا مَرَّ ٱلنَّسِيمُ بِهَا غُصْنٌ تَحَمَّلَ قُضْبَانًا مِنَ ٱلذَّهَبِ

وفي ذلك البستان الكباد متدلي في اغصانه كنهود ابكار تشبه الغزلان * وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر واجاد

وَكَبَّادَةٍ بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ نَظَرْتُهَا عَلَى غُصُنٍ رَطْبٍ كَقَامَةِ أَغْيَدِ
إِذَا مَيَّلَتْهَا ٱلرِّيحُ مَالَتْ كَأُكْرَةٍ بَدَتْ ذَهَبًا فِي صَوْلَجَانِ زَبَرْجَدِ

وفي ذلك البستان الليمون زاكى الرائحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة مجانيه * وريحه يزهو لجانيه * كما قال فيه بعض واصفيه

أَمَا تَرَى ٱللَّيْمُونَ لَمَّا بَدَا يَأْخُذُ إِشْرَاقُهُ بِٱلْعِيَانِ
كَأَنَّهُ بَيْضُ دَجَاجٍ وَقَدْ لَطَّخَهُ ٱلْمَخْمَسُ بِٱلزَّعْفَرَانِ

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضراوت والمشمومات من اليا سمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر انواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الاجناس * وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه * اذا دخله العليل خرج منه كالاسد الغضبان * ولم يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لاتوجد الاّ فى الجنان * كيف لا واسم بوّابه رضوان لكن بين المقامين شتان * فلما تفرج اولاد التجار في ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه * واجلسوا نور الدين فى وسط الايوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما جلسوا فى الليوان اجلسوا نورالدين فى وسط الايوان على نطع من الاديم المزركش متكئا على مخدة محشوة بريش النعام * و ظهارتها مدورة سنجابية ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوبا عليها هذان البيتان

وَ مِرْوَحَةٍ مُعَطَّرَةِ النَّسِيْمِ   تُذَكِّرُ طِيْبَ اَوْقَاتِ النَّعِيْمِ
وَ تُهْدِيْ طِيْبَهَا فِيْ كُلِّ وَقْتٍ   اَلَى وَجْهِ الْفَتَى الْحُرِّ الْكَرِيْمِ

ثم ان هؤلاء الشباب خلعوا ماكان عليهم من العمائم و الثياب و جلسوا يتحدثون و يتنادمون و يتجاذبون اطراف الكلام بينهم * وكل منهم يتأمل في نورالدين و ينظر الى حسن صورته * و بعد ان اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان اقبل عليهم عبد و على رأسه سفرة طعام فيها اوان من الصيني والبلور * لان بعض اولاد التجار كان وصى اهل بيته بها قبل خروجه الى البستان * وكانت تلك السفرة مما درج وطار وسبح فى البحار * كالقطا والسمان وافراخ الحمام وشياه الضان والطف السمك * فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا و اكلوا بحسب الكفاية * و لما فرغوا من الاكل قاموا عن الطعام وغسلوا ايديهم بالماء الصافي و الصابون الممسك * وبعد ذلك نشفوا ايديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب * وقدموا لنورالدين منديلا مطرزا بالذهب الاحمر فمسح به يديه * وجاءت القهوة فشرب كل منهم مطلوبه * ثم جلسوا للحديث و اذا بخولي البستان ذهب وجاء بسل مملوء بالورد و قال ما تقولون يا سادتنا فى المشموم *

فقال بعض اولاد التجار لاباس به خصوصا الورد فانه لايرد * فقال البستاني نعم ولكن من عادتنا اننا لانعطي الورد الّا بالمنادمة * فمن اراد اخذه فليأت بشيءٍ من الشعر يناسب المقام * وكان اولاد التجار عشرة اشخاص فقال واحد منهم نعم اعطني وانا انشدك شيأً من الشعر يناسب المقام * فناوله حزمة من الورد فاخذها وانشد هذين البيتين

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ ... لِأَنَّهُ لَا يُمَلُّ
كُلُّ الرَّيَاحِينِ جُنْدٌ ... وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ
إِنْ غَابَ عَزُّوا وَتَاهُوا ... حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَلُّوا

ثم ناول الثاني حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

دُونَكَ يَا سَيِّدِي وَرْدَةً ... يُذْكِرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسُهَا
كَغَادَةٍ أَبْصَرَهَا عَاشِقٌ ... غَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا

ثم ناول الثالث حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

وَرْدٌ نَفِيسٌ تُسِرُّ الْقَلْبَ رُؤْيَتُهُ ... تَحْكِي رَوَائِحُهُ مَا طَابَ مِنْ نَدِّ
قَدْ ضَمَّهُ الْغُصْنُ فِي أَوْرَاقِهِ طَرَبًا ... كَقُبْلَةٍ بِفَمٍ مِنْ غَيْرِ مَا صَدِّ

ثم ناول الرابع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

أَمَا تَرَى دَوْحَةَ الْوَرْدِ الَّتِي ظَهَرَتْ ... لَهَا بَدَائِعُ قَدْ رُكِّبْنَ فِي قُضُبِ
كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتٌ يَطُوفُ بِهَا ... زَبَرْجَدٌ قَدْ حَوَى شَيْأً مِنَ الذَّهَبِ

ثم ناول الخامس حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

قُضُبُ الزَّبَرْجَدِ قَدْ حَمَلْنَ وَ اِنَّمَا اَثْمَارُهُنَّ سَبَائِكُ الْعِقْيَانِ
وَ كَاَنَّ وَقْعَ الْقَطْرِ مِنْ اَوْرَاقِهِ دَمْعٌ بَكَتْهُ فَوَاتِرُ الْاَجْفَانِ

ثم ناول السادس حزمة ورد فاخذها و انشد هذين البيتين

يَا وَرْدَةً لِبَدِيعِ الْحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ وَ اَوْدَعَ اللّٰهُ فِيهَا لُطْفَ اَسْرَارِ
كَاَنَّهَا خَدُّ مَحْبُوبٍ وَ نَقَّطَهُ لَدَى التَّوَاصُلِ مُشْتَاقٌ بِدِينَارِ

ثم ناول السابع حزمة ورد فاخذها و انشد هذين البيتين

قُلْتُ لِلْوَرْدِ مَا لِشَوْكِكَ يُؤْذِي كُلَّ مَنْ مَسَّهُ سَرِيعَ الْجِرَاحِ
قَالَ لِي مَعْشَرُ الرَّيَاحِينِ جُنْدِي اَنَا سُلْطَانُهَا وَ شَوْكِي سِلَاحِي

ثم ناول الثامن حزمة ورد فاخذها و انشد هذين البيتين

رَعَى اللّٰهُ وَرْدًا غَدَا اَصْفَرًا بَهِيًّا نَضِيرًا يُحَاكِي النُّضَارَا
وَ حُسْنَ غُصُونٍ بِهِ اَثْمَرَتْ وَ حَمَلْنَ مِنْهُ شُمُوسًا صِفَارَا

ثم ناول التاسع حزمة ورد فاخذها و انشد هذين البيتين

شَجَرَاتُ وَرْدٍ اَصْفَرٍ جَذَبَتْ فِي قَلْبِ كُلِّ مُتَيَّمٍ طَرَبَا
عَجَبًا لَهَا مِنْ دَوْحَةٍ سُقِيَتْ مَاءَ اللُّجَيْنِ فَاَثْمَرَتْ ذَهَبَا

ثم ناول العاشر حزمة ورد فاخذها و انشد هذين البيتين

اَلَمْ تَرَ اَنَّ جُنْدَ الْوَرْدِ يَزْهُو بِصُفْرٍ مِنْ مَطَالِعِهِ وَحُمْرِ
وَ قَدْ شَبَّهْتُهُ وَ الشَّوْكُ فِيهِ نِصَالُ زُمُرُّدٍ فِي تُرْسِ تِبْرِ

فلما استقر الورد في ايديهم احضر البستاني صفرة المدام فوضع

بينهم صينية مزركشة بالذهب الاحمر وانشد يقول هذين البيتين

هَتَفَ الْفَجْرُ بِالسَّنَا فَاسْقِ خَمْرًا ‏ ‏ عَانِسًا تَجْعَلُ الْحَلِيمَ سَفِيهَا

لَسْتُ أَدْرِي مِنْ لُطْفِهَا وَصَفَاهَا ‏ ‏ أَبِكَأْسٍ تُرَى أَمِ الْكَأْسُ فِيهَا

ثم ان خولي البستان ملأ وشرب ودار الدور الى ان وصل الى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولي البستان كأسا وناوله اياه * فقال له نور الدين انت تعرف ان هذا شيء لااعرفه ولا شربته قط لان فيه اثما كبيرا وقد حرمه في كتابه الرب القدير * فقال خولي البستان يا سيدي نور الدين ان كنت ما تركت شربه الا من اجل الاثم فان الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم * ورحمته وسعت كل شيء ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ ‏ ‏ وَمَا عَلَيْكَ إِذَا أَذْنَبْتَ مِنْ بَأْسِ

إِلَّا اثْنَتَيْنِ فَلَا تَقْرَبْهُمَا أَبَدًا ‏ ‏ اَلشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالْإِضْرَارُ لِلنَّاسِ

ثم قال واحد من اولاد التجار بحيوتي عليك يا سيدي نور الدين ان تشرب هذا القدح * وتقدم شاب أخر وحلف عليه بالطلاق * وأخر وقف بين يديه على اقدامه * فاستحى نور الدين واخذ القدح من خولي البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مرّ * فقال له الشاب خولي البستان يا سيدي نور الدين لولا انه مرّ ما كانت فيه هذه المنافع * الم تعلم ان كل حلو اذا اكل على سبيل التداوي يجده الأكل مرا وان هذه الخمرة منافعها كثيرة * فمن جملة منافعها انها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الارياح وتروق الدم وتصفى اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوي همة الرجل على الجماع * ولو كنا ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء

شَرِبْنَا وَعَفْوُ اللّٰهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   وَدَاوَيْتُ اَسْقَامِي بِمُرْتَشَفِ الْكَاسِ
وَمَا غَرَّنِي فِيهَا وَاَعْرِفُ اِثْمَهَا   سِوَى قَوْلِهِ فِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ

ثم ان خولي البستان نهض قائما على اقدامه من وقته و ساعته وفتح مخدعا من مخادع ذلك الايوان و اخرج منه قمع السكر مكررا وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين في القدح وقال له ياسيدي ان كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا * فعند ذلك اخذ نور الدين القدح و شربه * ثم ملأ الكاس واحد من اولاد التجار وقال يا سيدي نور الدين انا عبدك * وكذا الآخر قال انا من خدامك * وقام الآخر وقال من اجل خاطري * و قام الآخر و قال بالله عليك يا سيدي نور الدين اجبر بخاطري * و لم يزل العشرة اولاد التجار بنور الدين الى ان اسقوه العشرة اقداح كل واحد قدحا * وكان نور الدين باطنه بكر عمره ماشرب خمرا قط الاّ في تلك الساعة * فدار الخمر في دماغه وقوي عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه * وقال يا جماعة والله انتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح الاّ انه يحتاج الى سماع طيب فان الشراب بلا سماع عدمه اولى من وجوده كما قال الشاعر فيه هذين البيتين

اَدِرْهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ   وَخُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَلَا تَشْرِبْ بِلَا طَرَبٍ فَاِنِّي   رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرِبُ بِالصَّفِيرِ

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال اولاد التجار و غاب ثم عاد و معه صبية مصرية كانها لية طرية اوفضة نقية اودينار في صينية اوغزال في برية * بوجه يخجل الشمس المضيئة

و عيون بلبلية و حواجب كأنها قسي محنية و خدود وردية واسنان لؤلؤيـــة و مراشف سكرية و عيون مرخية * و نهود عاجية و بطن خماصية واعكان مطوية * و ارداف كأنها مخدات محشية و فخذين كالجداول الشامية * و بينهمـــا شيء كأنه صرة في بقجة مطوية كما قيل فيها هذه الابـــــــــــــــيــــــــــــــــات

وَلَوْ أَنَّهَا لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضَتْ   رَأَوْا وَجْهَهَا مِنْ دُونِ أَصْنَامِهِمْ رَبَّاً
وَلَوْ أَنَّهَا فِي الشَّرْقِ لَاحَتْ لِرَاهِبٍ   لَخَلَّى سَبِيلَ الشَّرْقِ وَاتَّبَعَ الْغَرْبَا
وَلَوْ تَفَلَتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ   لَأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا عَذْبَاً

و قال آخر هذه الابيات

أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ كَحْلَاءُ الْعُيُونِ بَدَتْ   كَأَنَّهَـــا ظَبْيَةٌ قَنَصَتْ أَشْبَالَ أُسَادِ
أَرْخَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِي مِنْ ذَوَائِبِهَا   بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ لَمْ يُشْدَدْ بِأَوْتَادِ
مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِهَا النِّيرَانُ مَا اتَّقَدَتْ   إِلَّا بِأَفْئِدَةٍ ذَابَتْ وَ أَكْبَـــادِ
فَلَوْ رَأَهَا حِسَانُ الْعَصْرِ قُمْنَ لَهَا   عَلَى الرُّؤُسِ وَقُلْنَ الْفَضْلُ لِلْبَادِي

و ما احسن قول بعض الشعراء

ثَلَثَةٌ مَنَعَتْهَـــا عَنْ زِيَارَتِنَـــا   خَوْفُ الرَّقِيبِ وَخَوْفُ الْحَاسِدِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا   حَوَتْ مَعَاطِفُهَا مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ   وَالْحُلِيَّ تَنْزِعُهُ مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ

و تلك الصبية كأنها البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر و عليها بدلة زرقاء بقناع اخضر فوق جبين ازهر تدهش العقول و تحيـر ارباب المعقول و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خولي البستان لما جاء لهم بالصبية التي ذكرنا انها فى غاية من الحسن و الجمال و رشاقة القد و الاعتدال كأنها المرادة بقول الشاعر

أَقْبَلَتْ فِي غِلَالَةٍ زَرْقَاءِ ... لَازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ
فَتَحَقَّقْتُ فِي الْغِلَالَةِ مِنْهَا ... قَمَرَ الصَّيْفِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

وما احسن قول الآخر و اجوده

جَاءَتْ مُبَرْقَعَةً فَقُلْتُ لَهَا اسْفِرِي ... عَنْ وَجْهِكِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الْأَزْهَرِ
قَالَتْ أَخَافُ الْعَارَ قُلْتُ لَهَا اقْصِرِي ... بِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ لَا تَتَحَيَّرِي
رَفَعَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ عَنْ وَجَنَاتِهَا ... فَتَسَاقَطَ الْبِلَّوْرُ فَوْقَ الْجَوْهَرِ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِقُبْلَةٍ فِي خَدِّهَا ... كَيْمَا تَكُونَ خُصَيْمَتِي فِي الْمَحْشَرِ
وَنَكُونَ أَوَّلَ عَاشِقَيْنِ تَخَاصَمَا ... يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبٍّ أَكْبَرِ
وَأَقُولُ طَوِّلْ فِي الْحِسَابِ وُقُوفَنَا ... حَتَّى يَطُولَ الَى الْحَبِيبَةِ مَنْظَرِي

ثم ان الشاب خولي البستان قال لتلك الصبية اعلمي يا سيدة الملاح و كل كوكب لاح اننا ما قصدنا بحضورك في هذا المكان الآن تنادمي هذا الشاب المليح الشمائل سيدي نور الدين فانه لم يات محلنا هذا الّا في هذا اليوم * فقالت له الصبية ليتك كنت اخبرتني لاجل ان اجيء بالذي كان معي * فقال لها يا سيدتي انا اروح واجيء به اليك * فقالت الصبية افعل ما بدا لك فقال لها اعطني امارة فاعطته منديلا * فعند ذلك خرج سريعا و غاب ساعة زمانية ثم عاد و معه

كيس اخضر من حرير اطلس بشكلين من الذهب * فاخذته الصبية منه و حلته و نفضته فنزل منه اثنتان و ثلثون قطعة خشب * ثم ركبت الخشبة في بعضه على صورة ذكر في انثى و انثى في ذكر و كشفت عنه معاصمها و اقامته فصار عودا محكوكا مجرودا صنعة الهنود * ثم انحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها و زغزغته بانامل يدها * فعند ذلك انّ العود ورنّ * ولأماكنه القديمة قد حنّ * وقد تذكر المياه التي قد سقته * و الارض التي نبت منها وتربى فيها * وتذكر النجارين الذين قطعوه * والدهانين الذين دهنوه * و التجار الذين جلبوه * والمراكب التي حملته * فصرخ وصاح وعدد و ناح * وكأنها سألته عن ذلك كله فاجابها بلسان الحال منشدا هذه الابيـــــات

لَقَدْ كُنتُ عُودًا لِلْبَلَا بِل مَنْـزِلًا ... اَمِيلُ بِهَا وَجْدًا وَ فَرْعِي اَخْضَـرُ
يَنُوحُونَ مِنْ فَوْقِي فَعَلِمتُ نَوحَهُمْ ... وَمِنْ اَجْلِ ذَاكَ النَّوحِ سِرِّي مُجْهَرُ
رَمَانِي بِلَا ذَنْبٍ عَلَى الْاَرْضِ قَاطِعِي ... وَ صَيَّرَنِي عُودًا نَحِيلًا كَمَـا تَرَوْا
وَلَكِنَّ ضَرْبِي بِالْاَنَامِلِ مُخْبِرٌ ... بِاَنِّي قَتِيـــلٌ فِي الْاَنَامِ مُصَبَّـــرُ
فَمِنْ اَجْلِ هَذَا صَارَ كُلُّ مُنَادِمٍ ... اِذَا مَارَأَى نَوحِي يَهِيمُ وَ يَسْكَرُ
وَقَدْ حَنَّنَ الْمَوْلَى عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ ... وَقَدْ صِرْتُ فِي اَعْلَى الصُّدُورِ اُصَدَّرُ
تُعَانِقُ قَدِّي كُلُّ مَنْ فَاقَ حُسْنُهَا ... وَكُلُّ غَزَالٍ نَاعِسِ الطَّــرْفِ اَحْوَرُ
فَلَا فَرَّقَ اللّٰهُ الْمُهَيْمِنُ بَيْنَنَا ... وَلَا عَاشَ مَحْبُوبٌ يَصُدُّ وَيَهْجُرُ

ثم سكتت الصبية ساعة و بعد ذلك اخذت العود في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها و ضربت عليه طرقا عديدة * ثم عادت الى طريقتها الاولى و انشدت هذه الابـــــــــيـــــــــات

لو انهم جنحوا للصب او زاروا | لحط عنه من الاشواق اوزار
وعندليب على غصن يشاجره | كانه عاشق شطت به الدار
قم وانتبه فليالي الوصل مقمرة | كانها باجتماع الشمل اسحار
واليوم في غفلة عنا حواسدنا | و قد دعتنا الى اللذات اوتار
اما ترى اربعا للهو قد جمعت | آس و ورد و منثور و انوار
واليوم قد جمعت للحظ اربعة | صب وخل ومشروب و دينار
فاظفر بحظك في الدنيا فلذتها | تفنى وتبقى روايات واخبار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الابيات نظر اليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الميل اليها و هي الاخرى كذلك * لانها نظرت الى الجماعة الحاضرين من اولاد التجار كلهم والى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم * لانه كان رخيم اللفظ و الدلال كامل القد و الاعتدال و البهاء و الجمال * الطف من النسيم و ارق من التسنيم كما قيل فيه هذه الابيات

قسما بوجنته و باسم ثغره | و باسهم قد راشها من سحره
و بلين معطفه و نبل لحاظه | و بياض غرته و اسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ناظري | وسطا علي بنهيه و بامره
و عقارب قد ارسلت من صدغه | وسعت لقتل العاشقين بهجره
و بورد خديه وآس عذاره | و عقيق مبسمه و لؤلؤ ثغره
و بغصن قامته الذي هو مثمر | رمانه يزهو جناه بصدره
و بردفه المرتج في حركاته | و سكونه وبدقة في خصره
و حرير ملبسه و خفة ذاته | و بما حواه من الجمال باسره

اَنَّ الشَّذَا قَدْ فَاحَ مِنْ اَنْفَاسِهِ وَالرِّيحُ تَرْوِي طِيبَهَا عَنْ نَشْرِهِ
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ دُونَهُ وَكَذَا الهِلَالُ قُلَامَةٌ مِنْ ظُفْرِهِ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية و شعرها اعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها و يقول

عَوادةٌ مَالَتْ بِنَا فِي نَشْوَةِ المُتَقَبِّلِ
قَالَتْ لَنَا اَوْتَارُهَا اَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وانشد هذا الشعر و النظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة و زادت فيه عشقا و غراما و قد صارت متعجبة من حسنه و جماله و رشاقة قده و اعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانيا و انشدت هذه الابيات

يُعَاتِبُنِي عَلَى نَظَرِي اِلَيْهِ وَيَهْجُرُنِي وَرُوحِي فِي يَدَيْهِ
وَيُبْعِدُنِي وَيَعْلَمُ مَا بِقَلْبِي كَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَوْحَى اِلَيْهِ
كَتَبْتُ مِثَالَهُ فِي وَسْطِ كَفِّي وَقُلْتُ لِنَاظِرِي عَوِّلْ عَلَيْهِ
فَلَا عَيْنِي تَرَى مِنْهُ بَدِيلًا وَلَا قَلْبِي يُصَبِّرُنِي لَدَيْهِ
فَيَا قَلْبِي نَزَعْتُكَ مِنْ فُؤَادِي لِاَنَّكَ بَعْضُ حُسَّادِي عَلَيْهِ
اِذَا مَا قُلْتُ يَا قَلْبِي تَسَلَّى فَقَلْبِي لَمْ يَمِلْ اِلَّا اِلَيْهِ

فلما انشدت الصبية تلك الابيات تعجب نور الدين من حسن

شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها * فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام * ولم يقدر ان يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال اليها وضمها الى صدره فانطبقت الاخرى عليه وصارت بكليتها لديه * وقبلته بين عينيه وقبل هو فاها بعد ضم القوام * ولعب معها فى التقبيل زق الحمام * فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها * فهام الحاضرون وقاموا على اقدامهم فاستحى نور الدين ورفع يده عنها * ثم انها اخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت هذه الابيات

قَمَرٌ يَسُلُّ مِنَ الْجُفُونِ اِذَا انْثَنَى ... عَضْبًا وَيَهْزَؤُ بِالْغَزَالِ اِذَا رَنَا
مَلِكٌ مَحَاسِنُهُ الْبَدِيعَةُ جُنْدُهُ ... وَلَدَى الطِّعَانِ قَوَامُهُ تَحْكِى الْقَنَا
لَوْ اَنَّ رِقَّةَ خَصْرِهِ فِى قَلْبِهِ ... مَا جَارَ قَطُّ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا جَنَى
يَا قَلْبَهُ الْقَاسِيْ وَرِقَّةَ خَصْرِهِ ... هَلْ لَانْتَقَلْتَ اِلَى هُنَا مِنْ هَاهُنَا
يَا عَاذِلِي فِيْ حُبِّهِ كُنْ عَاذِرِيْ ... فَلَكَ الْبَقَاءُ بِحُسْنِهِ وَلِيَ الْفَنَا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال اليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب * ثم انه انشد هذه الابيات

لَقَدْ خِلْتُهَا شَمْسَ الضُّحَى فَتَخَيَّلَتْ ... وَلٰكِنْ لَهِيبَ الْحَرِّ مِنْهَا بِمُهْجَتِي
وَمَا ذَا عَلَيْهَا لَوْ اَشَارَتْ فَسَلَّمَتْ ... عَلَيْنَا بِاَطْرَافِ الْبَنَانِ وَاَوْمَتِ
رَأَى وَجْهَهَا اللَّاحِي فَقَالَ وَتَاهَ فِي ... مَحَاسِنِهَا اللَّاتِي عَنِ الْحُسْنِ جَلَّتِ
اَهٰذِي الَّتِي قَدْ هِمْتَ شَوْقًا بِحُبِّهَا ... فَاِنَّكَ مَعْذُورٌ فَقُلْتُ هِيَ الَّتِي
رَمَتْنِي بِسَهْمِ اللَّحْظِ عَمْدًا وَمَا رَثَتْ ... لِحَالِي وَذُلِّي وَانْكِسَارِي وَغُرْبَتِي

فَأَصْبَحَتْ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ مُتَيَّمًا اَنُوحُ وَ اَبْكِي طُولَ يَوْمِي وَلَيْلَتِي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته و لطافته واخذت عودها و ضربت عليه يا حسن حركا تهـا واعادت جميع النغمات ثم انشدت هذه الابيـــــات

وَحَيَوةِ وَجْهِكَ يَا حَيَوةَ الْاَنْفُسِ لَا حُلْتُ عَنْكَ يَئِسْتُ اَمْ لَمْ اَيْأَسِ
فَلَئِنْ جَفَوتَ فَاِنَّ طَيْفَكَ وَاصِلُ اَوْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي فَذِكْرُكَ مُؤْنِسِي
يَا مُوحِشًا طَرْفِي وَ تَعْلَمُ اَنَّنِي اَبَدًا بِغَيْرِ هَوَاكَ لَمْ اَسْتَأْنِسِ
خَدَّاكَ مِنْ وَرْدٍ وَرِيقُكَ قَهْوَةٌ هَلَّا سَمَحْتَ بِهَا بِهٰذَا الْمَجْلِسِ

فعند ذلك طرب نور الدين من انشاد تلك الصبية غايـة الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم اجابها عن شعرها بهذه الابيـــات

مَا اَسْفَرَتْ عَنْ مُحَيَّا الشَّمْسِ فِي الْغَسَقِ اِلَّا تَحَجَّبَ بَدْرُ التِّمِّ فِي الْاُفُقِ
وَلَا بَدَتْ لِعُيُونِ الصُّبْحِ طُرَّتُهَا اِلَّا وَعَوَّذَ ذَاكَ الْفَرْقَ بِالْفَلَقِ
خُذْ عَنْ مَجَارِي دُمُوعِي فِي تَسَلْسُلِهَا وَاَرْوِ الْحَدِيثَ هَوًى مِنْ اَقْرَبِ الطُّرُقِ
وَرُبَّ رَامِيَةٍ بِالنَّبْلِ قُلْتُ لَهَا مَهْلًا بِنَبْلِكَ اِنَّ الْقَلْبَ فِي فَرَقِ
اِنْ كَانَ دَمْعِي لِبَحْرِ النِّيلِ نِسْبَتُهُ فَاِنَّ وُدَّكَ مَنْسُوبٌ اِلَى الْمَلَقِ
قَالَتْ فَهَاتِ جَمِيعَ الْمَالِ قُلْتُ خُذِي قَالَتْ وَنَوْمَكَ اَيْضًا قُلْتُ مِنْ حَدَقِي *

فلما سمعت الصبيـة كلام نور الدين و حسن فصاحتـه طار قلبها واندهش لبهـا و قد احتوى على مجامع قلبها فضمته الى صدرها و صارت تقبله تقبيلا كزق الحمام * وكذلك الآخر قابلها بتقبيل مثلا حق ولكن الفضل للسابق * وبعد ان فرغت من التقبيل اخذت العود و انشدت هذه الابيــــات

وَيْلاَهُ وَيْلِي مِنْ مَلاَمَــةِ عَاذِلٍ   أَشْكُوهُ أَمْ أَشْكُو إِلَيْـهِ تَمَلْمُلِي
يَا هَاجِرِي مَاكُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّنِي   أَلْقَى الإِهَانَةَ فِي هَوَاكَ وَأَنْتَ لِي
عَنَّفْتُ أَرْبَابَ الصَّبَابَةِ بِالْجَوَى   وَأَبَحْتُ فِيكَ لِعَاذِلِيكَ تَذَلُّلِي
بِالأَمْسِ كُنْتُ أَلُومُ أَرْبَابَ الْهَوَى   وَالْيَوْمَ أَعْذِرُ كُلَّ صَبٍّ مُبْتَلِ
وَإِنِ اعْتَرَتْنِي مِنْ فِرَاقِكَ شِدَّةٌ   أَصْبَحْتُ أَدْعُو اللَّهَ بِاسْمِكَ يَا عَلِي

فلمـــا فرغت تلك الصبيـــة من شعـــرها انشدت ايضـــا هذين البيتـــــــــــــين

قَالَتِ الْعُشَّــاقُ إِنْ لَمْ يَسْقِنَــا   مِنْ رِيقِهِ وَرَحِيقٍ فِيهِ السَّلْسَلِ
نَدْعُو إِلَهَ الْعَالَمِينَ بِجِيبَنَــا   وَيَقُولُ فِيــهِ الْكُلُّ مِنَّا يَا عَلِي

فلما سمع نورالدين من تلك الصبية هذا الكلام و الشعر و النظام تعجب من فصاحة لسانها و شكرها على ظرافة افتنانها * فلما سمعت الصبية ثناء نورالدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وقلعت جميع ما كان عليها من ثياب و مصاغ و تجردت من ذلك كله * ثم جلست على ركبتيه وقبلته بين عينيه وعلى شامة خديه * ووهبت له جميع ذلك وادرك شهـــر زاد الصبـــاح فسكتـــت عن الكلام المـــــــــــبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الصبية وهبت كل ماكان عليها لنورالدين و قالت له اعلم يا حبيب قلبي ان الهدية على مقدار هاديها * فقبل ذلك منها نورالدين ثم رده عليها وقبّلها في فمها وخديها وعينيها * فلما انقضى ذلك ولم يدم الاّ الحي القيوم رازق

الطاؤوس والبوم * قام نور الدين من ذلك المجلس و وقف على قدميه * فقالت له الصبية الى اين يا سيدي فقال لها الى بيت والدي فحلف عليه اولاد التجار انه ينام عندهم فابى وركب بغلته * ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت والده فقامت له امه و قالت له يا ولدي ما سبب غيابك الى هذا الوقت و الله انك قد شوشت عليّ و على والدك بغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك * ثم ان امه تقدمت اليه لتقبّله في فمه فشمت منــه رائحة الخمر فقالت يا ولدي كيف بعد الصلوة والعبادة صرت تشرب الخمــر وتعصي من له الخلق والامر * فبينما هما في الكلام و اذا بوالده قد اقبل * ثم ان نور الدين ارتمى في الفراش ونام فقال ابوه ما لنور الدين هكذا * قالت له امه كأنّ راسه اوجعته من هواء البستان * فعند ذلك تقدم له والده ليسأ له عن وجعه و يسلم عليه * فشم منه رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمى تاج الدين لايحب من يشرب الخمر * فقال له ويلك يا ولدي هل بلغ بك السفه الى هذا الحد حتى تشرب الخمر * فلما سمع نور الدين كلام و الده رفع يده وهو في سكره ولطمه بها * فجاءت اللطمة بالامر المقدر على عين و الده اليمنى فسالت على خده * فوقع على الارض مغشيا عليه واستمر في غشيته ساعة فرشوا عليه ماء الورد * فلما افاق من غشيته اراد ان يضربه فمنعته امه فحلف بالطلاق من امه انــه اذا اصبح الصباح لابد من قطع يده اليمنى * فلما سمعت امه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تداري و الده و تأخذ بخاطره الى ان غلب عليه النوم * فصبرت الى ان طلع القمر و اتت الى ولدها و قد زال عنه السكر * فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذي فعلتــه

مع والدك * فقال لها وما الذي فعلته مع والدي فقالت انك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده * وقد حلف بالطلاق انه اذا اصبح الصباح لابد ان يقطع يدك اليمنى * فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم * فقالت له امه يا ولدي ان هذا الندم لاينفعك وانما ينبغي لك انك تقوم في هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك * وتختفي عند خروجك حتى تصل الى احد من اصحابك * وانتظر ما يفعل الله فانه يغير حالا بعد حال * ثم ان امه فتحت صندوق المال واخرجت منه كيسا فيه مائة دينار * وقالت له يا ولدي خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك * فاذا فرغت منك يا ولدي فارسل اعلمني حتى ارسل اليك غيرها * واذا راسلتني فارسل اليّ اخبارك سرا * ولعل الله ان يقدر لك فرجا وتعود الى منزلك * ثم انها ودعته وبكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد * فعند ذلك اخذ نور الدين كيس الدنانير من امه واراد ان يخرج * فرأى كيسا كبيرا قد نسيته امه بجنب الصندوق فيه الف دينار * فاخذه نور الدين ثم ربط الاثنين على وسطه وخرج من الزقاق وتوجه الى جهة بولاق قبل الفجر * فلما اصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الله الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم الى مقصده ليحصل ما قسم الله له كان نور الدين وصل الى بولاق * فصار يمشي على ساحل البحر فرأى مركبا سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها * ومراسيها اربع مدقوقة في البر ورأى البحرية واقفين * فقال لهم نور الدين الى اين انتم مسافرون فقالوا له الى مدينة اسكندرية * فقال لهم نور الدين خذوني معكم فقالوا له اهلا وسهلا ومرحبابك يا شاب يا مليح * فعند ذلك

نهض نورالدين من وقته و ساعته و مضى الى السوق و اشتـــرى ما يحتاج اليه من زوادة و فرش و غطاء * ثم رجع الى المركب و كانت تلك المركب تجهزت للسفر * فلما نزل نورالدين فى المركب لم تمكثه الّا قليلا و سارت من وقتها و ساعتها * و لم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت الى مدينه رشيد * فلما وصلوا الى هناك رأى نورالدين زورقا صغيرا سائرا الى اسكندرية فنزل فيه و عدى الخليج * و لم يزل سائرا الى ان وصل الى قنطرة تسمى قنطرة الجامي * فطلع نورالدين من ذلك الزورق و دخل من باب يقال له باب السدرة و قد ستر الله عليه فلم ينظره احد من الواقفين فى الباب * فمشى نورالدين حتى دخل مدينة اسكندرية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين لما دخل مدينة اسكندرية رأى مدينة حصينة الاسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانهـــا و ترغب فى ايطانها * قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده و اقبل عليها فصل الربيع بورده * و ازدهت ازهارها و اورقت اشجارها و اينعت اثمارها * وتدفقت انهارها * وهي مدينة مليحة الهندسة و القياس * واهلها اجناد من خيار الناس * اذا غلقت ابوابها امنت اصحابها * و هي كما قيل فيها هذه الابيـــــــــــات

قُلْتُ يَوْمًا لِخِلٍّ لَهُ مَقَــالٌ فَصِيــحُ
اِسْكَنْدَرِيَّةُ صِفْهَـا فَقَالَ ثَغْــرٌ مَلِيحُ
قُلْتُ وَ فِيهَا مَعَاشٌ فَقَالَ اِنْ هَبَّ رِيحُ

و قال بعض الشعراء

اَسْكَنْدَرِيَّةُ ثَغْــرٌ   رُضَابُهُ يُسْتَطَــابُ
مَا اَحْسَنَ الْوَصْلَ فِيهَا   اِنْ لَمْ يُصِبْهَا غُرَابُ

فمشى نورالدين في تلك المدينة ولم يزل ما شيافيهـــا الى ان وصل الى سوق التجارين * ثم الى سوق الصرافين * ثم الى سوق النقلية * ثم الى سوق الفكهانية * ثم الى سوق العطارين * وهو يتعجب من تلك المدينة لان وصفها قد شاكل اسمها * فبينما هو يمشي في سوق العطارين واذا برجل كبير السن نزل من دكانه و سلم عليه * ثم اخذه من يده ومضى به الى منزله فرأى نور الدين زقاقا مليحا مكنوسا مرشوشا قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الاشجار اوراق * وفي ذلك الزقاق ثلث دور وفي صدر ذلك الزقاق دار اساسها راسخ في الماء وجدرانها شاهقة الى عنان السماء * قد كنسوا الساحة التي قدامها ورشوها و تشم روائح الازهار قاصدوها يقابلها النسيـــم كانه من جنان النعيم * فاول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش و آخره بالرخـــام مفروش * فدخل الشيخ بنورالدين الى تلك الدار و قدم له شيأ من الماكول و اكل هو و اياه * فلما فرغ من الاكل قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر الى هذه المدينة * فقال له يا والدي في هذه الليلة قال له ما اسمك قال علي نورالدين * فقال له الشيخ يا ولدي يا نورالدين يلزمني الطلاق ثلثا انك ما دمت مقيما في هذه المدينة لاتفارقني * وانا اخلي لك موضعا تسكن فيه * فقال له نورالدين يا سيدي الشيخ زدني بك معرفة * فقال يا ولدي اعلم اني دخلت مصرفي بعض السنين بتجارة فبعتها فيها و اشتريت متجرا

آخر فاحتجت الى الف دينار فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب عليّ بها منشورا * وصبر عليّ بها الى ان رجعت الى هذه المدينة و ارسلتها اليه مع بعض غلماني و معها هدية * وقد رأيتك و انت صغير وان شاء الله تعالى اجازيك ببعض ما فعل والدك معي * فلما سمع نورالدين هذا الكلام اظهر الفرح و الابتسام و اخرج الكيس الذي فيه الالف دينار و اعطاه لذلك الشيخ * وقال له خذ هذا و ديعة عندك حتى اشتري به شيأ من البضائع لاتجر فيه * ثم ان نورالدين اقام في مدينة اسكندرية مدة ايام و هو يتفرج كل يوم في شارع من شوارعها و يأكل و يشرب و يتلذذ و يطرب الى ان فرغت منه المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة * فاتى الى الشيخ العطار ليأخذ منه شيأ من الالف دينار و ينفقه فلم يجده في الدكان فجلس في دكانه ينتظره الى ان يعود * وصار يتفرج على التجار و يتأمل ذات اليمين و ذات الشمال * فبينما هو كذلك و اذا باعجمي قد اقبل على السوق و هو راكب على بغلة و خلفه جارية كانها فضة نقية او بلطية في فسقية او غزالة في برية * بوجه يخجل الشمس المضيئة و عيون بلبلية و نهود عاجية و اسنان لؤلؤية و بطن خماصية و اعطاف مطوية و سيقان كاطراف لية * كاملة الحسن والجمال و رشاقة القد و الاعتدال كما قال فيها بعض واصفيها

كَأَنَّهَا مِثْلُ مَا تَهْوَاهُ قَدْ خُلِقَتْ ... فِي رَوْنَقِ الْحُسْنِ لَا طُولٌ وَلَا قِصَرُ
اَلْوَرْدُ مِنْ خَدِّهَا يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ ... وَالْغُصْنُ مِنْ قَدِّهَا يَزْهُو بِهِ الثَّمَرُ
اَلْبَدْرُ طَلْعَتُهَا وَالْمِسْكُ نَكْهَتُهَا ... وَالْغُصْنُ قَامَتُهَا مَا مِثْلُهَا بَشَرُ

كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ مِنْ مَاءِ لُؤْلُؤَةٍ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ حُسْنِهَا قَمَرُ

ثم ان الاعجمي نزل من بغلته و انزل الصبية وصــاح على الدلال فحضر بين يديه * فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق فاخذها الدلال ونزل بها الى وسط السوق وغاب ساعة* ثم عاد ومعه كرسي من الأبنوس مزركش بالعاج الابيض * فوضعه الدلال على الارض واجلس عليه تلك الصبية * ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كانه ترس ديلمي اوكوكب دري * وهي كأنها البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر * بغاية الجمال الباهر كما قال الشاعـــــر

قَدْ عَارَضَ الْبَدْرُ جَهْلًا حُسْنَ صُورَتِهَا فَرَاحَ مُنْكَسِفًا وَانْشَقَّ بِالْغَضَبِ
وَسَرْحَةُ الْبَانِ إِنْ قِيسَتْ بِقَامَتِهَا تَبَّتْ يَدًا مَنْ غَدَتْ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

وما احسن قول الشاعـــر

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْمُذْهَبِ مَا ذَا فَعَلْتِ بِعَابِدٍ مُتَــرَهِّبِ
نُورُ الْخِمَارِ وَنُورُ وَجْهِكِ تَحْتَهُ هَزَمَا بِضَوْئِهِمَا جُيُوشَ الْغَيْهَبِ
وَإِذَا أَتَى طَرْفِي لِيَسْرِقَ نَظْرَةً فِي الْخَدِّ حُرَّاسٌ رَمَتْهُ بِكَوْكَبِ

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم في درة الغواص وفليتــة القناص * فقال له تاجر من التجار عليّ بمائه دينار وقال أخر بمائتين وقال أخر بثلثمائة * ولم يزل التجار يتزايدون في تلك الجــارية الى ان اوصلــوا ثمنها الى تسعمــائة و خمسين دينــارا و توقف البيع على الايجاب و القبــول و ادرك شهر زاد الصبــاح فسكتت عن الكلام المــــــــبــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التجار صاروا يتزايدون في الجارية الى ان بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا * فعند ذلك اتى الدلال على الاعجمي سيدها وقال له ان جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فهل تبيع ونقبض لك الثمن * فقال الاعجمي هل هي راضية بذلك فاني احب مراعاة خاطرها * لاني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة * فحلفت اني لاابيعها الّا لمن تشتهي وتريد * وجعلت بيعها بيدها * فشاورها فان قالت رضيت فبعها لمن ارادته * وان قالت لافلا تبعها * فعند ذلك تقدم الدلال اليها وقال لها يا سيدة الملاح اعلمي ان سيدك قد جعل بيعك بيدك * وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين دينارا افتاذنين ان ابيعك * فقالت الجارية للدلال ارني الذي يريد ان يشتريني قبل انعقاد البيع * فعند ذلك جاء الدلال بها الى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت اليه الجارية ساعة زمانية * وبعد ذلك التفتت الى الدلال وقالت له يا دلال هل انت مجنون اومصاب في عقلك * فقال لها الدلال لأي شيءٍ يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام * فقالت له الجارية ايحل لك من الله ان تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شان زوجته هذه الابيات

تَقُولُ لِي وَهْيَ غَضْبَى مِنْ تَدَلُّلِهَا وَقَدْ دَعَتْنِي اِلَى شَيْءٍ فَمَا كَانَا
اِنْ لَمْ تَنِكْنِي نَيْكَ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ فَلَا تَلُمْنِي اِذَا اَصْبَحْتَ قَرْنَانَا

كَأَنَّ أَيْــرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخَاوَتُــهُ ۞ فَكُلَّمَــا حَرَّكَتْــهُ رَاحَتِي لَانَا

و قال في ايره ايضا

لِي أَيْرٌ يَنَــامُ لُؤْمًا وَشُــؤْمًا ۞ كُلَّمَا نِلْتُ مِنْ حَبِيبٍ وِصَالَا
وَإِذَا مَا غَدَوْتُ فِي الْبَيْتِ فَرْدًا ۞ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا

و قال في ايره ايضا

وَلِي أَيْــرٌ سُوءٌ كَثِيــرُ الْجَفَا ۞ يُعَامِــلُ بِاللُّؤْمِ مَنْ يُكْرِمُــهُ
إِذَا نِمْتُ قَامَ وَإِنْ قُمْــتُ نَامَ ۞ فَلَا رَحِمَ اللَّــهُ مَنْ يَرْحَمُــهُ

فلما سمع شيخ التجــار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد * و قال للدلال يا انحس الدلالين ما جئت لنا في السوق الّا بجارية مشؤمة تتجارئ عليّ و تهجوني بين التجار * فعند ذلك اخذها الدلال و انصرف عنه و قال لها يا سيدتي لا تكوني قليلة الادب * ان هذا الشيخ الذي هجوته هو شيخ السوق و محتسبه و صاحب مشورة التجار فضحكت و انشدت هذه الابيــات

يَصْلُحُ الْحُكَّامُ فِي عَصْــرِنَا ۞ وَذَاكَ لِلْحُكَّامِ مِمَّا يَجِبْ
الشَّنْقُ لِلْوَالِي عَلَى بَابِــهِ ۞ وَالضَّرْبُ بِالدِّرَّةِ لِلْمُحْتَسِبْ

ثم ان تلك الجاريــة قالت للدلال والله يا سيدي انا لا اباع لهذا الشيخ فبعني الى غيره * لانه ربما خجل مني فيبيعني الى آخر فاصير ممتهنة * ولا ينبغي لي ان ادنس نفسي بالامتهان وقد علمت ان امر بيعي مفوض اليّ * فقال لها الدلال سمعا و طاعة * ثم توجه

بها الى رجل من التجار الكبار * فلما وصل بها الى ذلك الرجل قال لها يا سيدتي هل ابيعك الى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينارا * فنظرت اليه الجارية فرأته شيخا ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل انت مجنون اومصاب في عقلك حتى تبيعني الى هذا الشيخ الفاني * فهل انا من كتكت المشاق اومن مهلهل الاخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ وكلا هما كجدار أئل الى السقوط * او عفريت محقه النجم بالهبوط * اما الاول فانه ناطق لسان الحال بقول من قال

طَلَبْتُ قُبْلَتَهَا فِي الثَّغْرِ قَائِلَةً | لَا وَالَّذِي اَوْجَدَ الْاَشْيَاءَ مِنْ عَدَمِ
مَا كَانَ لِي فِي بَيَاضِ الشَّيْبِ مِنْ اَرَبٍ | اَفِي الْحَيٰوةِ يَكُونُ الْقُطْنُ حَشْوَ فَمِي

وما احسن قول الشاعر

قَالُوا بَيَاضُ الشَّعْرِ نُورٌ سَاطِعٌ | يَكْسُو الْوُجُوهَ مَهَابَةً وَضِيَاءَ
حَتَّى بَدَا خَطُّ الْمَشِيبِ بِمَفْرِقِي | فَوَدِدْتُ اَنْ لَا اَعْدِمَ الظَّلْمَاءَ
لَوْ اَنَّ لِحْيَةَ مَنْ يَشِيبُ صَحِيفَةٌ | بِمَعَادِهِ مَا اخْتَارَهَا بَيْضَاءَ

واحسن منه قول الآخر

ضَيْفٌ اَلَمَّ بِرَاسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ | اَلسَّيْفُ اَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللِّمَمِ
اِبْعِدْ بَعُدْتَ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ | لَاَنْتَ اَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

واما الآخر فانه ذو عيب وريب وسود وجه الشيب قد اتى في خضاب شيبه باقبح مين * وانشد لسان حاله هذين البيتين

قَالَت أَرَاكَ خَضَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتُ لَهَا كَتَمْتُهُ عَنْكِ يَا سَمْعِي وَيَا بَصَرِي
فَقَهْقَهَتْ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ ذَا عَجَبٌ تَكَاثَرَ الْغِشُّ حَتَّى صَارَ فِي الشَّعَرِ

و ما احسن قول الشاعر

يَا مَنْ يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ مَشِيبَهُ كَيْ يَسْتَقِرَّ لَهُ الشَّبَابُ وَيَحْصُلُ
هَا فَاخْتَضِبْ بِسَوَادِ حَظِّي مَرَّةً وَلَكَ الضَّمَانُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُلُ

فلما سمع الشيخ الذي صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد * و قال للدلال يا انحس الدلالين ما جئت في هذا اليوم سوقنا الّا بجارية سفيهة تسفه علي كل من في السوق واحدا بعد واحد و تهجو هم بالاشعار و الكلام الفشار * ثم ان ذلك التاجر نزل من دكانه و ضرب الدلال على وجهه * فاخذها الدلال و رجع بها و هو غضبان و قال لها والله اني ما رايت عمري جارية اقل حياء منك * و قد قطعت رزقي ورزقك في هذا النهار و قد بغضني من اجلك جميع التجار * فرأهما في الطريق رجل من التجار فزاد في ثمنها عشرة دنانير * وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية في البيع * فقالت ارني اياه حتى انظر اليه و اسأله عن حاجة فانكانت تلك الحاجة في بيته فانا اباع له والّا فلا * فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم اليه و قال يا سيدي شهاب الدين اعلم ان هذه الجارية قالت لي انها تسألك عن حاجة فان كانت عندك فانها تباع لك * و ها انت قد سمعت ما قالته لاصحابك من التجار و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية و السبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدلال قال للتاجر انك سمعت ما قالته هذه الجارية لاصحابك التجار * انا والله خائف ان اجيء بها اليك فتعمل معك مثل ما عملت مع جيرانك و ابقى انا معك مفضوحا * فان اذنت لي في المجيء بها اجيء بها اليك * فقال له ائتني بها فقال الدلال سمعا و طاعة * ثم ذهب الدلال و اتى بالجارية اليه فنظرته الجارية و قالت له يا سيدي شهاب الدين هل في بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب * فقال لها نعم يا سيدة الملاح عندي منها في البيت عشر مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات * فقالت اصبر عليك حتى ترقد و اجعلها على فمك و انفك حتى تموت * ثم انها التفتت الى الدلال وقالت له يا اخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضني من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ في كل واحد منهما عيبان * و بعد ذلك تعرضني على سيدي شهاب الدين و فيه ثلثة عيوب * الاول انه قصير * و الثاني ان انفه كبير * والثالث ان لحيته طويلة * و قد قال فيه بعض الشعراء

مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِشَخْصٍ مِثْلِ هٰذَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعْ
فَلَهُ لِحْيَةٌ ذِرَاعٌ وَأَنْفٌ طُولُ شِبْرٍ وَقَامَةٌ طُولُ إِصْبَعْ

و قال بعضهم ايضا

مَنَارَةُ الْجَامِعِ فِي وَجْهِهِ كَرِنَّةِ الْخِنْصِرِ فِي الْخَاتَمِ

لَوْ دَخَلَ ٱلعَالَمُ فِي أَنْفِـهِ   أَصْبَحَتِ ٱلدُّنْيَـا بِلَا عَالَمِ

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجـارية ذلك الكلام نزل من الدكان و اخذ بطوق الدلال * و قال له يا انحس الدلالين كيف تأتي الينا بجارية توبخنا و تهجونا واحدا بعد و احد بالاشعار و الكلام الفشار * فعند ذلك اخذها الدلال و ذهب من بين يديه و قال لها والله طول عمري و انا في هذه الصناعة ما رأيت جارية اقل ادبا منك و لا انحس عليّ من نجمك * لانك قد قطعت رزقي في هذا اليوم و لا ربحت منك الّا الصفع على القفا و الاخذ بالطوق * ثم ان الدلال وقف بتلك الجارية ايضا على تاجر صاحب عبيد و غلمان * و قال لها اتباعين لهذا التاجر سيدي علاء الدين فنظرته فوجدته احدب فقالت ان هذا احدب و قد قال فيه الشـاعر

قَصُرَتْ مَنَاكِبُهُ وَ طَالَ فَقَارُهُ   فَحَكَاهُ شَيْطَانٌ يُصَادِفُ كَوْكَبَا
وَ كَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ دِرَّةٍ   وَ أَحَسَّ ثَانِيَةً فَصَارَ مُحَدَّبَا

و قال فيه بعض الشعراء ايضا

كَمَا رَقَى أَحْدَبٌ كُمْ بَغْلَةً   صَارَ بِهَا بَيْنَ ٱلوَرَي مُثْلَةً
أَمَالَهُ ٱلضُّحْكُ فَلَا تَعْجَبُوا   إِنْ جَفَلَتْ مِنْ تَحْتِهِ ٱلبَغْلَةُ

وكما قال فيه بعض الشعـراء

وَ لَرُبَّ أَحْـدَبَ زَادَ فِي حَدَبَاتِهِ   قُبْحًا وَ قَاطِبَةُ ٱلعُيـُونِ تَمُجُّهُ
فَكَأَنَّهُ غُصْـنٌ تَقَلَّـصَ يَابِسٌ   وَ لَوَاهُ مِنْ طُولِ ٱلمَدَى أُتْرُجُّهُ

فعند ذلك اسرع الدلال اليها و اخذها و اتى بها الى تاجر آخر

و قال لها اتباعين لهذا * فنظرت اليه فوجدته اعمش فقالت ان هذا اعمش كيف تبيعني له و قد قال فيه بعض الشعـــــــــــــــــــــــراء

زَمِدٌ بِـــهِ أمْرَاضُـــهُ هَدَّتْ قُوَاهُ لِحَيْـنِـــهِ
يَا قَوْمُ قُومُوا فَانْظُرُوا هَذَا الْقَذَى فِي عَيْنِهِ

فعند ذلك اخذها الدلال و اتى بهـــا الى تاجر آخر و قال لهـــا اتباعين لهذا * فنظرت اليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال و يلك ان هذا الرجل كبش * ولكن طلع ذيله في حلقه كيف تبيعني له يا انحس الدلالين * اما سمعت ان كل طويل الذقن قليل العقل و على قدر طول اللحية يكون نقصان العقل و هذا امر مشهور بين العقلاء كمـــا قال بعض الشعـــــــــــــــــــــــــــــــــراء

مَا رَجُلٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَـــةٌ فَزَادَتْ اللِّحْيَةُ فِي هَيْبَتِه
إلّا وَ مَا يَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ يَكُونُ طُولًا زَادَ فِي لِحيَتِه

و كما قال فيه بعض الشعراء ايضا

لَنَا صَدِيقٌ وَلَهُ لِحْيَةٌ طَوَّلَهَا اللّهُ بِلَا فَائِدَهْ
كَأَنَّهَا بَعْضُ لَيَالِي الشِّتَا طَوِيلَةٌ مُظْلِمَةٌ بَارِدَهْ

فعند ذلك اخذها الدلال ورجع فقالت له الى اين تتوجه بي * فقال لها الى سيدك الاعجمي و كفانا ماجرى لنا بسببك في هذا النهار * وقد تسببت في منع رزقي و رزقه بقلة ادبك * ثم ان الجارية نظرت في السوق و التفتت يمينا و شمالا و خلفا و اماما * فوقع نظرها بالامر المقدر على نورالدين علي المصري فرأته شابا مليحـــا نقي

الخد رشيق القد وهو ابن اربعة عشر سنة * بديع الحسن والجمال و الظرف و الدلال كأنه البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر * بجبين ازهر وخد احمر و عنق كالمرمر و اسنان كالجوهر و ريق احلى من السكر * كما قال فيه بعض واصفيه

بَدَتْ لِتُحاكِي حُسْنَهُ وَجَمالَهُ بُدُورٌ وغِزْلانٌ فَقُلْتُ لَهَا قِفِي
رُوَيْدَكِ يا غِزْلانُ لَاتَتَشَبَّهِي بِهَذا وَيا أَقْمارُ لَاتَتَكَلَّفِي

و ما احسن قول بعض الشعراء

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ تَغْدُو الوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِياءِ
لَاتُنْكِرُوا الخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْداءِ

فلما نظرت تلك الجارية الى نور الدين حال بينها و بين عقلها و وقع في خاطرها موقعا عظيما * و تعلق قلبها بمحبته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة و السبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما رأت عليا نور الدين تعلق قلبها بمحبته * فالتفتت الى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذي جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودي ما زاد في ثمني شيأ * فقال لها الدلال يا سيدة الملاح ان هذا شاب غريب مصري و والده من اكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها واكابرها * وله مدة يسيرة في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من اصحاب ابيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولانقصان * فلما سمعت

الجارية كلام الدلال نزعت من اصبعها خاتم ياقوت مثمنا وقالت للدلال اوصلني عند هذا الشاب المليح * فان اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا * ففرح الدلال وتوجه بها الى نور الدين * فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لانه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال كما قال فيه بعض واصفينه

صَفَا فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْجَمَالِ ... وَمِنْ أَلْحَاظِهِ رَمْيُ النِّبَالِ
وَيَشْرَقُ كُلُّ صَبٍّ اِنْ سَقَاهُ ... بِمُرِّ صُدُودِهِ وَلِوَصْلِ حَالِ
فَغُرَّتُهُ وَقَامَتُهُ وَعِشْقِي ... كَمَالٌ فِي كَمَالٍ فِي كَمَالِ
وَاِنَّ غَلَائِلَ الْاَثْوَابِ مِنْهُ ... مُزَرَّرَةٌ عَلَى طَوْقِ الْهِلَالِ
وَمُقْلَتُهُ وَخَالَاهُ وَدَمْعِي ... لَيَالٌ فِي لَيَالٍ فِي لَيَالِ
وَحَاجِبُهُ وَطَلْعَتُهُ وَجِسْمِي ... هِلَالٌ فِي هِلَالٍ فِي هِلَالِ
وَطَافَتْ مُقْلَتَاهُ بِكَاسِ خَمْرٍ ... عَلَى الْعُشَّاقِ اِنْ يَمْرُرْ حَلَالِي
وَاَرْشَفَنِي عَلَى ظَمَاٍ زُلَالًا ... بِبَاسِمِ ثَغْرِهِ يَوْمَ الْوِصَالِ
فَقَتْلِي عِنْدَهُ وَدَمِي لَدَيْهِ ... حَلَالٌ فِي حَلَالٍ فِي حَلَالِ

ثم ان الجارية نظرت الى نور الدين وقالت له يا سيدي بالله عليك اما انا مليحة * فقال لها يا سيدة الملاح وهل في الدنيا احسن منك * فقالت له الجارية ولاي شيء رايت التجار كلهم زادوا في ثمني وانت ساكت ما تكلمت بشيء ولازدت في ثمني دينارا واحدا كأنني ما اعجبتك يا سيدي * فقال لها يا سيدتي لو كنت في بلدي كنت اشتريك بجميع ما تملكه يدي من المال * فقالت له يا سيدي انا ما قلت لك اشترني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني شيأ لجبرت بخاطري ولو كنت لا تشتريني * لاجل ان تقول التجار لولا ان هذه

الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصري لان اهل مصر لهم خبرة بالجواري * فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذي ذكرته واحمرّ وجهه * وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا غير الدلالة واما قانون السلطان فانه على البائع * فقال نور الدين للدلال خلّها عليّ بالف دينار دلالة وثمنا * فبادرت الجارية و تركت الدلال و قالت بعت نفسي لهذا الشاب المليح بالف دينار * فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال أخر يستاهل وقال أخر ملعون ابن ملعون من يزود ولايشتري و قال أخر و الله انهما يصلحان لبعضهما * فلم يشعر نور الدين الاّ والدلال احضر القضاة والشهود * وكتبوا عقد البيع و الشراء في ورقة وناولها لنور الدين وقال له تسلّم جاريتك الله يجعلها مباركة عليك فهي ماتصلح الاّ لك ولاتصلح انت الاّ لها و انشد الدلال هذين البيتين

أَتَتْهُ السَّعَادَةُ مُنْقَادَةً   إِلَيْهِ تُجَرْجِرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ   وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار و قام من وقته و ساعته ووزن الالف دينار التي كان وضعها وديعة عند العطار صاحب ابيه * واخذ الجارية واتى بها الى البيت الذي اسكنه فيه الشيخ العطار * فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه بساطا خَلَقاً ونَطْعا عتيقا * فقالت له يا سيدي هل انا مالي منزلة عندك ولا استحق ان توصلني الى بيتك الاصلي الذي فيه مصالحك ولاي شيء ما دخلت بي عند ابيك * فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ان هذا بيتي الذي انا

فيه * ولكنه ملك لشيخ عطارمن اهل هذه المدينة وقد اخلاه لي واسكنني فيه * وقد قلت لك انني غريب وانني من اولاد مدينة مصر * فقالت له الجارية يا سيدي اقلّ البيوت يكفي الى ان ترجع الى بلدك * ولكن يا سيدي بالله عليك ان تقوم وتأتي لنا بشيء من اللحم المشوي و المدام والنقل والفاكهة * فقال لها نورالدين والله يا سيدة الملاح ماكان عندي من المال غير الالف دينار التي وزنته في ثمنك ولا املك غير تلك الدنانير شيأ من المال * وكان معي بعض دراهم صرفتها بالامس * فقالت له اما لك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهما وتأتيني بها حتى اقول لك اي شيء تفعل بها * فقال لها مالي صديق سوى العطار * ثم ذهب من وقته وتوجه الى العطار وقال له السلام عليك يا عمّ فردّ عليه السلام * وقال له يا ولدي اي شيء اشتريت بالالف دينار في هذا اليوم * فقال له اشتريت بها جارية فقال له يا ولدي هل انت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بالف دينار * يا ليت شعري ما جنس هذه الجارية * فقال له نورالدين يا عم انها جارية من اولاد الافرنج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين قال للشيخ العطار انها جارية من اولاد الافرنج * فقال له الشيخ اعلم يا ولدي ان خيار اولاد الافرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائة دينار * ولكن والله يا ولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية * فان كنت حببتها فبت عندها في هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح انزل بها

السوق و بعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار* وقدّر انك غرقت في البحر اوطلع عليك اللصوص في الطريق* فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن ياعم انت تعرف انه ماكان معي غير الالف دينار التي اشتريت به الجارية ولم يبق معي شيء انفقه ولادرهما واحدا* واني اريد من فضلك واحسانك ان تقرضني خمسين درهمـا انفقها الى غد فابيع الجاريـة واوردها لك من ثمنها* فقال الشيخ اعطيك يا ولدي على الرأس* ثم وزن له خمسين درهما و قال له يا ولدي انت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة* وربما تعلق بها قلبك فمايهون عليك ان تبيعها* وانت ما تملك شيأ تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهما فتأتيني فاقرضك اول مرة وثاني مرة وثالثة مرة الى عشر مرات* فاذا اتيتني بعد ذلك فلاارد عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك* ثم ناوله الشيخ خمسين درهما فاخذها نور الدين واتى بها الى الجارية* فقالت له يا سيدي رح الى السوق في هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهما حريرا ملونا خمسة الوان* وهات لنا بالثلثين درهما الاخرى لحما وخبزاو فاكهة وشرابا ومشموما* فعند ذلك ذهب نور الدين الى السوق واشترى منـه كلما طلبته تلك الجارية واتى به اليها* فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يديها وطبخت طعاما واتقنته غاية الا تقان* ثم قدمت له الطعام فا كل واكلت معه حتى اكتفيا* ثم قدمت المدام وشربت هي واياه ولم تزل تسقيه وتوانسه الى ان سكر ونام* فقامت الجارية من وقتها وساعتهـا و اخرجت من بقجتها جـرابا من اديم طائفي وفتحته واخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها الى ان فرغت*

فصار زنارا مليحا فلفته في خرقة بعد صقله و تنظيفه و جعلته تحت المخدة * ثم قامت تعرّت و نامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه * فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية انعم من الحرير واطرى من اللية وهي اشهر من علم واحسن من حمر النعم * خماسية القد قاعدة النهد * بحواجب كأنها قسي السهام * وعيون كأنها عيون غزلان * وخدود كأنها شقائق النعمان * وبطن خميصة الا عكان * و سرة تسع اوقية من دهن البان * وفخذين كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام * وبينهما شيء يكلّ عن وصفه اللسان * وتنسكب عند ذكره العبرات فكأن الشاعر قصدها بهذه الابيات

فَمِنْ شَعْرِهَا لَيْلٌ وَمِنْ فَرْقِهَا فَجْرٌ ... وَمِنْ خَدِّهَا وَرْدٌ وَمِنْ رِيقِهَا خَمْرُ
وَمِنْ وَصْلِهَا مَأْوىً وَمِنْ هَجْرِهَا لَظىً ... وَمِنْ ثَغْرِهَا دُرٌّ وَمِنْ وَجْهِهَا بَدْرُ

وما احسن قول بعض الشعراء

بَدَتْ قَمَراً وَمَاسَتْ غُصْنَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالَا
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةُ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالَا
لَهَا وَجْهٌ يَفُوقُ عَلَى الثُّرَيَّا ... وَنُورُ جَبِينِهَا فَاقَ الْهِلَالَا

و قال بعضهم ايضا

سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْجَلَيْنَ اَهِلَّةً ... وَمِسْنَ غُصُوناً وَالْتَفَتْنَ جَآذِرَا
وَفِيهِنَّ كَحْلَاءُ الْعُيُونِ لِحُسْنِهَا ... تَوَدُّ الثُّرَيَّا اَنْ تَكُونَ لَهَا ثَرَى

فعند ذلك التفت نور الدين من وقته و ساعته الى تلك الجارية و ضمها الى صدره و مص شفتها الفوقانية بعد ان مص التحتانية * ثم زرق اللسان بين الشفتين و قام اليها فوجدها درّة ما ثقبت

و مطية لغيره ما ركبت * فازال بكارتها و نال منها الوصال و انعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك و لا انفصال * و تابع في خدها تقبيلاً كوقع الحصى فى الماء * ورهزا كطعن الرماح في الغارة الشعواء * لان نورالدين كان مشتاقا الى اعتناق الحور ومص الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركوب النهود مع حركات مصرية و غنج يمانية وشهيق حبشية و فتور هندية و غلمة نوبية وتضجر ريفية و انين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرية * و كانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال و الدلال كما قال فيها الشاعر

هٰذِى الَّتِي أَنَا طُولَ الدَّهْرِ نَاسِيهَا ... فَلَا جَنَحْتُ اِلَى مَنْ لَيْسَ يُدْنِيهَا
كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي تَكْوِينِ صُورَتِهَا ... سُبْحَانَ خَالِقِهَا سُبْحَانَ بَارِيهَا
اِنْ كَانَ ذَنْبِي عَظِيمًا فِي مَحَبَّتِهَا ... فَلَيْسَ لِي تَوْبَةٌ يَوْمًا اُرَجِّيهَا
قَدْ صَيَّرَتْنِي حَزِينًا سَاهِرًا دَنِفًا ... وَالْقَلْبُ قَدْ حَارَ فِكْرًا فِي مَعَانِيهَا
وَ اَنْشَدَتْ بَيْتَ شِعْرٍ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... اِلَّا فَتًى لَقَوا فِى الشِّعْرِ يَرْوِيهَا
لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ اِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَ لَا الصَّبَابَةَ اِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

ثم نام نورالدين هو و تلك الجارية الى الصباح في لذة و انشراح و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين لما نام هو و تلك الجارية الى الصباح في لذة وانشراح * لا بسين حلل العناق محكمة الازرار آمنين طوارق الليل و النهار * و قد باتا على احسن حال ولم يخشيا في لوصال كثرة القيل والقال * كما قال فيهما الشاعر المفضال *

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مَقَالَةَ حَاسِدٍ لَيْسَ الحَسُودُ عَلَى الهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَا مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَإِذَا تَأَلَّفَتِ القُلُوبُ عَلَى الهَوَى فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الهَوَى أَهْلَ الهَوَى هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ نِعْمَ الصَّدِيقُ وَعِشْ بِذَاكَ الوَاحِدِ

فلما اصبح الصباح و ضاء بنوره و لاح انتبه نور الدين من نومه * فرأها احضرت الماء فاغتسل هو و اياها و ادى ما عليه من الصلوة لربه * ثم اتته بما تيسر من المأكول و المشروب فاكل وشرب * ثم ادخلت الجارية يدها تحت المخدة و اخرجت الزنار الذي صنعته بالليل و ناولته اياه و قالت له يا سيدي خذ هذا الزنار * فقال لها من اين هذا الزنار قالت يا سيدي هو الحرير الذي اشتريته البارحة بالعشرين درهما * فقم و اذهب به الى سوق العجم و اعطه للدلال لينادي عليه ولاتبعه الا بعشرين دينارا سالمة ليدك * فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح هل شيء بعشرين درهما يباع بعشرين دينارا يعمل في ليلة واحدة * قالت له الجارية يا سيدي انت ما تعرف قيمة هذا * ولكن اذهب به الى السوق و اعطه للدلال فاذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته * فعند ذلك اخذ نور الدين الزنار من الجارية و اتى به الى سوق الاعاجم واعطى الزنار للدلال * و امره ان ينادي عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان * فغاب الدلال عنه ساعة ثم اتى اليه و قال له يا سيدي قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ

عشرين دينارا سالمة ليدك * فلما سمع نورالدين كلام الدلال تعجب غاية العجب و اهتز من الطرب و قام ليقبض العشرين دينارا وهو ما بين مصدّق و مكذب * فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حرّيرا من سائر الالوان لتعمله الجارية كله زنانير * ثم رجع الى البيت و اعطا ها الحرير وقال لها اعمليه كله زنانير * و علميني ايضا حتى اعمل معك فاني طول عمري ما رأيت صنعة احسن من هذه الصنعة و لا اكثر مكسبا منها قط * وانها و الله احسن من التجارة بالف مرة * فضحكت الجارية من كلامه و قالت له يا سيدي نورالدين امض الى صاحبك العطّار واقترض منه ثلثين درهما * و في غد ادفعها له من ثمن الزنار هي والخمسين درهما التي اقترضتها منه قبلها * فقام نورالدين و اتى الى صاحبه العطار و قال له يا عم اقرضني ثلثين درهما * و في غد ان شاء الله تعالى اجيءُ لك بالثمانين درهما جملة واحدة * فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلثين درهما فاخذها نورالدين و اتى بها الى السوق و اشترى بها لحما و خبزا و نقلا و فاكهة و مشموما كما فعل بالامس و اتى به الى الجارية * وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية * فلما اخذت اللحم قامت من وقتها و ساعتها و هيّأت طعاما فاخرا و وضعته قدام سيدها نورالدين * ثم بعد ذلك هيّأت سفرة المدام و تقدمت تشرب هي و اياه و صارت تملأُ و تسقيه و هو يملأُ و يسقيها * فلما لعب المدام بعقلهما اعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فانشدت هذين البيتين

أَقُولُ لِأَهْيَفٍ حَيِّي بِكَأْسٍ ... لَهَا مِنْ مِسْكِ نَكْهَتِهِ خِتَامُ
أَمِنْ خَدَّيْكَ تُعْصَرُ قَالَ كَلَّا ... مَتَى عُصِرَتْ مِنَ الْوَرْدِ الْمُدَامُ

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين و ينادمها و تعاطيه الكأس و الطاس * وتطلب ان يملأ لها و يسقيها ما تطيب به الانفاس * و اذا وضع يده عليها تتمنع منه دلالا و قد زادها السكر حسنا و جمالا فانشد هذين البيتين

وَهَيْفَاءَ تَهْوِى الرَّاحَ قَالَتْ لِصَبِّهَا بِمَجْلِسِ اُنْسٍ وَهُوَ يَخْشَى مَلَالَهَا
اِذَا لَمْ تُدِرْ كَأْسَ الْمُدَامِ وَتُسْقِنِي اَبِيتُكَ مَهْجُورًا فَخَافَ مَلَالَهَا

ولم يزالا كذلك الى ان غلب عليه السكر و نام * فقامت هي من وقتها و ساعتها و عملت شغلها فى الزنار على جري عادتها * و لما فرغت اصلحته و لفّته في ورقة ثم نزعت ثيابها و نامت بجانبه الى الصباح و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار اصلحته ولفّته في ورقة و نزعت ثيابها و نامت بجانبه الى الصباح * و كان بينهما ما كان من الوصال * ثم قام نور الدين و قضى شغله و ناولته الزنار و قالت له امض به الى السوق و بعه بعشرين دينارا كما بعت نظيره بالامس * فعند ذلك اخذه ومضى به الى السوق و باعه بعشرين دينارا و اتى الى العطار و دفع له الثمانين درهما و شكرفضله و دعا له * فقال له يا ولدي هل انت بعت الجارية * فقال نور الدين انت تدعو عليّ كيف ابيع روحي من جسدي * ثم انه حكى له الحكاية من المبتدأ الى المنتهى و اخبره بجميع ماجرى له * ففرح

الشيخ العطار بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد * وقال له والله يا ولدي انك قد فرحتني وان شاء الله انت بخير دائما فاني اود لك الخير لمحبتي لوالدك و بقاء صحبتي معه * ثم ان نور الدين فارق الشيخ العطار و راح من وقته و ساعته الى السوق و اشترى اللحم و الفاكهة و الشراب و جميع ما يحتاج اليه على جري العادة واتى به الى تلك الجارية * و لم يزل نور الدين هو و الجارية في اكل وشرب ولعب و انشراح وود و منادمة مدة سنة * وهي تعمل في كل ليلة زنارا و يصبح يبيعه بعشرين دينارا ينفق منها ما يحتاج اليه و الباقي يعطيه لها تحفظه عندها الى وقت الحاجة اليه * وبعد السنه قالت له الجارية يا سيدي نور الدين اذا بعت الزنار في غد فخذ لي من حقه حريرا ملونا ستة الوان * فانه قد خطر ببالي ان اصنع لك منديلا تجعله على كتفك ما فرحت بمثله اولاد التجار و لا اولاد الملوك * فعند ذلك خرج نور الدين الى السوق و باع زنارا واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية و جاء به اليها * فقعدت مريم الزنارية تصنع في المنديل جمعة كاملة * لانها كلما فرغت من زنار في ليلة تعمل في المنديل شيأ الى ان خلصته * ثم ناولته لنور الدين فجعله على كتفه و صار يمشي في السوق فصار التجار و الناس و اكابر البلد يقفون عنده صفوفا ليتفرجوا على حسنه و على ذلك المنديل وحسن صنعته * فاتفق ان نور الدين كان نائما ذات ليلة من الليالي فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكي بكاء شديدا و تنشد هذه الابيات

دَنَا فِرَاقُ الحَبِيبِ وَاقْتَرَبَا   وَاحَرَبًا لِلفِرَاقِ وَاحَرَبَا

تَفَتَّتْ مُهْجَتِي قَوَا اَسَفِي ... عَلَى لَيَالٍ مَضَتْ لَنَا طَرَبَا
لَا بُدَّ اَنْ يَنْظُرَ الحَسُودُ لَنَا ... بِعَيْنِ سُوءٍ وَ يَبْلُغَ الاَرَبَا
فَمَا عَلَيْنَا اَضَرُّ مِنْ حَسَدٍ ... وَ مِنْ عُيُونِ الوُشَاةِ وَ الرُّقَبَا

فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم مالك تبكين فقالت له ابكي من الم الفراق فقد احسّ قلبي به * فقال لها يا سيدة الملاح ومن الذي يفرق بيننا وانا الآن احب الخلق اليك واعشقهم لك * فقالت له ان عندي اضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالي يوقع الناس في الاسف ولقد احسن الشاعر حيث قال

اَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ ... وَ لَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَاْتِي بِهِ القَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الكَدَرُ
وَ فِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ اِلَّا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
وَكَمْ عَلَى الاَرْضِ مِنْ خَضْرَا وَيَابِسَةٍ ... وَ لَيْسَ يُرْجَمُ اِلَّا مَا لَهُ ثَمَرُ
اَمَا تَرَى البَحْرَ يَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ ... وَ يَسْتَقِرُّ بِاَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ

ثم قالت يا سيدي نور الدين اذا كنت تحرص علي عدم الفراق فخذ حذرك من رجل افرنجي اعور العين اليمنى اعرج الرجل الشمال * وهو شيخ اغبر الوجه مكلثم اللحية لانه هو الذي يكون سببا لفراقنا * وقد رأيته اتى في تلك المدينة واظن انه ما جاء الّا في طلبي * فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح ان وقع بصري عليه قتلته ومثلت به * فقالت له مريم يا سيدي لا تقتله ولا تكلمه ولا تبايعه ولا تشاريه * ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشيه ولا تتحدث معه بكلام ولا بالجواب الشرعي قط * وادعو الله ان يكفينا شره ومكره * فلما اصبح الصباح اخذ

نورالدين الزناز و ذهب به الي السوق و جلس على مصطبة دكان يتحدث هو واولاد التجار * فاخذته سِنَة من النوم فنام على مصطبة الدكان * فبينما هو نائم و اذا بذلك الافرنجي مرّ على ذلك السوق في تلك الساعة و معه سبعة من الافرنج * فرأى نورالدين نائما على مصطبة الدكان و وجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه في يده * فقعد الافرنجي عنده و اخذ طرف المنديل و قلّبه في يده واستمر يقلّب فيه ساعة * فاستحسّ به نورالدين فافاق من النوم فرأى الافرنجي الذي و صفته الجارية بعينه جالسا عند رأسه فصرخ عليه نورالدين صرخة عظيمة ارعبته * فقال له الافرنجي لاي شيء تصرخ علينا هل نحن اخذنا منك شيأ * فقال له نورالدين والله يا ملعون لو كنت اخذت مني شيأ لكنت ذهبت بك الى الوالي * فقال له الافرنجي يا مسلم بحق دينك و ما تعتقده ان تخبرني من اين لك هذا المنديل * فقال له نورالدين هو شغل والدتي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الافرنجي لما سأل نورالدين عن الذي عمل المنديل قال له ان هذا المنديل شغل و الدتي عملته لي بيدها * فقال له الافرنجي اتبيعه لي وتأخذ ثمنه مني * فقال له نورالدين و الله يا ملعون لا ابيعه لك و لا لغيرك فانها ما عملته الآ على اسمي ولم تعمل غيره * فقال بعه لي وانا اعطيك ثمنه في هذه الساعة خمسمائة دينار ودع الذي عملته تعمل لك غيره احسن منه * فقال له نورالدين انا ما ابيعه ابدا لانه لانظير

له في هذه المدينة * فقال له الافرنجي يا سيدي وهل لاتبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص * ولم يزل يزيده مائة بعد مائة الى ان اوصله الى تسعمائة دينار * فقال نور الدين يفتح الله عليّ بغير بيعه انا ما ابيعه ولا بالفي دينار ولا باكثر ابدا * ولم يزل ذلك الافرنجي يرغب نور الدين بالمال في ذلك المنديل الى ان اوصله الى الف دينار * فقال له جماعة من التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال نور الدين انا ما ابيعه والله * فقال له تاجر من التجار اعلم يا ولدي ان هذا المنديل قيمته مائة دينار ان كثرت ووجد له راغب * وان هذا الافرنجي دفع فيه الف دينار جملة فربحك تسعمائة دينار فاي ربح تريد اكثر من هذا الربح * فالرأي عندي انك تبيع هذا المنديل وتأخذ الالف دينار وتقول للتي عملته لك تعمل لك غيره اواحسن منه واربح انت الالف دينار من هذا الافرنجي الملعون عدو الدين * فاستحى نور الدين من التجار وباع الافرنجي المنديل بالف دينار ودفع له الثمن فى الحضرة واراد نور الدين ان ينصرف ويمضي الى جاربته مريم ليبشرها بما كان من امر الافرنجي * فقال الافرنجي يا جماعة التجار احجزوا نور الدين فانكم واياه ضيوفي في هذه الليلة * فان عندي بتية خمر رومي من معتق الخمر وخاروفا سمينا وفاكهة ونقلا ومشموما * فانتم تؤانسونا في هذه الليلة ولا يتأخر احد منكم * فقال التجار يا سيدي نور الدين نشتهي ان تكون معنا في مثل هذه الليلة لنتحدث واياك * فمن فضلك واحسانك ان تكون معنا فنحن واياك ضيوف عند هذا الافرنجي لانه رجل كريم * ثم انهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالغصب عن الرواح الى بيته * ثم قاموا من وقتهم

و ساعتهم و قفلوا الدكاكين * واخذوا نورالدين معهم وراحوا مع الافرنجي الى قاعة مطيبة رحيبة بليوانين * فاجلسهم فيها و وضع بين ايديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل * فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسئول * ثم وضع الافرنجي على تلك السفرة الاوانى النفيسة من الصيني و البلور * و كلها مملوءة بنفائس النقل و الفاكهة والمشموم * ثم قدم لهم الافرنجي بتية ملآنة بالخمر الرومي المعتق و امر بذبح خاروف سمين * ثم ان الافرنجي اوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار و يسقيهم من ذلك الخمر و يغمزهم على نورالدين ان ينزلوا عليه بالشراب * فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده * فلما رآه الافرنجي مستغرقا فى السكر قال أنستنا يا سيدي نورالدين في هذه الليلة فمرحبا بك ثم مرحبا بك * وصار الافرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه و سارقه فى الحديث ساعة زمانية * ثم قال له يا سيدي نورالدين هل تبيعني جاريتك التي اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بالف دينار من مدة سنة و انا اعطيك في ثمنها الأن خمسة ألاف دينار بزيادة اربعة ألاف * فابى نورالدين ولم يزل ذلك الافرنجي يطعمه ويسقيه ويرغبه فى المال حتى اوصل الجارية الى عشرة ألاف دينار * فقال نورالدين وهو في سكره قدام التجار بعتك اياها هات العشرة ألاف دينار * ففرح الافرنجي بذلك القول فرحا شديدا واشهد عليه التجار * وباتوا في اكل وشرب وانشراح الى الصباح * ثم صاح الافرنجي على غلمانه وقال لهم ايتوني بالمال فاحضروا له المال * فعدّ لنورالدين العشرة ألاف دينار نقدا * وقال له يا سيدي نورالدين

تسلّم هذا المال ثمن جاريتك التي بعتهالي الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين * فقال نورالدين يا ملعون انا ما بعتك شيأ و انت تكذب عليّ وليس عندي جواري * فقال له الافرنجي قد بعتني جاريتك و هؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع * فقال التجار كلهم نعم يا نورالدين انت بعته جاريتك قدامنا و نحن نشهد عليك انك بعته اياها بعشرة ألاف دينار * قم اقبض الثمن وسلّم اليه الجارية والله يعوّضك خيرا منها * انكره يانورالدين انك اشتريت جارية بالف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها و جمالها وتتلذذ في كل يوم و ليلة بمنادمتها و وصالها * وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة ألاف دينار فوق ثمنها الاصلي * وفي كل يوم تعمل لك زنارا تبيعه بعشرين دينارا * وبعد ذلك كله تنكر البيع و تستقل الربح اي ربح اكثر من هذا الربح و ايّ مكسب اكثر من هذا المكسب * فان كنت تحبها فها انت قد شبعت منها في هذه المدة فاقبض الثمن واشتر غيرها احسن منها * اونزوجك بنتا من بناتنا بمهر اقل من نصف هذا الثمن و تكون البنت اجمل منها و يصير معك باقي المال رأس مال في يدك * ولم يزل التجار يتكلمون مع نورالدين بالملاطفة والمخادعة الى ان قبض العشرة ألاف دينار ثمن الجارية * واحضر الافرنجي من وقته و ساعته القضاة و الشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التي اسمها مريم الزنارية من نورالدين * هذا ما كان من امر نورالدين * و اما ما كان من امر مريم الزنارية فانها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم الى المغرب ومن المغرب الى نصف الليل فلم يعد اليها سيدها فجزعت و صارت تبكي بكاء

شديدا * فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فارسل اليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها يا سيدتي مالك تبكين * فقالت لها يا امي اني قعدت انتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء الى هذا الوقت * وانا خائفة ان يكون احد عمل عليه حيلة من اجلي لاجل ان يبيعني فدخلت عليه الحيلة و باعني و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية قالت لزوجة العطار انا خائفة ان يكون احد عمل على سيدي حيلة من شاني لاجل ان يبيعني فدخلت عليه الحيلة و باعني * فقالت لها زوجة العطار يا سيدتي مريم لو اعطوا سيدك فيك ملء هذه القاعة ذهبا لم يبعك لما اعرفه من محبته لك * ولكن يا سيدتي مريم ربما يكون جماعة اتوا من مدينة مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه * واستحى ان يأتي بهم الى هذا المحل لانه لا يسعهم * اولان مرتبتهم اقل من ان يجيء بهم الى البيت * اواحب ان يخفي امرك عنهم فبات عندهم الى الصباح * و يأتي ان شاء الله تعالى اليك في غد بخير * فلا تحملي نفسك هما ولا غما يا سيدتي فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة * وها انا ابيت عندك في هذه الليلة و اسليك الى ان يأتي اليك سيدك * ثم ان زوجة العطار صارت تلاهي مريم و تسليها بالكلام الى ان ذهب الليل كله * فلما اصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق و ذلك الافرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه * فلما رأتهم مريم

ارتعدت فرائصها واصفرّ لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح * فلما رأتها امرأة العطار قالت لها يا سيدتي مريم مالي اراك قد تغير حالك واصفرّ وجهك وزادبه الذبول * فقالت لها الجارية يا سيدتي والله ان قلبي قد احسّ بالفراق وبعد التلاق * ثم ان الجارية تأوّهت بتصاعد الزفرات وانشدت هذه الابيات

لا تركننّ الى الفراق ... فانّه مرّ المذاق
الشمس عند غروبها ... تصفرّ من الم الفراق
وكذاك عند شروقها ... تبيض من فرح التلاق

ثم ان مريم الزنارية بكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد وتيقنت الفراق * وقالت لزوجة العطار يا سيدتي اما قلت لك ان سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة من اجل بيعي * فما اشك انه باعني في هذه الليلة لهذا الافرنجي وقد كنت حذرته منه * ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولي * فبينما هي وزوجة العطار في الكلام واذا بسيدها نور الدين قد دخل عليها في تلك الساعة فنظرت اليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه اثر الحزن والندامة * فقالت له يا سيدي نور الدين كأنك بعتني فبكى بكاء شديدا وتأوّه وتنفس الصعداء وانشد هذه الابيات

هي المقادير فما يغني الحذر ... ان كنت اخطأت فما اخطى القدر
اذا اراد الله امرا بامرئ ... وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصمّ اذنيه واعمى عينه ... وسلّ منه عقله سلّ الشعر

حَتَّى اِذَا اَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ اِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ
لَاتَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَ قَدَرْ

ثم ان نورالدين اعتذر الى الجارية وقال لها و الله يا سيدتي مريم انه قد جرى القلم بما الله حكم * والناس قد عملوا عليّ حيلة من اجل بيعك فدخلت عليّ الحيله فبعتك * وقد فرطت فيك اعظم تفريط * ولٰكن عسى مَنْ حكم بالفراق ان يمنّ بالتلاق * فقالت له قد حذرتك من هذا وكان في وهمي * ثم ضمّته الى صدرها وقبلت ما بين عينيه و انشدت هذه الابيات

وَ حَقِّ هَوَاكُمْ مَاسَلَوْتُ وِدَادَكُمْ وَلَوْ تَلِفَتْ رُوحِي هَوًى وَ تَشَوُّقَا
اَنُوحُ وَ اَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ كَمَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى شَجَرِ النَّقَا
تَنَغَّصَ عَيْشِي بَعْدَكُمْ يَا اَحِبَّتِي مَتَى غِبْتُمْ عَنِّي فَمَالِي مُلْتَقَى

فبينما هما على هذه الحالة واذا بالافرنجي قد طلع عليهما و تقدم ليقبل ايادي السيدة مريم * فلطمته بكفها على خده وقالت له ابعد ياملعون فما زلت و رائي حتى خدعت سيدي * و لٰكن يا ملعون ان شاء الله تعالى لايكون الّا خيرا * فضحك الافرنجي من قولها و تعجب من فعلها واعتذر اليها * و قال لها يا سيدتي مريم ايّ شيء ذنبي انا وانما سيدك نورالدين هذا هوالذي باعك برضى نفسه وطيب خاطره * وانه وحق المسيح لوكان يحبك ما فرط فيك * ولولا انه فرغ غرضه منك ما باعك و قد قال بعض الشعراء

مَنْ مَلَّنِي فَلْيَمْضِ عَنِّي عَامِدًا اِنْ عُدْتُ اَذْكُرُهُ فَلَسْتُ بِرَاشِدِ
مَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِاَسْرِهَا حَتَّى تَرَانِي رَاغِبًا فِي زَاهِدِ

وقد كانت هذه الجاريـــة بنت ملك افرنجة * وهي مدينـــة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والنبات تشبه مدينة القسطنطينية * وقد كان لخروج تلك الجارية من مدينة ابيها حديث غريب وامر عجيب نسوقه على الترتيب حتى يطرب السامع ويطيب وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــبـــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان لخروج مريم الزنارية من عند ابيها وامها سببا عجيبا وامرا غريبا * وذلك انها تربّت عنـــد ابيها وامها في العز والدلال * وتعلمت الفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة * وتعلّمت جميع الصنائع مثل الزركشة والخياطة والحياكة وصنعة الزنار والعقادة ورمي الذهب على الفضة والفضة على الذهب * وتعلّمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صـــارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها واوانها * وقد اعطاها الله عز وجل من الحسن والجمال والظرف والكمـــال ما فاقت به على جميع اهل عصرها * فخطبها ملوك الجزائر من ابيها وكل من خطبها منه يأبى ان يزوجها له لانه كان يحبها حبا عظيما ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة * ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الاولاد الذكور كثير * ولكنه كان مشغوفا بحبها اكثر منهم * فاتفق انها مرضت في بعض السنين مرضا شديدا حتى اشرفت على الهلاك * فنذرت على نفسها انها اذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفـــلاني الذي في الجزيرة الفلانية * وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به * فلما عوفيت مريم من مرضها ارادت ان

توفي بنذرها الذي نذرته على نفسها لذلك الدير * فارسلها والدها ملك افرنجة الى ذلك الدير في مركب صغيرة * وارسل معها بعضا من بنات اكابر المدينة ومن البطارقة لاجل خدمتها * فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين المجاهدين في سبيل الله * فاخذوا جميع ما في تلك المركب من البطارقة والبنات والاموال والتحف * فباعوا ما اخذوه في مدينة القيروان فوقعت مريم في يد رجل اعجمي تاجر من التجار * وقد كان ذلك الاعجمي عنّينا لا يأتي النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة * ثم ان ذلك الاعجمي مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور * فخدمته مريم وبالغت في خدمته الى ان عافاه الله من مرضه * فتذكر ذلك الاعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فاراد ان يكافئها على ما فعلته معه من الجميل * فقال لها تمنّي عليّ يامريم فقالت يا سيدي تمنيت عليك ان لاتبيعني الّا لمن اريده واحبه * فقال لها نعم لك عليّ ذلك * والله يا مريم ما ابيعك الّا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحا شديدا * وكان الاعجمي قد عرض عليها الاسلام فاسلمت وعلّمها العبادات * فتعلّمت من ذلك الاعجمي في تلك المدة امر دينها وما يجب عليها * وحفّظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والاحاديث النبوية * فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن ارادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا * فاخذها علي نور الدين كما اخبرنا * هذا ما كان من سبب خروجها من بلادها * واما ما كان من امر ابيها ملك افرنجة فانه لما بلغه امر ابنته ومن معها قامت عليه القيٰمة * وارسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الابطال * فلم

يقعوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين و رجعوا الى ابيها بالويل و الثبور وعظائم الامور * فحزن عليها ابوها حزنا شديدا فارسل وراءها ذلك الاعور اليمين الاعرج الشمال * لانه كان اعظم وزرائه وكان جبارا عنيدا ذا حيل و خداع * وامره ان يفتش عليها في جميع بلاد المسلمين ويشتريها و لوبملىء مركب ذهبا * ففتش عليها ذلك الملعون في جزائر البحار و سائر المدن فلم يقع لها على خبر الى ان وصل الى مدينة اسكندرية * و سأل عنها فوقع على خبرها عند نور الدين عليّ المصري فجرى له معه ماجرى * وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذي لا يحسن صنعته غيرها * وكان قد وصى التجار و اتفق معهم على خلاصها بالحيلة * فلما صارت عنده مكثت في بكاء و عويل * فقال لها يا سيدتي مريم خلي عنك هذا الحزن والبكاء و قومي معي الى مدينة ابيك و محل مملكتك و منزل عزك و وطنك لتكوني بين خدمك و غلمانك * واتركي هذا الذل و هذه الغربة و يكفي ما قد حصل لي من التعب و السفر من اجلك وصرف الاموال * فان لي في السفر و التعب وصرف الاموال نحو سنة و نصف * و قد امرني والدك ان اشتريك ولو بملىء مركب ذهبا * ثم ان وزير ملك افرنجة صار يقبل قدميها ويتخضع لها * ولم يزل يكرّر تقبيل يديها و قدميها و يزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك ادبا معها * وقالت له يا ملعون الله تعالى لا يبلغك ما في مرادك * ثم قدم اليها الغلمان في تلك الساعة بغلة بسرج مزركش واركبوها عليها * ورفعوا فوق راسها سحابة من حرير بعواميد

من ذهب وفضة * و صار الافرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر * و انزلوها فى قارب صغير و صاروا يقذفون بها الى ان اوصلوها الى المركب الكبيرة و انزلوها فيها * فعند ذلك نهض الوزير الاعور و قال لبحرية المركب ارفعوا الصاري فرفعوه من وقتهم و ساعتهم فردوا القلوع و الاعلام و نشروا القطن و الكتان و اعملوا المقاديف و سافرت بهم تلك المركب * هذا كله و مريم تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فصارت تبكي في سرّها بكاء شديدا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وزير ملك افرنجة لما سافرت بهم المركب وفيها مريم الزنارية صارت تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها * فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

اَيَا مَنْزِلَ الْاَحْبَابِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ اِلَيْنَا وَ مَا عِلْمِي بِمَا اللّٰهُ صَانِعُ
فَسَارَتْ بِنَا سُفُنُ الْفِرَاقِ وَ اَسْرَعَتْ وَطَرْفِي قَرِيحٌ قَدْ مَحَتْهُ الْمَدَامِعُ
لِفُرْقَةِ خِلٍّ كَانَ غَايَةَ مَقْصِدِي بِهِ يَشْتَفِي سُقْمِي وَتُمْحَى الْمَوَاجِعُ
اَلَا يَا اِلٰهِي كُنْ عَلَيْهِ خَلِيفَتِي فَعِنْدَكَ يَوْمًا لَا تَضِيعُ الْوَدَائِعُ

ولم تزل مريم كلما تذكرته تبكي وتنوح * فاقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تعبل منهم كلاما بل شغلها داعي الوجد و الغرام * ثم انها بكت و انّت و اشتكت و انشدت هذه الابيات

لِسَانُ الْهَوَى فِي مُهْجَتِي لَكَ نَاطِقُ يُخَبِّرُ عَنِّي اَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ

وَلِي كَبِدٌ جَمْرُ الْهَوَى قَدْ اَذَابَهَا وَقَلْبِي جَرِيحٌ مِنْ فِرَاقِكَ خَافِقُ
وَكَمْ اَكْتُمُ الْحُبَّ الَّذِي قَدْ اَذَابَنِي فَجَفْنِي قَرِيحٌ وَالدُّمُوعُ سَوَابِقُ

و لم تزل مريم على هذه الحالة لا يقرّ لها قرار و لا يطاوعها اصطبار مدة سفرها * هذا ما كان من امرها هي و الوزير الاعور الاعرج * واما ما كان من امر نور الدين علي المصري ابن التاجر تاج الدين * فانه بعد نزول مريم المركب و سفرها ضاقت عليه الدنيا و صار لا يقرّ له قرار و لا يطاوعه اصطبار * فتوجه الى القاعة التي كان مقيما بها هو ومريم * فرآها في وجهه سوداء مظلمة * ورأى العُدّة التي كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التي كانت على جسدها * فضمها الى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات و انشد هذه الابيات

تُرَى هَلْ يَعُودُ الشَّمْلُ بَعْدَ تَشَتُّتِي وَبَعْدَ تَوَالِي حَسْرَتِي وَتَلَفُّتِي
فَهَيْهَاتَ مَا قَدْ كَانَ لَيْسَ بِرَاجِعٍ فَيَا هَلْ تُرَى اَحْظَى بِوَصْلِ حَبِيبَتِي
وَيَا هَلْ تُرَى قَدْ يَجْمَعُ اللّٰهُ شَمْلَنَا وَتَذْكُرُ اَحْبَابِي عُهُودَ مَوَدَّتِي
وَيَحْفَظُ وُدِّي مَنْ بِجَهْلِي اَضَعْتُهُ وَيَرْعَى عُهُودِي ثُمَّ سَالِفَ صُحْبَتِي
فَمَا اَنَا اِلَّا مَيِّتٌ بَعْدَ بُعْدِهِمْ وَهَلْ تَرْتَضِي الْاَحْبَابُ يَوْمًا مَنِيَّتِي
فَيَا اَسَفِي اِنْ كَانَ يُجْدِي تَاَسُّفِي لَقَدْ ذُبْتُ وَجْدًا مِنْ تَزَايُدِ حَسْرَتِي
وَضَاعَ زَمَانٌ كَانَ فِيهِ تَوَاصُلِي فَيَا هَلْ تُرَى دَهْرِي يَجُودُ بِمُنْيَتِي
فَيَا قَلْبُ زِدْ وَجْدًا وَيَا عَيْنُ اَهْمِلِي دُمُوعًا وَلَا تُبْقِي الدُّمُوعَ بِمُقْلَتِي
وَيَا بُعْدَ اَحْبَابِي وَفَقْدَ تَصَبُّرِي وَقَدْ قَلَّ اَنْصَارِي وَزَادَتْ بَلِيَّتِي
سَأَلْتُ اِلٰهَ الْعَالَمِينَ يَجُودُ لِي بِعَوْدِ حَبِيبِي وَالْوِصَالِ كَعَادَتِي



ثم ان نورالدين بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد و التفت الى زوايا القاعة و انشد هذين البيتين

أَرَى آثَارَهُمْ فَأَذُوبُ شَوْقًا ... وَأُجْرِي فِي مَوَاطِنِهِمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ قَضَى بِالْبُعْدِ عَنْهُمْ ... يَمُنُّ عَلَيَّ يَوْمًا بِالرُّجُوعِ

ثم ان نورالدين نهض من وقته و ساعته و قفل باب الدار و خرج يجري الى البحر و صار يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمريم ثم بكى و صعد الزفرات و انشد هذه الابيات

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِي عَنْكُمُ غِنَى ... وَإِنِّي عَلَى الْحَالَيْنِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
أَحِنُّ إِلَيْكُمْ كُلَّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ ... وَأَشْتَاقُكُمْ شَوْقَ الْعِطَاشِ إِلَى الْوِرْدِ
وَعِنْدَكُمُ سَمْعِي وَقَلْبِي وَنَاظِرِي ... وَتَذْكَارُكُمْ عِنْدِي أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ
فَيَا أَسَفِي لَمَّا اسْتَقَلَّتْ رِكَابُكُمْ ... وَحَادَتْ بِكُمْ تِلْكَ السَّفِينَةُ عَنْ قَصْدِي

ثم ان نورالدين ناح و بكى و انّ و حنّ واشتكى * و نادى يا مريم يا مريم هل كانت رؤيتي لك في المنام ام اضغاث احلام * و لما زادت به الحسرات انشد هذه الابيات

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْبُعْدِ عَيْنِي تَرَاكُمُ ... وَأَسْمَعُ مِنْ قُرْبِ الدِّيَارِ نِدَاكُمُ
وَتَجْمَعُنَا الدَّارُ الَّتِي أَنِسَتْ بِنَا ... وَأُعْطَى مُنَى قَلْبِي وَأَنْتُمْ مُنَاكُمُ
خُذُوا لِعِظَامِي أَيْنَ سِرْتُمْ مَحَفَّةً ... وَأَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمُ
فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدٍ ... وَأَتْرُكُ قَلْبًا مُغْرَمًا فِي هَوَاكُمُ
وَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللهِ تَشْتَهِي ... لَقُلْتُ رِضَى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكُمُ

فبينما نورالدين على هذه الحالة يبكي ويقول يا مريم يا مريم * واذا بشيخ قد طلع من مركب واقبل عليه فرآه يبكي وينشد هذين البيتين

يَا مَرْيَمُ الْحُسْنِ عُودِي إِنَّ لِي مُقَلاً سَحَائِبُ الْمُزْنِ تَجْرِي مِنْ سَوَاكِبِهَا
وَاسْتَخْبِرِي عُذَّلِي دُونَ الْأَنَامِ تَرَى اجْفَانَ عَيْنِي غَرِقَى فِي كَوَاكِبِهَا

فقالت له الشيخ يا ولدي كأنك تبكي على الجارية التي سافرت البارحة مع الافرنجي* فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خرّ مغشيا عليه ساعة زمانية* ثم افاق وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وانشد هذه الابيات

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْبُعْدِ يُرْجَى وِصَالُهَا وَلَذَّةُ انْسِي قَدْ يَعُودُ كَمَالُهَا
فَانَّ بِقَلْبِي لَوْعَةً وَصَبَابَـــةً وَيُزْعِجُنِي قِيلُ الْوُشَاةِ وَقَالُهَا
أَهِيمُ نَهَارِي بَاهِتًا مُتَحَيِّـــرًا وَفِي اللَّيْلِ ارْجُوانْ يَزُورَ خَيَالُهَا
فَوَاللّٰهِ لَا اسْلُو عَنِ الْعِشْقِ سَاعَةً وَكَيْفَ وَنَفْسِي فِي الْوُشَاةِ مَلَالُهَا
مُنَعَّمَةُ الْاَطْرَافِ مَهْضُومَةُ الْحَشَى لَهَا مُقْلَةٌ فِي الْقَلْبِ مِنِّي نِبَالُهَا
يُحَاكِي قَضِيبَ الْبَانِ فِي الرَّوْضِ قَدُّهَا وَيُخْجِلُ ضَوْءَ الشَّمْسِ حُسْنًا جَمَالُهَا
وَلَوْلَا اخَافُ اللَّـــهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَقُلْتُ لَذَاتِ الْحُسْنِ جَلَّ جَلَالُهَا

فلما نظر ذلك الشيخ الى نور الدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف افتنانه حزن قلبه عليه ورق لحالــه* وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة الى مدينـــة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من التجار المسلمين المؤمنين* فقال له اصبر ولا يكون الاخيرا فان شاء الله سبحانه وتعالى اوصلك اليهـــا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــبـــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما قال لنور الدين انا اوصلك اليها ان شاء الله تعالى* قال له نور الدين متى السفر

قال الريس قد بقي لنا ثلثة ايام ونسافر في خير و سلامة * فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحا شديدا وشكر فضله واحسانه * وبعد ذلك تذكر ايام الوصال و اجتماع الشمل بجارينه عديمة المثال * فبكى بكاء شديدا وانشد هذه الابيات

فَهَلْ يَجْمَعُ الرَّحْمٰنُ لِي وَلَكُمْ شَمْلَا ‏ وَهَلْ اَبْلُغُ الْمَقْصُودَ يَاسَادَتِي أَمْ لَا
وَيَسْمَحُ صَرْفُ الدَّهْرِ مِنْكُمْ بِزَوْرَةٍ ‏ وَاُطْبِقُ اَجْفَانِي عَلَى ذَاتِكُمْ بُخْلَا
وَلَوْكَانَ وَصْلُكُمْ يُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ ‏ بِرُوحِي وَلٰكِنِّي أَرَى وَصْلَكُمْ اَغْلَى

ثم ان نور الدين طلع من وقته وساعته و توجه الى السوق واخذ منه جميع ما يحتاج اليه من الزاد وادوات السفر واقبل على ذلك الريس * فلما رآه قال له يا ولدي ما هذا الذى معك قال زوادتي وما احتاج اليه فى السفر * فضحك الريس من كلامه وقال له ياولدي هل انت رائح تتفرج على عمود الصواري ان بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين اذا طاب الريح وصفت الاوقات * ثم ان ذلك الشيخ اخذ من نور الدين شيأ من الدراهم وطلع الى السوق واشترى له جميع ما يحتاج اليه فى السفر على قدر كفايته وملأ له بتية ماء حلوا * ثم اقام نور الدين فى المركب ثلثة ايام الى ان تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا فى المركب * ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة واحد وخمسين يوما * وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب واسروا جميع من فيها وانوابهم الى مدينة افرنجة وعرضوهم على الملك * وكان نور الدين من جملتهم فامر الملك بحبسهم وفي وقت نزولهم من عند الملك الى الحبس

حكاية وصول مريم الزنارية عند ابيها وفرحه لها وامر البطارقة بقتل مائة من المسلمين لاجل تطهير مريم

وصل الغراب الذى فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الاعور * فلما وصل الغراب الى المدينة طلع الوزير الى الملك و بشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر و زينوا المدينة باحسن زينة * وركب الملك في جميع عسكره و ارباب دولته و توجهوا الى البحر ليقابلوها * فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها و سلم عليها و سلمت عليه و قدم لها جوادا فركبته * فلما وصلت الى القصر قابلتها امها وعانقتها وسلمت عليها و سألتها عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقا اوصارت امرأة ثيبا * فقالت لهم مريم يا امي بعد ان يباع الانسان في بلاد المسلمين من تاجر الى تاجر و يصير محكوما عليه كيف يبقى بنتا بكرا * ان التاجر الذي اشتراني هددني بالضرب و غصبني و ازال بكارتي و باعني لأخر وأخر باعني لأخر * فلما سمعت امها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما * ثم اعادت على ابيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وكبر امره لديه و عرض حالها على ارباب دولته و بطارقته * فقالوا له ايها الملك انها تنجست من المسلمين و ما يطهرها الا ضرب مائة رقبة من المسلمين * فعند ذلك امر الملك باحضار الاسارى المسلمين الذين فى الحبس فاحضروهم جميعا بين يديه ومن جملتهم نور الدين * فامر الملك بضرب رقابهم فاول من ضربوا رقبته ريس المركب * ثم ضربوا رقاب التجار واحدا بعد واحد حتى لم يبق الا نور الدين * فشرطوا ذيله و عصبوا عينيه و قدموه الى نطع الدم و ارادوا ان يضربوا رقبته * واذا بامرأة عجوز اقبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له يامولاي انت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة اسارى من المسلمين ان رد الله

بنتك مريم لاجل ان يساعدوا في خدمتها * والأن قد وصلت اليك بنتك السيدة مريم فاوف بنذرك الذي نذرته * فقال لها الملك يا امي و حق المسيح و الدين الصحيح لم يبق عندي من الاسارى غير هذا الاسير الذي يريدون قتله * فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة الى ان يأتي الينا اسارى من المسلمين فارسل اليك اربعة أخر * ولو كنت سبقت قبل ان يضربوا رقاب هؤلاء الاسارى لاعطيناك كلما تريدينه * فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم * ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها الى نور الدين واخرجته من نطع الدم ونظرت اليه فرأته شابا لطيفا ظريفا رقيق البشرة و وجهه كأنه البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر * فاخذته و مضت به الى الكنيسة و قالت له يا ولدي اقلع ثيابك التي عليك فانها لاتصلح الا لخدمة السلطان * ثم ان العجوز جاءت لنورالدين بجبة من صوف اسود و ميزر من صوف اسود و سير عريض * فالبسته تلك الجبة وعممته بالميزر وشدت وسطه بالسير و امرته ان يخدم الكنيسة فخدم الكنيسة مدة سبعة ايام * فبينما هو كذلك و اذا بتلك العجوز قد اقبلت عليه و قالت له يا مسلم خذ ثيابك الحرير و البسها و خذ هذه العشرة دراهم و اخرج فى هذه الساعة تفرج في هذا اليوم و لا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك * فقال لها نور الدين يا امي اي شيء الخبر * فقالت له العجوز اعلم يا ولدي ان بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد ان تدخل الكنيسة في هذا الوقت * لاجل ان تزورها وتتبرك بها و تقرب لها قربانا حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين و توفي لها النذور التي نذرتها ان نجاها المسيح * و معها اربعمائة

بنت ما واحدة منهن الّا كاملة فى الحسن و الجمال * و من جملتهن بنت الوزير و بنات الامراء وارباب الدولة * و في هذه الساعة يحضرن و ربما يقع نظرهن عليك في هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيوف * فعند ذلك اخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد ان لبس ثيابه وخرج الى السوق و صار يتفرج في شوارع المدينة حتى عرف جهاتها و ابوابها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما لبس ثيابه اخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج الى السوق و غاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع الى الكنيسة * فرأى مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قد اقبلت على الكنيسة ومعها اربعمائة بنت نهد ابكار كأنهن الاقمار * ومن جملتهن بنت الوزير الاعور و بنات الامراء و ارباب الدولة وهي تمشي بينهن كأنها القمر بين النجوم * فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه و قال يا مريم يا مريم * فلما سمعت البنات صياح نور الدين و هو ينادي يا مريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق و اردن قتله في تلك الساعة * فالتفتت اليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة * فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فانه مجنون بلاشك لان علامة الجنون لائحة على وجهه * فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف راسه و حملق عينيه واشاح بيديه و عوج رجليه واخرج الزبد من فيه وشدقيه * فقالت السيدة مريم اما قلت لكنّ ان هذا مجنون * احضرنه عندي وابعدن عنه حتى اسمع ما يقول فاني

اعرف كلام العرب وانظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة ام لا * فعند ذلك حملته البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه * فقالت له هل جئت الى هنا من اجلي و خاطرت بنفسك و عملت نفسك مجنونا * فقال لها نور الدين يا سيدتي اما سمعت قول الشاعر

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَا لَذَّةُ العَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
هَاتُوا جُنُونِي وَهَاتُوا مَنْ جُنِنْتُ بِهِ ... فَإِنْ وَفَى بِجُنُونِي لَا تَلُومُونِي

فقالت له مريم و الله يا نور الدين انك الجاني على نفسك * فاني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي و تبعت هوى نفسك وانا ما اخبرتك لامن باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام * وانما هو من باب المشاهدة و العيان لاني رايت الوزير الا عور فعرفت انه ما دخل في هذه البلدة الّا في طلبي * فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم نعوذ بالله من زلة العاقل * ثم تزايد بنور الدين الحال فانشد هذا المقال

هَبْ لِي جِنَايَةَ مَنْ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ ... قَدْ يَشْمَلُ العَبْدَ مِنْ سَادَاتِهِ كَرَمُ
حَسْبُ المُسِيءِ بِذَنْبٍ مِنْ جِنَايَتِهِ ... فَرْطُ النَّدَامَةِ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ
فَعَلْتُ مَا يَقْتَضِي التَّأْدِيبَ مُعْتَرِفًا ... فَأَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ العَفْوُ وَالكَرَمُ

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه * وكل منهما يحكي لصاحبه ماجرى له و يتناشدان الاشعار و دموعهما تجري على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى واليم الوجد و الجوى * الى ان لم يبق لاحدهما قوة على الكلام * وكان النهار قد ولّى واقبل الظلام وقد كان على السيدة مريم حلة خضراء

مزركشة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر و الجوهر فزاد حسنها و جمالها و ظرف معانيها و قد اجاد من قال فيها

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التِّمِّ فِي الحُلَلِ الخُضْرِ مُفَكَّكَةَ الأَزْرَارِ مَحْلُولَةَ الشَّعْرِ
فَقُلْتُ لَهَا مَا الاِسْمُ قَالَتْ أَنَا الَّتِي كَوَيْتُ قُلُوبَ العَاشِقِينَ عَلَى الجَمْرِ
أَنَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ وَالذَّهَبُ الَّذِي يُفَكُّ بِهِ المَأْسُورُ مِنْ شِدَّةِ الأَسْرِ
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الصُّدُودَ أَذَابَنِي فَقَالَتْ أَتَشْكُولِي وَ قَلْبِي مِنْ صَخْرِ
فَقُلْتُ لَهَا إِنْ كَانَ قَلْبُكِ صَخْرَةً فَقَدْ أَنْبَعَ اللَّهُ الزُّلَالَ مِنَ الصَّخْرِ

فلما جن الليل اقبلت السيدة مريم على البنات و قالت لهن هل اغلقتن الباب فقلن لها قد اغلقناه * فعند ذلك اخذت السيدة مريم البنات واتت بهن الى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء امّ النور * لان النصارى يزعمون ان روحها و سرها في ذلك المكان فصار البنات يتبركن به و يطفن في الكنيسة كلها * و لما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن اني اريد ان ادخل وحدي في هذه الكنيسة وا نبرك بها * فانه حصل لي اشتياق اليها بسبب طول غيبتي في بلاد المسلمين * و اما انتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن * فقلن لها حبا و كرامة وافعلي انت ماتريدينه * ثم انهن تفرقن عنها في الكنيسة و نمن * فعند ذلك اغفلتهن مريم و قامت تفتش على نور الدين فرأته في ناحية جالسا على مقالي الجمر وهو في انتظارها * فلما اقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست واجلسته في جانبها * ثم نزعت ما كان عليها من الحلي والحلل و نفيس القماش وضمت نور الدين الى صدرها وجعلته في حضنها * ولم تزل هي و اياه في بوس و عناق و نغمات

خاق باق * وهما يقولان ما اقصر ليل التلاق و ما اطول يوم الفراق *
و ينشدان قول الشاعـــــــــــــــــــــــــــــــر

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَ بِكْرِ الدَّهْرِ لَاأَنْتِ غُــرَّةُ اللَّيَالِي الغُــرِّ
فَجِئْتَنِي بِالصُّبْحِ وَقْتَ العَصْرِ هَلْ كُنْتِ كُحْلاً فِي عُيُونِ الفَجْرِ
اَوْكُنْتِ نَوْماً بِي عُيُونِ رَمْدِ

يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ وَمَا اَطْوَلَهَـــا اُخْرُهَا مُوَاصِــلُ اَوَّلَهَـــا
كَحَلْقَةٍ مُفْرَغَـــةٍ مَا اِنْ لَهَا مِنْ طَرَفٍ وَالْحَشْرُ اَيْضاً قَبْلَهَا
فَالصَّبُّ بَعْدَ الْبَعْثِ مَيْتُ الصَّدِّ

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة و الفرحة العميمة * واذا بغلام
من الغلمان النفيسة يضرب النـاقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من
عبادتهم الشعائر وهو كما قال الشاعـــــــــــــــــــر

رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ النَّاقُوسَ قُلْتُ لَهُ مَنْ عَلَّمَ الظَّبْيَ ضَرْباً بِالنَّوَاقِيسِ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ اَيُّ الضَّرْبِ يُؤْلِمُكِ ضَرْبُ النَّوَاقِيسِ اَمْ ضَرْبُ النَّوَى قِيسِي

و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة و الثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيـــد ان مريم الزناريـــة مازالت هي
و نورالدين في لذة وطرب الى ان طلع الغلام النوانيسي فوق سطح
الكنيسة و ضرب الناقوس * فقامت من وقتها و ساعتها و لبست ثيابها
و حليها * فشق ذلك على نورالدين و تكدر وقته فبكي و سكب
العبرات و انشــد هذه الابـــــــــيـــــــــات

لازلتَ التمَ وردَ خدٍّ غضٍّ وأعضّ ذاكَ مبالغًا في العضّ
حتى اذا طبنا ونامَ رقيبنا وعيونه مالت لنحو الغمض
ضُربت نواقيسٌ تنبّه اهلها بمؤذّنٍ يدعو صلوة الفرض
قامت على عجلٍ للبس ثيابها من خوف نجم رقيبنا المنقض
وتقول ياسؤلي ويا كلّ المنى جاء الصباح بوجهه المبيضّ
اقسمتُ لو اعطيتُ يومَ ولايةٍ وبقيتُ سلطانًا شديد القبض
لهدمتُ اركانَ الكنائس كلّها وقتلتُ كلّ مقسّسٍ في الارض

ثم ان السيدة مريم ضمت نورالدين الى صدرها و قبلت خده و قالت له يا نورالدين كم يوم لك في هذه المدينة فقال سبعة ايام * فقالت له هل سرت في هذه المدينة و عرفت طرقها ومخارزها وابوابها التي من ناحية البر و البحر قال نعم * قالت و هل تعرف طريق صندوق النذر الذي في الكنيسة قال نعم * قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله اذا كانت الليلة القابلة و مضى ثُلُث الليل الاول فاذهب في تلك الساعة الى صندوق النذر و خذ منه ما تريد وتشتهي * و افتح باب الكنيسة الذي فيه الخوخة التي توصل الى البحر * فانك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمدّ يده اليك * فناوله يدك فانه يطلعك في السفينة فاقعد عنده حتى اجيء اليك * والحذر ثم الحذر من ان يلحقك النوم في تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم * ثم ان السيدة مريم ودّعت نورالدين و خرجت من عنده في تلك الساعة و نبّهت جواريها وسائر البنات من نومهن و اخذتهن و اتت الى باب الكنيسة

ودقته ففتحت العجوز الباب * فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفا فقدموا لها بغلة زرزورية * فركبتها وارخوا عليها ناموسية من الحرير واخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات * واحتاط بها الجاووشية وبايديهم السيوف مسلولة وساروا بها الى ان وصلوا بها الى قصر ابيها * هذا ما كان من امر مريم الزنارية * واما ما كان من امر نورالدين المصري فانه لم يزل مختفيا وراء الستارة التي كان مستترا خلفها هو ومريم الى ان طلع النهار * وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء الى تلك العجوز قيّمة الكنيسة * فقالت له اين كنت راقدا فى هذه الليلة قال في محل داخل المدينة كما امرتني * فقالت له العجوز انك فعلت الصواب يا ولدي ولو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك اقبح قتلة * فقال لها نور الدين الحمد لله الذي نجاني من شرّ هذه الليلة * ولم يزل نورالدين يقضي شغله فى الكنيسة الى ان مضى النهار واقبل الليل بدياجى الاعتكار * فقام نورالدين وفتح صندوق النذر واخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر * ثم صبر الى ان مضى ثُلث الليل الاول وقام ومشى الى باب الخوخة التي توصل الى البحر وهو يطلب الستر من الله * ولم يزل يمشي الى ان وصل الى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح الى البحر * فوجد السفينة راسية على شاطئ البحر بجوار الباب * ووجد الريس شيخا كبيرا ظريفا لحيته طويلة وهو واقف في وسطها على رجليه * والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نورالدين يده كما امرته مريم فاخذه من يده وجذبه من البر فصار في وسط السفينة * فعند

ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية و قال لهم اقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل ان يطلع النهار * فقال واحد من العشرة البحرية يا سيدي الريس كيف نعوم و الملك اخبرنا انه في غد يركب السفينة في هذا البحر ليطلع على ما فيه * لانه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين * فصاح عليهم الريس و قال ويلكم يا ملاعين هل بلغ من امركم انكم تخالفونني و تردون كلامي * ثم ان ذلك الشيخ الريس سلّ سيفه من غمده و ضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته * فقال له واحد و اي شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته * فمدّ يده الى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم * ولم يزل ذلك الريس يضرب اعناق البحريه واحدا بعد واحد حتى قتل العشرة و رماهم على شاطئ البحر * ثم التفت الى نور الدين و صاح عليه صيحة عظيمة ارعبته و قال له انزل اقلع الوتد * فخاف نورالدين من ضرب السيف و نهض قائما و وثب فى البر و قلع الوتد * ثم طلع في السفينة اسرع من البرق الخاطف * وصارالريس يقول له افعل كذا و كذا و دوّر كذا و كذا وانظر فى النجوم * و نورالدين يفعل جميع ما يأمره به الريس و قلبه خائف مرعوب * ثم رفع شراع المركب و سارت بهما فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة و الثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو و نورالدين فى البحر العجاج وقد طاب

لهما الريح * كل ذلك و نور الدين ماسك بيده المراجع و هو غريق في بحر الافكار و لم يزل مستغرقا فى الفكر و لم يعلم بما هو مخبوله فى الغيب * وكلما نظر الى الريس ارتعب قلبه و لم يعلم بالجهة التي يتوجه اليها الريس * بل صار مشغولا فى فكر و وسواس الى ان تضحى النهار * فعند ذلك نظر نور الدين الى الريس فرأه قد اخذ لحيته الطويلة بيده و جذبها فطلعت من موضعها في يده * وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زورا * ثم تأمل نور الدين في ذات الريس ودقق نظره فيها فرأها السيدة مريم معشوقته و محبوبة قلبه * وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته و اخذت جلده و ركبته على وجهها * فتعجب نور الدين من فعلها و شجاعتها و من قوة قلبها * و قد طار عقله من الفرح و انسع صدره وانشرح * وقال لها مرحبا يا منيتى و سؤلي و غاية مطلبي * ثم ان نور الدين هزه الشوق و الطرب و ايقن ببلوغ الامل و الارب فردد صوته با طيب النغمات و انشد هذه الابيات

قُلْ لِقَوْمٍ هُمْ لِعِشْقِي جَهِلُوا ... فِي حَبِيبٍ مَا اِلَيْهِ وَصَلُوا
عَنْ غَرَامِي بَيْنَ قَوْمِي فَاسْأَلُوا ... قَدْ حَلَا نَظْمِي وَرَقَّ الْغَزَلُ

فِي هَوَى قَوْمٍ بِقَلْبِي نَزَلُوا

ذِكْرُهُمْ عِنْدِي يُزِيلُ السَّقَمَا ... عَنْ فُؤَادِي وَيُزِيحُ الْأَلَمَا
زَادَ شَوْقِي وَهُيَامِي عِنْدَمَا ... اَصْبَحَ الْقَلْبُ كَئِيبًا مُغْرَمًا

وَبِهِ فِي النَّاسِ سَارَ الْمَثَلُ

أَنَا لَا أَقْبَلُ فِيهِمْ لَوْمَةً لَا وَلَا أَقْصِدُ عَنهم سَلْوَةْ
لَكِنِ الْحُبُّ رَمَانِي حَسْرَةً أَشْعَلَتْ مِنْهُ بِقَلْبِي جَمْرَةْ

حَرُّهَا فِي كَبِدِي يَشْتَعِلُ

مِنْ عَجِيبٍ قَدْ أَبَاحُوا سَقَمِي مَعْ سُهَادِي طُولَ لَيْلٍ مُظْلِمِ
كَيْفَ رَامُوا بِالتَّجَافِي عَدَمِي وَاسْتَحَلُّوا فِي الْهَوَى سَفْكَ دَمِي

وَهُمُ فِي جَوْرِهِمْ قَدْ عَدَلُوا

يَا تَرَى مَنْ ذَا الَّذِي أَوْصَاكُمُ بِالتَّجَافِي عَنْ فَتًى يَهْوَاكُمُ
وَلَعَمْرِي وَالَّذِي أَنْشَاكُمُ إِنْ تَنقُلِ الْعُذَّالُ قَوْلاً عَنكُمُ

كَذَبُوا وَاللّٰهِ فِيمَا نَقَلُوا

لَا أَزَاحَ اللّٰهُ عَنِّي عِلَلَا لَا وَلَا شَافَى لِقَلْبِي غُلَلَا
يَوْمَ أَشْكُو مِنْ هَوَاكُمْ مَلَلَا أَنَا لَا أَرْضَى سِوَاكُمْ بَدَلَا

عَذِّبُوا قَلْبِي وَإِنْ شِئْتُمْ صِلُوا

لِيَ فُؤَادٌ لَمْ يَحُلْ عَنْ حُبِّكُمْ لَوْ تَعَانَى حَسْرَةً مِنْ صَدِّكُمْ
سُخْطُ هٰذَا وَالرِّضَى مِنْ عِنْدِكُمْ مَا تَشَاؤُا فَافْعَلُوا فِي عَبْدِكُمْ

هُوَ بِالرُّوحِ لَكُمْ لَا يَبْخَلُ

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت منه السيدة مريم غاية العجب وشكرته على قوله * وقالت له مَنْ هذه حالته ينبغي ان يسلك مسالك الرجل ولا يفعل فعل الانذال والارذال * وقد كانت السيدة مريم

قوية القلب تعرف باحوال سير المراكب فى البحر المالح وتعرف الاهواء كلها واختلافها وتعرف جميع طرق البحر * فقال لها نورالدين والله يا سيدتي لو اطلت عليّ هذا الامر لهمت من شدة الخوف والفزع خصوصا مع نار الوجد والاشتياق واليم عذاب الفراق * فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها واخرجت شيأ من المأكول والمشروب فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا * وبعد ذلك اخرجت من اليواقيت والجواهر واصناف المعادن والذخائر الغالية وانواع الذهب والفضة ما خفّ حمله وغلا ثمنه من الذي جاءت به واخرجته من قصرابيها وخزائنه وعرضت ذلك على نورالدين ففرح به غاية الفرح * كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة * ولم يزالوا سائرين حتى اشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا اعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود الصوارى * فلما وصلوا الى المينة طلع نورالدين من وقته وساعته من تلك السفينة وربطها في حجر من احجار القصّارين واخذ معه شيأ من الذخائر التي جاءت بها الجارية معها * وقال للسيدة مريم اقعدي يا سيدتي فى السفينة حتى اطلع بك الى اسكندرية مثل ما احب واشتهي * فقالت له ولكن ينبغي ان يكون ذلك بسرعة لان التراخي فى الامور يورث الندامة فقال لها ما عندي تراخ * فقعدت مريم فى السفينة وتوجه نورالدين الى بيت العطار صاحب ابيه ليستعير لها من زوجته نقابا وحبرة وخفا وازارا كعادة نساء اسكندرية * ولم يعلم بما لم يكن له في حساب من تصرفات الدهر ابى العجب العجاب * هذا ما كان من امر نورالدين ومريم الزنارية * واما ما كان من امر ابيها ملك افرنجة * فانه لما اصبح الصباح تفقّد ابنته مريم

فلم يجدها فسأل عنها من جواريها و خدمها * فقالوا له يا مولانا انها خرجت بالليل وراحت الى الكنيسة * و بعد ذلك لم تعرف لها خبرا * فبينما الملك يتحدث مع الجواري و الخدم في تلك الساعة واذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوّى لهما المكان * فقال الملك ما الخبر فقالوا له ايها الملك انه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر * وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذي في الكنيسة من جهة البحر مفتوحا * والاسير الذي كان في الكنيسة يخدمها قد فقد * فقال الملك ان كانت سفينتي التي في البحر فقدت فبنتي مريم فيها بلاشك ولاريب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة و الثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك افرنجة لما فقدت ابنته مريم جاوا له بالخبر و قالوا له ان سفينتك قد فقدت * فقال ان كانت سفينتي فقدت فابنتي مريم فيها بلاشك ولاريب * ثم ان الملك دعا من وقته وساعته برئيس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح ان لم تلحق سفينتي في هذه الساعة بعسكر و تأتيني بها وبمن فيها لاقتلنك اشنع قتلة و امثل بك * ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة * وقال لها ما كنت تسمعين من الاسير الذي كان عندك في شان بلاده ومن اي البلاد هو * فقال له كان يقول انا من مدينة اسكندرية * فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته و ساعته الى المينة وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلوا القلوع ففعلوا ما امرهم

به و سافروا * ولم يزالوا مسافرين ليلا و نهارا حتى اشرفوا على مدينة اسكندرية في الساعة التي طلع فيها نورالدين من السفينة و ترك فيها السيدة مريم * وكان من جملة الافرنج الوزير الاعور الاعرج الذي كان اشتراها من نورالدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها * فربطوا مركبهم بعيدا عنها و اتوا اليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء * و في تلك المركب مائة مقاتل * ومن جملتهم الوزير الاعور الاعرج لانه كان جبارا عنيدا و شيطانا مريدا و لصّا محتالا لايقدر احد على احتياله * يشبه ابا محمد البطال * ولم يزالوا يقذفون و يسيرون الى ان وصلوا الى تلك السفينة فهجموا عليها و حملوا حملة واحدة * فلم يجدوا فيها احدا الّا السيدة مريم فاخذوها هي و السفينة التى هي فيها بعد ان طلعوا على الشاطئ وقاموا زمنا طويلا * ثم عادوا من وقتهم وساعتهم الى مراكبهم و قد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح * و رجعوا قاصدين بلاد الروم و سافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية الى ان وصلوا الى مدينة افرنجة و طلعوا بالسيدة مريم الى ابيها وهو في تخت مملكته * فلما نظر اليها ابوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الأباء والاجداد وحصن المسيح الذي عليه الاعتماد * واتبعت دين السواحين يعني دين الاسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والاصنام * فقالت له مريم انا مالي ذنب لاني خرجت في الليل الى الكنيسة لازور السيدة مريم واتبرك بها * فبينما انا في غفلة و اذا بسرّاق المسلمين قد هجموا عليّ وسدوا فمي وشدوا وثاقي * وحطوني في السفينة وسافروا بي

الى بلادهم فخادمتهم وتكلمت معهم في دينهم الى ان فكوا وثاقي * وما صدقت ان رجالك ادركوني وخلصوني * وانا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكي من ايديهم غاية الفرح واتسع صدري وانشرح حيث خلصت من اسر المسلمين * فقال لها ابوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة * وحق ما في محكم الانجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لي من ان اقتلك اقبح قتلة وامثل بك اشنع مثلة * اما كفاك الذي فعلته في الاول ودخل علينا محالك حتى رجعت الينا ببهتانك * ثم ان الملك امر بقتلها وصلبها على باب القصر * فدخل عليه الوزير الاعور في تلك الساعة وكان مغرما بحبها قديما وقال له ايها الملك لاتقتلها وزوجني بها * وانا احرص عليها غاية الحرص وما ادخل عليها حتى ابني لها قصرا من الحجر الجلمود واعلي بنيانه حتى لايستطيع احد من السارقين الصعود على سطحه * واذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلثين من المسلمين واجعلهم قربانا للمسيح عني وعنها * فانعم عليه الملك بزواجها واذن للقسيسين والرهبان والبطارقة ان يزوجوها له * فزوجوها للوزير الاعور واذن ان يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها * فشرعت العمال في العمل * هذا ما كان من امر الملكة مريم وابيها والوزير الاعور * واما ما كان من امر نور الدين والشيخ العطار فان نور الدين لما توجه الى العطار صاحب ابيه استعار من زوجته ازارا ونقابا وخفا وثيابا كثياب نساء اسكندرية ورجع بها الى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم * فوجد الجو قفرا والمزار بعيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين لما وجد الجوقفرا والمزار بعيدا صار قلبه حزينا * فبكى بدمع متواتر وانشد قول الشاعر

سَرَى طَيفُ سُعْدَى طَارِقًا فَاسْتَفَزَّنِي ... سُحَيرًا وَصَحْبِي فِي الفَلَاةِ رُقُودُ
فَلَمَّا انْتَبَهْنَا لِلْخَيَالِ الَّذِي سَرَى ... أَرَى الجَوقَفْرًا وَالمَزَارُ بَعِيدُ

فمشى نورالدين على شاطئ البحر يلتفت يمينا وشمالا فرأى ناسا مجتمعين على الشاطئ * وهم يقولون يا مسلمين ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون الى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم احد من المسلمين ولا من العساكر المغاربين * فقال لهم نورالدين ما الخبر فقالوا له يا ولدي ان مركبا من مراكب الافرنج فيها عساكر هجموا في تلك الساعة على تلك المينة * واخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية الى بلادهم * فلما سمع نورالدين كلامهم وقع مغشيا عليه * فلما افاق سألوه عن قضيته فاخبرهم بخبره من الاول الى الآخر * فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له لاي شيء ما تخرجها الّا بازار ونقاب * وصار كل واحد من الناس يقول له كلاما مؤلما * ومنهم من يقول خلوه في حاله يكفيه ما جرى له * وصار كل واحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشيا عليه * فبينما الناس مع نورالدين على تلك الحالة واذا بالشيخ العطار مقبلا فرأى الناس مجتمعين فتوجه اليهم ليعرف الخبر فرأى نورالدين راقدا بينهم وهو مغشي عليه فقعد عند رأسه ونبهه * فلما افاق قال له يا ولدي ما هذا الحال الذي انت

فيه * فقال له يا عم ان الجارية التي كانت راحت مني قد جئت بها من مدينة ابيها في مركب و قاسيت ما قاسيت في المجيء بها * فلما وصلت بها الى هذه المدينة ربطت السفينة في البر وتركت الجارية فيهـــا و ذهبت الى منزلك و اخذت من زوجتك مصالح للجارية لاطلعها بها الى المدينة * فجاء الافرنج و اخذوا السفينة و الجارية فيها و راحوا على حماية حتى وصلوا الى مراكبهم * فلما سمع الشيخ العطار من نورالدين هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما * وتأسف على نورالدين تأسفا عظيما * و قال له يا ولدي لاي شيء ما اخرجتها من السفينة الى المدينة من غير ازار * ولكن في هذا الـــوقت ما ينفع الكلام قم يا ولدي و اطلع معي الى المدينة لعل الله يرزقك بجارية احسن منهـــا فتسلى بهـــا عنها * والحمد لله الذي ماخسرك فيها شيأ بل حصل لك الربح فيها * واعلم يا ولدي ان الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال * فقال له نورالدين و الله يا عم اني ما اقدر ان اسلاها ابـــدا ولا اترك طلبها و لو سقيت من اجلها كاس الردى * فقال له العطار يا ولدي واي شيء في ضميرك تريد ان تفعله * فقال له نويت ان ارجع الى بلاد الروم و ادخل مدينـــة افرنجة و اخاطر بنفسي فاما عليها و اما بها * فقال له يا ولدي ان في الامثال السائرة ما كل مرّة تسلم الجرّة * وان كانوا ما فعلوا بك في المـــرة الاولى شيأ ربما يقتلونك في هذه المرة * لا سيما وقد عرفوك حق المعرفة * فقال نورالدين يا عمي دعني اسافر و اقتل في هواها سريعا ولا اقتل بتركها صبرا و قهرا * و كان بمصادفة القدر مركب راسية في المينة مجهزة للسفر و ركّابها قد قضت جميع اشغالها * و في تلـــك و قد ابيك لاسلامة من عندك ثلثين مسلما فاقبضهم و اوفي بهم

الساعة قلعوا اوتادها فنزل فيها نورالدين و سافرت تلك المركب مدة ايام و قد طاب لركابها الوقت و الريح * فبينما هم سائرون و اذا بمراكب من مراكب الافرنج دائرة في البحر العجاج * و هم لا يرون مركبا الّا و يأسرونها خوفا على بنت الملك من سراق المسلمين * و اذا اخذوا مركبا يوصلون جميع من فيها الى ملك افرنجة فيذبحهم و يوفي بهم نذره الذي كان نذره من اجل ابنته مريم * فرأوا تلك المركب التي فيها نورالدين فاسروها و اخذوا كل من كان فيها و اتوا بهم الى الملك ابي مريم * فلما اوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فامر بذبحهم في الوقت و الساعة * و من جملتهم نورالدين فذبحوهم كلهم و لم يبق منهم غير نورالدين * وكان الجلّاد قد أخّره شفقة عليه لصغر سنه و رشاقة قده * فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال له اما انت نورالدين الذي كنت عندنا في المرة الاولى قبل هذه المرة * فقال له ما كنت عندكم و ليس اسمي نورالدين و انما اسمي ابراهيم * فقال له الملك تكذب بل انت نورالدين الذي وهبتك للعجوز القيّمة على الكنيسة لتساعدها في خدمة الكنيسة * فقال له نورالدين يا مولاي انا اسمي ابراهيم * فقال له الملك ان العجوز قيّمة الكنيسة اذا حضرت و نظرتك تعرف هل انت نورالدين او غيره * فبينما هم في الكلام و اذا بالوزير الاعور الذي تزوج بنت الملك قد دخل في تلك الساعة و قبل الارض بين ايادي الملك * و قال له ايها الملك اعلم ان القصر قد فرغ بنيانه * و انت تعرف اني نذرت للمسيح اذا فرغت من بنائه ان اذبح على بابه ثلثين من المسلمين *

نذر المسيح * و يكونون في ذمتي على سبيل القرض و متى جاء ني اساري اعطيك بدلهم * فقال الملك و حق المسيح و الدين الصحيح ما بقي عندي غير هذا الاسير و اشار الى نورالدين و قال له خذه و اذبحه في هذه الساعة حتى ارسل اليك البقية اذا جاء ني اساري من المسلمين * فعند ذلك قام الوزيـر الاعور و اخذ نورالدين و مضى به الى القصر ليذبحه على عتبة بابه * فقال له الدهانون يا مولانا قد بقي علينـا من الدهان شغل يومين فاصبر علينـا و أخّر ذبح هذا الاسير حتى نفرغ من الدهان * عسى ان يأتي اليك بقية الثلثين فتذبح الجميع دفعة واحدة و توفي بنـذرك في يوم واحد * فعند ذلك امر الوزير بحبس نورالدين و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما امر بحبس نورالدين اخذوه مقيدا الى الاصطبل جائعا عطشانا يتحسر على نفسه و قد نظر الموت بعينـه * و كان بالامر المقدر و القضاء المبرم للملك حصانان * اخوان شقيقان احدهما اسمه سابق * والأخراسمه لاحق * و كانت بحسرة تحصيل واحد منهما الملوك الاكاسرة * و كان احدهما اشهب نقيا * والأخر ادهم كالليل الحالك * و كان ملوك الجزائر جميعا يقولون كل من سرق لنا حصانا من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الاحمر و الدر و الجوهر * فلم يقدر احد على سرقة واحد من هذين الحصانين * فحصل لاحدهما مرض صفر بياض في عينيه * فاحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه

كلهم * فدخل على الملك الوزير الاعور الذي تزوج بنته فرأه مهموما من قبل ذلك الحصان فاراد ان يزيل همه * فقال ايها الملك اعطني هذا الحصان و انا اداويه فاعطاه له فنقله فى الاصطبل الذي محبوس فيه نورالدين * فلما فارق هذا الحصان اخاه صاح صيحة عظيمة و صهل حتى ازعج الناس من الصياح * فعرف الوزير انه ما حصل منه هذا الصياح الّا لفراقه من اخيه فراح و اعلم الملك بذلك * فلما تحقق الملك كلامه قال اذا كان ذلك حيوانا و لم يصبر على فراق اخيه فكيف بذوي العقول * ثم امر الغلمان ان ينقلوا الحصان عند اخيه بدار الوزير زوج مريم و قال لهم قولوا للوزير ان الملك يقول لك ان الحصانين انعام منه عليك لاجل خاطر ابنته مريم * فبينما نورالدين نائم فى الاصطبل و هو مقيد مكبل اذ نظر الحصانين فوجد على عيني احد هما غشاوة * وكان عنده بعض معرفة باحوال الخيل و ممارسة دوائها * فقال في نفسه هذا والله وقت فرصتي فاقوم و اكذب على الوزير و اقول له انا اداوي هذا الحصان * واعمل له شيأ يتلف عينيه فيقتلني و استريح من هذه الحيوة الذميمة * ثم ان نورالدين انتظر الوزير الى ان دخل الاصطبل ينظر الحصانين * فلما دخل قال له نورالدين يا مولاي اي شيء يكون لي عليك اذا انا داويت لك هذا الحصان و اعمل له شيأ يطيب عينيه * فقال له الوزير و حيوة راسي ان داويته اعتقتك من الذبح واخليك تتمنى علي فقال له يا مولاي أ أمر بفك يدي فامر الوزير باطلاقه فنهض نورالدين واخذ زجاجا بكرا وسحقه واخذ جير ابلا طفيء وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع في عيني الحصان وربطهما وقال في نفسه الأن تغور عيناه فيقتلونني واستريح من هذه العيشة الذميمة * ثم ان

نورالدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع الى الله تعالى وقال يارب في علمك ما يغني عن السؤال * فلما اصبح الصباح واشرقت الشمس على الروابي والبطاح جاء الوزير الى الاصطبل وفك الرباط عن عيني الحصان ونظر اليهما فرآهما احسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتاح * فقال له الوزير يا مسلم ما رأيت في الدنيا مثلك في حسن معرفتك * وحق المسيح والدين الصحيح انك اعجبتني غاية الاعجاب فانه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار في بلادنا * ثم تقدم الى نورالدين وحل قيده بيده ثم البسه حلة سنية وجعله ناظرا على خيله ورتب له مرتبات وجرايات واسكنه في طبقة على الاصطبل * وكان في القصر الجديد الذي بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التي فيها نورالدين * فقعد نورالدين مدة ايام يأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويأمر وينهى على خدمة الخيل * وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوالة التي فيها خدمته يرميه ويضربه ضربا شديدا ويضع في رجليه القيد الحديد * وفرح الوزير بنورالدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول امره اليه * وكان نورالدين كل يوم ينزل الى الحصانين ويمسحهما بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما * وكان للوزير الاعور بنت بكر في غاية الجمال كانها غزال شارد وغصن مائل * فاتفق انها كانت جالسة ذات يوم من الايام في الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذي فيه نورالدين * اذ سمعت نورالدين يغني ويسلي نفسه على المشقات بانشاد هذه الابيات

بنت الوزير منه

يا عاذلاً أصبح في ذاته … منعماً يزهو بلذاته
لو عضك الدهر بآفاته … لقلت من ذوق مراراته
أحرق قلبي بحراراته
آه من العشق وحالاته
لكن سلمت اليوم من غدره … ومن تناهيه ومن جوره
فلا تلم من حار في أمره … وقال من فرط صباباته
أحرق قلبي بحراراته
آه من العشق وحالاته
كن عاذر العشاق في حالهم … ولم تكن عوناً على عذلهم
إياك أن تشتد في حبلهم … متجرعاً من مر لوعاته
أحرق قلبي بحراراته
آه من العشق وحالاته
قد كنت من قبلك بين العباد … كمثل من بات خلي الفؤاد
لم أعرف العشق وطعم السهاد … حتى دعاني لمقاماته
أحرق قلبي بحراراته
آه من العشق وحالاته
لم يدر ما العشق وما ذله … إلا الذي أسقمه طوله
وضاع منه في الهوى عقله … وشربه من مر جرعاته
أحرق قلبي بحراراته
آه من العشق وحالاته
كم عين صب في الدجى أسهرا … وأحرم الجفن لذيذ الكرى
وكم أسال دمعه أنهرا … تجري على الخد بلوعاته
أحرق قلبي بحراراته
آه من العشق وحالاته
كم في الورى من مغرم مستهام … سهران من وجد بعيد المنام
ألبسه ثوب الضنى والسقام … من قد نفي عنه مناماته

استماع بنت الوزير منه

أَهْ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَّ آتِهِ
كَمْ قَلَّ صَبْرِي وَبَرَى أَعْظُمِي وَسَالَ دَمْعِي مِنْهُ كَالْعَنْدَمِ
مُهَفْهَفٌ أَمَرُّ مِنْ مَطْعَمِي مَا كَانَ حُلْوًا فِي مَذَاقَاتِهِ
أَهْ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَّ آتِهِ
مِسْكِينٌ مَنْ فِي النَّاسِ مِثْلِي عَشِقَا وَبَاتَ فِي جُنْحِ اللَّيَالِي أَرِقَا
إِنْ عَامَ فِي بَحْرِ التَّجَافِي غَرِقَا يَشْكُو مِنَ الْعِشْقِ وَزَفْرَاتِهِ
أَهْ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَّ آتِهِ
مَنْ ذَا الَّذِي بِالْعِشْقِ لَمْ يَبْتَلِ وَمَنْ نَجَا مِنْ كَيْدِهِ الْأَسْهَلِ
وَمَنْ يَعِشْ مِنْهُ بِعَيْشِ الْخَلِي وَأَيْنَ مَنْ فَازَ بِرَاحَاتِهِ
أَهْ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَّ آتِهِ
يَا رَبِّ دَبِّرْ مَنْ بِهِ قَدْ بُلِي وَاكْفُلْهُ نِعْمَ أَنْتَ مِنْ كَافِلِ
وَارْزُقْهُ مِنْكَ بِالثَّبَاتِ الْجَلِي وَالْطُفْ بِهِ فِي كُلِّ آفَاتِهِ
أَهْ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَّ آتِهِ

فلما استتم نور الدين انشاد كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح ان هذا المسلم شاب مليح ولكنه لاشك عاشق مفارق * فيا ترى هل معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ما عنده ام لا * فان كان معشوقه مليحا مثله يحق له اسالة العبرات وشكوى الصبابات * وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الوزير قالت في نفسها فانكان معشوقه مليحا يحق له اسالة العبرات * وانكان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات * وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت الى القصر امس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت ان تذهب اليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام * فما استتمت الفكر في هذا الكلام حتى ارسلت خلفها السيدة مريم زوجة ابيها لاجل ان توانسها بالحديث * فذهبت اليها فرأت صدرها ضيقا ودموعها جارية على خدها وهي تبكي بكاء شديدا ما عليه من مزيد تكفكف العبرات وتنشد هذه الابيات

مَضَى عُمْرِي وَعُمْرُ الْوَجْدِ بَاقِ   وَصَدْرِي ضَاقَ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِي
وَقَلْبِي ذَابَ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ   يُؤَمِّلُ عَوْدَ أَيَّامِ التَّلَاقِي
لِيَنْتَظِمَ الْوِصَالُ عَلَى انْتِسَاقِ

أَقِلُّوا اللَّوْمَ عَنْ مَسْلُوبِ قَلْبٍ   نَحِيلِ الْجِسْمِ مِنْ شَوْقٍ وَكَرْبِ
وَلَا تَرْمُوا هَوَاهُ بِسَهْمِ عَتْبٍ   فَمَا فِي الْكَوْنِ أَشْقَى مِنْ مُحِبِّ
فَمُرُّ الْعِشْقِ حُلْوٌ فِي الْمَذَاقِ

فقالت بنت الوزير للسيدة مريم مالك ايتها الملكة ضيقة الصدر مشتته الفكر * فلما سمعت السيدة مريم كلام بنت الوزير تذكرت ما فات من عظيم اللذات وانشدت هذين البيتين

سَأَصْبِرُ تَوْطِينًا عَلَى هَجْرِ صَاحِبِي   وَأُرْسِلُ دُرَّ الدَّمْعِ نَثْرًا عَلَى نَثْرِ

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ أَنَّهُ   طَوَى كُلَّ يُسْرٍ تَحْتَ جَانِحَةِ الْعُسْرِ

فقالت لها بنت الوزير ايتها الملكة لاتضيقي صدرا وقومي معي في هذه الساعة الى شباك القصر * فان عندنا فى الاصطبل شابا مليحا رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق * فقالت لها السيدة مريم باي علامة عرفت انه عاشق مفارق * فقالت لها بنت الوزير ايتها الملكة عرفت ذلك بأنشاده القصائد و الاشعار أناء الليل و اطراف النهار * فقالت السيدة مريم في نفسها انكان قول بنت الوزير بيقين فهذه صفات الكئيب المسكين علي نورالدين * فياهل ترى هو ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير * ثم ان السيدة مريم زاد بها العشق والهيام و الوجد والغرام * فقامت من وقتها وساعتها و مشت مع بنت الوزير الى الشباك ونظرت منه * فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة * ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته اباها ومن نار الوجد وا لم الفراق و الوله و الاشتياق * قد زاد به النحول فصار ينشد ويقـــــــــول

الْقَلْبُ مَمْلُوكٌ وَعَيْنِي جَارِيَهْ   لَيْسَ لَهَا سَحَابَةٌ مُجَارِيَهْ
بَيْنَ بُكَائِي وَسُهَادِي وَالْجَوَى   وَالنَّوحِ وَالْحُزْنِ عَلَى أَحْبَابِيَهْ
وَاحَرْ قَتِي وَاحَسْرَتِي وَالَوْعَتِي   تَكَامَلَتْ أَعْدَادُهَا ثَمَانِيَهْ
وَتَابَعَتْهَا خَمْسَةٌ فِي خَمْسَةٍ   أَلَا قِفُوا وَاسْتَمِعُوا مَقَالِيَهْ
ذِكْرٌ وَفِكْرٌ وَزَفِيرٌ وَضَنًى   وَفَرْطُ شَوْقٍ وَاشْتِغَالُ بَالِيَهْ
فِي مِحْنَةٍ وَغُرْبَةٍ وَصَبْوَةٍ   وَلَهْفَةٍ وَفَرْحَةٍ تَرَانِيَهْ

قَلَّ اصْطِبَارِي وَاجْتِمَالِي لِلْجَوَى ... لَمَّا نَأَى صَبْرِي دَنَى مُحَالِيَهْ
قَدْ زَادَ فِي قَلْبِي تَبَارِيحُ الْجَوَى ... يَا سَائِلًا عَنْ نَارِ قَلْبِي مَا هِيَهْ
مَا بَالُ دَمْعِي مُوقِدًا فِي مُهْجَتِي ... فَنَارُ قَلْبِي لَا تَزَالُ حَامِيَهْ
أَصْبَحْتُ فِي طُوفَانِ دَمْعِي غَارِقًا ... وَمِنْ لَظَى هَذَا الْهَوَى فِي هَاوِيَهْ

فلما رأت السيدة مريم سيدها نور الدين و سمعت بليغ شعره و بديع نثره تحققت انه هو * و لكنها كتمت امرها عن بنت الوزير و قالت لها و حق المسيح و الدين الصحيح ما كنت احسب ان عندك خبرا بضيق صدري * ثم نهضت من وقتها و ساعتها وقامت من الشباك و رجعت الى مكانها و مضت بنت الوزير الى شغلها * ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية و رجعت الى الشباك و جلست فيه * وصارت تنظر الى سيدها نور الدين وتتأمل في لطفه و رقة معانيه فرأته كالبدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر * لكنه دائم الحسرات جاري العبرات لانه تذكر ما فات فانشد هذه الابيات

أَمَّلْتُ وَصْلَ أَحِبَّتِي مَا نِلْتُهُ ... أَبَدًا وَمُرُّ الْعَيْشِ قَدْ وَاصَلْتُهُ
دَمْعِي يُحَاكِي الْبَحْرَ فِي جَرَيَانِهِ ... وَإِذَا رَأَيْتُ عَوَاذِلِي كَفْكَفْتُهُ
آهٍ عَلَى دَاعٍ دَعَا بِفِرَاقِنَا ... لَوْ نِلْتُ مِنْهُ لِسَانَهُ لَقَطَعْتُهُ
لَا عَتْبَ لِلْأَيَّامِ فِي أَفْعَالِهَا ... مَزَجَتْ بِصِرْفِ الْمُرِّ مَا جَرَّعْتُهُ
فَلِمَنْ أَسِيرُ إِلَى سِوَاكُمْ قَاصِدًا ... وَالْقَلْبُ فِي عَرَصَاتِكُمْ خَلَّفْتُهُ
مَنْ مُنْصِفِي مِنْ ظَالِمٍ مُتَحَكِّمٍ ... يَزْدَادُ ظُلْمًا كُلَّمَا حَكَّمْتُهُ
مَلَّكْتُهُ رُوحِي لِيَحْفَظَ مِلْكَهُ ... فَأَضَاعَنِي وَأَضَاعَ مَا مَلَّكْتُهُ
أَنْفَقْتُ عُمْرِي فِي هَوَاهُ وَلَيْتَنِي ... أُعْطَى وُصُولًا بِالَّذِي أَنْفَقْتُهُ

يَا أَيُّهَا الرَّشَأُ الْمَلِمُ بِمُهْجَتِي يَكْفِي مِنَ الْهِجْرَانِ مَا قَدْ ذُقْتُهُ
أَنْتَ الَّذِي جَمَعَ الْمَحَاسِنَ وَجْهُهُ لَكِنْ عَلَيْهِ تَصَبُّرِي فَرَقْتُهُ
أَحْلَلْتُهُ قَلْبِي فَحَلَّ بِهِ الْبَلَا إِنِّي لَرَاضٍ بِالَّذِي أَحْلَلْتُهُ
وَجَرَتْ دُمُوعِي مِثْلَ بَحْرٍ زَاخِرٍ لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَسْلَكًا لَسَلَكْتُهُ
وَخَشِيتُ خَوْفًا أَنْ أَمُوتَ بِحَسْرَةٍ وَيَفُوتَ مِنِّي كُلَّمَا أَمَّلْتُهُ

فلما سمعت مريم من نورالدين العاشق المفارق و المسكين انشاد هذه الاشعار حصل عندها من كلامه اشعار * فافاضت دموع العين و انشدت هذين البيتين

تَمَنَّيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا لَقِيتُهُ دُهِلْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفَا
وَكُنْتُ مُعِدًّا لِلْعِتَابِ دَفَاتِرًا فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا مَا وَجَدْتُ وَلَا حَرْفَا

فلما سمع نورالدين كلام السيدة مريم عرفها و بكى بكاء شديدا و قال والله ان هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلاشك و لا ريب و لا رجم غيب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين لما سمعها تنشد الاشعار قال في نفسه ان هذه نغمة السيدة مريم بلاشك و لا ريب و لا رجم غيب فيا ترى هل ظني صحيح وانها هي بعينها او غيرها * ثم ان نورالدين زادت به الحسرات فتاوّه و انشد هذه الابيات

لَمَّا رَأَنِي لَائِمِي فِي الْهَوَى صَادَفْتُ حِبِّي فِي مَكَانٍ رَحِيبٍ
وَلَمْ أَفُهْ بِالْعَتْبِ عِنْدَ اللِّقَا وَرُبَّ عَتْبٍ فِيهِ بُرْءُ الْكَئِيبِ

فَقَالَ مَا هَذَا السُّكُوتُ الَّذِي ... صَدَّكَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ الْمُصِيبِ
فَقُلْتُ يَا مَنْ قَدْ غَدَا جَاهِلًا ... بِحَالِ أَهْلِ الْعِشْقِ كَالْمُسْتَرِيبِ
عَلَامَةُ الْعَاشِقِ فِي عِشْقِهِ ... سُكُوتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ الْحَبِيبِ

فلما فرغ من شعره احضرت السيدة مريم دواة وقرطاسا وكتبت فيه بعد البسملة الشريفة * اما بعد فسلام الله عليك و رحمته و بركاته واخبرك ان الجارية مريم تسلم عليك * وهي كثيرة الشوق اليك و هذه مراسلتها اليك * فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك انهض من وقتك و ساعتك و اهتم بما تريده منك غاية الاهتمام * والحذر كل الحذر من المخالفة و من ان تنام * فاذا مضي ثلث الليل الاول فان تلك الساعة من اسعد الاوقات * فلايكون لك فيها شغل الّا ان تشد الفرسين و تخرج بهما خارج المدينة * وكل من قال لك اين انت رائح فقل له انا رائح اسيرهما * فاذا قلت ذلك لا يمنعك احد فان اهل هذه المدينة واثقون بقفل الابواب * ثم ان السيدة مريم لفت الورقة في منديل حرير و رمتها الى نور الدين من الشباك فاخذ ها و قرأها و فهم ما فيها و عرف انها خط السيدة مريم * فقبلها و وضعها بين عينيه و تذكر ما حصل له معها من طيب الوصال * فأسال دمع العين و انشد هذين البيتين

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكُمْ جُنْحَ لَيْلَةٍ ... فَهَيَّجَنِي شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَ أَبْرَانِي
وَ ذَكَّرَنِي عَيْشًا مَضَى بِوِصَالِكُمْ ... فَسُبْحَانَ رَبٍّ بِالتَّفَرُّقِ أَبْلَانِي

ثم ان نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل باصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الاول * ثم قام من وقته و ساعته

الى الحصانين و وضع عليهما سرجين من احسن السروج و خرج بهما من باب الاصطبل و قفل الباب وسار بهما الى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم * هذا ما كان من امر نور الدين * و اما ما كان من امر الملكة مريم فانها ذهبت من وقتها وساعتها الى المجلس الذي هو معد لها في ذلك القصر فوجدت الوزير الاعور جالسا في ذلك المجلس متكئا على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستحي ان يمدّ يده اليها او يخاطبها * فلما رأته ناجت ربها في قلبها وقالت اللهم لاتبلغه مني اربا ولا تحكم عليّ بالنجاسة بعد الطهارة * ثم اقبلت عليه و اظهرت له المودة و جلست في جانبه ولا طفته وقالت له يا سيدي ما هذا الاعراض عنا هل هو منك تيه ودلال علينا * ولكن صاحب المثل السائر يقول اذا بار السلام سلمت القعود على القيام * فان كنت يا سيدي ما تجي عندي و تخاطبني اجيء انا عندك و اخاطبك * فقال لها الوزير الفضل و الجميل لك يا ملكة الارض في الطول و العرض * و هل انا الاّ من بعض خدامك واقل غلمانك * وانما انا مستحي ان انهجم على مخاطبتك الفخيمة اينها الدرة اليتيمة ووجهي منك في الارض * فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالماكل والمشرب * فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وامرهم باحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة فيها ما درج و طار وسبح في البحار من قطا وسمان وافراخ الحمام ورضيع الضأن واوز سمين وفيها دجاج محمر و فيها من سائر الاشكال و الالوان * فمدت السيدة مريم يدها الى السفرة واكلت وصارت تلقم الوزير باناملها وتبوسه في فمه * وما زالا يأكلان حتى

اكتفيا من الاكل ثم غسلا ايديهما * و بعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام واحضروا سفرة المدام * فصارت مريم تملأ و تشرب و نسقيه و قامت بخدمته حق القيام حتى كادان يطير قلبه من الفرح واتسع صدره و انشرح * فلما غاب عقله عن الصواب و تمكن منه الشراب مدّت يدها الى جيبها و اخرجت منه قرصا من البنج البكر المغربي الذي اذاشمّ منـــه الفيل ادنى رائحة نام من العام الى العام كانت اعدته لهذه الساعة * ثم غافلت الوزير وفركته فى القدح و ملأتـــه واعطته اياه فطار عقله من الفرح وما صدق انها تناوله اياه * فاخذ القدح و شربـــه فما استقر في جوفه حتى خرّصريعـــا على الارض فى الحال * فقامت السيدة مريم على قدميها و عمدت الى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله و غلاثمنه من الجواهر واليواقيت واصناف المعادن المثمنة * ثم حملت معها شيأ من المأكل و المشرب ولبست آلة الحرب و الكفاح من العدة والسلاح * و اخـذت معها لنور الدين ما يسـره من الملابس الملوكية الفاخرة واهبـــة السلاح الفاهرة * ثم انها رفعت الخرجين على اكتافها وخرجت من القصر وكانت ذانوة و شجاعه و توجهت الى نور الدين * هذا ماكان من امر مريم * و اما ماكان من امر نـورالدين و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان مريم لما خرجت من القصر توجهت الى نورالدين وكانت ذانوة وشجاعة * هذا ماكان من امر مريم * واما ماكان من امر نورالدين العاشق المسكين فانه قعد

علي باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده فارسل الله عزوجل عليه النوم فنام وسبحان من لاينام * وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين اوواحد منهما * وكان موجودا في تلك الايام عبد اسود تربّي في الجزائر يعرف سرقة الخيل * فصار ملوك الافرنج يرشونه بمال كثير لاجل ان يسرق احد الحصانين ووعدوه انه ان سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعا سنية * وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور في مدينة افرنجة وهو مختف فلم يقدر على اخذ الحصانين وهما عند الملك * فلما وهبهما للوزير الاعور ونقلهما الى اصطبله فرح العبد فرحا شديدا وطمع في اخذهما * وقال وحق المسيح والدين الصحيح لاسرقنهما * ثم ان العبد خرج في تلك الليلة قاصدا ذلك الاصطبل ليسرق الحصانين * فبينما هو ماش في الطريق اذلاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائما ومقاود الحصانين في يده فنزع المقاود من روءسهما * واراد ان يركب واحدا ويسوق الأخر قدامه واذا بالسيدة مريم قد اقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها * فظنت ان العبد هو نورالدين فناولته احد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الأخر وهو ساكت وهي تظن انه نورالدين * ثم انها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له يا سيدي نورالدين مالك ساكتا * فالتفت العبد وهو مغضب وقال لها اي شيء تقولين يا جارية * فسمعت بربرة العبد فعرفت انها غير لغة نورالدين * فرفعت رأسها اليه ونظرته فوجدت له مناخير كالابريق * فلما نظرته صار الضياء في وجهها ظلاما فقالت له من تكون يا شيخ بني حام وما اسمك

بين الانام * فقال لها يا بنت اللئام انا اسمي مسعود سراق الخيل والناس نيام * فماردت عليه بشيء من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه * فوقع صريعا على الارض يختبط في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار * فعند ذلك اخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحدا منهما وقبضت الآخر بيدها ورجعت الى عقبها تفتش على نورالدين * فلقيته راقدا في المكان الذي واعدته بالاجتماع فيه والمقاود في يده وهو نائم يغط في نومه ولم يعرف يديه من رجليه * فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوبا وقال لها يا سيدتي الحمد لله على مجيئك سالمة * فقالت له قم اركب هذا الحصان وانت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية * وبعد ذلك التفتت مريم الى نورالدين وقالت له اما قلت لك لاتنم فانه لا افلح من ينام فقال يا سيدتي انا ما نمت الا من برد فؤادي بميعادك * واي شيء جرى يا سيدتي فاخبرته بحكاية العبد من المبتدأ الى المنتهى * فقال لها نورالدين الحمد لله على السلامة * ثم جدا في اسراع المسير وقد سلما امرهما الى اللطيف الخبير * وصارا يتحدثان حتى وصلا الى العبد الذي قتلته السيدة مريم فرأه مرميا في التراب كأنه عفريت * فقالت مريم لنورالدين انزل جرده من ثيابه وخذ سلاحه * فقال لها يا سيدتي والله انا لا اقدر ان انزل عن ظهر الحصان ولا اقف عنده ولا اتقرب منه * وتعجب نورالدين من خلقته وشكر السيدة على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها *

ثم سارا و لم يزالا سائرين سيرا عنيفا بقية الليـــل الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره و لاح وانتشرت الشمس على الروابي والبطاح * فوصلا الى مرج افيح فيه الغزلان تمرح * وقد اخضرت منه الجوانب و تشكلت فيه الاثمار من كل جانب * وازهاره كبطون الحيات * والطيور فيه عاكفات * وجداوله تجري مختلفة الصفات * كما قال فيه الشاعر و اجـاد و وفى بالمـــــــــــــراد

وَقَانٍ لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ ... وَقَاهُ مُضَاعَفُ النَّبْتِ العَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَــا عَلَيْنَــا ... حُنُوَّ المُرْضِعَاتِ عَلَى الفَطِيمِ
وَأَرْشَفَنَا عَلَى ظَمَإٍ زُلَالًا ... أَلَذَّ مِنَ المُدَامَةِ لِلنَّدِيــمِ
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنَّى وَاجَهَتْنَا ... فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيــمِ
تَرُوحُ حَصَاهُ حَالِيَةَ العَذَارَى ... فَتَلْمَسُ جَانِبَ الدُّرِّ النَّظِيــمِ

وكما قال الآخر

وَإِذَا تَرَنَّمَ طَيْرُهُ وَغَدِيرُهُ ... يَشْتَاقُهُ الوَلْهَانُ فِي الأَسْحَارِ
فَكَأَنَّهُ الفِرْدَوْسُ فِي أَكْنَافِــهِ ... ظِلٌّ وَفَاكِهَةٌ وَمَاءٌ جَــارِ

فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي و نور الدين ليستريحا في ذلك الوادي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة مريم و نور الدين لمـــا نزلا في ذلك الوادي اكلا من اثماره و شربا من انهاره * و اطلقا الحصانين يأكلان فى المرعى فاكلا و شربا من ذلك الوادي * وجلس نور الدين هو ومريم يتحدثان ويتذاكران حكايتهما و ماجرى لهما *

وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من الم الفراق وما قاساه من البعد والاشتياق * فبينما هما كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار * وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح * وكان السبب في ذلك ان الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة واصبح الصباح اراد الملك ان يصبح عليهما كما جرت به العادة عند الملوك في بناتهم * فقام واخذ معه اقمشة من الحرير ونثر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط * ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان الى ان وصل الى القصر الجديد فوجد الوزير مرميا على الفرش لم يعرف رأسه من رجليه * فالتفت الملك في القصر يمينا وشمالا فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وغاب صوابه * وامر باحضار الماء السخن والخل البكر والكندر * فلما احضروا له ذلك خلطها ببعضها وسعط الوزير بها ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن * ثم ان الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته مريم * فقال له ايها الملك الاعظم لا علم لي بها غير انها اسقتني قدحا من الخمر بيدها * فمن ذلك الوقت ما عرفت روحي الا في هذه الساعة ولا اعلم ما كان من امرها * فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاما وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من اضراسه * ثم ان الملك ارسل من وقته وساعته الى الغلمان والسياس * فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له ايها الملك ان الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما ايضا فاننا اصبحنا وجدنا الابواب كلها مفتوحا * فقال الملك وحق ديني وما

يعتقده يقيني ما اخذ الحصانين الّا ابنتي هي و الاسير الذي كان يخدم الكنيسة * وكان قد اخذها في المرة الاولى و عرفته حق المعرفة و لم يخلصه من يدي الّا هذا الوزير الاعور وقد جوزي بفعله * ثم ان الملك دعا في الوقت باولاده الثلثة و كانوا ابطالا شجعانا كل واحد منهم يقوم بالف فارس في حومة الميدان و مقام الضرب و الطعان * ثم صاح الملك عليهم وامرهم بالركوب فركبوا و ركب الملك بجملتهم مع خواص بطارقته وارباب دولته و اكابرهم و صاروا يتبعون اثرهما فلحقوهما في ذلك الوادي * فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها و تقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها * و قالت لنورالدين ما حالك وكيف قلبك في القتال و الحرب و النزال * فقال لها ان ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال * ثم انشد و قال

يَا مَرْيَمُ اطَّرِحِي اللَّوْمَ عِتَابِي ... لَا تَقْصِدِي قَتْلِي وَطُولَ عَذَابِي
مِنْ اَيْنَ لِي اِنِّي اَكُونُ مُحَارِبًا ... اِنِّي لَا فْزَعُ مِنْ نَعِيقِ غُرَابِ
وَاِذَا نَظَرْتُ الفَأْرَ اَفْزَعُ خِيفَةً ... وَابُولُ مِنْ خَوْفِي عَلَى اَثْوَابِي
اَنَا لَا اُحِبُّ الطَّعْنَ اِلَّا خَلْوَةً ... وَالْكُسُّ يَعْرِفُ سَطْوَةَ الْاَزْبَابِ
هٰذَا هُوَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ وَمَا يُرَى ... مِنْ دُونِ هٰذَا الرَّأْيِ غَيْرُ صَوَابِ

فلما سمعت مريم من نورالدين هذا الكلام و الشعر و النظام اظهرت له الضحك والابتسام *وقالت له يا سيدي نورالدين استقم مكانك وانا اكفيك شرهم و لوكانوا عدد الرمل * ثم انها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها واطلقت من يدها طرف العنان و ادارت

من الرمح جهة السنان * فخرج ذلك الحصان من تحته كأنه الريح الهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب * وقد كانت مريم اشجع اهل زمانها وفريدة عصرها واوانها * لان اباها علمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب في ظلام الليل * وقالت لنور الدين اركب جوادك وكن خلف ظهري واذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فان جوادك ما يلحقه لاحق * فلما نظر الملك الى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت الى ولده الاكبر * وقال له يا برطوط يا ملقب براس القلوط ان هذه اختك مريم لاشك فيها ولا ريب * قد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فابرز اليها واحمل عليها * وحق المسيح والدين الصحيح انك ان ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى * فان رجعت الى دينها القديم فارجع بها اسيرة * وان لم ترجع اليه فاقتلها اقبح قتلة ومثّل بها اشنع مثلة * وكذلك هذا الملعون الذي معها مثّل به اقبح مثلة * فقال له برطوط السمع والطاعة * ثم برز لاخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت اليه * فقال لها برطوط يا مريم اما يكفي ماجرى منك حيث تركت دين الآباء والاجداد واتبعت دين السياحين فى البلاد يعني دين الاسلام * ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح ان لم ترجعي الى دين آبائك واجدادك من الملوك وتسلكي فيه احسن السلوك لاقتلنك شر قتلة وامثل بك اقبح مثلة * فضحكت مريم من كلام اخيها وقالت هيهات هيهات ان يعود ما فات او يعيش من مات * بل أجرعك اشد الحسرات انا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذي عمّ هداه فانه هو الدين الحق فلا

انرك الهدى ولو سقيت كؤس الردى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم قالت لاخيها هيهات هيهات ان ارجع عن دين محمد بن عبد الله الذي عمّ هداه فانــــه دين الهدى و لو سقيت كؤس الردى * فلما سمع الملعون برطوط من اخته هذا الكلام صار الضياء في وجهــــه ظلاما و عظم ذلك عليه وكبر لديه * و التهب بينهما القتال واشتد الحرب و النزال و غاص الاثنان فى الاودية العراض الطوال * وصبر على الشدائد و شخصت لهما الابصار فاخذ ها الانبهار * ثم تجا ولا مليا واعتركا طويلا * وصار برطوط كلما يفتح لاخته مريم بابا من الحرب تبطله عليه و تسده بحسن صناعتها و قوة براعتها و معرفتها وفروسيتها * و لم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفرسان عن الابصار * و لم تزل مريم تحاوله و تسد عليه طريقه حتى كلّ و بطلت همته و اضمحلّ عزمه وضعفت قوته * فضربته بالسيف على عاتقه فخــرج يلمع من علائقه * وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار * ثم ان مريم جالت في حومة الميدان و موقف الحرب و الطعان و طلبت البراز وسألت الانجاز * و قالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كســـلان و لا عاجز * لا يبــــرز لي الاّ ابطــــال اعداء الدين لاسقيهم كأس العذاب المهين * يا عبدة الاوثان وذوى الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه اهل الايمان و تسود وجوه اهل الكفر بالرحمن * فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل لطم على وجهه

وشق اثوابه وصاح على ولده الوسطاني * وقال له يا برطوس يا ملقب بخره السوس ابرز يا ولدي بسرعة الى قتال اختك مريم * وخذ منها ثأر اخيك برطوط وأتني بها اسيرة ذليلة حقيرة * فقال له يا ابت السمع والطاعة * ثم انه برز لاخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي واياه قتالا شديدا اشد من القتال الاول * فرأى اخوها الثاني نفسه عاجزا من قتالها فاراد الفرار والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها * لانه كلما ركن الى الفرار تقربت منه ولاصقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبّته * والحقته باخيه * وبعد ذلك جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان * وقالت اين الفرسان والشجعان اين الوزير الاعور الاعرج صاحب الدين الاعوج * فعند ذلك صاح الملك ابوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح * وقال انها قتلت ولدي الاوسط وحق المسيح والدين الصحيح * ثم انه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا ملقب بسلح الصبيان اخرج يا ولدي الى قتال اختك * وخذ منها ثأر اخويك وصادمها امّا لك اوعليك وان ظفرت بها فاقتلها اقبح قتلة * فعند ذلك برزلها اخوها الصغير وحمل عليها فنهضت اليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وشجاعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيتها * وقالت له يا ملعون يا عدوّ الله وعدو المسلمين لالحقنك باخويك وبئس مثوى الكافرين * ثم انها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه والحقته باخويه * وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار * فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع ابيها اولاده الثلثة قد قتلوا

وكانوا اشجع اهل زمانهم وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم * وادهشتهم الهيبة و نكسوا روٴسهم الى الارض وايقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار * واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار * فلما نظر الملك الى اولاده قد قتلوا والى عساكره قد انهزموا اخذته الحيرة و الانبهار * واحترق قلبه بلهيب النار وقال في نفسه ان السيدة مريم قد استقلت بنا * وان جازفت بنفسي وبرزت اليها وحدي ربما غلبت عليّ و قهرتني فتقتلني اشنع قتلة و تمثل بي اقبح مثلة كما قتلت اخوتها * لانها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا في رجوعها طمع * و الرأي عندي ان احفظ حرمتي و ارجع الى مدينتي * ثم ان الملك ارخى عنان فرسه ورجع الى مدينته * فلما استقر في قصره انطلقت في قلبه النار من اجل قتل اولاده الثلثة وانهزام عسكره وهتك حرمته * فما استقر نصف ساعة حتى طلب ارباب دولته و كبراء مملكته و شكا اليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لاخوتها وما لاقاه من القهر والحزن واستشارهم * فاشاروا عليه كلهم ان يكتب كتابا الى خليفة الله في ارضه امير الموٴمنين هارون الرشيد ويعلم بهذه القضية فكتب الى الرشيد مكتوبا * مضمونه بعد السلام على امير الموٴمنين ان لنا بنتا اسمها مريم الزنارية قد افسدها علينا اسير من اسرى المسلمين اسمه نور الدين علي ابن التاجر تاج الدين المصري * واخذها ليلا و خرج بها الى ناحية بلاده * وانا اسأل فضل مولانا امير الموٴمنين ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها و ارسالها الينا مع رسول امين * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك افرنجة كتب الى الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد كتابا يتضرع اليه فيه بطلب ابنته مريم ويسأل فضله ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها و ارسالها مع رسول امين من خدام حضرة امير المؤمنين * و من جملة مضمون ذلك الكتاب اننا نجعل لكم في نظير مساعدتكم لنا على هذا الامر نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ويحمل اليكم خراجها * وبعد ان كتب الكتاب برأي اهل مملكته وكبراء دولته طواه و دعا بوزيره الذي جعل و زيرا مكان الوزير الاعور * وامره ان يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه ارباب دولته بعد ان وضعوا خطوط ايديهم فيه * ثم قال لوزيره ان اتيت بها فلك عندي انطاع اميرين واخلع عليك خلعة بطرازين * ثم ناوله الكتاب وامره ان يسافر الى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب الى امير المؤمنين من يده الى يده * ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الاودية والقفار حتى وصل الى مدينة بغداد * فلما دخلها مكث فيها ثلثة ايام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر امير المؤمنين هارون الرشيد فدلوه عليه * فلما وصل اليه طلب اذنا من امير المؤمنين فى الدخول عليه فاذن له في ذلك * فدخل عليه وقبل الارض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك افرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بامير المؤمنين * فلما فتح الخليفة المكتوب وقرأه وفهم مضمونه امر وزراءه من وقته

ان يكتبوا المكاتيب الى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك * و بينوا فى المكاتيب صفة مريم وصفة نورالدين و اسمه و اسمها * و انهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما الى امير المؤمنين * و حذروهم من ان يعطوا في ذلك امهالا و اهمالا اوغفلة * ثم ختمت الكتب و ارسلت مع السعاة الى العمّال فبادروا في امتثال الامر * و ساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة * هذا ما كان من امر هؤلاء الملوك واتباعهم * واما ما كان من امر نورالدين المصري و مريم الزنارية بنت ملك افرنجة فانهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما و ساعتهما * وسارا الى بلاد الشام و قد ستر عليهما الستار فوصلا الى مدينة دمشق * وكانت الطوالع التي ارسلها الخليفة قد سبقتهما الى دمشق بيوم * فعلم امير دمشق انه مأمور بالقبض عليهما متى و جدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة * فلما كان يوم دخولهما الى دمشق اقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فاخبروهما بالصحيح وقصوا عليهما قصتهما وجميع ماجرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما واخذوهما و ساروا بهما الى اميردمشق * فارسلهما الى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام * فلما وصلوا اليها استأذنوا فى الدخول على امير المؤمنين هارون الرشيد فاذن لهم * فلما دخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا امير المؤمنين ان هذه مريم الزنارية بنت ملك افرنجة * وهذا نورالدين ابن الناجر تاج الدين المصري الاسير الذي افسدها على ابيها و سرقها من بلاده و مملكته وهرب بها الى دمشق * فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن اسمائهما فاجابونا بالصحيح * فعند ذلك اتينا بهما واحضرناهما

بين يديك * فنظر امير المؤمنين الى مريم فرأها رشيقة القد و القوام * فصيحة الكلام مليحة اهل زمانها فريدة عصرها وانها * حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب * فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم و زوال البؤس و النقم * فاعجب الخليفة حسن قوامها و عذوبة الفاظها و سرعة جوابها * فقال لها هل انت مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قالت نعم يا امير المؤمنين و امام الموحدين وحامي حومة الدين وابن عم سيد المرسلين * فعند ذلك التفت الخليفة فرأى عليا نور الدين شابا مليحا حسن الشكل كأنه البدر المنير في ليلة تمامه * فقال له الخليفة هل انت علي نور الدين الاسير ابن التاجر تاج الدين المصري قال نعم يا امير المؤمنين و عمدة الفاصدين * فقال الخليفة كيف اخذت هذه الصبية من مملكة ابيها و هربت بها * فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من اول الامر الى أخره * فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب واخذه من التعجب فرط الطرب * وقال ما اكثر ما تقاسيه الرجال و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد لما سأل نور الدين عن قصته فاخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ الى المنتهى تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب و قال ما اكثر ما تقاسيه الرجال * ثم انه التفت الى السيدة مريم فقال لها يا مريم

اعلمي ان والدك ملك افرنجة قد كاتبنا في شانك فماتقولين* قالت يا خليفة الله في ارضه وقائما بسنة نبيه وفرضه * خلد عليك النعم واجارك من البؤوس والنقم انت خليفة الله في ارضه اني قد دخلت في دينكم * لانه هو الدين القويم الصحيح * وتركت ملة الكفرة الذين يتكذبون على المسيح* وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم * اعبد الله سبحانه وتعالى واوحّده واسجد خاضعة اليه وامجده * وانا قائلة بين يدي الخليفة اشهد ان لا اله الاّ الله واشهد ان محمدا رسول الله أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ* فهل في وسعك يا امير المؤمنين ان تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني الى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام * ويعظمون الصليب ويعبدون الاصنام ويعتقدون الهية عيسى وهو مخلوق * فان فعلت بي ذلك يا خليفة الله اتعلق باذيالك يوم العرض على الله * واشكوك الى ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * فقال امير المؤمنين يا مريم معاذ الله ان افعل ذلك ابدا كيف اردّ امرأة مسلمة موحدة بالله ورسوله الى ما نهى الله عنه ورسوله * فقالت مريم اشهد ان لا اله الاّ الله واشهد انّ محمدا رسول الله * فقال لها امير المؤمنين يا مريم بارك الله فيك وزادك هداية الى الاسلام * وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب * وهو انني لا افرط فيك ابدا ولو بذل لي من اجلك ملء الارض جواهر وذهبا * فطيبي نفسا وقرّي عينا وانشرحي صدرا ولا يكن خاطرك الاّ طيبا * فهل رضيت ان يكون هذا الشاب علي المصري لك بعلا وتكونين له اهلا* فقالت مريم يا امير المؤمنين كيف لا ارضى ان يكون لي

بعلا و قد اشتراني بماله و احسن اليّ غاية الاحسان * و من تمام احسانه انه خاطر بروحه من اجلي مرات عديدة * فزوجها به مولانا امير المؤمنين و عمل لها مهرا و احضر القاضي و الشهود و اكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب و كان يوما مشهودا * ثم بعد ذلك التفت امير المؤمنين من وقته و ساعته الى وزير ملك الروم و كان حاضرا في تلك الساعة و قال له هل سمعت كلامها كيف ارسلها الى ابيها الكافر وهي مسلمة موحدة و ربما ساء ها و اغلظ عليها * خصوصا قد قتلت اولاده فاتحمل انا ذنبها يوم القيمة * وقد قال الله تعالى وَلَنْ يَجْعَلَ ٱللّٰهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فارجع الى ملكك وقل له ارجع من هذا الامر ولا تطمع فيه * وكان ذلك الوزير احمق * فقال للخليفة يا امير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح اني لا يمكنني الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة * لاني لو رجعت الى ابيها بدونها يقتلني * فقال الخليفة خذوا هذا الملعون و اقتلوه و انشد هذا البيت

هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى مَنْ فَوْقَهُ وَعَصَانِيَهْ

ثم امر بضرب عنق الوزير الملعون و حرقه * فقالت السيدة مريم يا امير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم هذا الملعون * ثم جردت سيفها و ضربته به فاطاحت رأسه عن جثته فذهب الى دار البوار و مأواه جهنم و بئس القرار * فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها و قوة جنانها * ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وافرد لهما مكانا في قصره هي و نورالدين و رتب لهما المرتبات والجوامك و العلوفات * و امر بان ينقل اليهما جميع ما يحتاجان اليه من الملابس و المفارش

و الاوانى النفيسة * و اقاما في بغداد مدة من الزمان و هما في ارغد عيش واهناه * و بعد ذلك اشتاق نورالدين الى امه و ابيه فعرض الامر على الخليفة وطلب منه اذنا فى التوجه الى بلاده و زيارة اقاربه * و دعا بمريم و احضرها بين يديه فاجازه بالتوجه و اتحفه بالهدايا والتحف المثمنة * واوصى مريم ونورالدين ببعضهما * ثم امر بالمكاتيب الى امراء مصر المحروسة و علماءها و كبراءها بالوصية على نورالدين هو و والديه و جاريته واكرامهم غاية الاكرام * فلما وصلت الاخبار الى مصر فرح التاجر تاج الدين بعود ولده نورالدين * وكذلك امه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الاكابر والامراء وارباب الدولة من اجل وصية الخليفة فلاقوا نورالدين * وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم على واحد من الامراء * وفرحوا بهم الفرح الزائد واكرموهم الاكرام المتصاعد * فلما اجتمع نورالدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح * وكذلك فرحوا بالسيدة مريم واكرموها غاية الاكرام * ووصلت اليهم الهدايا والتحف من سائر الامراء والتجار العظام * وصاروا كل يوم في انشراح جديد وسرور اعظم من سرور العيد * ولم يزالوا في فرح ولذات ونعم جزيلة مطربات واكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان * الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور و القصور ومعمر بطون القبور * فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا في اعداد الاموات فسبحان الحي الذي لايموت و بيده مقاليد الملك و الملكوت

ومما يحكى ايضا

ان الامير شجاع الدين محمد متولي القاهرة قال بتنا عند رجل من بلاد الصعيد فضيفنا واكرمنا * وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وكان له اولاد صغار بيض بياضهم مشرّب بحمرة * فقلنا يا فلان ما بال اولادك هؤلاء بيضا وانت شديد السمرة * فقال هؤلاء امهم افرنجية اخذتها ولي معها حديث عجيب فقلنا له اتحفنا به فقال نعم * اعلموا اني قد كنت زرعت كتانا في هذه البلدة وبلعته ونفضته وصرفت عليه خمسمائة دينار * ثم اردت بيعه فلم يجئ لي منه شيء اكثر من ذلك * فقالوا لي اذهب به الى عكاء لعلك تربح فيه ربحا عظيما * وكانت عكاء ذلك الوقت في يد الافرنج فذهبت به الى عكاء وبعت بعضه صبرا الى ستة اشهر * فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية * وعادة نساء الافرنج ان تمشي في السوق بلا نقاب فاتت لتشتري مني كتانا فرأيت من جمالها ما بهر عقلي * فبعت لها شيأ وتساهلت في الثمن فاخذته وانصرفت * ثم عادت اليّ بعد ايام فبعت لها شيأ وتساهلت معها اكثر من المرة الاولى فكررت مجيئها اليّ وعرفت اني احبها * وكان عادتها ان تمشي مع عجوز فقلت للعجوز التي معها اني قد شغفت بحبها فهل تحيلين لي في الاتصال بها * فقالت اتحيل لك في ذلك ولكن هذا السرّ لا يخرج من بين ثلثتنا انا وانت وهي * ومع ذلك لابد من ان تبذل ما لا * فقلت لها اذا ذهبت روحي باجتماعي عليها ما هو كثير وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما اجابت ذلك الرجل قالت له ولكن هذا السرّ لايخرج من بين ثلثتنا انا وانت وهي ولابد من ان تبذل مالا * فقال لها اذا ذهبت روحي في اجتماعي عليها ما هو كثير * واتفق الحال على ان يدفع لها خمسين دينارا وتجيء اليه فجهز الخمسين دينارا وسلمها للعجوز * فلما اخذت الخمسين دينارا قالت له هيّئ لها موضعا في بيتك وهي تجيء اليك في هذه الليلة * ثم قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكل ومشرب وشمع وحلوى * وكانت داري مطلة على البحر * وكان ذلك في زمن الصيف ففرشت على سطح الدار وجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل * فنمنا تحت السماء والقمر يضيء علينا وصرنا ننظر خيال النجوم في البحر * فقلت في نفسي اما تستحي من الله عزوجل وانت غريب وتحت السماء وعلى بحر * وتعصى الله مع نصرانية وتستوجب عذاب النار * اللهم اني اشهدك اني قد عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك * ثم اني نمت الى الصبح وقامت في السحر وهي غضبى ومضت الى مكانها * ومشيت انا الى حانوتي فجلست فيه واذاهي قد عبرت عليّ هي والعجوز وهي مغضبة * وكأنها القمر فهلكت وقلت في نفسي من هو انت حتى تترك هذه الجارية * هل انت السريّ السقطي اوبشر الحافي او الجنيد البغدادي او الفضيل بن عياض ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعي اليّ بها * فقالت العجوز وحق المسيح ماترجع اليك الّا بمائة دينار فقلت اعطيك مائة دينار * ثم اعطيتها المائة دينار وجاءت

الي ثاني مرة * فلما صارت عندي رجعت الى تلك الفكرة فعففت عنها و تركتها لله تعالى * ثم مضيت و مشيت الى موضعي ثم عبرت عليّ العجوز وهي غضبى فقلت له ارجعي بها اليّ * فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بها عندك الا بخمسمائة دينار وتموت كمدا * فارتعدت لذلك وعزمت ان اغرم ثمن الكنان جميعه و افدي نفسي بذلك * فما شعرت الا والمنادي ينادي ويقول يا معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت * وقد امهلنا من هنا من المسلمين جمعة ليقضوا اشغالهم و ينصرفوا الى بلادهم * فانقطعت عني و اخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراه مني الناس موجلا * والمقايضة على ما بقي منه * واخذت معي بضاعة حسنة و خرجت من عكاء و انا في قلبي من الافرنجية ما فيه من شدة المحبة والعشق * لانها اخذت قلبي ومالي ثم خرجت و سرت حتى وصلت الى دمشق و بعت البضاعة التي اخذتها من عكاء بافضل ثمن * لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدة الهدن ومنّ الله سبحانه و تعالى عليّ بكسب جيد * وصرت اتجر في جواري السبي ليذهب ما بقلبي من الافرنجية ولازمت التجارة فيهن * فمضت عليّ ثلث سنوات و انا بتلك الحالة * وجرى للملك الناصر مع الافرنج ماجرى من الوقائع و نصره الله عليهم و اسر جميع ملوكهم و فتح بلاد الساحل باذن الله تعالى * فاتفق انه جاء ني رجل وطلب مني جارية للملك الناصر * وكان عندي جارية حسناء فعرضتها عليه فاشتراها له مني بمائة دينار * فاوصلني تسعين دينارا وبقي لي عشرة دنانير فلم يجدوها في خزنته ذلك اليوم * لانه انفق الاموال جميعها في حرب الافرنج فاخبروه بذلك * فقال الملك امضوا به الى الخزانة التي فيها

السبي و خيّروه بين بنات الافرنج ليأخذ واحدة منهن فى العشرة دنانير و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك الناصر لما قال خيّـروه في واحدة منهن ليأخذها فى العشرة دنانير التي له اخذوني و توجهوا بي الى خزنة السبي* فنظرت ما فيها وتأملت في جميع السبي فرأيت الجارية الافرنجية التي كنت تعلقت بها و عرفتها حق المعرفة * وكانت امرأة فارس من فرسان الافرنج فقلت اعطوني هذه* فاخذتها و مضيت الى خيمتي و قلت لها اتعرفينني قالت لا* قلت انا صاحبك الذي كنت اتاجر في الكتان و قد جرى لي معك ما جرى واخذت مني الذهب * وقلت ما بقيت تنظرني الّا بخمسمائة دينار* و قد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت هذا سرّ دينك الصحيح انا اشهد ان لا اله الّا الله و اشهد ان محمدا رسول الله* فاسلمت و حسن اسلامها* فقلت في نفسي والله لا افضي اليها الّا بعد عتقها واطلاع القاضي* فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى وعقد لي عليها* ثم بعد ذلك بت معها فحملت ثم رحل العسكر و اتينا دمشق * فما كان الّا ايام قلائل و اتى رسول الملك يطلب الاسارى و السبي باتفاق وقع بين الملوك* فرد كل من كان اسيرا من النساء و الرجال و لم يبق الّا المرأة التي عندي * فقالوا ان امرأة الفارس فلان لم تحضر و سألوا عنها والحّوا فى السؤال والكشف * فاخبروا بانها عندي فطلبوها مني فحضرت وانا في شدة الوله وقد تغير لوني* فقالت لي مالك و ما الذي اصابك فقلت جاء رسول الملك يأخذ الاسارى

جميعهم وطلبوك مني * فقالت لا باس عليك اوصلني الى الملك و انا اعرف الذي اقوله بين يديه قال فاخذتها و احضرتهــا قدام السلطان الملك الناصر * و رسول ملك الافرنج جالس على يمينه و قلت هذه المرأة التي عندي * فقال لها الملك الناصر و الرسول اتروحين الى بلادك ام الى زوجك فقد فكّ الله اسرك انت و غيرك * فقالت للسلطان انا قد اسلمت و حملت و ها بطني كما ترون وما بقيت الافرنج تنتفع بي * فقال الرسول ايما احب اليك ا هذا المسلم او زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت للسلطان * فقال الرسول لمن معه من الافرنج هل سمعتم كلامها قالوا نعم * ثم قال لي الرسول خذ امرأتك و امض بها فمضيت بها * ثم انه ارسل خلفي عاجلا وقال ان امها ارسلت اليها معي و ديعة و قالت ان بنتي اسيرة و هي عريانة * و مرادي ان توصل اليها هذا الصندوق فخذه و سلمه اليها فتسلمت الصندوق و مضيت به الي الدار و اعطيته لها * ففتحته فرأت فيه قماشها بعينه و وجدت الصرتين الذهب و الخمسين دينارا و المائة دينارا * فرأيت الجميع برباطي لم يتغير منها شيء و حمدت الله تعالى و هؤلاء الاولاد منها * و هي تعيش الى الآن و هي التي عملت لكم هذا الطعام * فتعجبنا من حكايته و ما حصل له من الحظ و الله اعلم

ومما يحكى ايضا

انه كان في قديم الزمان رجل ببغداد من اولاد اهل النعــم ورث عن ابيه مالا جزيلا * وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها * ولم يزل ينفق عليها الى ان ذهب جميع ماله و لم يبـق منه شيء * فطلب شيأ من اسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر *

وكان ذلك الفتى في ايام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى * فاستشار بعض اخوانه فقال له انا لا اعرف لك صنعة احسن من ان تغني انت وجاريتك * فمأخذ على ذلك المال الكثير و تأكل و تشرب فكره ذلك هو و الجارية * فقالت له جاريته قد رأيت لك رأيا قال و ما هو قالت تبيعني و نخلص من هذه الشدة انا و انت * واكون في نعمة فان مثلي مايشتريه الّا ذو نعمة و بذلك اكون سببا في رجوعي اليك * فاطلعها الي السوق فكان اول من رأها رجل هاشمي من اهل البصرة * وكان ذلك الرجل اديبا ظريفا كريم النفس فاشترا ها بالف وخمسمائة دينار * قال ذلك الفتى صاحب الجارية فلما قبضت الثمن ندمت و بكيت انا و الجارية وطلبت الا قالة فلم يرض * فوضعت الدنانير في الكيس وانا لا ادري اين اذهب لان بيتي موحش منها * وحصل لي من البكاء و اللطم و النحيب ما لم يحصل لي قط * فدخلت بعض المساجد و قعدت ابكي فيه و اندهشت حتى صرت لا اعلم بنفسي * فنمت و تركت الكيس تحت رأسي كالمخدة فلم اشعر الّا و انسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول * فانتبهت فزعا مرعوبا فلم اجد الكيس فقمت اجري خلفه و اذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت ابكي و الطم * وقلت في نفسي فارقتك روحك و ضاع مالك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك و زاد بي الحال *

فجئت الى الدجلة و حملت ثوبي على وجهي و القيت نفسي في البحر * ففطنت بي الحاضرون وقالوا ان ذلك لعظيم هم حصل له * فرموا ارواحهم خلفي و اطلعوني و سألوني عن امري فاخبرتهم بما حصل لي * فتأسفوا لذلك ثم جاءني شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من اهل النار * قم معي حتى ارى منزلك ففعلت ذلك * فلما وصلنا الى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن مابي فشكرته على ذلك ثم انصرف * فلما خرج من عندي كدت ان اقتل روحي فتذكرت الأخرة والنار * فخرجت من بيتي هاربا الى بعض الاصدقاء فاخبرته بماجرى لي * فبكى رحمة لي و اعطاني خمسين دينارا و قال اقبل رأيي و اخرج في هذه الساعة من بغداد و اجعل هذه نفقة لك الى ان يشتغل قلبك عن حبها و تسلو عنها * و انت من اولاد اهل الانشاء و الكتابة و خطك جيد و ادبك بارع فاقصد من شئت من العمال * و اطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك * فسمعت منه و قد قوي عزمي و زال عني بعض همي و عزمت على اني اقصد ارض واسط * لان لي بها اقارب فخرجت الى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية و البحرية ينقلون اليها امتعة و قماشا فاخرا * فسألتهم ان يأخذوني معهم فقالوا ان هذه السفينة لرجل هاشمي لا يمكننا اخذك على هذه الصورة * فرغّبتهم في الاجرة فقالوا انكان و لابد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك و البس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا * فرجعت و اشتريت شيأ من ثياب الملاحين و لبسته و جئت الى السفينه وكانت متوجهة الى البصرة * فنزلت معهم فما كان الّا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها و معها جاريتان تخدمانها * فسكن

ما كان عندي من الغيظ و قلت في نفسي ها انا اراها واسمع غناءها الى البصرة فما اسرع ان جاء الهاشمي راكبا ومعه جماعة فنزلوا في تلك السفينة و انحدرت بهم * واخرج الطعام فاكل هو و الجارية و اكل الباقون في وسط السفينة * ثم قال الهاشمي للجارية كم هذا التمنع عن الغناء و لزوم الحزن و البكاء * ما انت اول من فارق من يحب فعلمت ما كان عندها من امر حبي * ثم ضرب ساترا على الجارية في جانب السفينة و استدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة * فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم اخرج لهم ما يحتاجون اليه من الخمر و النقل * ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء الى ان استدعت بالعود و اصلحته و اخذت تغني فانشدت هذين البيتين

بَانَ الْخَلِيطُ بِمَنْ أُحِبُّ فَادْلَجُوا ... وَعَنِ السُّرَى بِمُنَايَ لَمْ يَتَحَرَّجُوا
وَالصَّبُّ بَعْدَ أَنِ اسْتَقَلَّ رِكَابُهُمْ ... جَمْرُ الْغَضَا فِي قَلْبِهِ يَتَأَجَّجُ

ثم غلبها البكاء و رمت العود و قطعت الغناء فتنغص القوم و وقعت انا مغشيا عليّ * فظن القوم اني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في اذني * و لم يزالوا يلاطفونها و يطلبون منها الغناء الى ان اصلحت العود و اخذتْ تغني فانشدت هذين البيتين

فَوَقَفْتُ أَنْدُبُ ظَاعِنِينَ تَحَمَّلُوا ... هُمْ فِي الْفُؤَادِ وَإِنْ نَأَوْا وَتَرَحَّلُوا
وَوَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ أَسْأَلُ عَنْهُمُ ... وَ الدَّارُ قَفْرٌ وَ الْمَنَازِلُ بَلْقَعُ

ثم وقعتْ مغشيا عليها و ارتفع البكاء من الناس و صرخت انا ووقعت مغشيا عليّ وضج الملاحون مني * فقال بعض غلمان الهاشمي

كيف حملتم هذا المجنون * ثم قال بعضهم لبعض اذا وصلتم الى بعض القرى فاخرجوه واريحونا منه * فحصل لي من ذلك هم عظيم و عذاب اليم * فتجلّدت غاية التجلد و قلت في نفسي لا حيلة لي فى الخلاص من ايديهم الّا اذا اعلمتها بمكاني من السفينة لتمتنع من اخراجي * ثم سرنا حتى وصلنا الى قرب ضيعة * فقال صاحب السفينة اصعدوا بنا الى الشاطئ فطلع القوم * وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة * و اخذت العود و غيرت الطرق طريقة بعد طريقة و ضربت على الطريقة التي قد تعلّمتها مني * ثم رجعت الى موضعي من السفينة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفتى قال ثم رجعت الى موضعي من السفينة * و بعد ذلك نزل القوم من الشاطئ و رجعوا الى مواضعهم فى السفينة * و قد انبسط القمر على البر و البحر * فقال الهاشمي للجارية بالله عليك لاتنغصي علينا عيشنا * فاخذت العود وجسّته بيدها وشهقت فظنوا ان روحها قد خرجت * ثم قالت و الله ان استاذي معنا في هذه السفينة * فقال الهاشمي و الله لو كان معنا ما ضيعته من معاشرتنا لانه ربما كان يخفف ما بك فننتفع بغنائك * ولكن كونه فى السفينة امر بعيد فقالت لا اقدر على ضرب العود و تقليب الا هوية ومولاي معنا * قال الهاشمي نسأل الملا حين فقالت افعل فسألهم و قال هل حملتم معكم احدا * فقالوا لا وخفت ان ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم انا استاذها و علمتها حين كنت سيدها *

فقالت والله ان هذا كلام مولاي فجاءني الغلمان واخذوني الى الهاشمي * فلما رأني عرفني فقال ويحك ما هذا الذي انت فيه وما اصابك حتى صرت في هذه الحالة * فحكيت له ما جرى من امري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة * وبكى الهاشمي هو واخوته بكاء شديدا رأفة بي * ثم قال والله مادنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولاسمعت لها غناء الى اليوم * وانا رجل قد وسع الله علي وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقي من امير المؤمنين وقد بلغت الامرين * ولما اردت الرجوع الى وطني قلت في نفسي اسمع شيأ من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم اعلم انكما على هذه الحالة * فانا اشهد الله على ان هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة اعتقها وازوجك اياها واجري لكما ما يكفيكما وزيادة * ولكن على شرط اني اذا اردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة وانت من جملة اخواني وندمائي ففرحت بذلك * ثم ان الهاشمي ادخل رأسه في الستارة وقال لها ايرضيك ذلك فاخذت تدعو له وتشكره * ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسه ثيابا فاخرة وبخره وقدمه الينا * فاخذني الغلام وفعل بي ما امره سيده وقدمني اليه * فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين ايديهما * ثم اندفعت الجارية تغني باحسن النغمات وتنشد هذه الابيات

عَيَّرُونِي بِأَنْ سَكَبْتُ دُمُوعِي ... حِينَ جَاءَ الْحَبِيبُ لِلتَّوْدِيعِ
لَمْ يَذُوقُوا طَعْمَ الْفِرَاقِ وَلَا مَا ... أَحْرَقَتْ لَوْعَةُ الْأَسَى مِنْ ضُلُوعِي
انَّمَا يَعْرِفُ الْغَرَامَ كَئِيبٌ ... سَاقِطُ الْقَلْبِ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبُوعِ

قال فطرب القوم من ذلك طربا شديــدا وزاد فرح الفتى بذلك حتى اخذت العود من الجاريـة و ضربت به على احسن النغمات وانشدت هذه الابـــــــــيـــــــــات

اِسْأَلِ الْعُرْفَ اِنْ سَأَلْتَ كَرِيمًا ... لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغِنَى وَالْيَسَارَا
فَسُؤَالُ الْكَرِيمِ يُورِثُ عِــزًّا ... وَسُؤَالُ اللَّئِيمِ يُورِثُ عَــارَا
وَاِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدٌّ ... فَالْقِ بِالذُّلِّ اِنْ سَأَلْتَ الْكِبَارَا
لَيْسَ اِجْلَالُكَ الْكَرِيمَ بِذُلٍّ ... اِنَّمَا الذُّلُّ اَنْ تُجِـلَّ الصِّغَارَا

ففرح القوم بي و زاد فرحهم ولم يزالوا في فرح وسرور * وانا اعمي ساعـة و الجارية ساعة الى ان جئنا الى بعض السواحل * فرست السفينة هناك و صعد كل من فيها وصعدت انا ايضا * وكنت سكرانا فقعدت ابول فغلبني النوم فنمت ورجعت الركاب الى السفينة و انحدرت بهم * ولم يعلموا بي لانهم كانـوا سكارى وكنت دفعت النفقة الى الجارية ولم يبق معي شيء * ووصلوا الى البصرة ولم انتبه الا من حرّ الشمس * فقمت في ذلك والتفت فما رأيت احدا * ونسيت ان اسأل الهاشمي عن اسمه واين داره بالبصرة و باي شي يعرف و بقيت حيرانا * وكان ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام * ولم ازل متحيـــرا حتى اجتازت بي مركب عظيمة * فنزلت فيهــا و دخلت البصـــرة وما كنت اعرف بها احدا ولا اعرف بيت الهــــاشمي * فجئت الى بقال واخذت منه دواة و ورقة وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة و صار حيرانا وهو لايعرف دار الهاشمي * قال فجئت الى بقال و اخذت منه دواة و ورقة و قعدت اكتب فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنسا فسألني عن امري فاخبرته اني غريب فقير * فقال اتقيم عندي ولك في كل يوم نصف درهم و آكلك وكسوتك و تضبط لي حساب دكاني * فقلت له نعم واقمت عنده و ضبطت امره و دبرت له دخله و خرجه * فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فشكرني على ذلك * ثم انه جعل لي في كل يوم درهما الى ان حال الحول * فدعاني ان اتزوج بابنته و يشاركني في الدكان فاجبته الى ذلك * ودخلت بزوجتي و لزمت الدكان الا اني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن * و كان البقال يشرب ويدعوني الى ذلك فامتنع حزنا * فاستمريت على تلك الحالة مدة سنتين * فبينما انا في الدكان و اذا بجماعة معهم طعام و شراب فسألت البقال عن القضية * فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه اهل الطرب واللعب و الفتيان من ذوي النعمة الى شاطئ البحر يأكلون ويشربون بين الاشجار على نهر الإيْلة * فدعتني نفسي الى الفرجة على هذا الامر * وقلت في نفسي لعلي اذا شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمَنْ احب * فقلت للبقال اني اريد ذلك فقال شأنك والخروجَ معهم * ثم جهز لي طعاما و شرابا و سرت حتى وصلت الى نهر الايلة فاذا الناس منصرفون فاردت الانصراف معهم * واذا بريس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الإيْلة * فصحت عليهم

فعرفني هو ومن معه و اخلعوني عندهم * وقالوا لي هل انت حي و عانقوني وسألوني عن قصتي فاخبرتهم بها * فقالوا لي انا ظننا انه سوي عليك السكر وغرقت في الماء * فسألتهم عن حال الجارية فقالوا انها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها و احرقت العود و ابتلت على اللطم و النحيب * فلمارجعنا مع الهاشمي الى البصرة قلنا لها اتركي هذا البكاء و الحزن * فقالت انا البس السواد واجعل لي قبرا في جانب هذه الدار فاقيم عند ذلك القبر واتوب عن الغناء * فمكّنّاها من ذلك و هي على تلك الحالة الى الآن * ثم اخذوني معهم فلما وصلت الى الدار رأيتها على تلك الحالة * فلما رأتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت انها ماتت فاعتنقتها عناقا طويلا * ثم قال لي الهاشمي خذها فقلت نعم ولكن اعتقها كما وعدتني و زوجني بها ففعل ذلك * ودفع الينا امتعة نفيسة وثيابا كثيرة و فرشا و خمسمائة دينار و قال هذا مقدار ما اردت اجراءه لكما في كل شهر * ولكن بشرط المنادمة و سماع الجاريه * ثم اخلى لنا دارا و امر بان ينقل اليها جميع ما نحتاج اليه * فلما توجهت الى تلك الدار وجدتها قد غمرت بالفرش و القماش و حملت اليها الجارية * ثم انني جئت الى البقال و اخبرته بجميع ما حصل لي و سألته ان يجعلني في حل من طلاق ابنته من غير ذنب * و دفعت اليها مهرها وما يلزمني واقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين * وصرت صاحب نعمة عظيمة و عادت لي حالتي التي كنت فيها انا و الجارية في بغداد * وقد فرج الله الكريم عنا واسبغ جزيل النعم علينا * و جعل مآل صبرنا الى الظفر بالمراد فلله الحمد في المبدأ و المعاد * و الله اعلم

ومما يحكى أيضا

انه كان فى قديم الزمان و سالف العصر و الاوان ملك في بلاد الهند و كان ملكا عظيما طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسنا للفقراء محبا للرعية ولجميع اهل دولته * و كان اسمه جليعاد وكان تحت يده في مملكته اثنان و سبعون ملكا ولبلاده ثلثمائة و خمسون قاضيا * وكان له سبعون وزيرا و قد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسا * و كان اكبر وزرائه شخص يقال له شماس * وكان عمره اثنين وعشرين سنة و كان حسن الخلق و الطباع * لطيفا في كلامه لبيبا في جوابه حاذقا في جميع اموره حكيما مدبرا رئيسا مع صغر سنه عارفا بكل حكمة و ادب * و كان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل اليه لمعرفته بالفصاحة و البلاغة واحوال السياسة * ولما اعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية * وكان ذلك الملك عادلا في مملكته حافظا لرعيته مواصلا كبيرهم وصغيرهم بالاحسان * وما يليق بهم من الرعاية و العطايا و الامان والطمأنينة و مخففا للخراج عن كامل الرعية * وكان محبا لهم كبيرا و صغيرا و معاملا لهم بالاحسان اليهم و الشفقة عليهم * واتى في حسن سيرته بينهم بما لم يات به احد قبله * ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد فشق ذلك عليه وعلى اهل مملكته * فاتفق ان الملك كان مضطجعا فى ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر فى عاقبة امر مملكته * ثم غلب عليه النوم فرأى في منامه كأنه يصبّ ماء فى اصل شجرة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان الملك رأى في منامـه كأنه يصب ماء في اصل شجرة * وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة واذا بنار قد خـــرجت من تلك الشجرة واحرقت جميع ما كان حولها من الاشجار * فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعا مرعوبا واستدعى احد غلمانه وقال له اذهب بسرعة وائتني بشماس الوزير عاجلا * فذهب الغـــلام الى شماس وقال له ان الملك يدعوك في هذه الساعة لانـــه انتبه من نومه مرعوبا فارسلني اليك لتحضـــر عنده عاجلا * فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه الى الملك ودخل عليه * فرأه قاعدا على فراشه فسجد بين يديـه داعيا له بدوام العز والنعم * وقال له لااحزنك الله ايها الملك ما الذي اقلقك في هذه الليلة وما سبب طلبك اياي بسرعة * فاذن له الملك بالجلوس فجلس * وصار الملك يقص عليه مارأى قائلا اني رايت في ليلتي هذه مناما اهالني * وهو كأني اصبّ ماء في اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة * فبينما انا في هذه الحالة واذا بنار قد خرجت من اصل تلك الشجرة واحرقت جميع ما حولها من الاشجار * ففزعت من ذلك واخذني الرعب فانتبهت عند ذلك وارسلت دعوتك لكثرة معرفتك وتعبيرك للرؤيا * ولمّا اعلمـــه من اتساع علمك وغزارة فهمك فاطرق شماس رأسه ساعة ثم تبســم * فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس اصدقني الخبـــر ولاتخف عني شيأ * فاجابه شماس وقال له ايها الملك ان الله تعالى خولك واقر عينك وامر هذه الرؤيا يؤول الى كل خير * وهو ان الله

تعالى يرزقك ولدا ذكرا يكون وارثا للملك عنك من بعد طويل عمرك * غير انه يكون فيه شيء لا احب تفسيره في هذا الوقت لانه غير موافق لتفسيره * ففرح الملك بذلك فرحا عظيما وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه * وقال ان كان الامر كذلك من حسن تأويل هذا المنام فكمل لي تأويله اذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله * فالذي لاينبغي تأويله الآن ينبغي ان تأوله لي اذا آن اوانه * لاجل ان يكمل فرحي لاني لاابتغي بذلك غير رضى الله سبحانه وتعالى * فلما رأى شماس من الملك انه مصمم على تمام تفسيره احتج له بحجة دفع بها عن نفسه * فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للاحلام الذين في مملكته * فحضروا جميعا بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم اريد منكم ان تخبروني بصحة تفسيره * فتقدم واحد منهم واخذ اذنا من الملك بالكلام * فلما اذن له قال اعلم ايها الملك ان وزيرك شماسا ليس بعاجز عن تفسير ذلك وانما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية * ولكن اذا اذنت لي بالكلام تكلمت فقال له الملك تكلم ايها المفسر بلا احتشام واصدق في كلامك * فقال المفسر اعلم ايها الملك انه يظهر منك غلام يكون وارثا لملكك عنك بعد طول حيوتك * ولكنه لايسير في الرعيه بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما اصاب الفأر مع السنور فاستعاذ بالله تعالى * فقال الملك وما حكاية السنور والفأر * فقال المفسر اطال الله عمر الملك ان السنور وهو القط سرح ليلة من الليالي الى شيء يفترسه في بعض الغيطان * فما وجد شيأ وضعف من شدة البرد والمطر الذي صار في تلك

الليلة فاخذ يحتال لنفسه بشيء يفوزبه * فبينما هو دائر على تلك الحالة اذرأى وكرا في اسفل شجرة فدنا منه وصار يشمشم ويدندن حتى احس بان داخل الوكر فأر * فحاوله و همّ بالدخول عليه لكي يأخذه * فلما احس به الفأر اعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسدّ باب الوكر عليه * فعند ذلك صار السنور يصوت صوتا ضعيفا ويقول له لِمَ تفعــــل ذلك يا اخي وانا ملتجي اليك لتفعل معي رحمة بان تقرّني في وكرك هذه الليلة * لاني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي * ولست اقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة * وكم مرة دعوت بالموت على نفسي لكي استريح وها انا على بابك طريح من البرد والمطر * واسألك بالله من صدقتك ان تأخذ بيدي وتدخلني عندك وتأويني في دهليز وكرك * لاني غريب ومسكين وقد قيل من أوى بمنزله غريبا مسكينا كان مأواه الجنة يوم الدين * فانت يا اخي حقيق بان تكسب اجري وتأذن لي في ان ابيت عندك هذه الليلة الى الصبـــاح ثم اروح الى حال سبيلى وادرك شهـــر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المــــــــــــــــبــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الاولى بعد التسعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان السنور قال للفأر ائــــذن لي ان ابيت عندك هذه الليلة ثم اروح الى حال سبيلي * فلما سمع الفأر كلام السنور قال له كيف تدخل وكري وانت لي عدو بالطبع ومعاشك من لحمي * واخاف ان تغدربي لان ذلك من شيمتك لانه لاعهد لك * وقد قيل لاينبغي الامان للرجــــل الزاني على

المرأة الحسناء * ولا للفقير العائل على المال * ولا للنار على الحطب * وليس بواجب عليّ ان استأمنك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت اقوى * فاجاب السنور قائلاً باخمد صوت واسوء حال ان الذي قلته من المواعظ حق ولست انكر عليك * ولكن اسألك الصفح عن ما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لانه قد قيل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه * وقد كنت قبل ذلك عدوالك وها انا اليوم طالب صداقتك * وقد قيل اذا اردت ان يكون عدوك لك صديقا فافعل معه خيرا * وانا يا اخي اعطيك عهد الله وميثاقه اني لا اضرك ابدا * ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك فثق بالله و افعل خيرا واقبل عهدي وميثاقي * فقال الفأر كيف اقبل عهد من تأسست العداوة بيني وبينه * وعادته ان يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الاشياء غير الدم لهان عليّ ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الارواح * وقد قيل من استأمن عدوه على نفسه كان كمن ادخل يده في فم الافعى * فقال السنور وهو ممتلئ غيظا قد ضاق صدري وضعفت نفسي * وها انا في النزع وعن قليل اموت على بابك ويبقى اثمي عليك لانك قادر على نجاتي مما انا فيه وهذا آخر كلامي معك * فحصل للفأر خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه من اراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيرا * وانا متوكل على الله في هذا الامر وانقذ هذا السنور من هذا الهلاك لاكسب اجره * فعند ذلك خرج الفأر الى السنور وادخله في وكره سحبا * فاقام عنده الى ان اشتد واستراح وتعافى قليلا * فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقلة اصدقائه * فصار الفأر يترفق به

ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله * واما السنور فانه زحف الى الوكر حتى ملك المخرج خوفا ان يخرج منه الفأر * فلما اراد الخروج قرب من السنور على عادته * فلما صار قريبا منه قبض عليه واخذه بين اظافيره وصار يعضه وينثره ويأخذه في فمه ويرفعه عن الارض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه * فعند ذلك استغاث الفأر وطلب الخلاص من الله * وجعل يعاتب السنور ويقول اين العهد الذي عاهدتني به واين اقسامك التي اقسمت بها اهذا جزائي منك * وقد ادخلتك وكري واستأمنتك على نفسي * ولكن صدق من قال من اخذ عهدا من عدوه لايبتغي لنفسه نجاة * ومن قال من سلم نفسه لعدوه كان مستوجبا لنفسه الهلاك * ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلصني منك * فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد ان يهجم عليه ويفترسه * واذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد * فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة * فظن ان فيه ثعلبا يفترس شيأ فاندفع الكلب منحدرا ليصطاده فصادف السنور فجذبه اليه * فلما وقع السنور بين يدي الكلب النهى بنفسه واطلق الفأر حيا ليس فيه جرح * واما هو فانه خرج به الكلب الجارح بعد ان قطع عصبه ورماه ميتا * وصدق في حقهما قول من قال مَنْ رَحِمَ رُحِمَ أجلاً * وَمَنْ ظَلَمَ ظُلِمَ عاجلا * هذا ما جرى لهما ايها الملك فلذلك لاينبغي لاحد ان ينقض عهد من استأمنه * ومن غدر وخان يحصل له مثل ماحصل للسنور لانه كما يَدِين الفتى يُدَان ومن يرجع الى الخير ينل الثواب * ولكن لاتحزن ايها الملكُ ولايشق عليك ذلك لان ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود الى حسن

سيرتك * وان هذا العالم الذي هو وزيرك شماس احب ان لايكتم عليك شيأ فيما رمزه اليك * وذلك رشد منه لانه قد قيل أكثر الناس خوفا اوسعهم علمًا واغبطهم خيرا * فاذعن الملكُ عند ذلك وامر لهم باكرام جزيل * ثم صرفهم و قام ودخل مكانه وصار يتفكر في عاقبة امره * فلما كان الليل افضى الى بعض نسائه وكانت اكرمهن عنده واحبهن اليه فراقدها * فلما مضى لها نحو اربعة اشهر تحرك الحمل فى بطنها ففرحت بذلك فرحا شديدا * واعلمت الملك بذلك فقال صدقتْ رؤياي والله المستعان * ثم انه انزلها احسن المنازل واكرمها غاية الاكرام واعطاها انعاما جزيلا وخوّلها بشيء كثير * وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وارسله ليحضر شماسا * فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلا قد صدقت رؤياي واتصل رجائي * فلعل ذلك الحمل يكون ولدا ذكرا ويكون وارثا لملكي فما تقول يا شماس في ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب * فقال له الملك مالي اراك لاتفرح لفرحي ولاترد لي جوابا * ما نرى هل انت كاره لهذا الامر يا شماس * فسجد عند ذلك شماس بين يدى الملك وقال ايها الملك اطال الله عمرك ما الذى ينفع المستظل بشجرة اذا كانت النار تخرج منها * وما لذة شارب الخمر الصافي اذا حصل له بها الشرق * وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد اذا غرق فيه * وانما انا عبد الله و لك ايها الملك * ولكن قد قيل ثلثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم في شأنها الّا اذا تمت * المسافر حتى يرجع من سفره * والذي فى الحرب حتى يقهر عدوه * والمرأة الحامل حتى تضع حملها * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس لما قال للملك ثلثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم في شانها الّا اذا تمت قال له بعد ذلك * فاعلم ايها الملك ان المتكلم في شان شيء لم يتم مثل الناسك المدفوق على رأسه السمن * فقال له الملك وكيف حكاية الناسك وما جرى له * فقال له ايها الملك انه كان انسان عند شريف من اشراف بعض المدن * وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلثة ارغفة مع قليل من السمن والعسل * وكان السمن في ذلك البلد غاليا * وكان الناسك يجمع الذي يجيء اليه في جرة عنده حتى ملأها وعلقها فوق رأسه خوفا واحتراسا * فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده اذ عرض له فكر في امر السمن وغلائه * فقال في نفسه ينبغي ان ابيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة واشارك عليها احدا من الفلاحين * فانها في اول عام تلد ذكرا وانثى وثاني عام تلد انثى وذكرا * ولا تزال هذه الغنم نتوالد ذكورا واناثا حتى تصير شيأ كثيرا * واقسم حصتي بعد ذلك وابيع فيها ما شئت * واشتري الارض الفلانية وانشئ فيها غيطا وابني فيها قصرا عظيما واقتني ثيابا وملبوسا * واشتري عبيدا وجواري واتزوج بنت التاجر الفلاني واعمل عرسا ما صار مثله قط * واذبح الذبائح واعمل الاطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها * واجمع فيه اهل الملاعب وارباب الفنون وآلات السماع * واجهز الازهار والمشمومات واصناف الرياحين وادعو الاغنياء

والفقراء والعلماء والرؤساء وارباب الدولة * وكل من طلب شيأً احضرته اليه واجهز انواع المأكل والمشارب * واطلق مناديا ينادى من يطلب شيأً يناله * وبعد ذلك ادخل على عروستي بعد جلائها واتمتع بحسنها وجمالها وأكل واشرب واطرب * واقول لنفسي قد بلغت مناك واستريح من النسك والعبادة * وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاما ذكرا فافرح به واعمل له الولائم واربيه فى الدلال * واعلمه الحكمة والادب والحساب واشهر اسمه بين الناس * وافتخر به عند ارباب المجالس وأمره بالمعروف فلا يخالفني وانهاه عن الفاحشة والمنكر * واوصيه بالتقوى وفعل الخير * واعطيه العطايا الحسنة السنية * فان رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة * وان رأيته مال الي المعصية انزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده * فاصابت جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها * فعند ذلك نزلت بشقافتها عليه وساح السمن على راسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة * فلاجل ذلك ايها الملك لا ينبغي للانسان ان يتكلم على شيءٍ قبل ان يصير * فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير انت لكونك بالصدق نطقت وبالخير اشرت ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولا * فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال له ادام الله ايامك * واعلى شانك واعلم انني لست اكتم عنك شيأ لا فى السر ولا فى العلانية ورضاك رضائي وغضبك غضبي * وليس لي فرح الّا بفرحك ولا يمكنني ان ابيت وانت ساخط عليّ لان الله تعالى رزقنى بكل خير باكرامك اياي فاسأل الله تعالى ان يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه * فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك * ثم بعد

مدة وضعت زوجة الملك غلاما ذكرا فنهض المبشرون الى الملك وبشروه بغلام ففرح بذلك فرحا شديدا وشكر الله شكرا جزيلا * وقال الحمد لله الذي رزقني ولدا بعدا لياس وهو الشفوق الرؤف على عباده * ثم ان الملك كتب الى سائر اهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم الى منزله فحضر له الامراء والرؤساء والعلماء وارباب الدولة الذين تحت امره * هذا ما كان من امر الملك * واما ما كان من امر ولده فانه قد دقت له البشائر والافراح في سائر المملكة * واقبل اهلها الى الحضور من سائر الاقطار واقبل اهل العلوم والفلسفة والادباء والحكماء ودخلوا جميعهم الى الملك ووصل كل منهم الى حد مقامه * ثم اشار الى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شان ماهو بصدده * فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك في الكلام فاذن له * فقال الحمد لله الذي انشأنا من العدم الى الوجود المنعم على عباده الملوك اهل العدل والانصاف بما اولاهم من الملك والعمل الصالح وبما اجراه على ايديهم لرعيتهم من الرزق * وخصوصا ملكنا الذي احيى به موات بلادنا بما اسداه الله علينا من النعم * ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل * فاي ملك يصنع باهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا واداء حقوقنا وانصاف بعضنا من بعض وقلة الغفلة عنا وردّ مظالمنا * ومن فضل الله على الناس ان يكون ملكهم متعهدا لامورهم وحافظا لهم من عدوهم * لان العدو غاية قصده ان يقهر عدوه وان يملكه في يده * وكثير من الناس يقدمون اولادهم الى الملوك خدما فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لاجل ان يمنعوا عنهم الاعداء * واما نحن فلم

يطأ بلادنا اعداء في زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وانما هي فوق ذلك * وانت ايها الملك حقيق بانك اهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك احسن الله ثوابك وادام بقاءك * لاننا كنا قبل ذلك نجدّ في الطلب من الله تعالى ان يمنّ علينا بالاجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولدا صالحا تقرّ به عيناك * والله سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس قال للملك ان الله تعالى قد تقبّل منا واستجاب دعاءنا واتانا بالفرج القريب مثل ما اتى لبعض السمك في غدير الماء * فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس اعلم ايها الملك انه كان في بعض الاماكن غدير ماء * وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير انه قلّ ماؤه وصار ينضم بعضه الى بعض ولم يبق من الماء ما يسعفها فكادت ان تهلك * وقالت ما عسى ان يكون من امرنا وكيف نحتال ومَن نستشيره في نجاتنا * فقامت سمكة منهن وكانت اكبرهن عقلا وسنا وقالت مالنا حيلة في خلاصنا الا الطلب من الله * ولكن نلتمس الرأي من السرطان فانه اكبرنا فهلمّوا بنا اليه لننظر ما يكون من رأيه لانه اكثر منا معرفة بحقائق الكلام * فاستحسنوا رأيها وجاؤا باجمعهم الى السرطان فوجدوه رابضا في موضعه وليس عنده علم ولا خبر مما هم فيه * فسلموا عليه وقالوا له يا سيدنا اما يعنيك امرنا وانت

حاكمنا ورئيسنا * فاجابهم السلطان قائلا وعليكم السلام ما الذي بكم وما تريدون * فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من امر نقص الماء وانه متى نشف حصل لهم الهلاك * ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون فيه النجاة * لانك كبيرنا واعرف منا * فعند ذلك اطرق رأسه مليّا ثم قال لا شك ان عندكم نقص عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بارزاق خلائقه جميعا * أَلَمْ تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب * وقدّر ارزاقهم قبل ان يخلق شيأ من الاشياء * وجعل لكل شخص عمرا محدودا ورزقا مقسوما بقدرته الالهية فكيف نحمل همّ شيءٍ هو في الغيب مسطور * والرأي عندي انه لم يكن احسن من الطلب من الله تعالى * فينبغي ان كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته * ويدعو الله ان يخلصنا وينقذنا من الشدائد * لان الله تعالى لا يخيب رجاء مَنْ توكّل عليه ولا يرد طلب من توسل اليه * فاذا اصلحنا احوالنا استقامت امورنا وحصل لنا كل خير ونعمة * واذا جاء الشتاء وغمر ارضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناه * فالرأي ان نصبر وننتظر ما يفعله الله بنا فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا * وان كان يحصل لنا ما يوجب الهروب هربنا ورحلنا من ارضنا الى حيث يريد الله * فاجاب السمك جميعه من فم واحد صدقت ياسيدنا جزاك الله عنا خيرا * وتوجه كل واحد منهم الى موضعه * فما مضى الّا ايام قلائل واتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ محل الغدير زيادة عما كان اوّلا * وهكذا نحن ايها الملك كنا يائسين من ان يكون لك ولد * وحيث منّ الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى ان يجعله ولدا مباركا * وان يقرّ به عينك ويجعله خليفة

صالحة ويرزقنا منه مثل مارزقنا منك * فان الله تعالى لايخيب من قصده ولا ينبغي لاحد ان يقطع رجاءه من رحمة الله * ثم قام الوزير الثاني وسلم على الملك فاجابه الملك قائلا وعليكم السلام * فقال ذلك الوزير ان الملك لا يسمى ملكا الّا اذا اعطى وعدل وحكم واكرم واحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس * وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكفّ الاذى عنهم * ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم واسعاف اعلاهم وادناهم واعطائهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعا داعين له ممتثلين لامره * لانه لاشك ان الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرعية مكتسبا من الدنيا علاها ومن الأخرة شرفها ورضى خالقها * ونحن معاشر العبيد معترفون لك ايها الملك بان جميع ما وصفناه عندك * كما قيل خيرا لامور ان يكون ملك الرعية عادلا * وحكيمها ماهرا * وعالمها خبيرا عاملا بعلمه * ونحن الأن متنعمون بهذه السعادة * وكنا قبل ذلك قد وقعنا فى اليأس من حصول ولد لك يرث ملكك * ولكن الله جل اسمه لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم امرك اليه * فنعم الرجاء رجاؤك وقد صارفيك ما صار للغراب والحية * فقال الملك كيف ذلك وما حكاية الغراب والحية * فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان غراب ساكنا في شجرة هو وزوجته في ارغد عيش الى ان بلغا زمان تفريخهما * وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة فتعلقت بفروعها الى ان صعدت الى عشّ الغراب وربضت فيه ومكثت مدة ايام الصيف * وصار الغراب مطرودا لا يجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه * فلما انقضت ايام الحر ذهبت الحية الى موضعها * فقال الغراب لزوجته

نشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمنا
من الزاد في هذه السنة * لان الله تعالى لايقطع رجاءنا فنشكره على
ما من علينا من السلامة وصحة ابداننا * وليس لنا اتكال الا عليه
واذا اراد الله وعشنا الى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا * فلما
كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة * فبينما
هي متعلقة ببعض اغصانها وهي قاصدة عش الغراب على العادة *
واذا بحدأة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها * فعند
ذلك سقطت الحية على الارض مغشيا عليها وطلع عليها النمل فاكلها *
وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة وفرخا اولادا كثيرة
وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الاولاد * ونحن ايها الملك
يجب علينا شكر الله على ما انعم به عليك وعلينا بهذه المولود
المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء * احسن الله ثوابك وعاقبة
امرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الثاني لما فرغ من
كلامه ختمه بقوله احسن الله ثوابك وعاقبة امرك * ثم قام الوزير
الثالث وقال ابشر ايها الملك العادل بالخير العاجل والثواب
الآجل لان كل من تحبه اهل الارض تحبه اهل السماء * والله تعالى
قسم لك المحبة وجعلها في قلوب اهل مملكتك فله الشكر وله
الحمد منا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك * واعلم
ايها الملك ان الانسان لا يستطيع شيأ الا بامر الله تعالى وانه هو
المعطي وكل خير عند شخص اليه ينتهي * قسم النعم على عبيده كما

يحب * فمنهم من اعطاه مواهب كثيرة * ومنهم من شغله بتحصيل القوت * ومنهم من جعله رئيسا * ومنهم من جعله زاهدا فى الدنيا راغبا اليه لانه هو الذي قال انا الضار النافع * اشفي وامرض واغني وافقر وامیت واحیي * وبيدي كل شيء والیّ المصير * فواجب على جميع الناس شكره * وانت ايها الملك من السعداء الابرار كما قيل ان اسعد الابرار من جمع الله له بين خيري الدنيا والأخرة * ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما اقامه * ومن تعدى وطلب غير ما قدر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب * قال الملك وما حديثهما * قال الوزير اعلم ايها الملك ان ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه * فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال واذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشيا * وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكايته مع ما افترسه * فقال احدهما انني بالامس وقعت في حمار وحش وكنت جائعا * وكان لي ثلثة ايام ما اكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سخره لي * ثم اني عمدت الى قلبه فاكلته وشبعت * ثم رجعت الى وطني ومضى عليّ ثلثة ايام لم اجد شيأ آكله ومع ذلك انا شبعان الى الآن * فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه لا بد لي من اكل قلب حمار الوحش * فترك الاكل اياما حتى انهزل واشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه * فبينما هو في وطنه ذات يوم من الايام واذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش * فاقاما النهار كله في اثره طردا * ثم ان بعضهما رماه بسهم مشعب فاصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور * فادركه الصيادان فوجداه ميتا فاخرجا السهم

الذي اصابه في قلبه * فلم يخرج الا العود و بقي السهم منشبا في بطن حمار الوحش * فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحا ففرح فرحا شديدا حتى كاد ان يطير من الفرح * فقال الحمد لله الذي يسّر لي شهوتي من غير تعب لاني كنت لا أؤمل اني اصيب حمار وحش ولا غيره * ولعل الله اوقع هذا وساقه اليّ في موضعي ثم وثب عليه وشق بطنه و ادخل راسه وصار يجول بفمه في امعائه الى ان وجد القلب فالتقمه بفمه و ابتلعه * فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على ادخاله في بطنه ولا على اخراجه من حلقه وايقن بالهلاك * و قال حقا لا ينبغي لمخلوق ان يطلب لنفسه فوق ما قسمه الله له * لانني لو قنعت بما قسمه الله لي لما صرت الى الهلاك * فلهذا ايها الملك ينبغي للانسان ان يرضى بماقسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاه من مولاه * وها انت ايها الملك بحسن نيتك و اسداء معروفك رزقك الله ولدا بعد اليأس * فنسأل الله تعالى ان يرزقه عمرا طويلا وسعادة دائمة * ويجعله خلفا مباركا موفيا بعهدك من بعدك بعد طول عمرك * ثم قام الوزير الرابع وقال ان الملك اذا كان فهيما عالما بابواب الحكمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الرابع لما قام قال ان الملك اذا كان فهيما عالما بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية واكرام من يجب اكرامه وتوقير من يجب

توقيره والعفو عند القدرة فيما لابد منه * ورعاية الروسا والمروسين والتخفيف عنهم والانعام عليهم * وصون دمائهم وسترعوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقا بالسعادة الدنيوية والاخروية * فان ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على اعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعنايته * وان الملك اذا كان بخلاف ذلك فانه لم يزل في مصائب وبلايا هو واهل مملكته * لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السايح * فقال الملك وكيف كان ذلك * فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان في بلاد الغرب ملك جائر في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته وجميع من يدخل في مملكته وكان لايدخل في مملكته احد الاّ وتأخذ عمّاله منه اربعة اخماس ماله ويبقون له الخمس لاغير * فقدر الله تعالى انه كان له ولد سعيد موفق * فلما راى احوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سايحا عابدا لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في طاعة الله تعالى يسرح في البراري والقفار ويدخل المدن * ففي بعض الايام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين اخذوه وفتشوه فلم يروا معه شياً سوى ثوبين احدهما جديد والآخر عتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الاهانة والتحقير * فصار هو يشكو ويقول وَيْحَكم ايها الظالمون انا رجل فقير وسايح وما عسى ان ينفعكم من هذا الثوب * واذا لم تعطوه لي ذهبت للملك وشكوتكم اليه * فاجابوه قائلين اننا فعلنا ذلك بامر الملك فمابدا لك ان تفعله فافعله * فصار السايح يمشي الى ان وصل الى بلاد الملك واراد الدخول فمنعه الحجاب فرجع وقال في نفسه مالي الاّ اني ارصده

حتى يخرج واشكو اليه حالي وما اصابني * فبينما هو على تلك
الحالة ينتظر خروج الملك اذ سمع احد الاجناد يخبر عنه * فلحظ
يتقدم قليلا قليلا حتى وقف قبال الباب فما شعر الا و الملك
خارج * فعارضه السايح ودعاله بالنصر واخبره بما وقع له من
المحافظين وشكا اليه حاله * واخبره انه رجل من اهل الله رفض الدنيا
وخرج طالبا رضاء الله تعالى فصار سايحا في الارض * وكل من وفد
عليه من الناس احسن اليه بما امكنه * وصار يدخل كل مدينة وكل
قرية وهو على هذه الحالة * ثم قال فلما دخلت هذه المدينة
ترجيت ان يفعل بي اهلها مثل ما يفعل بغيري من السايحين *
فعارضني اتباعك و نزعوا احد اثوابي و الصفوني ضربا فانظر في شأني
وخذ بيدي و خلص لي ثوبي * و انا لا اقيم بهذه المدينة ساعة واحدة *
فاجابه الملك الظالم قائلا من اشار عليك بدخولك هذه المدينة
وانت غير عالم بما يفعل ملكها * فقال بعد ان أخذ ثوبي افعل
بي مرادك * فلما سمع ذلك الملك الظالم من السايح هذا الكلام
حصل عنده تغير مزاج * فقال ايها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكي
تذل و حيث وقع منك مثل هذا الصياح عندي فانا انزع نفسك
منك * ثم امر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع
منه من الجواب وعنف نفسه حيث لم تترك ذلك ويفوز بروحه *
فلما كان نصف الليل قام على قدميه وصلى صلوة مطولة * و قال يا الله
انك انت الحكم العدل تعلم بحالي و ما انطوى عليه امري مع هذا
الملك الجائر * و انا عبدك المظلوم اسألك من فيض رحمتك ان
تنقذني من يد هذا الملك الظالم و تحل به نقمتك لانك لا تغفل
عن ظلم كل ظالم * فان كنت تعلم انه ظلمني فا حلل نقمتك عليه في

هذه الليلة وانزل به عذابك لان حكمك عدل وانت غياث كل ملهوف يا من له القدرة والعظمة الى آخر الدهر * فلما سمع السجّان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الاعضاء مرعوبا * فبينما هو كذلك واذا بنار قادت فى القصر الذي فيه الملك فاحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسايح فانطلق السايح وسار هو والسجان * ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى غير تلك المدينة * واما مدينة الملك الظالم فانها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها * واما نحن ايها الملك السعيد فما نمسي ونصبح الا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك * وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفا من ان يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن قد انعم الله بكرمه علينا وازال عنا الغم واتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك * فنسأل الله تعالى ان يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم * ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية * وبعد فانا تحققنا ان الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه * وانت ايها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والانصاف بين رعيتك بما يرضى الله تعالى * فلاجل ذلك اعلى الله شانك واسعد ايامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التى هي هذا الولد السعيد

بعد اليأس * وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع *
لاننا قبل ذلك كنا في هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولد لك *
وفي افكار فيما انت منطوعليه من عدلك ورأفتك بنا * وخوفنا ان
يقضي الله عليك بالموت * ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك
من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار
للغراب * فقال الملك وما حكايه الغراب فاجابه الوزير قائلا * اعلم
ايها الملك السعيد انه كان في بعض البراري واد متسع * وكان به انهار
واشجار واثمار وبه اطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار *
وكان من جملة الطيور غربان وكانوا في اطيب عيش * وكان المقدم
عليهم والحاكم بينهم غراب رؤف بهم شفوق عليهم وكانوا معه
في امان وطمأنينة * ومن حسن تصريفهم فيما بينهم لم يكن احد
من الطيــور يقدر عليهم * فاتفق ان مقدمهم توفي وجاءه الامر
المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزنا شديدا * ومن زيادة
حزنهم انه لم يكن فيهم احد مثله يقوم مقامه * فاجتمعوا جميعا
وأتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحا * فطائفة
منهم اختــاروا غرابا وقالوا ان هذا يصلح ان يكون ملكا علينا *
وأخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت
الفتنة بينهم * وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على ان يناموا
تلك الليلة ولا يبكر احد الى السروح في طلب المعيشة غدا بل يصبرون
جميعا الى الصباح * وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين في موضع
واحد * ثم ينظرون الى كل طير يسبق فى الطيران وقالوا انه هو الذي
يكون مأمورا من الله علينا ومختارا عندنا للملك * فنجعله ملكا
علينا ونوليه امرنا فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضا واتفقوا على

هذا العهد * فبينماهم على ذلك الحال اذطلع باز فقالوا له يا ابا الخير
نحن اخترناك واليا علينا لتنظر في امرنا فرضي الباز بماقالوه وقال
لهم ان شاء الله تعالى سيكون لكم مني خير عظيم * ثم انهم بعد
ما ولّوه عليهم صار كل يوم اذا سرح وسرّح الغربان يستفرد باحدهم
ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقي * ولم يزل يفعل معهم
هكذا حتى فطنوابه فرأوا غالبهم قد هلك فا يقنوا بالهلاك * وقال
بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك اكثرنا و ما انتبهنا حتى هلك
اكابرنا * فينبغي لنا ان نتحفظ لانفسنا * فلما اصبحوا نفروا منه وتفرقوا
من حوله * ونحن الأن نخشى ان يقع لنا مثل هذا ويصير علينا
ملك غيرك * ولكن قد منّ الله علينا بهذه النعمة ووجهك الينا *
ونحن واثقون الأن بالصلاح وجمع الشمل والامن والامانة
السلامه في الوطن * فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء
الجميل * وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية * ورزقنا واياه السعادة
العظمى * وجعله سعيد الوقت قائم الجد * ثم قام الوزير السادس
وقال هنّاك الله ايها الملك باحسن الهنا في الدنيا والأخرة * فقد
تقدم من قول المتقدمين ان من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين
وعدل في حكمه لقي ربه وهوراض عنه * وقد وليت علينا فعدلت
فلنت في ذلك سعيد الحركات * فنسأل الله تعالى ان يجزل ثوابك
وبأجرك على احسانك * وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نتخوف
من حرمان حظنا بعدم الملك اوبوجود ملك أخر لايكون نظيره
فبعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف * واذا كان الامر
على ما ذكرنا فالواجب علينا ان نبتهل الى الله تعالى بالدعاء *
لعله يهب للملك ولدا سعيدا ويجعله وارثا المملك بعده * ثم

بعد ذلك ربما كان الذي يحبه الانسان من الدنيا و يشتهيه سبب وبال العاقبة له و حينئذ لاينبغي للانسان ان يسأل ربه امرا لايدري عاقبته * لانه ربماكان ضرر ذلك اقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه و يصيبه مثل ما اصاب الحاوي وزوجته و اولاده واهل بيته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير السادس لما قال للملك ان الانسان لاينبغي له ان يسأل ربه شيأ لايدري عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك اقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه * و يصيبه مثل ما اصاب الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته * قال الملك وما حكاية الحاوي واولاده وزوجته و اهل بيته * فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان انسان حاويا وكان يربي الحيات وهذه كانت صنعته * وكان عنده سلّة كبيرة فيها ثلث حيات لم يعلم بها اهل بيته * وكان كل يوم يخرج يدور بها فى المدينة ويتسبب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله * و يرجع عند المساء في بيته و يضع الاحناش فى السلّة سرا و عند الصباح يأخذها ويدوربها فى المدينة * فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم اهل بيته بما فى السلة * فاتفق انه لما عاد الحاوي الى بيته على جري عادته سالته زوجته وقالت له ما في هذه السلّة * فقال لها الحاوي وما مرادك منها اليس الزاد عندكم كثيرا زائدا * فاقنعي بما قسم الله لك ولاتسألي عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة * وصارت تقول في نفسها لابد لي ان افتش هذه السلة واعرف مافيها * وصمّمت على ذلك واعلمت اولادها واكدت عليهم ان يسألوا

والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه فى السوءال لاجل ان يخبرهم * فعند ذلك تعلق خاطــر الاولاد بان فيها شيأ يوءكل فصار الاولاد كل يوم يطلبون من ابيهم ان يريهم ما فى السلة * وكان ابوهــم يدافعهم ويراضيهم وينها هم عن هذا السوءال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وامهم تحثهم على ذلك * ثم اتفقوا معها على انهم لايذوقون طعاما ولايشربون شرابا لوالدهم حتى يبلغهــم طلبتهم ويفتح لهم السلة * فبينما هم كذلك ذات ليلة اذحضر الحاوي ومعه شيء كثير من الاكل و الشرب فقعد و دعاهم ليأكلوا معــه فابوا الحضور اليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن * ويقول لهم انظروا ما ذاتريدون حتى اجيء به اليكم اكلا اوشربا اوملبوسا * فقالوا له يا والدنا ما نريد منك الاّ فتح هذه السلة لننظــر ما فيها والاّقتلنا انفسنا * فقال لهم يا اولادي ليس لكم فيها خير وانما فتحها ضرلكم * فعند ذلك ازدادوا غيظا فلما رأهم على هذه الحالة اخذ يهددهم و يشير لهم بالضرب ان لم يرجعوا عن تلك الحالــة فلم يزدادوا الاّ غيظا و رغبة في السوال * فعنــد ذلك غضب عليهم واخذعصا ليضربهم بها فهربوا قدامه فى الدار* وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوى في مكان * فخلت المرأة الرجــل مشغولا بالاولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها * واذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة اوّلا فقتلوها ثم داروا فى الدار و اهلكوا الكباروالصغار ما عدا الحاوي فترك الحاوي الداروخرج * فلما تحققت ذلك ايها الملك السعيد علمت ان الانســـان ليس له ان يتمنى شيأ غير الذي لم يرده الله تعالى بل يطيب نفســا بما قدره الله له واراده * وها انت ايها الملك مع غزارة عملك وجودة فهمك اقرّالله

عينك بحضور ولد لك بعد اليأس وطيب قلبك * ونحن نسأل الله تعالى ان يجعله من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية* ثم قام الوزير السابع و قال ايها الملك اني قد علمت و تحققت ما ذكره لك اخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء و ما تكلموا به في حضرتك ايها الملك و ما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم * وذلك من بعض الواجب علينا ايها الملك * واما انا فاقول الحمد لله الذي تولاك لنعمته واعطاك صلاح الملك برحمته واعانك و ايانا على ان نزيده شكرا وما ذاك الّا بوجودك * وما دمت فينا لم نتخوف جورا ولا نبغي ظلما ولا يستطيع احد ان يستطيل علينا مع ضعفنا * و قد قيل ان احسن الرعايا من كان ملكهم عـــادلا وشرهم من كان ملكهم جائرا * و قيل ايضا السكنى مع الاسود الكواسر ولا السكنى مـــع السلطان الجائر * فالحمد لله تعالى على ذلك حمدا دائما حيث انعم علينا بوجودك * ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن في السن لان اجلّ العطايا في الدنيا الولد الصالح * وقد قيل من لاولد له لاعاقبة له ولا ذكر * وانت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى اعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منة من الله تعالى علينـــا و عليك بحسن سيرتك وجميل صبرك * وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح * فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما قال للوزير وما حكاية

العنكبوت والريح * قال الوزير اعلم ايها الملك ان عنكبوتة تعلقت في باب متنحٍّ عالٍ وعملت لها بيتا وسكنت فيه بامان * وكانت تشكر الله تعالى الذي يسّر لها هذا المكان وأمن خوفها من الهوام * فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها * فامتحنها خالقها بان اخرجها لينظر شكرها وصبرها * فارسل اليها ريحا عاصفا شرقيا فحملها ببيتها ورماها في البحر * فجرّتها الامواج الى البر * فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها ايّتها الريح لِمَ فعلت بي ذلك * وما الذي حصل لك من الخير في نقلي من مكاني الى هنا وقد كنت أمنة مطمئنة في بيتي باعلى ذلك الباب * فقال لها الريح انتهي عن العتاب فاني سارجع بك واوصلك الى مكانك كما كنت اوّلا * فلبثت العنكبوت صابرة على ذلك راجية ان ترجع الى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفتها وطارت بها الى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به * ونحن نسأل الله الذي اثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين ووهب له ما وهب من الملك والسلطان فرحم رعيته واولاهم نعمته * فقال الملك الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر لا اله الّا هو خالق كل شيءٍ الذي عرفنا بنور أثاره جلال عظمته يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده * لانه ينتخب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلا على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والانصاف واقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والاستقامة في امورهم على ما احب واحبوا * فمن عمل منهم بما امر الله كان

لحظه مصيبا ولا مرربه مطيعا فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاؤه في اخراه انه لا يضيع اجر المحسنين * ومن عمل منهم بغير ما امر الله اخطأ خطـأ بليغا وعصى ربه وأثر دنياه على اخراه فليس له في الدنيا مأثر ولا في الأخرة نصيب * لان الله لا يمهل على اهل الجور والفساد ولا يهمل احدا من العباد * وقد ذكر وزراؤنا هؤلاء ان من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم انعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد انعامه * وكل واحد منهم قال ما الهمه الله في ذلك وبالغوا في الشكر لله تعالى والثنـاء عليه بسبب نعمته وفضله * وانا اشكر الله لاني انما انا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له راض بما حكم علي وعليهم باي شيء صار * وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله من امر هذا الغلام وذكروا ما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين * والحمد لله الذي نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار * وقد كان ذلك انعاما عظيما عليهم وعلينا * فحمد الله تعالى الذي رزقنا هذا الغلام سميعا مطيعا وجعله وارثا من الخلافة محلا رفيعا * نسأله من كرمه وحلمه ان يجعله سعيد الحركات موفقا للخيرات حتى يصير ملـكا وسلطانا على رعيته بالعـدل والانصاف * حافظا لهم من مهلكات الاعتساف بمنه وكرمه وجوده * فلما فرغ الملك من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم الى بيته * فعند ذلك دخل الملك بيته وابصر الغلام ودعا له وسماه وردخان * فلما مضى له من العمر اثنتى عشرة سنة اراد الملك ان يعلمه العلوم فبنى له قصرا في وسط المدينة وبنى

فيه ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلثة
من الحكماء والعلماء وامرهم ان لا يغفلوا عن تعليمه ليلا ولا نهارا *
وان يجلسوا معه في كل مقصورة يوما ويحرصوا على ان لا يكون
علم الّا ويعلمونه اياه حتى يصير بجميع العلوم عارفا * ويكتبون
على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من اصناف العلوم ويرفعون
اليه في كل سبعة ايام ما عرفه من العلوم * ثم ان العلماء اقبلوا على
الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلا ولا نهارا ولا يؤخرون
عنه شيأ مما عندهم من العلوم * فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة
الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لاحد قبله * وجعلوا يرفعون للملك
في كل اسبوع مقدار ما تعلمه ولده واتقنه * فكان الملك يستظهر
من ذلك علما حسنا وادبا جميلا * وقال العلماء اننا ما راينا قط
من اعطي فهما مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعك بحيوته *
فلما اتم الغلام مدة اثنتى عشرة سنة حفظ من كل علم احسنه * وفاق
جميع العلماء والحكماء الذين في زمانه * فاتى به العلماء الى الملك
والده وقالوا له اقر الله عينك ايها الملك بهذا الولد السعيد *
وقد اتيناك به بعد ان تعلم كل علم حتى لم يكن احد من علماء
الوقت وحكمائه بلغ ما بلغه * ففرح الملك بذلك فرحا شديدا
وزاد في شكر الله تعالى وخرّ ساجدا له عز وجل * وقال الحمد لله
على نعمه التي لا تحصى * ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم يا
شماس ان العلماء قد اتوني * واخبروني ان ابني هذا قد تعلم كل
علم ولم يبق من العلوم علم الّا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه
في ذلك * فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك لله عزّ وجل وقبل يد
الملك * وقال ابت الياقوتة ولو كانت في الجبل الاصم الّا ان تكون

مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما تمنعه حداثته من ان يكون حكيما والحمد لله على ما اولاه * وانا ان شاء الله تعالى في غد اسأله واستنطقه بما عنده في مجمع اجمعه له من خواص العلماء والامراء * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك جليعاد لما سمع كلام شماس امر جهابذة العلماء واذكياء الفضلاء ومَهَرَة الحكماء ان يحضروا الى قصر الملك في غد فحضروا جميعا * فلما اجتمعوا على باب الملك اذن لهم بالدخول * ثم حضر شماس الوزير وقبل يدي ابن الملك فقام ابن الملك وسجد لشماس * فقال له شماس ليس يجب على شبل الاسد ان يسجد لاحد من الوحوش ولا ينبغي ان يقترن النور بالظلام * قال الغلام ان شبل الاسد لما رأى وزير الملك سجد له * فعند ذلك قال شماس اخبرني ما الدائم المطلق وما كوناه وما الدائم من كونَيه * قال الغلام اما الدائم المطلق فهو الله عزّ وجل لانه اول بلا ابتداء وأخر بلا انتهاء * واما كوناه فالدنيا والآخرة * واما الدائم من كونَيه فهو نعيم الآخرة * قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير اني احب ان تخبرني من اين علمت ان احد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة * قال الغلام لان الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن فآل امرها الى الكون الاول غير انها عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الاعمال وذلك يستدعي اعادة الفاني فالآخرة هي الكون الثاني * قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير اني احب ان تخبرني من اين علمت ان نعيم

الأخرة هو الدائم من الكونين * قال الغلام علمت ذلك من انها دار الجزاء على الاعمال التي اعدها الباقي بلا زوال * قال شماس اخبرني اي اهل الدنيا احمد عملا قال الغلام من يؤثر أخرته على دنياه * قال شماس ومن الذي يؤثر أخرته على دنياه * فقال الغلام من كان يعلم انه في دار منقطعة وانه ما خلق الا للفناء وانه بعد الفناء يحاسب * وانه لوكان في هذه الدنيا احد مخلد ابدا لا يؤثر الدنيا على الأخرة * قال شماس اخبرني هل تستقيم أخرة بغير دنيا * قال الغلام من لم يكن له دنيا فلا أخرة له * ولكن رأيت الدنيا واهلها والمعاد الذي هم صائرون اليه كمثل اهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم امير بيتا ضيقا وادخلهم فيه * وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم اجلا ووكل به شخصا * فمن عمل منهم ما امر به اخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق * ومن لم يعمل ما امر به وقد انقضى الاجل المضروب له عوقب * فبينما هم كذلك اذ رشح لهم من شقوق البيت عسل * فلما اكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا في العمل الذي أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم * وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم صائرون اليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة * وصار الموكل لايدع احدا منهم اذا جاء اجله الا ويخرجه من ذلك البيت * فعرفنا ان الدنيا دار تتحير فيها الابصار وضرب لاهلها فيها الأجال * فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا واشغل نفسه بها كان من الهالكين * حيث أثر امر دنياه على أخرته ومن يؤثر امر أخرته على دنياه ولم يلتفت الى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين * قال شماس قد سمعت ما ذكرت من امر

الدنيا والأخرة و قبلت ذلك منك * ولكنني قد رأيتهما مسلّطين على الانسان فلا بدله من ارضا لهما معا وهما مختلفان * فان اقبل العبد على طلب المعيشة فذلك اضرار بروحه في المعاد * وان اقبل على الأخرة كان ذلك اضرارا بجسده * وليس له سبيل الى ارضاء المتخالفين معا * قال الغلام انه من حصل المعيشة في الدنيا تقوّيه على الأخرة * فاني رأيت امرالدنيا والأخرة مثل ملكين عادل وجائر * وكانت ارض الملك الجائر ذات اشجار واثمار ونبات * وكان ذلك الملك لا يدع احدا من التجار الّا اخذ ماله وتجارته * وهم صابرون على ذلك لما يصيبون من خصب تلك الارض في المعيشة * واما الملك العادل فانه بعث رجلًا من اهل ارضه واعطاه مالا وافرا وامره ان ينطلق به الى ارض الملك الجائر ليبتاع به جواهر منها * فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الارض فقيل للملك انه جاء الى ارضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد ان يبتاع به جواهر منها * فارسل اليه واحضره وقال له من انت ومن اين انيت ومن جاءبك الى ارضي وما حاجتك * فقال له اني من ارض كذا وكذا وان ملك تلك الارض اعطاني مالا وامرني ان ابتاع له به جواهر من هذه الارض فامتثلت امره وجئت * فقال له الملك ويحك اما علمت صنعي باهل ارضي من اني أخذ مالهم في كل يوم فكيف تأتيني بمالك وها انت مقيم في ارضي منذ كذا وكذا * فقال له التاجر ان المال ليس لي منه شيء وانما هو امانة تحت يدي حتى اوصله الى صاحبه * فقال له اني لست بتاركك تأخذ معيشتك من ارضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد ان يشتري الجواهر من ارضه لا يمكن ان تأخذ معاشا من ارضي حتى تفدي نفسك بهذا المال او تهلك * فقال الرجل في نفسه قد وقعت بين ملكين وقد علمت ان جور هذا الملك عام على من اقام بارضه * فان لم ارضه كان هلاكي وذهاب المال لا بد منهما ولم اصب حاجتي * وان اعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لابد منه * وليس لي حيلة سوى اني اعطيه من هذا المال جزءا يسيرا و ارضيه به وادفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك * واصيب من خصب هذه الارض قوت نفسي حتى ابتاع ما اريد من الجواهر واكون قد ارضيته بما اعطيته وأخذ نصيبي من ارضه هذه واتوجه الى صاحب المال بحاجته * فاني ارجو من عدله وتجاوزه مالا اخاف معه عقوبة فيما اخذه هذا الملك من المال خصوصا اذا كان يسيرا * ثم ان التاجر دعا للملك وقال له ايها الملك انا افتدي نفسي وهذا المال بجزء صغير من مدة دخلت ارضك حتى اخرج منها * فقبل الملك منه ذلك وخلى سبيله سنة فاشترى الرجل بما له جميعه جواهر وانطلق الى صاحبه * فالملك العادل مثال للآخرة * والجواهر التي بارض الملك الجائر مثال للحسنات والعمل الصالح * والرجل صاحب المال مثال لمن طلب الدنيا * والمال الذي معه مثال لحيوة الانسان * فلما رايت ذلك علمت انه ينبغي لمن يطلب المعيشة فى الدنيا ان لا يخلي يوما عن طلب الآخرة * فيكون قد ارضى الدنيا بما ناله من خصب الارض وارضى الآخرة

بما يصرف من حيوته في طلبها * قال شماس فاخبرني هل الجسد والروح سواء في الثواب والعقاب * اوانما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيات * قال الغلام قد يكون الميل الى الشهوات والخطيات موجبا للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها * والامر بيد من يفعل ما يشاء وبضدها تتميز الاشياء * على ان المعاش لابد منه للجسد ولاجسد الّا بالروح وطهارة الروح باخلاص النية في الدنيا والالتفات الى ما ينفع في الآخرة * فهما فرسا رهان ورضيعا لبان ومشتركان في الاعمال وباعتبار النية تفصيل الاجمال * وكذلك الجسد والروح مشتركان في الاعمال وفي الثواب والعقاب * وذلك مثل الاعمى والمقعد اللذين اخذهما رجل صاحب البستان وادخلهما بستانه وامرهما ان لايفسدا فيه ولا يصنعا فيه امرا يضرّبه * فلما طابت اثمار البستان قال المقعد للاعمى ويحك اني ارى اثمارا طيبة وقد اشتهيتها ولست اقدر على القيام اليها لآكل منها * فقم انت لانك صحيح الرجلين وائتنا منها بما نأكل * فقال الاعمى ويحك قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلا ولست اقدر على ذلك لانني لست ابصرها فما الحيلة في تحصيل ذلك * فبينما هما كذلك اذ اتاهما الناظر على البستان وكان رجلا عالما * فقال له المقعد ويحك يا ناظر انا قد اشتهيت شيأ من هذه الثمار ونحن كما ترى انا مقعد وصاحبي هذا اعمى لايبصر شيأ فما حيلتنا * فقال لهما الناظر ويحكما الستما تعلمان ما قد عاهدكما عليه صاحب البستان من انكما لاتتعرضا لشيء مما يؤثر فيه الفساد فانتهيا ولا تفعلا * فقالا له لابد لنا من ان نصيب من هذه الثمار ما نأكله فاخبرنا بما عندك من الحيلة * فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة في ذلك ان يقوم الاعمى

ويحملك ايها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك اثمارها حتى اذا ادناك منها تجني انت ما اصبت من الثمار * فقام الاعمى وحمل المقعد وجعل المقعد يهديه الى السبيل حتى ادناه الى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما احب * ولم يزل ذلك دأبهما حتى افسدا ما في البستان من الشجر * واذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما ويحكما ما هذه الفعال الم اعاهد كما على ان لاتفسدا في هذا البستان * فقال له قد علمت انتالم نقدر ان نصل الى شيء من الاشياء لان احدنا مقعد لايقوم والآخر اعمى لايبصر ما بين يديه فما ذنبنا * فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان اني لست ادري كيف صنعتما وكيف افسدتما في بستاني * كأني بك ايها الاعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى اوصلته الى الشجر * ثم انه اخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة واخرجهما من البستان * فالاعمى مثال للجسد لانه لايبصر الّا بالنفس * والمقعد مثال للنفس التي لاحركة لها الّا بالجسد * واما البستان فانه مثال للعمل الذي يجازى به العبد * والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهى عن الشر * فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب * قال له شماس صدقت وقد قبلت قولك هذا * فاخبرني ايّ العلماء عندك احمد قال الغلام من كان بالله عالما وينفعه علمه * قال شماس ومَنْ ذلك قال الغلام من يلتمس رضى ربه ويتجنب سخطه * قال فايّهم افضل قال الغلام من كان بالله اعلم * قال شماس فمَنْ اشدهم اختبارا قال من كان على العمل بالعلم صبارا * قال شماس اخبرني مَنْ ارقّهم قلبا قال اكثرهم استعدادا للموت وذكرا واقلهم املا لان من ادخل على نفسه

طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فانه يعرف الحقيقة ولا تزداد المــرآة الا صفاء وبريقا * قال شماس اي الكنوز احسن قال كنوز السماء قال فاي كنوز السماء احسن قال تعظيم الله وتحميده * قال فاي كنوز الارض افضل قال اصطناع المعروف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس لما قال لابن الملك اي كنوز الارض افضل قال له اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا * فاخبرني عن الثلثة المختلفة العلم والرأي والذهن وعن الذي يجمع بينها * قال الغلام انما العلم من التعلم * واما الرأي فانه من التجارب * واما الذهن فانه من التفكــر وثباتهم واجتماعهم في العقل * فمن اجتمعت فيه هذه الثلث خصال كان كاملا ومن جمع اليهن تقوى الله كان مصيبا * قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك * فاخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق هل يغيره الهوى والشهوة عن هذه الحالات التي ذكرت * قال الغلام ان هاتين الخصلتين اذا دخلتا على الرجل غيرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه * وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذرا المقيم في جو السماء لفرط حذقه * فبينما هو كذلك اذ نظر رجلا صيادا قد نصب شركه * فلما فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيه قطعة لحم فعند ذلك ابصر العقاب قطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ماشاهد من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطائر * فانقض من جو

السمـــاء حتى وقع على قطعة اللحم فاشتبك فى الشرك * فلما جاء الصياد رأى العقاب في شركه تعجب عجبـــا شديدا وقال انا نصبت شركي ليقع فيه حمام اونحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب * وقد قيل ان الرجل العاقل اذا حمله الهوى والشهوة على امر يتدبر عاقبة ذلك الامر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه * فاذا حمله الهوى والشهوة على امر ينبغي ان يجعل عقله مثل الفارس المـــاهر في فروسيته اذاركب الفرس الارعن فانه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم و يمضي معه على ما يريد * و اما من كان سفيها لا علم له ولا رأي عنده والا مورمشتبهة عليه و الهوى والشهوة مسلطان عليه فانه يعمل بشهوته و هواه فيكون من الهالكين * ولا يكون في الناس اسوأحالا منه * قال شماس صدقت فيما قلت وقد تبدت ذلك منك * فاخبرني متى يكون العلم نافعا و العقل لوبال الهوى و الشهوة دافعا * قال الغلام اذا صرفهما صاحبهما في طلب الأُخرة لان العقل و العلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما ان يصرفهمـــا في طلب الدنيا الّا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها ويصرفهما في عمل الأٓخرة * قال فاخبرني ما احق ان يلزم الانسان ويشغل به قلبه قال العمل الصالح * قال فاذا فعل الرجل ذلك شغله عن معـــاشه كيف يفعل فى المعيشة التي لا بد له منها * قال الغلام ان نهاره اربعة و عشرون ساعة فينبغي له ان يجعل منها جزوا واحدا في طلب المعيشة وجزوا واحدا للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم * لان الانسان اذا كان عاقلا وليس عنده علـــم فانما هوكالارض المجدبة التي ليس فيها موضع العمل والغرس والنبات * فاذا لم تهيأ للعمل و تغرس

لا ينفع فيها ثمر * و اذا هيئت للعمل وغرست انبتت ثمرا حسنا * كذلك الانسان بغير علم لا نفع به حتى يغرس فيه العلم فاذا غرس فيه العلم اثمر * قال شماس فاخبرني عن العلم بغير عقل ما شانه * قال كعلم البهيمة التي تعلمت اوان مطعمها ومشربها واوان يقظتها ولا عقل لها * قال شماس قد اوجزت في الاجابة عن ذلك ولكن قد قبلت منك هذا الكلام * فاخبرني كيف ينبغي ان اتوقى السلطان * قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلا * قال وكيف استطيع ان لا اجعل له عليّ سبيلا وهو مسلط عليّ وزمام امري بيده * قال الغلام انما سلطانه عليك بحقوقه التى قبلك * فاذا اعطيته حقه فلا سلطان له عليك * قال شماس ما حق الملك على الوزير قال النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم سره * وان لا يخفي عنه شيأ مما هو حقيق بالاطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه عليه * قال شماس فاخبرني ما الذي يفعله الوزير مع الملك * قال الغلام اذا كنت وزيرا للملك واحببت ان تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك * وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده * واحذر ان تنزل نفسك منزلة لم يرك لها اهلا فيكون ذلك منك مثل الجرأة عليه * فاذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها اهلا تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته اليها ويطرح لحومها * فجعل الاسد يأتي الى ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة * فلما كثر تردده الى ذلك المحل استأنس بالصياد والفه * واقبل الصياد يرمي اليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله * فعندما رأى الصياد سكون

الاسد له واستينا سه به وتذلّله اليه قال في نفسه ان هذا الاسد قد خضع اليّ وملكته * وما ارى الّا اني ركبه واسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الاسد وطمع فيه * فلما رأى الاسد ما صنع الصياد غضب غضبا شديدا ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في معاله ثم طرحه تحت قوائمه ومزّقه تمزيقا * فمن ذلك علمت انه ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب مايرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب مايرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه * قال شماس فاخبرني ما الذي يتزين به الوزير عند الملك * قال الغلام اداء الامانة التي فوض اليه امرها من النصيحة وسداد الرأي وتنفيذه لاوامره * قال له شماس اما ما ذكرت من ان حق الملك على الوزير ان يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي رضاه ويهتم بما قلده اياه فانه امر واجب * ولكن اخبرني ما الحيلة اذا كان الملك انما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف * فما حيلة الوزير اذا هو ابتلى بعشرة ذلك الملك الجائر * فانه ان اراد ان يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه فلا يقدر على ذلك * وان هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوا فما تقول في هذا * فاجاب

الغلام قائلا ان ما ذكرت ايها الوزير من الوزر والاثم انمـا هو اذا تابعه على ما ارتكبه من الخطأ * ولكن يجب على الوزير اذا شـاوره الملك في مثل هذا ان يبين له طريق العدل والانصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيـرة في الرعية ويرغبه فيما في ذلك من الثواب ويحذره عما يلزمه من العقاب * فان مال و عطف الى كلامه حصل المراد والّا فلا حيلـة له الّا بمفارقته اياه بطريقة لطيفة لان في المفارقة لكل واحد منهما الراحة * قال الوزيـر فاخبرني ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك * قال الذي يأمرهم به يعملونه بنية خالصة و يطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسوله * وحق الرعية على الملك حفظ اموالهم وصون حريمهم * كما ان للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الانفس دونه و اعطـاؤه و اجب حقه و حسن الثنـاء عليه بمـا اولاهم من عدله واحسانه * قال شماس قد بينت لي ما سألتك عنه من حق الملك والرعية * فاخبرني هل بقي للرعية شيء على الملك غير ما قلت * قال الغلام نعم حق الرعية على الملك اوجب من حق الملك على الرعية * وهو ان ضياع حقهم عليه اضر من ضياع حقه عليهم لانه لايكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمته الّا من ضياع حق الرعية * فمن تولي ملكا يجب عليه ان يلازم ثلثة اشياء * وهي اصلاح الدين * و اصلاح الرعية * واصلاح السياسة * فبملازمة هذه الثلثة يدوم ملكه * قال فاخبرني كيف ينبغي ان يستقيم في اصلاح الرعية * قال باداء حقهم و اقامة سننهم و استعمال العلماء و الحكماء لتعليمهم وانصـاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم و الكف عن امـوالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم * قال فاخبرني ما حق الوزير

على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لاحد من الناس اوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلث خصال * الاولى للذي يصيبه معه عند خطأ الرأي والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي * والثانية ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليه الرعية بعين الاجلال والتوقير وخفض الجناح * والثالثة ان الوزير اذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه * قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك * فاخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسبّ العِرض والافراط في الكلام * قال الغلام ينبغي للانسان ان لايتكلم الاّ بالخير والحسنات ولا ينطق في شان مالا يعنيه * ويترك النميمة ولا ينقل عن احد حديثا سمعه منه لعدوه * ولايطلب لصديقه ولا لعدوه ضررة عند سلطانه * ولايعبأ بمن يرتجي خيره ويتقي شره الاّ الله تعالى لانه هو الضار النافع على الحقيقة * ولا يذكر لاحد عيبا ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والاثم من الله والبغض بين الناس * واعلم ان الكلام مثل السهم اذا نفذ لا يقدر احد على رده * وليحذر ان يودع سره عند من يفشيه فربما يقع في ضرر افشائه بعد ان يكون على ثقة من الكتمان * وان يكون مخفيا لسره عن صديقه اكثر من اخفائه عن عدوه فان كتمان السر عند جميع الناس من اداء الامانة * قال شماس فاخبرني عن حسن الخلق مع الاهل والاقارب * قال الغلام انه لاراحة لبني أدم الاّ بحسن الخلق * ولكن ينبغي ان يصرف لي الاهل ما يستحقونه والى اخوانه ما يجب لهم * قال فاخبرني ما الذي يجب ان يصرفه الى الاهل * قال اما الذي يصرفه للوالدين فخفض

الجناح و حلاوة اللسان ولين الجانب و الاكرام والوقار * واما التي يصرفه للاخوان فالنصيحة وبــذل المال ومساعدتهم على اسبابهم والفرح لفرحهم والاغضاء عن ما يقع منهم من الهفوات * فاذا عرفوا منه ذلك قابلوه باعز ماعندهم من النصيحة و بذلوا الانفس دونه فاذا كنت من اخيك على ثقة فابذل له ودّك وكن مساعدا له على جميع اموره وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبــاح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايهــا الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزيــر شماس عن المسائل المتقدمة وردّ له اجوبتها قال له الوزير شماس اني ارى الاخوان صنفين * اخوان ثقة واخوان معاشرة * اما الاخوان الثقة فانه يجب لهم ما وصفت فاسألك عن غيرهم من اخوان المعاشرة * قال الغلام اما اخوان المعاشرة فانك تصيب منهم لذة و حسن خلــق وحلاوة لفظ و حسن معاشرة فلا تقطع منهم لذاتك * بل ابذل لهم مثل ما يبذلونــه لك و عاملهم بمثل ما يعاملونك به من طلاقة الوجه و عذوبة اللسان فيطيب عيشك و يكون كلامك مقبولا عندهم * قال شماس قد عرفنا هذه الامور كلها فاخبرني عن الارزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس و الحيوان لكل واحد رزق الى تمام اجله * واذا كان الامر كذلك ما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقة في طلب ما عرف انه ان كان مقدرا له فلا بد من حصوله وان لم يرتكب مشقة السعي * و ان لم يكن مقدرا له فلا يتحصل له ولو سعى اليه غاية السعي * فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكلا و لجسده ونفسه مريحا * قال الغلام

انا قد رأينا ان لكل احد رزقا مقسوما واجلا محتوما * ولكن لكل رزق طريق واسباب * فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بد من طلب الرزق * غير انّ الطالب على ضربين * اما ان يصيب واما ان يحرم فراحة المصيب في الحالتين اصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة * وراحة المحروم في ثلث خصال الاستعداد لطلب رزقه * والتنزه عن ان يكون كَلًّا على الناس * والخروج عن عهدة الملامة * قال شماس اخبرني عن باب طلب المعيشة * قال الغلام يستحل الانسان ما احله الله ويحرم ما حرمه الله عز وجل * وانقطع بينهما الكلام لما وصلا الى هذا الحد * ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه وبجلوه وضمه ابوه الى صدره * ثم بعد ذلك اجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذي رزقني ولدا تقرّبه عيناي في حيوتي * ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء ايها العالم صاحب المسائل الروحانية ان لم يكن فتح الله عليّ من العلم الاّ بشيء قليل فاني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما اتيت به جوابا عما سألتني * سواء كنت فيه مصيبا او مخطئا ولعلك صفحت عن خطأه * وانا اريد ان اسألك عن شيء عجز عنه رأيي وضاق منه ذرعي وكلّ عن وصفه لساني لانه اشكل عليّ اشكال الماء الصافي في الاناء الاسود * فاحب منك ان تشرحه لي حتى لا يكون شيء منه مبهما على مثلي فيما يستقبل مثل ابهامه عليّ فيما مضى لان الله كما جعل الحيوة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت الى كلامي * قال شماس ايها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفصيلك الاشياء

و تقسيمك اياها وحسن اصابتك في اجابتك عما سألتك عنه قد علمت انك لست تسألني عن شيء الّا وانت في تأويله اصوب رأيا واصدق مقالا لان الله قد اتاك من العلم ما لم يؤت احدا من الناس * فاخبرني عن هذه الاشياء التي تريدان نسألني عنها * قال الغلام اخبرني عن الخالق جلت قدرته من اي الاشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شيء وليس يرى في هذه الدنيا شيء الّا وهو مخلوق من شيء * والبارئ تبارك وتعالى قادر على ان يخلق الاشياء من لا شيء * ولكن اقتضت ارادته مع كمال القدرة والعظمة انه لم يخلق شيأ الّا من شيء * قال الوزير شماس اما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع لا يقدرون على ابتداء شيء الّا من شيء اذ هم مخلوقون * واما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة * فان شئت ان تعرف قدرته تبارك وتعالى على ايجاد الاشياء فاطل الفكر في اصناف الخلق فانك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وانه قادر على ان يخلق الاشياء من لا شيء * بل اوجدها بعد العدم المحض لان العناصر التي هي مادة الاشياء كانت عدما محضا * وقد اوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه ويبين لك ذلك آية الليل والنهار فانهما يتعاقبان * حتى اذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقرا * واذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرا * واذا اشرقت علينا الشمس لا نعرف اين يطوي نورها * واذا غربت لم نعرف مستقر غروبها * وامثال ذلك من افعال الخالق عز اسمه وجلت قدرته كثير مما يحير افكار الاذكياء من المخاليق * قال الغلام ايها العالم انك عرفتني من قدرة الخالق ما لا يستطاع انكاره * ولكن

اخبرني كيف ايجاده لخلقه قال شماس انمـــا الخلق مخلوقة بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الاشياء * قال الغلام ان الله تعاظم اسمه وارتفعت قدرته انما اراد ايجاد الخلق قبل وجودهم * قال شماس و بارادته خلقهم بكلمته فلولا ان له نطقا واظهـــر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الغلام لما ســـأل شماس عن المسائل المتقدمة اجابه عنها * ثم قال له يا بُنيّ انه لا يخبرك احد من الناس بغير ما قلته الّا بتحـــريف الكلام الوارد فى الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها * ومن ذلك قولك ان الكلمة لها استطاعة اعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا فى الله عز وجل انه خلق الخلق بكلمته معناه انه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه ان كلمة الله لها قدرة * بل القدرة صفة لله كما ان الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شانه وعز سلطـــانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه * فالله جلّ ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق شيأ * وانما خلق الاشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون * قال الغلام قد فهمت من امر الخالق وعزة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك منك بفهم * ولكني ســـمعتك تقول انمـــا خلق الخلق بكلمتـــه الحق والحق ضد الباطل فمن اين عرض الباطل وكيف يمكن عروضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون الى الفصل بينهما وهل الخالق عزوجل

محب لهذا الباطل ام باغض له * فانقلت انه محب للحق وبه خلق خلقه وباعض للباطل * فمن اين دخل هذا الذي يبغضه الخالق علي ما يحبه وهو الحق * قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق ولم يكن الانسان محتاجا الى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به بسبب الاستطاعة التي جعلها الله فى الانسان وهي الارادة والميل المسمى بالكسب * فلما دخل الباطل على الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب ارادة الانسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الانسان * فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق وخلق له العقوبة ان هواقام على ملابسة الباطل * قال الغلام فاخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به وكيف وجبت العقوبه على الانسان حتى احتاج الى التوبة * قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق جعله محبا له ولم يكن له عقوبة ولا توبة * واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التي هي من كمال الانسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل الى الشهوات * فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذي خلق الانسان به وطبع على حبه * فلما صار الانسان الى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصية ومن زاغ عن الحق انما يقع فى الباطل * قال الغلام ان الحق انما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة * قال شماس وهو كذلك لان الله يحب الانسان * ومن زيادة محبته له خلق الانسان محتاجا اليه وذلك هو الحق بعينه * ولكن ربما استرخى الانسان عن ذلك بسبب ميل النفس الى الشهوات ومال الى الخلاف فصار الى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربه فاستوجب العقوبة *

وبازاحة الباطل عنه بتوبته ورجوعه الى محبة الحق استوجب الثواب * قال الغلام اخبرني عن مبدأ المخالفة مع ان الخلق مرجعهم جميعا الى ان وجدبني أدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قربت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبته الثواب او العقاب * ونحن نرى بعض الخلق مقيما على المخالفة ماثلا الى ما لا يحبه مخالفا لمقتضى اصل خلقته من حب الحق مستوجبا لسخط ربه عليه * ونرى بعضهم مقيما على رضى خالقه وطاعته مستوجبا للرحمة والثواب فما سبب الاختلاف الحاصل بينهم * قال شماس ان اول نزول هذه المعصية بالخلق انما كان بسبب ابليس الذي كان اشرف ما خلق الله جل اسمه من الملائكة والانس والجن * وكان مطبوعا على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الامر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الايمان والطاعة لامر خالقه فرده الله دون الخلائق جميعهم واخرجه من المحبة وصير مثواه الى نفسه في المعصية * فحين علم ان الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى أدم وما هو فيه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لأدم عن الحق ليكون مشتركا معه في الباطل فلزم أدم العقوبة لميله الى المعصيه التي زينها له عدوه وانقياده الى هواه حيث خالف وصية ربه بسبب عروض الباطل * ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقدست اسماؤه ضعف الانسان وسرعة ميله الى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل الى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه ابليس وجنوده ويرجع الي الحق الذي هو مطبوع عليه * فلما نظر ابليس ان الله جل ثناؤه

وتقدست اسماؤه قد جعل له املا ممتدا بادر الى الانسان بالمحاربة وادخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكا له في السخط الذي استوجبه هو وجنوده * فجعل الله جل ثناؤه للانسان استطاعة للتوبة وامره ان يلزم الحق ويداوم عليه و نهاه عن المعصية والخلاف * وألهمه ان له على الارض عدوا محاربا لا يفتر عنه ليله ولا نهاره * فبذلك استحق الانسان ثوابا ان لازم الحق الذي جبلت طبيعته على حبه * وعقابا ان غلبته نفسه ومالت به الى الشهوات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة واجابه عنها قال له بعد ذلك اخبرني باي قوة استطاع الخلق ان يخالفوا خالقهم وهو في غاية العظمة كما وصفت مع انه لا يقهره شيء ولا يخرج عن ارادته * الا ترى انه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائما * قال شماس ان الله تعالى جل اسمه عادل منصف رؤف باهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطاعة والقدرة على فعل ما ارادوا من الخير * فان عملوا بخلاف ذلك صاروا في الهلاك والمعصية * قال الغلام اذا كان الخالق هو الذي منحهم الاستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما ارادوا فلاي شيء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردهم الى الحق * قال شماس ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لانه كما سبق منه لابليس السخط ولم يرحمه * كذلك سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه * قال

الغلام هذا هو الحق بعينه لانه هو المجازي لكل احد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة على كل شيء * ثم قال الغلام هل خلق الله ما يحب وما لا يحب او انما خلق ما يحب لا غيره * قال شماس قد خلق كل شيء ولم يرض الّا ما يحب * قال الغلام ما بال هذين الشيئين احدهما يرضى الله ويوجب الثواب بصاحبه * والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه * قال شماس بيّن لي هذين الامرين وفهمني اياهما حتى اتكلم في شانهما * قال الغلام هما الخير والشر المركبان في الجسم والروح * قال شماس ايها العاقل اراك قد علمت ان الخير والشر من الاعمال التي يعملها الجسد والروح فسمي الخير منهما خيرا لكونه فيه رضى الله * وسمي الشر شرا لكونه فيه سخط الله * وقد وجب عليك ان تعرف الله وترضيه بفعل الخير لانه امرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر * قال الغلام اني ارى هذين الشيئين اعني الخير والشر انما يعملهما الحواس الخمس المعروفة في جسد الانسان وهي محل الذوق الناشئ عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس فاحب ان تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعا ام للشر * قال شماس افهم ايها الانسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك واشربها قلبك * وهو ان الحق تبارك وتعالى خلق الانسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق الّا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث * ولا ينسب تبارك وتعالى الّا الى الحكم بالعدل والانصاف والاحسان * وقد خلق الانسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل الى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سببا للنعيم او الجحيم * قال

الغلام وكيف ذلك * قال شماس لانــه خلق اللسان للنطق و اليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والاذنين للسماع * وقد اعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على العمل والحركة * وامر كل واحدة منها ان لا تعمل الاّ برضاه * والذي يرضيه من النطق الصدق * و ترك ما هو ضده الذي هو الكذب * و مما يرضيه من البصر صرف النظر الى ما يحبه الله * و ترك ضده وهو صرف النظر الى ما يكرهه الله كالنظر الى الشهوات * ومما يرضيه من السمع ان لا يستمع الاّ الى الحق كالموعظة وما في كتب الله * و ترك ضده وهو ان يسمع الى ما يوجب سخط الله * و مما يرضيه من اليدين ان لا يقبضا ما خولهما الله بل يصرفاه على وجه يرضيه * و ترك ضده وهو الامساك اوصرف ما خولهما الله في معصية * و مما يرضيه من الرجلين ان يكون سعيهما فى الخير كقصد التعليم * و ترك ضده وهو ان يمشيا في غير سبيل الله * وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الانسان فانه يصدر من الجسد بامر الروح * ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان * شهوة التناسل و شهوة البطن * فالذي يرضى الله من شهوة التناسل انها لا تكون الاّ حلالا * و سخطه ان تكون حراما * و اما شهوة البطن الاكل و الشرب * والذي يرضي الله من ذلك ان لا يتعاطى منه كل احد الاّ ما احله الله له قليلا كان اوكثيرا ويحمد الله ويشكره * والذي يغضب الله منه ان يتناول ما ليس له بحق * وما سوى ذلك من هذه الاحكام باطل * وقد علمت ان الله خلق كل شيء ولا يرضى الاّ بالخير * وامر كل عضو من اعضاء الجسد ان يفعل ما اوجبه عليه لانه هو العليم الحكيم * قال الغلام فاخبرني هل سبق في علـــم الله جلت قدرته ان آدم سبب للأ كل من

الشجرة التى نهاه الله عنها حتى كان من امره ما كان وبذلك خرج من الطاعة الى المعصية * قال شماس نعم ايها العالم قد سبق ذلك فى علم الله تعالى قبل ان يخلق أدم * وبيان ذلك ودليله ما تقدم له من التحذير عن الاكل واعلامه بانه اذا اكل منها يكون عاصيا * وذلك من طريق العدل والانصاف لئلا يكون لأدم حجة يحتج بها على ربه * فلما ان سقط فى الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده * فبعث الله تعالى الانبياء والرسل واعطاهم كتبا فاعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والاحكام وفصلوه لنا واوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب ان نفعله وما يجب ان نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة * فمن عمل بهذه الحدود قد اصاب وربح * ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا فقد خالف وخسر فى الدارين وهذه سبيل الخير والشر * فقد علمت ان الله قادر على جميع الاشياء وما خلق الشهوات لنا الّا برضائه وارادته * وامرنا ان نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيرا * واذا استعملناها على وجه الحرام فانها تكون لنا شرا * فما اصابنا من حسنة فمن الله تعالى * وما اصابنا من سيئة فمن انفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماس عن هذه المسائل وردّ له اجوبتها قال له ما وصفته لي مما ينسب الى الله تعالى ومما ينسب الى خلقه قد فهمته

فاخبرني عن هذا الامر الذي حير عقلي فرط التعجب منـــه فاني عجبت من وُلْدِ بني أدم وغفلتهم عن الآخـــرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا * وقد علموا انهم يتركونها و يخرجون منها و هم صاغرون * قال شماس نعم فان الذي تراه من تغيرها و غدرها باهلها دليل انه لايدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه * فليس يأ من صاحبها تغيرها وانكان قادرا عليها ومغتبطا بها فلابد ان يتغير حاله و يسرع اليه الانتقال و ليس الانسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها * و حيث عرفنا ذلك عرفنا ان اسوأ الناس حالا من اغترّ بها و سها عن الآخرة * وان ذلك النعيم الذي قد اصابه لايعادل ذلك الخوف و المشقة و الا هوال التي تحصل له بعد الانتقال منها * وعلمنا انه لوكان العبد يعلم ما يصيبه عند حضورالموت وفراقه ما هو فيه من اللذات و النعيم لكان رفض الدنيا و ما فيها * وتيقنــــا ان الآخرة خيرلنا وانفع * قال الغلام ايها العالم قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي بمصباحك المضيء وارشدتني الى السبل التي سلكتها من اتباع الحق واعطيتني سراجا انظربه * فعند ذلك قام احـــد الحكماء الذي كانوا بالحضرة و قال انه اذا كان زمان الربيع فلابد ان يطلب الارنب مع الفيل مرعى * وقد سمعت منكما اشياء من المسائل و التفاسير مالم ار أني اسمعه ابدا * فدعاني ذلك الى ان اسألكما عن شيء فاخبراني ما خير مواهب الدنيا * قال الغلام صحة الجسم * ورزق حلال * وولد صالح * قال فاخبراني ما الكبير وما الصغير * قال الغلام اما الكبير فهو ما صبر له اصغر منه * واما الصغير فهوما صبر لاكبر منه * قال فاخبراني ما الاربعة اشياء التي تجتمع الخلائق فيها * قال الغلام تجتمع الخلائق في الطعام

و الشراب * و لذة النوم * و شهوة النساء * و في سكرات الموت * قال فما الثلثة اشياء التي لايقدر احد على تنحية القباحة عنها * قال الغلام الحماقة * وخسة الطبع * و الكذب * قال فاي الكذب احسن مع انه كله قبيح * قال الغلام الكذب الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجر نفعا * قال واي الصدق قبيح وان كان كله حسنا * قال الغلام كبر الانسان بما عنده واعجابه * قال وما اقبح القبيح * قال الغلام اذا اعجب الانسان بما ليس عنده * قال فاي الرجال احمق * قال الغلام من كان ليس له همة الّا في شيء يضعه في بطنه * قال شماس ايها الملك انت ملكنا ولكن نحب ان تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية * فعند ذلك حثّ الملك من حضر من العلماء والناس على ان ما سمعوه منه يحفظونه و يعملون به * و امرهم ان يمتثلوا امرابنه فانه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده *

اخذ العهــــد على جميع اهل مملكته من العلماء و الشجعــــان و الشيوخ و الصبيان و بقية الناس ان لايخالفوا عليه ولا ينكثــــوا عليه امره * فلما اتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضا شديدا حتى اشرف على الموت * فلما ايقن الملك ان الموت قد نزل به قال لاهله هذا داء الموت قد نزل بي * فادعوا لي اقاربي و ولدي واجمعوا لي اهل مملكتي حتى لايبقى منهم احــــد الّا ويحضر * فخرجوا ونادوا الناس القريبين واجهروا با لنداء للناس البعيدين حتى حضروا با جمعهم و دخلوا على الملك * ثم قالوا له كيف انت ايها الملك وكيف ترى لنفسك من مرضك هذا * قال لهم الملك ان مرضي هذا هو الذي فيه القاضية وقد نفذ السهم بما قدره الله تعالى عليّ و انا الأن في أخــر يوم من ايام الدنيا

واول يوم من ايام الأُخرة * ثم قال لابنه ادن مني فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديدا حتى كادان يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر * ثم قال الملك لولده لانبك يا ابني فاني لست باول من جرى له هذا المحتوم لانه سائر على جميع ما خلقه الله * فاتق الله واعمل خيرا يسبقك الى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق * ولاتطع الهوى واشغل نفسك بذكرالله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك * واجعل الحق نصب عينك وهذا أُخر كلامي معك والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك جليعاد لما اوصى ولده بهذه الوصية وعهد له بالملك من بعده قال الغلام لابيه قد علمت يا ابت اني لم ازل لك مطيعـــا ولوصيتك حافظا ولامرك منفذا ولرضاك طالبا وانت لي نعم الاب فكيف اخرج بعد موتك عما ترضى به * وانت بعد حسن تربيتي مفارق لي ولا اقدر على ردّك عليّ * فاذا حفظت وصيتك صرت بها سعيدا وصارلي النصيب الاكبر * فقال له الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت يا بُنَيّ الزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والأُخرة * وهن اذا اغتظت فاكظم غيظك * واذا بليت فاصبر * واذا نطقت فاصدق * واذا وعدت فاوف * واذا حكمت فاعدل * واذا قدرت فاعف * واكرم قوّادك * واصفح عن اعدائك * وابذل معروفك لعدوك * وكف اذاك عنه * والزم ايضا عشر خصال اخرى ينفعك الله بها في اهل مملكتك * وهي اذا قسمت فاعدل * واذا عاقبت بحق فلا تجير * واذا عاهدت فاوف بعهدك *

واقبل النصح * واترك اللجاجة * والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة * وكن حاكما عادلا بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم * ثم قال للحاضرين من العلماء والامراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده * اياكم ومخالفة امر ملككم وترك الاستماع لكبيركم فان في ذلك هلاكا لارضكم وتفريقا لجمعكم وضررا لابدانكم وتلفا لاموالكم فتشمت بكم اعداؤكم وها انتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام * والميثاق الذي بيني وبينكم يكون ايضا بينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لامره لان في ذلك صلاح احوالكم * واثبتوا معه على ماكنتم معي فتستقيم اموركم وبحسن حالكم وها هو ذاملككم وولي نعمتكم والسلام * ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتجم لسانه فضم ابنه اليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته واهل مملكته * ثم انهم كفنوه ودفنوه باكرام وتبجيل واعظام * ثم رجعوا والغلام معهم فالبسوه حلة الملك وتوّجوه بتاج والده والبسوه الخاتم في اصبعه واجلسوه على سرير الملك * فسار الغلام فيهم بسيرة ابيه من الحلم والعدل والاحسان مدة يسيرة * ثم تعرضت له الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها واقبل على زخارف امورها وترك ماكان قلده ابوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده واهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء الّا ويرسل اليها ويتزوج بها * فجمع من النساء عددا اكثر مما جمع سليمان بن داوُد ملك بني اسرائيل * وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلي بهن شهرا كاملا لا يخرج

من عندهن * ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو اليه من رعيته واذا كاتبوه فلا يرد لهم جوابا * فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر في امورهم واهماله لامور دولته وامور رعيته تحققوا انهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم واقبل بعضهم على بعض يتلاومون * فقال بعضهم لبعض امشوا بنا الى شماس كبير وزرائه نقص عليه امرنا ونعرفه ما يكون من امر هذا الملك لينصحه والّا فعن قليل يحل بنا البلاء * فان هذا الملك قد ادهشته الدنيا بلذاتها وختنته باشطانها * فقاموا وأتوا شماس وقالوا له ايها العالم الحكيم ان هذا الملك قد ادهشته الدنيا بلذاتها وختنته باشطانها فاقبل على الباطل وسعى في فساد مملكته * وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير امرنا الى الهلاك * وسببه اننا نمكث شهرا واياما لانراه ولايبرز الينا من عنده امر لا للوزير ولا لغيره * ولا يمكن ان ترتفع اليه حاجة ولا ينظر فى حكومة ولا يتعهد حال احد من رعيته لغفلته عنهم * وانما قد اتيناك لنخبرك بحقيقة الامور لانك اكبرنا واكمل منا * وليس بنبغي ان يكون بلاء فى ارض انت مقيم بها لانك اقدر احد على اصلاح هذا الملك * فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع الى الله * فقام شماس ومضى الى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول اليه * وقال له ايها الولد الجيد اسألك ان تستأذن لي فى الدخول للملك لان عندي امرا اريد ان انظر وجهه واخبره به واسمع ما يجيبني به عنه * فاجاب الغلام قائلا والله يا سيدي من منذ شهر لم يأذن لاحد في الدخول عليه ولا انا فطول هذه المدة ما رأيت له وجها * ولكن ادلّك على من بستأذنه لك وهو

انك تتعلق بالوصيف العلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ * فاذا خرج الى المطبخ ليأخذ الطعام اسأله عما بدالك فانه يفعل لك ما تريد * فانطلق شماس الى باب المطبخ وجلس قليلا واذا بالوصيف قد اقبل واراد الدخول فى المطبخ * فكلمه شماس قائلا له يا بنيّ احب ان اجتمع بالملك لاخبره بكلام يخصه * فمن فضلك اذا فرغ من غدائه وطابت نفسه ان تكلمه لي وتأخذ لي منه اذنا بالدخول عليه لكي اكلمه بما يليق به * فقال الوصيف سمعا وطاعة * فلما اخذ الوصيف الطعام وتوجه به الى الملك واكل منه وطابت نفسه قال له الوصيف ان شماس واقف بالباب يريد منك الاذن فى الدخول عليك ليعلمك بامور تختص بك * ففزع الملك وارتاب من ذلك وامر الوصيف بادخاله عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما امر الوصيف بادخال شماس عليه خرج الوصيف الى شماس ودعاه الى الدخول * فلما دخل على الملك خرّ لله ساجدا وقبل يدي الملك ودعا له * فقال الملك ما اصابك يا شماس حتى طلبت الدخول عليّ * فقال ان لي مدة لم اروجه سيدي الملك وقد اشتقت اليك كثيرا فها انا شاهدت طلعتك وجئت اليك بكلام اذكره لك ايها الملك المؤيد بكل نعمة * فقال له قل ما بدالك فقال شماس اعلم ايها الملك ان الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه احدا من الملوك قبلك * وان الله تمم لك ذلك بالملك وان الله

يجب انك لا تخرج عما خولك اياه الى غيره بسبب عصيانك له * فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي ان تكون لوصاياه حافظا ولاموره طائعا * لاني قد رأيتك منذ ايام قلائل نسيت اباك ووصيته ورفضت عهده واضعت نصحه وكلامه وزهدت عدله واحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تقيدها بشكره * قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه انك تركت تعهد امور مملكتك وما قلدك الله اياه من امور رعيتك * واقبلت على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا * وقد قيل ان اصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك ان يحافظ عليه * والرأي عندي ايها الملك ان تحسن النظر في عاقبتك فانك تجد السبيل الواضح الذي فيه النجاة * ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة الى ورطة الهلاك فيصيبك ما اصاب صياد السمك * فقال له الملك وكيف كان ذلك * قال شماس قد بلغني ان صيادا قد اتى الى نهر ليصطاد منه على عادته * فلما وصل الى النهر ومشى على الجسر ابصر سمكة عظيمة * فقال في نفسه ليس لي حاجة بالمقام ههنا فانا امشي واتبع هذه السمكة الى حيث تذهب حتى أخذها وهي تغنيني عن الصيد مدة ايام * فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة فاخذه جريان الماء الى ان ظفر بالسمكة وقبض عليها * ثم التفت فوجد نفسه بعيدا عن الشاطئ * فلما رأى ما قد صنع به جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيديه وترك جسده سابحا مع جريان الماء * فما زال يسحبه الماء الى ان رماه في وسط دوامة لا يدخلها احد ويخلص منها * فصار يصيح ويقول انقذوا الغريق فاتاه ناس من الحفظين على البحر وقالوا له ما شأنك وما دهاك حتى

القيت نفسك في هذا الخطر العظيم * فقال لهم انا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة واقبلت على الهوى و الهلكة * فقالوا يا هذا كيف تركت سبيل النجاة وادخلت نفسك في هذه الهلكة * وانت تعرف من قديم انه ما دخل ها هنا احد و سلم * فما الذي منعك عن رمي ما في يدك و نجاة نفسك فكنت تنقذ روحك و لا تقع في هذا الهلاك الذي لانجاة منه * والآن ليس احد منا ينقذك من هذه الهلكة * فقطع الرجل الرجاء من حيوته وفقد ماكان بيده مما حملته نفسه عليه وهلك هلاكا عظيما * وماضربت لك ايها الملك هذا المثل الا لاجل ان تدع هذا الامر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك * وتنظر فيما انت متقلده من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى احد فيك عيبا * قال الملك فما الذي تأمرني به قال شماس اذا كان في غد وانت بخير وعافية فائذن للناس بالدخول عليك وانظر في احوالهم واعتذر اليهم * ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة * فقال الملك يا شماس انك تكلمت بالصواب و اني فاعل ما نصحتني به في غد ان شاء الله تعالى * فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ما ذكره له * فلما اصبح الصباح خرج الملك من حجابه واذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر اليهم و وعدهم انه يصنع لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وصار كل واحد الى منزله * ثم ان بعض نساء الملك وكانت احبهن اليه و اكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغير اللون متفكرا في اموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه * فقالت له مالي اراك ايها الملك قلق النفس هل تشتكي شيأ * فقال لها لا وانما استغرقتني اللذات عن شؤني فمالي ولهذه الغفلة عن احوالي وعن احوال رعيتي * وان استمريت على ذلك فعن

قليل يخرج ملكي عن يدي * فاجابته قائلة اني اراك ايها الملك مع عمالك ووزراءك مغشوشا فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك حتى لاتحصل لك من ملكك هذه اللذة ولاتغنم نعيما ولا راحة * بل يريدون ان تقضي عمرك في اندفاع المشقة عنهم حتى ان عمرك يفني بالنصب والتعب * وتكون مثل الذي قتل نفسه لاصلاح غيره * اوتكون مثل الفتى واللصوص * فقال الملك وكيف كان ذلك * قالت ذكروا ان سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان * واذاهم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يافتى هل لك ان تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزا * فاجابهم الفتى الى ذلك ودخل معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفتى لما اجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض انظروا الى اخفّنا واصغرنا فاصعدوه * فقالوا ما نرى فينا الطف من هذا الفتى * فلما اصعدوه قالوا يافتى لاتلمس من الشجرة شيأ لئلا يراك احد فيؤذيك * فقال الفتى وكيف افعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكا قويا حتى يتناثر ما فيه فنلتقطه * واذا فرغ ما فيها ونزلت الينا فخذ نصيبك مما التقطناه * فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرّك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه * فبينماهم كذلك واذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال * فقال لهم

ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيأ غير اننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا انه صاحبها فطلبنا منه ان يطعمنا منها فهز بعض الاغصان حتى انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول انت * فقال كذب هؤلاء ولكن انا اقول لك الحق وهو اننا اتينا جميعا الى هنا فامروني بالصعود على هذه الشجرة لاهزّ الاغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت امرهم * فقال صاحب الشجرة لقد القيت نفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت بأكل شيء منها * فقال الغلام ما اكلت منها شيأ * فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو انك سعيت في تلف نفسك لاصلاح غيرك * ثم قال للصوص مالي عليكم سبيل امضوا الى حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه * وهكذا وزراؤك واهل دولتك يريدون ان يهلكوك لاصلاح امرهم ويفعلون بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى * فقال الملك حقا ما قلته ولقد صدقت في خبرك فانا لا اخرج اليهم ولا اترك لذاتي * ثم بات مع زوجته في ارغد عيش الى ان اصبح الصباح * فلما اصبح الصباح قام الوزير وجمع ارباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية * ثم جاؤا الى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج اليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه * فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس ايها الوزير الفاضل والحكيم الكامل اما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع الى ذنوبه الكذب * فانظر وعده لك كيف اخلفه ولم يوف بما وعد وهذا ذنب يجب ان تضيفه الى ذنوبه * ولكن نرجو ان تدخل اليه ثانيا وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه عن الخروج فانا غير

منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الامر فانه بلغ غاية القساوة * ثم ان شماس توجه اليه ودخل عليه وقال السلام عليك ايها الملك ما لي اراك قد اقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الامر الكبير الذي ينبغي الاعتناء به * وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطوعلى لبنها فالهاه حسن لبنها عن ضبط زمامها * فاقبل يوما على حلبها ولم يعتن بزمامها * فلما احست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء * فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع ان ضررما لقيه اكثر من نفعه * فانظر ايها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فانه ليس ينبغي للرجل ان يديم الجلوس على باب المطبخ من اجل حاجته الى الطعام * ولا ينبغي له ان يكثر الجلوس مع النساء من اجل ميله اليهن * وكما ان الرجل يبتغي من الطعام مايدفع الم الجوع ومن الشراب ما يدفع الم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل ان يكتفي من هذه الاربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته * ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن اكثر من ساعتين * فان ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه لانهن لا يامرن بخير ولا يرشدن اليه * ولا ينبغي ان يقبل منهن قولا ولا فعلا * وقد بلغني ان ناسا كثيرة هلكوا بسبب نسائهم * فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه اطاعها فيما امرته * فقال الملك وكيف كان ذلك * قال شماس زعموا ان رجلا كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده فكان يسمع قولها ويعمل برأيها * وكان له بستان غرسه بيده جديدا * فكان يأتي اليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه * فقالت له زوجته يوما من الايام اي شيء غرست

في بستانك * فقال لها كل ما تحبينه وتريدينه وها انا مجتهد في اصلاحه وسقيه * فقالت له هل لك ان تأخذني وتفرجني فيه حتى اراه وادعو لك دعوة صالحة فان دعائي مستجاب * فقال نعم امهليني حتى آتي اليك في غد وآخذك * فلما اصبح الرجل اخذ زوجته معه وتوجه بها الى البستان ودخلا فيه وفي حال دخولهما نظر اليهما اثنان من الشباب على بعد * فقال بعضهما لبعض ان هذا الرجل زان وان هذه المرأة زانية * وما دخلا هذا البستان الّا ليزنيا فيه فتبعاهما لينظرا ما يكون من امرهما * فاما الشابان فانهما وقفا على جانب البستان * واما الرجل وزوجته فانهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعي لي الدعوة التي وعدتني بها * فقالت لا ادعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال * فقال لها ويحك ايتها المرأة اما ما كان مني في البيت كفاية وها هنا اخاف على نفسي من الفضيحة وربما اشغلتني عن مصالحي * اما تخافين ان يرانا احد * قالت فلا نبالي من ذلك لاننا لم نرتكب فاحشة ولا حراما * واما سقي هذا البستان ففيه مهلة وانت قادر على سقيه في اي وقت اردت ولم تقبل منه عذرا ولا حجة والحت عليه في طلب النكاح * فعند ذلك قام ونام معها فعند ما ابصرهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وامسكاهما وقالا لهما لانطلقكما لانكما من الزناة وان لم نواقع المرأة نرفع امركما * فقال لهما الرجل ويحكما ان هذه زوجتي وانا صاحب البستان * فما سمعا له كلاما بل نهضا على المرأة * فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لاتدع الرجال يفضحونني * فاقبل نحوهما وهو

يستغيث فرجع اليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله * واتيا المرأة وفضحاها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان الى المرأة وفضحاها * وانما قلنا لك هذا ايها الملك لتعلم انه ليس ينبغي للرجل ان يسمع من امرأة كلاما ولا يطيعها في امر ولا يقبل لها رأيا في مشورة * فاياك ان تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم * او تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع * فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها الى الفساد ومآلها الى الخسران الزائد الشديد * فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له انا في غد اخرج اليهم ان شاء الله تعالى * فخرج شماس الى الحاضرين من كبراء المملكة واعلمهم بما قال الملك * فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له انما الرعية عبيد للملك * والآن رأيت انك ايها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم * وهم انما يريدون ان يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفا تهاونوا بك * وان وجدوك شجاعا هابوك * وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لان حيلهم كثيرة * وقد اوضحت لك حقيقة كيدهم * فان وافقتهم على ما يريدون اخرجوك من امرك الى مرادهم * ولم يزالوا ينقلونك من امر الى امر حتى يوقعوك في الهلكة * ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص * فقال الملك وكيف كان ذلك * قالت بلغني انه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض

المدن * فلما انتهى الى مدينة اكترى له بها منزلا ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم * فانطلقوا الى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلا الى ذلك * فقال لهم رئيسهم انا اكفيكم امره * ثم انه انطلق فلبس ثياب الاطباء وجعل على عاتقه جرابا فيه شيء من الدواء واقبل ينادي من يحتاج الى طبيب حتى وصل الى منزل ذلك التاجر فرآه جالسا على غدائه * فقال له اتريد لك طبيبا فقال له لست محتاجا الى طبيب * ولكن اقعد وكل معي فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيد الاكل * فقال اللص في نفسه لقد وجدت فرصتي * ثم التفت الى التاجر وقال له لقد وجب عليّ نصيحتك لما حصل لي من احسانك * وليس يمكن ان اخفي عليك نصيحة * وهو اني اراك رجلا كثير الاكل وهذا سببه مرض في معدتك * فان لم تبادر بالسعي على دوائك والّا آل امرك الى الهلاك * فقال التاجر ان جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم وان كنت جيد الاكل فليس ببدني مرض ولله الحمد والشكر * فقال له اللص انما ذلك بحسب ما يظهر لك والّا فقد عرفت ان في باطنك مرضا خفيا فان انت اطعتني فداو نفسك * فقال التاجر واين اجد من يعرف دوائي فقال له اللص انما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر امكانه * فقال له التاجر ارني الآن دوائي واعطني منه شيأ فاعطاه سفوفا فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا في هذه الليلة فاخذه منه * ولما كان الليل تعاطى منه شيأ فرآه صبرا كريه الطعم فلم ينكر منه شيأ * فلما تعاطاه وجد منه

خفة في تلك الليلة * فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء فيه صبر اكثر من الاول فاعطاه منه شيأ * فلما تعاطاه اسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره * فلما رأى اللص ان التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق انه لا يخالفه انطلق وجاءه بدواء قاتل واعطاه له فاخذه منه التاجر وشربه فعند ما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت امعاؤه واصبح ميتا * فقام اللصوص واخذوا جميع ما كان للتاجر * واني ايها الملك ما قلت لك هذا الا لاجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاما فتلحقك امور تهلك بها نفسك * فقال الملك صدقت فانا لا اخرج اليهم * فلما اصبح الصباح اجتمع الناس وجاؤا الى باب الملك وقعدوا اكثر النهار حتى يئسوا من خروجه * ثم رجعوا الى شماس وقالوا له ايها الفيلسوف الحكيم والماهر العليم اما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد الا كذبا علينا * وان اخراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك احوالنا وتستقيم امورنا * ولكن ادخل اليه ثالثا واعلمه انه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه الا احسان والده الينا وما اخذه علينا من العهود والمواثيق * ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن * فان خرج الينا وصنع لنا ما نحب فلا باس والا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره * فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له ايها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه بنفسك * فياهل ترى من يغريك على هذا * فان كنت انت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة * فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم

الى الجهل و من الوفا الى الجفاء ومن اللين الى القسوة و من قبولك مني الى اعراضك عني * فكيف انصحك ثلث مرات ولا تقبل نصيحتي واشير عليك بالصواب و تخالف مشورتي فاخبرني ما هذه الغفلة و ما هذا اللهو و من اغراك عليه * اعلم ان هل مملكتك قد تواعدوا على انهم يدخلون عليك ويقتلونك و يعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم و النجاة من ايديهم * اوتقدر على حيوة نفسك بعد قتلها * فان كنت اعطيت هذا كله امنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي * وان كانت حاجتك الى الدنيا و الملك فافق لنفسك و اضبط ملكك واظهر للناس قوة باسك و اعلمهم باعذارك فانهم يريدون انتزاع ما في يدك و تسليمه الى غيرك وقد عزموا على العصيان و المخالفة * و صار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات فان الحجارة اذا طال مكثها فى الماء متى اخرجت منه و ضرب بعضها بعضا انقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير و هم يتوازرون عليك ويريدون نقل الملك منك الى غيرك ويبلغون فيك ما يريدونه من هلاكك * ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك * ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب * فقال الملك وكيف كان ذلك * قال زعموا ان جماعة من الثعالب

الثعالب والذئب

خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون في طلب ذلك واذاهم بجمل ميت * فقالوا في انفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمانا طويلا ولكن نخاف ان يبغي بعضنا على بعض و يميل القويّ بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغي لنا ان نطلب حكما يحكم بيننا ونجعل له نصيبا فلا يكون للقوي سلاطة على الضعيف * فبينما هم يتشاورون في شان ذلك و اذا بذئب اقبل عليهم فقال بعضهم لبعض ان اصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا لانه اقوى الناس * وابوه سابقا كان سلطانا علينا ونحن نرجو من الله ان يعدل بيننا * ثم انهم توجهوا اليه واخبروه بما صار اليه رأيهم وقالوا لقد حكمناك بيننا لاجل ان تعطي كل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغي قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضا * فاجابهم الذئب الى قولهم وتعاطي امورهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم * فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه ان قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود عليّ منها شيء الّا الجزء الذي جعلوه لي * وان اكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضرا مع انهم غنم لي و لاهل بيتي فمن الذي يمنعني عن اخذ هذا لنفسي ولعل الله مسببه لي بغير جميلة منهم * فالاحسن لي ان اختص به دونهم * ومن هذا الوقت لا اعطيهم شيأ * فلما اصبح الثعالب جاؤا اليه على العادة يطلبون منه قوتهم * فقالوا له يا ابا سرحان اعطنا مؤنة يومنا فاجابهم قائلا ما بقي عندي شيء اعطيه لكم * فذهبوا من عنده على اسوأ حال * ثم قالوا ان الله اوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه * وليس لنا

حول ولا قوة * ثم قال بعضهم لبعض انما حمله على هذا الامر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب اليه * فلما اصبحوا توجهوا اليه وقالوا له يا ابا سرحان انما وليناك علينا لاجل ان تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوي * واذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائما تحت كنفك ورعايتك وقد مسّنا الجوع ولنا يومان ما اكلنا فاعطنا مؤنتنا وانت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك * فلم يردّ عليهمْ جوابا بل ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع * فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة الّا اننا ننطلق الى الاسد ونرمي انفسنا عليه ونجعل له الجمل * فان احسن لنا بشيءٍ منه كان من فضله والّا فهو احق به من هذا الخبيث * ثم انطلقوا الى الاسد واخبروه بما حصل لهم مع الذئب * ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيدا * فلما سمع الاسد كلام الثعالب اخذته الحمية وغار لله تعالى ومضى معهم الى الذئب * فلما رأى الذئب الاسد مقبلا طلب الفرار من قدامه فجرى الاسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعا ومكّن الثعالب من فريستهم * فمن هذا عرفنا انه لا ينبغي لاحد من الملوك ان يتهاون في امر رعيته فاقبل نصيحتي وصدّق القول الذي قلته لك * واعلم ان اباك قبل وفاته قد اوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام * فقال الملك اني سامع منك وفي غد ان شاء الله تعالى اطلع اليهم * فخرج شماس من عنده واخبرهم بان الملك قبل نصيحته ووعده انه في غد يخرج اليهم * فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام

مقولا عن شماس وتحققت انه لا بد من خروج الملك الى الرعية اقبلت على الملك مسرعة و قالت له ما اكثر تعجبي من اذعانك وطاعتك لعبيدك * اما تعلم ان وزراءك هؤلاء عبيد لك فلاي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى او همتهم انهم هم الذين اعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة * وانهم اعطوك العطايا مع انهم لم يقدروا ان يفعلوا معك ادنى مكروه * فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك و تنفيذ امورك فكيف تكون مرعوبا منهم هذا الرعب العظيم * وقد قيل اذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح ان تكون ملكا * وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع انه ينبغي ان يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد اليك * فان انت سارعت لقبول كلامهم واهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم ادنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك و تصير لهم هذه عادة * فان اطعتني لا ترفع لاحد منهم شانا ولا تقبل لاحد منهم كلاما ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي و اللص * فقال لها الملك وكيف كان ذلك * قالت زعموا انه كان رجل راعي غنم في برية وكان محافظا على رعايتهم فاتاه لص ذات ليلة يريد ان يسرق من غنمه شيأ فرآه محافظا عليهم لا ينام ليلا ولا يغفل نهارا فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء * فلما اعيته الحيلة انطلق الى البرية واصطاد اسدا وسلخ جلده وحشاه تبنا * ثم اتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي ويتحققه * ثم اقبل اللص على الراعي وقال له ان هذا الاسد قد ارسلني اليك يطلب عشاءه من هذه الغنم * فقال له الراعي واين الاسد

فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعي رأسه فرأى صورة الاسد * فلما رآها ظن انها اسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الراعي لما رأى صورة الاسد ظن انها اسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا واخذه الرعب وقال للص يا اخي خذ ما شئت ليس عندي مخالفة * فاخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدة خوفه * فصار كل قليل يأتي اليه ويرعبه ويقول له ان الاسد يحتاج الى كذا وقصده ان يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته * ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى افنى غالب الغنم * وانما قلت لك هذا الكلام ايها الملك لئلا يغتر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك * والرأي السديد ان يكون موتهم اقرب مما يفعلونه بك * فقبل الملك قولها وقال اني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعا لمشورتهم ولا خارجا اليهم * فلما اصبح الصباح اجتمع الوزراء واكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه * وتوجهوا الى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره * فلما وصلوا الى بيت الملك سألوا البواب ان يفتح لهم الباب فلم يفتح لهم فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا * فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة واعلم الملك ان الخلق مجتمعون على الباب * وقال له انهم سألوني ان افتح لهم فابيت فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا عليك

ويقتلوك فما ذا تأمرني * فقال الملك في نفسه اني وقعت في الهلكة العظيمة ثم ارسل خلف المرأة فحضرت فقال ان شماس لم يخبرني بشيء الا وقد وجدته صحيحا وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلكم * ولما لم يفتح لهم الابواب ارسلوا ليحضروا النار يحرقون الابواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا * فقالت له المرأة لابأس عليك ولا يهولنك امرهم فان هذا زمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم * فقال لها الملك فما تشيرين به علي لافعله وما الحيلة في هذا الامر * فقالت له الرأي عندي انك تعصب رأسك بعصابة وتظهر نفسك انك مريض * ثم ترسل الى الوزير شماس فيحضر اليك ويرى حالك الذي انت فيه * فاذا حضر فقل له قد اردت الخروج الى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض فاخرج الى الناس واخبرهم بما انا فيه * واخبرهم اني في غد اخرج اليهم واقضي حوائجهم وانظر في احوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم * واذا اصبحت فاستدع بعشرة من عبيد ابيك يكونون من اهل البأس والقوة وتكون أمنا على نفسك منهم * ويكونون سامعين لقولك طائعين لامرك كاتمين لسرك حافظين لودك * ثم اوقفهم على رأسك وأمرهم ان لايمكنوا احدا من الدخول عليك الا واحدا بعد واحد * فاذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه * واذا اتفقوا معك على ذلك فاصبح ناصبا كرسيك في ديوانك وافتح بابك * فانهم اذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم واتوا لك بقلب سليم * واستأذنوا في الدخول عليك فأذن لهم في الدخول واحدا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك * ولكن ينبغي ان تبدي بقتل شماس الكبير اولهم فانه هو الوزير الاعظم وهو

صاحب الامر فاقتله اولا * ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحدا بعد واحدا ولا تبق منهم من تعرف انه ينكث لك عهدا * وكذلك كل من تخاف صولته * فانك اذا فعلت بهم ذلك فانهم لايبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفى لك الملك وتعمل ما تحب * واعلم انه لاحيلة لك انفع من هذه الحيلة * فقال لها الملك ان رأيك هذا سديد وامرك فيه رشيد فلابد ان اعمل ما ذكرت * ثم امر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وارسل الى شماس * فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد علمت اني لك محب ولرأيك مطيع وانت لي كالاخ والوالد دون كل احد * وتعرف اني اقبل منك جميع ما امرتني به وقد كنت امرتني بالخروج الى الرعية والجلوس لاحكامهم * وتحققت انها نصيحة منك لنا وقد اردت الخروج اليهم بالامس فعرض لي هذا المرض ولست استطيع الجلوس * وقد بلغني ان اهل المملكة متنغصون من عدم خروجي اليهم * وهمّوا ان يفعلوا بي ما لايليق من شرهم فانهم غير عالمين بما انا فيه من المرض فاخرج اليهم وأعلمهم بحالي وما انا فيه واعتذر اليهم عني فاني تابع لما يقولون وفاعل لما يحبون فاصلح هذا الامر واضمن لهم عني ذلك فانك نصيح لي ولوالدي من قبلي * وعادتك الاصلاح بين الناس وان شاء الله تعالى في غد اخرج اليهم ولعل مرضي ان يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما اضمرته لهم من الخير في سريرتي * فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه وفرح بذلك وخرج الى الناس واخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما ارادوه واعلمهم بالعذر من سبب امتناع الملك عن الخروج * واخبرهم انه وعده

في غد بالخروج اليهم وانه يصنع لهم ما يحبون * فانصرفوا عند ذلك الى منازلهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شماس خرج الى الدولة وقال لهم ان الملك في غد يخرج اليكم و يصنع لكم ما تحبون فانصرفوا الى منازلهم * هذا ما كان من امرهم * واما ماكان من امر الملك فانه بعث الى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة ابيه وكانوا ذوي عزم جليل وبأس شديد * وقال لهم قد علمتم ماكان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشان والاحسان اليكم مع لطفه بكم واكرامه اياكم * فانا انزلكم بعده عندي في درجة ارفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك وانتم في امان الله مني * ولكن اسألكم عن مسألة هل تكونون معي فيها طائعين لامري فيما اقوله لكم كاتمين لسري عن جميع الناس * ولكم مني الاحسان فوق ما تريدون حيث امتثلتم امري * فاجابوه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين جميع ما تأمرنا به يا سيدنا نحن به عاملون ولانخرج عما تشيربه علينا مطلقا وانت ولي امرنا * فقال لهم احسن الله اليكم فانا الآن اعرفكم سبب اختصاصكم لمزيد الاكرام عندي * هو انكم قد علمتم ماكان يفعله ابي باهل مملكته من الاكرام وما عاهدهم عليه من امري واقرارهم له بانهم لاينكثون لي عهدا ولا يخالفون امري * وقد نظرتم ماكان منهم بالامس حيث اجتمعوا جميعا حولي يريدون قتلي وانا اريد ان اصنع بهم امرا * وذلك اني نظرت ماكان منهم بالامس فرأيت انه لايزجرهم عن

مثله الّا نكالهم * فلابد ان اوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سرا حتى ادفع الشر والبلاء عن بلادي بقتل اكابرهم ورؤسائهم * وطريقة ذلك اني اقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد وأذن لهم بالدخول عليّ واحدا بعد واحد * وان يدخلوا من باب ويخرجوا من أخر فقفوا انتم العشرة بين يديّ فاهمين لاشارتي * وكل ما يدخل واحد فخذوه وادخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعا لقولك وطاعة لامرك * فعند ذلك احسن اليهم وصرفهم وبات * فلما اصبح طلبهم وامر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك واخذ في يده كتاب القضاء وامر بفتح الباب ففتح واوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى المنادي من كان له حكومة فليحضر الى بساط الملك فاتى الوزراء والقوّاد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته * ثم امر بالدخول واحدا بعد واحد * فدخل شماس الوزير اولا كما هي عادة الوزير الاكبر * فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر الّا والعشرة عبيد محتاطون به واخذوه وادخلوا البيت وقتلوه * واقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد حتى فرغوا من الجميع * ثم دعا بالجلادين وامرهم بحط السيف في من بقي منهم من اهل الشجاعة وقوة البأس فلم يتركوا احدا ممن يعرفون ان له شهامة الّا قتلوه * ولم يتركوا الّا اسفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم باهله * ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته واعطى نفسه شهواتها واتبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدمه من اهل الشر * وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر * وجميع من حوله من الملوك يحسدونه

على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء * فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له اني ظفرت بما كنت اريد من اخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر دولته واهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في ارضه * فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيرا ولا دراية له بالحرب ولا رأي له ولم يبق عنده من يرشده ولا يعضده * فانا اليوم افتح معه باب الشر وهو اني اكتب له كتابا واعبث به فيه وابكته على ما حصل منه وانظر ما يكون من جوابه * فكتب له مكتوبا * مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم * اما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك * وما اوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وافسدت * وان الله قد اعطاني النصر عليك وظفرني بك فاسمع كلامي وامتثل امري وابن لي قصرا منيعا في وسط البحر * وان لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفز بنفسك * فاني باعث اليك من اقصى الهند اثني عشر كردوسا كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك * واجعل قائدهم بديعا وزيري وأمره أن يرسخ عليها محاصرا الى ان يملكها * وقد امرت هذا الغلام المرسل اليك انه لا يقيم عندك غير ثلثة ايام * فان امتثلت امري نجوت والّا ارسلت اليك ما ذكرته لك * ثم ختم الكتاب واعطاه للرسول فسار به حتى وصل الى تلك المدينة ودخل على الملك واعطاه الكتاب * فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه امره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشير *

ولا من يستعين به ولا من ينجده * فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون * فقالت له ما شانك ايها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكنني عبد للملك * ثم فتح الكتاب وقرأه عليها * فلما سمعته اخذت في البكاء والنحيب وشقت ثيابها * فقال لها الملك هل عندك شيء من الرأي والحيلة في هذا الامر العسير * فقالت له وما عند النساء من الحيلة في الحروب * والنساء لا قوة لهن ولا رأي لهن وانما القوة والرأي والحيلة للرجال في مثل هذا الامر * فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه واشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل ان يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع * ثم قال لنسائه لقد وقع لي منكن ما وقع للدراج مع السلاحف * فقلن له وكيف كان ذلك * فقال الملك زعموا ان سلاحفا كانت في جزيرة من الجزائر * وكانت تلك الجزيرة ذات اشجار واثمار وانهار * فاتفق ان دراجا اجتاز بها يوما وقد اصابه الحر والتعب * فلما اضر به ذلك حط من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السلاحف * فلما رأى السلاحف التجأ اليها ونزل عندها * وكانت السلاحف ترعي في جهات الجزيره ثم ترجع الى

مكانها * فلما رجعت من مسارحها الى مكانها رأت الدراج فيه * فلما رأته اعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها واحبت هذا الدراج حبا شديدا وفرحت به * ثم قال بعضها لبعض لاشك ان هذا من احسن الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح اليه * فلما رأى منها عين المحبة مال اليها واستأنس بها وصار يطير الى اي جهة اراد وعند المساء يرجع الى المبيت عندها * فاذا اصبح الصباح يطير الى حيث اراد وصارت هذه عادته واستمر على هذا الحال مدة من الزمان * فلما رأت السلاحف ان غيابه عنها يوحشها وتحققت انها لا تراه الاّ في الليل * واذا اصبح طار مبادرا ولا تشعر به مع زيادة حبها له * قال بعضها لبعض ان هذا الدراج قد احببناه وصار لنا صديقا ومابقي لنا قدرة على فراقه * فما يكون من الحيلة الموصلة الى اقامته عندنا دائما لانه اذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه الاّ في الليل * فاشارت عليها واحدة قائلة استرحن يا اخواتي وانا اجعله لايفارقنا طرفة عين * فقال لها الجميع ان فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيدا * فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينها تقربت منه السلحفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة * وقالت له يا سيدي اعلم ان الله قد رزقك منا المحبة وكذلك اودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر انيسا * واحسن اوقات المحبين اذا كانوا مجتمعين * والبلاء العظيم في البعد والفراق ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد الينا الاّ عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة * وقد شق علينا ذلك كثيرا ونحن في وجد عظيم بهذا السبب * فقال لها الدراج نعم انا عندي محبة لكنّ واشتياق عظيم اليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلا عندي * ولكن

ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيرا باجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائما لان هذا ليس من طبعي فان الطير ذا الاجنحة ليس له مستقر الّا في الليل لاجل النوم * واذا اصبح طار وسرح في اي موضع اعجبه * فقالت له السلحفة صدقت ولكن ذو الاجنحة في غالب الاوقات لاراحة له لكونه لاينا له من الخير ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة * ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والالفة ونخشى عليك ممن يصطادك من اعدائك فتهلك ونحرم من روية وجهك * فاجابها الدراج قائلا صدقت ولكن ما عندك من الرأي والحيلة في امري * فقالت له الرأي عندي ان تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحا وتأكل من اكلنا وتشرب من شربنا في هذه المسرحة الكثيرة الاشجار اليانعة الاثمار * ونقيم نحن وانت في هذا الموضع المخصب ويتمتع كل منا بصاحبه * فمال الدراج الى قولها وقصد الراحة لنفسه * ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسنه من رأي السلحفة * واستقر عندهن عائشا معهن ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل * فبينماهم على تلك الحالة واذا بابن عرس قد مرّ عليه فرمقه بعينه وتأمله فرأه مقصوص الجناح لايستطيع النهوض * فلما رأه على تلك الحالة فرح به فرحا شديدا وقال في نفسه ان هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش * ثم دنا منه ابن عرس وافترسه * فصاح الدراج وطلب النجدة من السلاحف فلم ينجدنه بل تباعدن عنه وانكمشن في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضا عليه * وحيث رأين ابن عرس يعذبه خنقهن البكاء عليه * فقال لهن الدراج هل عندكن شيء غير البكاء *

فقلن له يا اخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في امر ابن عرس * فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حيوة نفسه * وقال لهن ليس لكن ذنب انما الذنب لي حيث اطعتكم ونتفت اجنحتي التي اطير بها * فانا استحق الهلاك لمطاوعتي لكن ولا الومكن في شيء * وانا الأن لا الومكن ايها النساء بل الوم نفسي واؤدبها حيث لم تتذكر انكن سبب الهفوة التي حصلت من ابينا أدم ولاجلها خرج من الجنة * ونسيت انكن اصل كل شر فاطعتكن بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبيري وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا اليّ نصحاء في كل الامور * وكانوا عزتي وقوتي على كل امر اهمني * فانا الأن لم اجد عوضا عنهم ولا ارى احدا يقوم مقامهم وقد وقعت فى الهلاك العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لام نفسه وقال انا الذي اطعتكن بجهلي وقتلت وزرائي ولم اجد عوضا عنهم يقوم مقامهم * وان لم يفتح الله عليّ بمن له رأي سديد يرشدني الى ما فيه خلاصي وقعت فى الهلكة العظيمة * ثم انه قام ودخل مرقده بعد ان نعى الوزراء والحكماء قائلا يا ليت هؤلاء الاسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر اليهم وانظرهم واشكو اليهم امري وما حلّ بي بعدهم * ولم يزل غريقا في بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب * فلما جن الليل قام وغيّر لباسه ولبس ثيابا رديئة وتنكّر وخرج يسوح في المدينة لعله يسمع

من احد كلمة يرتاح بها * فبينما هو يطوف في الشوارع و اذا هو
بغلامين مختليين بانفسهما جالسين بجانب حائط و هما مستويان في
السن * عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع
بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما و يفهمه * فسمع
واحدا منهما يقول للآخر اسمع يا اخي ما حكاه لي والدي ليلة
امس من اجل ماوقع له في زرعه و يبسه قبل اوانه بسبب عدم
المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة * فقال له الآخر اتعرف
ما سبب هذا البلاء قال له لا فان كنت تعرفه انت فاذكره لي *
فاجابه قائلا نعم اعرفه واخبرك به * اعلم ان بعض اصحاب والدي
قال لي ان ملكنا قد قتل وزراءه و عظماء دولته من غير ذنب جنوه *
بل من اجل حبه للنساء و ميله اليهن * و ان الوزراء نهوه عن
ذلك فلم ينته و امر بقتلهم طاعة لنسائه حتى انه قتل شماس
والدي و زيره ووزير والده من قبله و كان صاحب مشورته *
ولكن سوف تنظر مايفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه *
فقال الغلام وما عسى ان يفعل الله به بعد هلاكهم * قال له اعلم
ان ملك الهند الاقصى قد استخف بملكنا وبعث اليه كتابا يوبخه
فيه ويقول له ابن لي قصرا في وسط البحر * وان لم تفعل ذلك
فانا ارسل اليك اثنى عشر كردوسا كل كردوس فيه مائة الف مقاتل *
واجعل قائد هذه العساكر بديعا وزيري فيأخذ ملكك ويقتل
رجالك و يسبيك مع حريمك * فلما جاءه رسول ملك الهند
الاقصى بهذا الكتاب امهله ثلثة ايام * واعلم يا اخي ان ذلك
الملك جبار عنيد ذوقوة و بأس شديد * و في مملكته خلق كثير
وان لم يحتل ملكنا فيما يمنعه منه وقع في الهلكة * وبعد هلاك

ملكنا يأخذ هذا الملك ارزاقنا و يقتل رجالنا و يسبي حريمنا * فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطرابا و مال اليهما و قال في نفسه ان هذا الغلام لحكيم * لكونه اخبر عن شيءٍ لم يبلغه مني * فان الكتاب الذي جاء من ملك اقصى الهند عندي و السر معي و لم يطلع احد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به * و لٰكن انا التجئ اليه و اكلمه و اسأل الله ان يكون خلاصنا لديه * ثم ان الملك دنا من الغلام بلطف و قال له ايها الولد الحبيب ما هذا الذي ذكرته من اجل ملكنا فانه قد اساء كل الاساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته * لٰكنه في الحقيقة قد اساء نفسه و رعيته و انت صدقت فيما قلته * و لٰكن عرفني ايها الولد من اين عرفت ان ملك الهند الاقصى كتب الى ملكنا كتابا و وبّخه فيه و قال له هذا الكلام الصعب الذي قلته * قال له الغلام قد علمت هذا من قول القدماء انه ليس يخفى على الله خافية * و الخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الاسرار الخفية * فقال له صدقت يا ولدي لٰكن هل لملكنا حيلة او تدبير يدفع به عن نفسه و عن مملكته هذا البلاء العظيم * فاجاب الغلام قائلا نعم اذا ارسل الملك اليّ و سألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوه و ينجو من كيده اخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى * قال له الملك و من يعلم الملك بذلك حتى يرسل اليك و يدعوك * فاجابه قائلا اني سمعت عنه انه يفتش على اهل الخبرة و الرأي الرشيد * واذا ارسل اليّ سرت معهم اليه و عرفته بما فيه صلاحه و دفع البلاء عنه * و ان اهمل هذا الامر العسير و اشتغل بلهوه مع نسائه و اردت اني اعلمه بما فيه نجاته و توجهت اليه من تلقاء نفسي فانه يأمر بقتلي مثل اولٰئك

الوزراء و تكون معرفتي به سببا لهلاكي و تستقل الناس بي ويستنقصون عقلي و اكون من مضمون قول من قال * من كان علمه اكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله * فلما سمع الملك كلام الغـــلام تحقق حكمته و تبين فضيلته و تيقن ان النجاة تحصل له ولرعيتـــه علي يديه * فعند ذلك عاد الملك الكلام على الغلام و قال له من اين انت و اين بيتك * فقال له الغلام ان هذه الحائط توصل الى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان * ثم انه ودع الغلام و رجع الى مملكته مسرورا * فلما استقر في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب و منع عنه النساء * و اكل و شرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة و المغفرة و العفو عن ما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم * ثم تاب الى الله توبـــة خالصة و افترض على نفسه الصوم و الصلوة الكثيرة بالنذر * ودعا باحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وامره ان ينطلق اليه ويحضره بين يديه برفق * فمضى ذلك العبد الي الغـــلام و قال له ان الملك يدعوك لخير يصـــل اليك من قبله ويسألك سؤالا ثم تعود في خير الى منزلك * فاجاب الغلام قائلا و ما حاجة الملك التي دعاني من اجلها * قال له الخادم ان حاجة مولاي التي دعاك من اجلها هي سؤال و جواب * فقال له الغلام الف سمع و الف طاعة لامر الملك * ثم سار معه حتى وصل الى الملك * فلما صار بين يديه سجد لله و دعا للملك بعد ان سلم عليه فرد الملك عليه الســـلام وامره بالجلوس فجلس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما جاء الى الملك وسلم عليه امره بالجلوس فجلس * فقال له هل تعرف من تكلم معك بالامس قال الغلام نعم قال له فاين هو * فاجابه بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت * فقال له الملك لقد صدقت ايها الحبيب * ثم امر الملك بوضع كرسي في جانب كرسيه واجلسه عليه وامر باحضار اكل وشرب * ثم امتزجا في الحديث الى ان قال الملك للغلام انك ايها الوزير حدثتني بالامس حديثا وذكرت فيه ان معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند * فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شره عنا * فاخبرني لكي اجعلك اول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيرا لي واكون تابعا لرأيك في كل ما اشرت به عليّ واجيزك جائزة سنية * فقال له الغلام جائزتك لك ايها الملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي اشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء * فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال ايها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت * فاجابه الغلام قائلا ان شماس والدي حقا وانا ولده صدقا * فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله * وقال ايها الغلام اني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن عظيم * ولكن اسألك ان تكون مسامحا لي واني جاعلك في موضع ابيك واعلي مقاما من مقامه * واذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب واركبتك اعز مركوب * وامرت المنادي ان ينادي قدامك قائلا هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك *

واما ما ذكرت من امر النساء فاني اضمرت الانتقام منهن * وجعلته في الوقت الذي يريده الله تعالى فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي * فاجابه الغلام قائلا اعطني عهدا انك لا تخالف رأيي فيما اذكره لك وان اكون مما اخشاه في امان * فقال له الملك هذا عهد الله بيني وبينك اني لا اخرج عن كلامك وانك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني به فعلته والشاهد بيني و بينك علىَّ ما اقول هو الله تعالى * فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام * فقال ايها الملك ان التدبير و الحيلة عندي انك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي امهلته اياها * فاذا حضر بين يديك وطلب الجواب ادفعه عنك وامهله الى يوم أخر * فعند ذلك يعتذر اليك بان ملكه حدد عليه اياما معلومة ويراجعك في كلامك * فاطرحه وامهله الى يوم أخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبانا ويتوجه الى وسط المدينة ويتكلم جهرا بين الناس * ويقول يا اهل المدينة اني ساعي ملك الهند الاقصى * وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد * وقد ارسلني بكتاب الى ملك هذه المدينة وحددلي اياما * وقال ان لم تحضر عقب الايام التي حددتها لك حلت بك نقمتي * وها انا جئت الى ملك هذه المدينة واعطيته الكتاب * فلما قرأه امهلني ثلثة ايام * ثم يعطيني جواب ذلك الكتاب فاجبته الى ذلك لطفا به ورعاية لخاطره * وقد مضت الثلثة ايام وانيت اطلب منه الجواب فامهلني الى يوم أخر * وانا ليس عندي صبر * فها انا منطلق الى سيدي * ملك الهند الاقصى و اخبره بما وقع لي * وانتم ايها القوم شاهدون بيني وبينه * فعند ذلك يبلغك كلامه

فارسل اليه واحضره بين يديك وكلّمه بلطف * وقل له ايها الساعي لا تلاف نفسه ما الذي حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلف عاجلا * ولكن قالت الفلاسفة العفو من شيم الكرام * واعلم ان تأخير الجواب عنك ليس عجزا منا وانما هو لزيادة اشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جواب ملككم * ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانيا * وبعد ان تفرغ من قراءته اكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابا له ايضا * فيقول لك ليس معي كتاب غير هذا الكتاب فاعد عليه القول ثانيا وثالثا فيقول لك ليس معي غيره اصلا * فقل له ان ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلاما يريد به تقويم نفوسنا لاجل ان نتوجه بعسكرنا اليه فنغزو بلاده ونأخذ مملكته * ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على اساءة ادبه بهذا المكتوب لانه قاصر العقل ضعيف الحزم * فالمناسب لمقدرتنا ان ننذره اولا ونحذره من ان يعود لمثل هذه الهذيانات فان خاطر بنفسه وعاد الى مثلها استحق البلاء عاجلا * واظن ان الملك الذي ارسلك جاهل احمق غير مفكر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأي يستشيره ولو كان عاقلا لاستشار وزيرا قبل ان يرسل الينا مثل هذا الكلام السخرية * ولكن له عندي جواب مثل كتابه وازيد وانا ادفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم ارسل الي واطلبني * فاذا حضرت بين يديك فأذن لي بقراءة الكتاب ورد جوابه * فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام واعجبته حيلته فانعم عليه وخوّله رتبة والده وصرفه مسرورا * فلما انقضت الثلثة ايام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فامهله

الملك الى يوم أخر فخرج الساعي الى أخر البساط و تكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام * ثم خرج الى السوق و قال يا اهل هذه المدينة اني رسول ملك الهند الاقصى الى ملككم جئته برسالة وهو يما طلني في جوابها * وقد انقضت المدة التي حددها لي ملكنا ولم يبق لملككم عذر فانتم تكونون شهداء على ذلك * فلما بلغ الملك هذا الكلام ارسل الى ذلك الساعي واحضره بين يديه وقال له ايها الساعي في اتلاف نفسه الست نا قلا كتابا من ملك الى ملك و بينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس و تظهر اسرار الملوك على العامة لقد استحقيت منا القصاص * ولكن نحن نتحمل ذلك لاجل عود جوابك لهذا الملك الاحمق * والا نسب ان لا يرد له جوا با عنا الّا اقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر * و لما دخل على الملك والساعي حاضر سجد لله و دعا للملك بدوام العز و البقاء * فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام و قال له اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة * فاخذ الغلام الكتاب و قرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل ارسالك خلفي لاجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم * فا جاب بمزيد السمع و الطاعة و اخرج الدواة والقرطاس وكتب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلماكانت الليلة السابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما اخذ الكتاب وقرأه اخرج في الوقت دواة وقرطاسا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم * السلام على من فاز بالامان * ورحمة الرحمن * اما بعد فاني اعلمك

ايها الملك العدو ملكا كبيرا اسما لارسما * انه قد وصل الينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات * فتحققنا جهلك وبغيك علينا * وقد مددت يديك الى ما لا تقدر عليه * ولولا ان الرأفة اخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك * واما رسولك فانه خرج الى السوق ونشر اخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص * ولكن ابقيناه رحمة منا له لكونه معذورا معك ولم نترك قصاصه وقارا لك * فاما ما ذكرته في كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فان ذلك حق * ولكن لسبب قام عندي وما قتلت من العلماء واحدا الا وعندي من جنسه الف اعلم منه وافهم واعقل * وليس عندي طفل الا وهو ممتلئ من العلوم وعندي عوضا عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا اقدران احصيه * وكل واحد من عسكري يقاوم كردوسا من عسكرك * واما من جهة المال فان عندي معمل الذهب والفضة * واما المعادن فانها عندي كقطع الحجارة * واما اهل مملكتي فاني لا اقدران اصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابن لي قصرا في وسط البحر فان هذا امر عجيب * ولعله ناشئ عن سخافة عقلك لانه لوكان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الامواج وحركات الرياح وانا ابني لك القصر * واما زعمك انك تظفر بي فحاش لله من ذلك كيف يبغي علينا مثلك ويظفر بملكنا بل ان الله تعالى اظفرني بك لكونك متعديا وباغيا علي بغير حق * فاعلم انك قد استوجبت العذاب من الله ومني ولكن انا اخاف الله فيك وفي رعيتك ولا اركب عليك الا بعد النذارة فان كنت تخشى الله فعجل لي بارسال خراج هذه

السنة والا لارجع عن الركوب عليك ومعي الف الف ومائة الف مقاتل كلهم جبابرة بافيال فاسردهم حول وزيرنا وأمره ان يقيم على محاصرتك ثلثة سنوات نظير الثلثة ايام التي امهلتها لقاصدك واتملك مملكتك بحيث لا اقتل منها احدا غير نفسك ولا اسبي منها غير حريمك * ثم صور الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها ان هذا الجواب كتبه اصغر اولاد الكتاب * ثم ختمه وسلمه الى الملك فاعطاه الملك للساعي فاخذه الساعي وقبل يدي الملك ومضى من عنده شاكرا لله تعالى وللملك على حلمه عليه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام * فلما وصل الى ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد ثلثة ايام المحدودة له * وكان الملك في ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تاخير الساعي عن المدة المحدودة له * فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم اعطاه الكتاب فاخذه وسأل الساعي عن سبب ابطائه وعن احوال الملك وردخان * فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه باذنه * فاندهش عقل الملك وقال للساعي ويحك ما هذه الاخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك * فاجابه الساعي قائلا ايها الملك العزيز ها انا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب * فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه فايقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من امره * ثم التفت الى وزرائه وعظماء دولته واخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعبا عظيما وصاروا يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم ان بديعا الوزير الكبير قال اعلم ايها الملك ان الذي

يقوله اخوتي من الوزراء لا فائدة فيه * والرأي عندي انك تكتب لهذا الملك كتابا وتعتذر اليه فيه * وتقول له انا محب لك ولوالدك من قبلك وما ارسلنا اليك الساعي بهذا الكتــاب الّا على طريق الامتحان لك لننظر عزائمك وما عندك من الشجاعـة والامور العلميه والعملية والرموز الخفية وما انت منطو عليه من الكمالات الكلية * ونسأل الله تعالى ان يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظا لنفسك فتتم امور رعيتك وارسله له مع ساع أخر * فقال الملك والله العظيم ان في هذا لعجبا عظيما كيف يكون هذا ملكا عظيما معتدا للحرب بعد قتله لعلماء مملكته واصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة * واعجب من هذا ان صغار مكاتبها يردون عن ملكها مثل هذا الجواب * لٰكن انا بسوء طمعي اشعلت هذه النار عليّ وعلى اهل مملكتي ولا ادري من يطفئها الا رأي وزيري هذا * ثم انه جهز هدية ثمينة وخدما وحشما كثيرة وكتب كتابا مضمونه بسم الله الرحمٰن الرحيم * اما بعد ايها الملك العزيز وردخان ولد الاخ العزيز جليعاد رحمه الله وابقاك * لقد حضرلنا جواب كتابنا فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله * ونسأله ان يعلي شأنك ويشيد اركان مملكتك وينصرك على اعدائك الذين يريدون بك السوء * واعلم ايها الملك ان اباك كان لي اخا وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حيٰوته وماكان يرى منا الّا خيرا وكنا نحن كذلك لا نرى منه الّا خيرا * ولما توفي وجلست انت على كرسي مملكته

حصل عندنا غاية الفرح والسرور * ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك واكابر دولتك خشينا ان يصل خبر ذلك الى ملك غيرنا فيطمع فيك * وكنا نظن انك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملا لامور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك به * فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك متعك الله بمملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام * ثم جهزله الهدية وارسلها اليه مع مائة فارس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الهند الاقصى لما جهز الهدية الى الملك وردخان ارسلها له مع مائة فارس فساروا الى ان اقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم اعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه * ثم انزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له واكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحا شديدا * ثم ارسل الى الغلام ابن شماس واحضر بين يديه واكرمه وارسل الى رئيس المائة فارس * ثم طلب الكتاب الذي احضره من ملكه واعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سرورا كبيرا * وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر اليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره الملك على ذلك واكرمه اكراما زائدا واعطاه واعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وامر الغلام ان يكتب رد الجواب * فعند ذلك كتب الغلام الجواب واحسن الخطاب واوجز في باب الصلح وذكر ادب الرسول ومن معه من الفرسان *

فلما تم الكتاب عرضه على الملك * فقال له الملك اقرأه ايها الولد العزيز علي لكي نعرف ماكتب فيه * فعند ذلك قرأه الغلام بحضرة المائة فارس فاعجب الملك هو وكل من حضر نظامه و معناه * ثم ختمه الملك وسلمه الى رئيس المائة فارس وصرفه وارسل معه من عسكره طائفة توصلهم الى اطراف بلادهم * هذا ماكان من امر الملك والغلام * واما ماكان من امر رئيس المائة فانه اندهش عقله مما رأه من امر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح * ثم انه سار الى ان وصل الى ملك اقصى الهند و قدم اليه الهدايا و التحف واوصل اليه العطايا وناوله الكتاب واخبره بما نظر ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وشكر الله تعالى واكرم رئيس المائة فارس وشكر همته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في امن وامان وطمأنينة وزيادة انشراح * هذا ماكان من امر ملك اقصى الهند * واما ماكان من امر الملك وردخان فانه استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب الى الله توبة خالصة عما كان فيه و ترك النساء جملة ومال بكليته الى صلاح مملكته والنظر بخوف الله الى رعيته * وجعل ولد شماس وزيرا عوضا عن والده وصاحب الرأي المقدم عنده فى المملكة وكاتما لسره * و امر بزينة مدينته سبعة ايام وكذلك بقية المدائن وفرحت الرعية بذلك و زال الخوف والرعب عنهم * واستبشروا بالعدل و الانصاف و ابتهلوا بالدعاء للملك و الوزير الذي ازال عنه وعنهم هذا الغم * و بعد ذلك قال الملك للوزير ماالرأي عندك في اتقان المملكة واصلاح الرعية ورجوعها الى

ما كانت عليه اولًا من وجود الرؤساء والمدبرين * فعند ذلك اجابه الوزير قائلًا ايها الملك العزيز الشان * الرأي عندي انك قبل كل شيءٍ تبتدئ بقطع امر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والخسف والاشتغال بالنساء لانك ان رجعت الى اصل المعاصي تكون الضلالة الثانية اشد من الاولى * فقال الملك وما هي اصل المعاصي التي ينبغي ان اقلع عنها * فاجابه ذلك الوزير الذي الصغير السن الكبير العقل قائلًا ايها الملك الكبير اعلم ان اصل المعصية اتباع هوى النساء والميل اليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن * لان محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة * والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بامعان النظر لوجدت لك ناصحا من نفسك واستغنيت عن قولي جملة * فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لان الله تعالى امر بعدم الاكثار منهن على يد نبيه موسى * حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده يا ولدي اذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضلّ قلبك ويفسد رأيك * وبالجملة فالاستكثار منهن يفضي الى حبهن وحبهن يفضي الى فساد الرأي * والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط احدا من الملوك التي تقدمت مثل ما اعطاه فكانت النساء سببا لهفوة والده * ومثل هذا كثير ايها الملك وانما ذكرت لك سليمان لتعرف انه ليس لاحد ان يملك مثل ما ملك حتى اطاعه جميع ملوك الارض * واعلم ايها الملك ان

محبــة النساء اصل كل شر وليس لاحدهن رأي * فينبغي للانسان ان يقتصر منهن على قدر الضرورة و لايميل اليهن كل الميل فان ذلك يوقعه في الفساد والهلكة * فان اطعت قولي ايها الملك استقامت لك جميع امورك * وان تركته ندمت حيث لاينفعك الندم * فاجابه الملك قائلا لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميــل اليهن وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المــبــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك و ردخان لما قال لوزيره اني قد تركت ما كنت فيه من الميل اليهن واعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعا * ولكن ما ذا اصنع فيهن جزاء على ما فعلن لان قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله * ثم تأوه و صاح قائلا وا اسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء و رؤساء المملكة وحسن آرائهم الصائبة الرشيدة * فاجابه الوزير قائلا اعلم ايها الملك ان الذنب ليس للنساء وحدهن لانهن مثل بضاعة مستحسنة تميل اليهــا شهوات الناظرين * فمن اشتهى واشتــرى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره احد على الشراء لكن الذنب لمن اشترى * وخصوصا اذا كان عارفا بمضرة تلك البضاعة * وقد حذرتك والدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة * فاجابه الملك اني اوجبت على نفسي الذنب كما قلت ايها الوزير ولا عذر لي الا التقادير الالهية * فقال الوزير اعلم ايهــا الملك ان الله تعالى خلقنــا وخلق لنا

استطاعة وجعل لنا ارادة واختيارا فان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ولم يأمرنا الله بفعل ضرر لئلا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون فعله صوابا لانه تعالى لا يأمرنا الا بخير على سائر الاحوال وانما ينهانا عن الشر ولكن نحن بارادتنا نفعل ما نفعله صوابا كان او خطأ * فقال له الملك صدقت وانما كان خطأي مني لميلي الى الشهوات * وقد حذرت نفسي من ذلك مرارا وحذرني والدك شماس مرارا فغلبت نفسي على عقلي * فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالبا على شهوات نفسي * فاجاب الوزير نعم اني ارى شيأ يمنعك من ارتكاب هذا الخطأ * وهو انك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعص هواك وتطيع مولاك وترجع الى سيرة الملك العادل ابيك * وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله تعالى وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك * وتنظر في عواقب الامور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد * وتستعمل العدل والانصاف والخضوع * وتمتثل اوامر الله تعالى وتلازم الشفقة على خليقته الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك لانك اذا دام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك * وجعلك مهابا عند كل من يراك وتتلاشى اعداؤك ويهزم الله تعالى جيوشهم وتصير عند الله مقبولا وعند خلقه مهابا محبوبا * فقال له الملك لقد احييت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجليت عين بصيرتي بعد العمى * وانا عازم على ان افعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى * واترك ما كنت عليه من البغي والشهوات واخرج نفسي من

الضيق الى السعة و من الخوف الى الا من * وينبغي ان تكون بذلك فرحا مسرورا لانني صرت لك ابنا مع كبر سني وصرت انت لي والدا حبيبا على صغرسنك * وصار من الواجب علي بذل المجهود فيما تأمرني به * وانا اشكر فضل الله تعالى و فضلك فان الله تعالى اولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همي و غمي * وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك باشرف معرفتك وحسن تدبيرك * فانت الآن مدبر لملكي لا اتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكلما تفعله جائز علي و لاراد لكلمتك وان كنت صغير السن لانك كبير العقل كثير المعرفة * فاشكر الله الذي يسرك لي حتى هديتني الى سبيل الاستقامة بعد الا عوجاج المهلك * قال الوزير ايها الملك السعيد اعلم انه لافضل لي عليك في بذل النصيحة لك لان قولي وفعلي من بعض ما يلزمني حيث كنت غريس نعمتك * وليس هكذا انا وحدي بل والدي من قبلي مغمور بجزيل نعمتك * فنحن الجميع مقرون بجميلك وفضلك فكيف لانقر بذلك * وانت ايها الملك راعينا و حاكمنا ومحارب عنا اعداءنا ومتول حفظنا و حارسنا و باذل جهدك في سلامتنا * و اننا لوبذلنا ارواحنا في طاعتك لم نقم بواجب شكرك ولكن نتضرع الى الله تعالى الذي ولاك علينا و حكمك فينا * ونسأله ان يهب لك العمر الطويل و يمنحك النجاح في جميع اعمالك * و لايمتحنك بمحنة في زمانك ويبلغك مرادك و يجعلك مهابا الى حين مماتك * و يبسط بالكرم سواعدك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند * ويوجد بك في مملكتك كل عالم و شجاع وينزع منها كل جاهل وجبان * ويرفع عن رعيتك الغلاء و البلاء

ويزرع بينهم الالفة والمحبة * ويمتعك من الدنيا بفلاحها ومن الأخرة بصلاحها بمنه وكرمه وخفي لطفه أمين * انه على كل شيء قدير * وليس عليه امر عسير واليه المرجع والمصير * فلما سمع الملك منه هذا الدعاء حصل عنده غاية الفرح ومال اليه كل الميل وقال له اعلم ايها الوزير انك صرت عندي في مقام الاخ والولد والوالد وليس يفصلني منك الّا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه * وان لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضاعني فانت اولى من جميع اهل مملكتي فاولّيك ملكي بحضرة اكابر مملكتي واجعلك ولي عهدي من بعدي ان شاء الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك وردخان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني واجعلك ولي عهدي من بعدي واشهد على ذلك اكابر مملكتي بعون الله تعالى * ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فامره ان يكتب الى سائر كبراء دولته بالحضور اليه واجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام * وأمر ان يجتمع الامراء والقواد والحجاب وسائر ارباب الخدم الى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء * وعمل الملك ديوانا عظيما وسماطا لم يعمل مثله قط * وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع على حظ واكل وشرب مدة شهر * وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته واعطى العلماء عطايا وافرة * ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وادخلهم

عليه وامره ان ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هــو الرئيس عليهم * ففعل ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم اكبــرهم سناو اكملهم عقلا و اكثرهم دراية و اسرعهم حفظا ورأى مَنْ بهذه الصفة ستة اشخاص * فقدمهم الى الملك و البسهم ثياب الوزراء و كلمهم قائلا انتم تكونون وزرائي تحت طاعــة ابن شماس * وجميع ما يقوله لكم او يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لاتخرجوا عنه ابدا ولوكان هــو اصغركم سنا لانه اكبركم عقلا * ثم ان الملك اجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء واجرى عليهم الارزاق والنفقة * ثم امرهم ان ينتخبوا من اكابر الدولــة الذين اجتمعوا عنــده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الاجناد ليجعل منهم رؤساء الوف وروساء مئين وروساء عشرات * ورتب لهم المــرتبات و اجرى اليهم الارزاق على عادة الكبراء * ففعلوا ذلك في اسرع وقت * وامرهم ايضا ان ينعموا على بقيــة من حضر بالانعامات الجزيلة * و ان يصرفوا كل واحد الى ارضــه بعز واكرام * وامر عماله بالعدل في الرعية و اوصاهم بالشفقة على الفقراء و الاغنياء * وامر باسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم * فدعاله الوزراء بدوام العز والبقاء * ثم انه امر بزينة المدينة ثلثــة ايام شكرا لله تعالى على ما حصــل له من التوفيق * هذا ما كان من امر الملك و وزيره ابن شماس في ترتيب المملكـة وامرائها واعمالها * واما ما كان من امر النساء المحظيات من السراري و غيرهن اللاتي كن سببا لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن* فانه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة و القــرى الى محله واستقامت امورهم امر الملك بالوزير الصغير السن الكبير العقل

الذى هو ابن شماس ان يحضر بقية الوزراء * فلما حضروا جميعا بين يدى الملك اختلى بهم و قال لهم اعلموا ايها الوزراء اني كنت حائدا عن الطريق المستقيم مستغرقا في الجهل معرضا عن النصيحة ناقضا للعهود والمواثيق مخالفا لاهل النصح * وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن اياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي * وقبولي لذلك لاني كنت اظن ان كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينة فاذا هو سمّ قاتل * والآن قد تقرر عندي انهن لم يردن لي الّا الهلاك والتلف فقد استحقين العقوبة والجزاء مني على جهة العدل حتى اجعلهن عبرة لمن اعتبر * لكن فما الرأي السديد في اهلاكهن * فاجابه الوزير ابن شماس قائلا ايها الملك العظيم الشان انني قلت لك اولا ان الذنب ليس مختصا بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن * لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لامرين * الاول تنفيذ قولك لكونك الملك الاعظم * والثاني لتجاسرهن عليك وخداعهن لك ودخولهن فيما لا يعنيهن وما لا يصلحن للتكلم فيه * فهن احق بالهلاك ولكن كفاهن ما هو نازل بهن * ومن الآن اجعلهن بمنزلة الخدم والامر اليك في ذلك وغيره * ثم ان بعض الوزراء اشار على الملك بما قاله ابن شماس * وبعض الوزراء تقدم على الملك وسجد له وقال ادام الله ايام الملك ان كان لا بد ان تفعل بهن فعلة بهلاكهن فافعل ما اقوله لك * فقال الملك ما الذى تقوله لي * فقال له الاصوب ان تأمر احدى محاظيك بان تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذى حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك * وتأمر ان يعطي لهن قليل من الطعام والشراب

بقدر ما يمسك ابدانهن * ولا يؤذن لهن في الخروج من ذلك الموضع اصلا * وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها الى ان يمتن من آخرهن * وهذا اقل جزائهن لانهن كن سببا لهذه الفتنة العظيمة * بل واصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في الزمان وصدق عليهن قول القائل * ان من حفر بئرا لاخيه وقع فيه ولو طالت سلامته * فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له * وارسل خلف اربع محظيات جبارات وسلم اليهن النساء وامرهن ان يدخلنهن محل القتلى ويسجنهن فيه واجرى لهن طعاما دنيأ قليلا وشرابا رديأ قليلا * فكان من امرهن انهن حزن حزنا عظيما وندمن على ما فرط منهن وتأسفن تأسفا كثيرا * واعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي واعدّ لهن العذاب في الآخرة * ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن * وشاع خبر هذه الوقعة في جميع البلاد والاقطار * وهذا ما انتهى اليه امر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الامم ومحي الرمم المستحق للتجليل والاعظام والتقديس على الدوام

ومما يحكى

ايضا ان رجلين كانا في مدينة الاسكندرية وكان احدهما صباغا واسمه ابو قير * وكان الثاني مزينا واسمه ابو صير * وكانا جارين لبعضهما في السوق وكان دكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصابا كذابا صاحب شرقوي كانما صدغه منحوت من الجلمود * اومشتق من عتبة كنيسة اليهود * لا يستحي من عيبة يفعلها

بين النـــاس * وكان من عادته انه اذا اعطاه احد قما شا ليصبغه يطلب منه الكرى اولا * ويوهمه انه يشتري به اجزاء ليصبغ بهـــا فيعطيه الكرى مقدما * فاذا اخذه منه يصرفه على اكل وشرب ثم يبيع القماش الذي اخذه بعـــد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الاكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل الّا الطيبا من افخرالمأكول ولا يشرب الّا من اجود ما يذهب العقول * فاذا اتاه صاحب القماش يقول له في غد تجيء الي من قبل الشمس فتلقي حاجتك مصبوغة * فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه يوم من يوم قريب * ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له تعال في غد فاني امس ماكنت قاضيـــا لانه كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا * وفي غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغا فيروح * ويأتيه في ثالث يوم فيقول له اني كنت امس معذورا لان زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وانا اقضي مصالح * ولكن في غد من كل بد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة اخرى من حيث كان ويحلف له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصباغ صار كلما اتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له * ولم يزل يوعده ويحلف اذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لي في غد اعطني حاجتي فاني لا اريد صباغا * فيقول والله يا اخي انا مستحي منك ولكن اخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي النـــاس في امتعتهم * فيقول له اخبرني ماذا حصل فيقـــول اما حاجتك فاني

صبغتها صباغا ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا ادري من سرقها * فان كان صاحب الحاجة من اهل الخير يقل له يعوض الله عليّ * وان كان من اهل الشر يستمر معه في هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيأ ولو اشتكاه الى الحاكم * ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين النـاس وصار الناس يحذر بعضهم بعضـا من ابي قير ويضربون به الامثال وامتنعوا عنه جميعا * وصار لا يقع معه الّا الجاهل بحاله ومـع ذلك لا بد له كل يوم من جرسة وهتيكة مع خلق الله تعالى فحصل له كساد بهذا السبب * فصار يأتي الى دكان جاره المزين ابي صير ويقعد في داخلهـا قصاد المصبغة وينظر الى باب المصبغـة * فان رأى احدا جاهلا بحاله واقفا على باب المصبغـة ومعه شيء يريد صباغه يقم من دكان المزين * ويقول مالك يا هذا فيقول له خذ اصبغ لي هذا الشيء فيقول له ايّ لون تطلبه لانه مع هذه الخصـال الذميمة كان يخرج من يده ان يصبغ سائر الالوان ولكنه لم يصدق مع احد ابدا والشقاوة غالبة عليه * ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له هات الكرى لقدام وفي غد تعـال خذها فيعطيه الاجرة ويروح * وبعد ان يتوجه صاحب الشيء الى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب الى السوق فيبيعه ويشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج اليه * واذا رأى احدا واقفا على الدكان من الذين اعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر اليه ولا يريه نفسه ودام على هذه الحالة سنين * فاتفق له في يوم من الايام انه اخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء اليـه في كل يوم فلم يره في الدكان لانه متى رأى احدا له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين ابي صير * فلما لم يجده ذلك

الجبار في دكانه واعياه ذلك ذهب الى القاضي واتاه برسول من طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لانه لم ير فيها غير بعض مواجير مكسرة ولم يجد فيها شيأ يقوم مقام حاجته * ثم اخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي لياخذ مفتاح دكانه * ثم ذهب الرجل والرسول الى حالهما * فقال ابو صير لابي قير ما دهيتك فان كل من جاء لك بحاجة تعدمه اياها اين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال يا جاري انها سرقت مني * قال ابو صير عجائب كل من اعطاك حاجة يسرقها منك لص هل انت معاد جميع اللصوص * ولكن اظن انك تكذب فاخبرني بقصتك قال يا جاري ما احد سرق مني شيأ * قال ابو صير وما تفعل في متاع الناس فقال له كل من اعطاني حاجة ابيعها واصرف ثمنها * قال له ابو صير ايحل لك هذا من الله * قال له ابو قير انما افعل هذا من الفقر لان صنعتي كاسدة وانا فقير وليس عندي شيء * ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب * وصار ابو صير يذكر له كساد صنعته ايضا ويقول له انا اسطى ليس لي نظير في هذه المدينة * ولكن لا يحلق عندي احد لكوني رجلا فقيرا وكرهت هذه الصنعة يا اخي * فقال له ابو قير الصباغ وانا ايضا كرهت صنعتي من الكساد ولكن يا اخي ما الداعي لاقامتنا في هذه البلد فانا وانت نسافر منها نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في ايدينا رائجة في جميع البلاد * فاذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم * ولا زال ابو قير يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال * ثم انهما اتفقا على السفر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير لا زال يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال * ثم انهما اتفقا على السفر وفرح ابوقير بان ابا صير رغب في ان يسافر وانشد قول الشاعر

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلَا ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٍ وَآدَابٍ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
وَإِنْ قِيلَ فِي الأَسْفَارِ غَمٌّ وَكُرْبَةٌ ... وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ وَارْتِكَابُ شَدَائِدِ
فَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَوتِهِ ... بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

وحين عزما على السفر قال ابو قير لابي صير يا جاري نحن صرنا اخوين ولا فرق بيننا * فينبغي اننا ان نقرأ الفاتحة على ان عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه في صندوق * فاذا رجعنا الى الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والانصاف * قال ابو صير وهو كذلك وقرأ فاتحة على ان العمال يكتسب ويطعم البطال * ثم ان ابا صير قفل الدكان واعطى المفاتيح لصاحبها * وابو قير ترك المفتاح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة * واخذا مصالحهما واصبحا مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما اسعاف * ومن تمام سعد المزين ان جميع من كان في الغليون لم يكن معهم احد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية * ولما حلوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا اخي هذا بحر نحتاج فيه الى الاكل والشرب وليس معنا الا قليل

زاد * وربما يقول لي احد تعال يا مزين احلق لي فاحلق له برغيف او بنصف فضة او بشربة ماء فانتفع بذلك انا وانت * فقال له الصباغ لا باس ثم حط راسه ونام * وقام المزين واخذ عدّته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لانه فقير وشق بين الركاب * فقال له واحد تعال يا اسطى احلق لي فحلق له * فلما حلق لذلك الرجل اعطاه نصف فضة * فقال له المزين يا اخي ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة * ولو كنت اعطيتني رغيفا كان ابرك لي في هذا البحر لان لي رفيقا وزادنا شيء قليل فاعطاه رغيفا وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلوا * فاخذ ذلك واتى الى ابي قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة * فاخذ ذلك منه واكل و شرب * ثم ان ابا صير المزين بعد ذلك حمل عدته و اخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في الغليون بين الركاب * فحلق لانسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب * وصار كل من يقول له احلق لي يا اسطى يشرط عليه رغيفين و نصف فضة * وليس في الغليون مزين غيره فما جاء المغرب حتى جمع ثلثين رغيفا و ثلثين نصفا فضة * وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ * وصار كلما يطلب حاجة يعطونه اياها حتى صار عنده شيء كثير * وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر فقال له القبطان مرحبا بك هات رفيقك في كل ليلة وتعشيا عندي ولا تحملا هما ما دمتما مسافرين معنا * ثم رجع الى الصباغ فرآه لم يزل نائما فايقظه * فلما افاق ابو قير رأى عند راسه شيأ كثيرا من عيش وجبن و زيتون و بطارخ * فقال له من اين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فاراد ان يأكل * فقال له ابو صير لا تأكل

يا اخي من هذا واتركه ينفعنا في وقت أُخر * واعلم اني حلقت للقبطان وشكوت اليه قلة الزوادة * فقال لي مرحبا بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندي فاول عشاءنا عند القبطان في هذه الليلة * فقال له ابوقير انا دائخ من البحر ولا اقدر ان اقوم من مكاني * فدعني اتعشى من هذا الشيء ورح انت وحدك عند القبطان * فقال له لاباس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجار من الجبل * ويبتلعها ابتلاع الفيل الذي له ايام ما اكل * ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول * وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفول * واذا بنوتي جاء وقال يا اسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء * فقال ابوصير لابي قير اتقوم بنا فقال له انا لا اقدر على المشي * فراح المزين وحده فرأى القبطان جالسا وقدامه سفرة فيها عشرون لونا او اكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه * فلما رآه القبطان قال له اين رفيقك فقال له ياسيدي انه دائخ من البحر * فقال له القبطان لاباس عليه ستزول عنه الدوخة تعال انت تعش معنا فاني كنت في انتظارك * ثم ان القبطان عزل صحن كباب وحط فيه من كل لون فصار يكفي عشرة * وبعد ان تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك الى رفيقك * فاخذه ابوصير واتى به الى ابي قير فرآه يطحن بانيابه فيما عنده من الاكل مثل الجمل * ويلحق اللقمة باللقمة على عجل * فقال له ابوصير اما قلت لك لا تأكل فان القبطان خيره كثير فانظر اي شيء بعث اليك لما اخبرته بانك دائخ * فقال له هات فناوله الصحن فاخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الاكل مثل الكلب

الكاشر او السبع الكاسر او الرخ اذا انقض على الحمام او الذي كادان يموت من الجوع * ورأى شيأ من الطعام وصار يأكل فتركه ابوصير وراح الى القبطان وشرب القهوة هناك * ثم رجع الى ابي قير فرأه قد اكل جميع ما في الصحن ورماه فارغا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اباصير لما رجع الى ابي قير رأه قد اكل مافى الصحن ورماه فارغا فاخذه واوصله الى بعض اتباع القبطان ورجع الى ابي قير ونام الى الصباح * فلما كان ثاني الايام صار ابي صير يحلق وكلما جاء له شيء يعطيه لابي قبر * وابوقير يأكل ويشرب وهو قاعد لايقوم الّا لازالة الضرورة وكل ليلة يأتي له بصحن ملأن من عند القبطان * واستمرا على هذه الحالة عشرين يوما حتى رسا الغليون على مينة مدينة * فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة واخذا لهما حجرة في خان * وفرشها ابوصير واشترى جميع ما يحتاجان اليه وجاء بلحم وطبخه وابوقير نائم من حين دخل الحجرة في خان ولم يستيقظ حتى ايقظه ابوصير ووضع السفرة بين يده * فلما افاق اكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذني فاني دائخ ثم نام واستمر على هذه الحالة اربعين يوما * وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور فى المدينة فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد اباقير نائما فينبهه * وحين ينتبه يقبل علي الاكل بلهفة فيأكل أكل من لايشبع ولا يقنع ثم ينام * ولم يزل كذلك مدة اربعين يوما اخرى * وكلما يقول له ابوصير اجلس ارتح

واخرج تفسح فى المدينـــة فانها فرجة وبهجة وليس لها نظيـــر فى المدائن يقول له ابوقير الصباغ لا تؤاخذني فاني دائخ * فلا يرضى ابوصير المزين ان يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه * وفى اليوم الحادي والاربعين مرض المزين ولم يقدر ان يسرح فسخر بـــواب الخان فقضى لهما حاجتهما واتى لهما بما يأكلان وما يشربان * كل ذلك وابوقير يأكل وينام * وما زال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة اربعة ايام * وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه * واما ابوقير فانه احرقـــه الجوع فقام وفتش في ثياب ابي صير فرأى معه مقدارا من الدراهم فاخذه وقفـــل باب الحجرة على ابي صير ومضى ولم يعلم احدا * وكان البواب فى السوق فلم يره حين خروجه * ثم ان ابافير عمد الى السوق وكسانفسه ثيابا نفيسة وصار يدور فى المديـنـة ويتفرج فرآها مدينـــة ما وجد مثلها فى المدائن * وجميع ملبوسها ابيض وازرق من غيـــر زيادة فاتى الى صباغ فرأى جميع ما في دكانـــه ازرق * فاخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ اجرتك * فقال له ان اجرة صباغ هذه عشرون درهما * فقال له نحن نصبـــغ هذه في بلادنا بدرهمين فقال له رح اصبغهـــا في بلادكم * واما انا فلا اصبغها الّا بعشرين درهما لاننقص عن هذا القدر شيأ * فقال له ابوقير ايّ لون نريد صبغها قال له الصباغ اصبغها زرقاء * قال له ابوقيرانا مرادي ان تصبغها لى حمراء قال له لا ادري صباغ الاحمر * قال خضراء قال لا ادري صباغ الاخضر * قال صفراء قال له لا ادري صباغ الاصفر * وصار ابوقير يعدد له الالوان لونا بعد لون * فقال له الصبـــاغ نحن في بلادنا اربعـــون معلما

لايزيدون واحدا ولا ينقصون واحدا * واذا مات منا واحد نعلم ولده وان لم يخلف ولدا نبقى ناقصين واحدا و الذي له ولدان نعلم واحدا منهما * فان مات علمنا اخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف ان نصبغ غير الازرق من غير زيادة * فقال له ابوقير الصباغ اعلم اني انا صباغ و اعرف ان اصبغ سائر الالوان * و مرادي ان تخدمني عندك بالاجرة وانا اعلمك جميع الالوان لاجل ان تفتخر بها على كل طائفة الصباغين * فقال له نحن لا نقبل غريبا يدخل في صنعتنا ابدا * فقال له و اذا فتحت لي مصبغة وحدي * قال له لا يمكنك ذلك ابدا فتركه و توجه الى الثاني * فقال له كما قال له الاول * ولم يزل ينتقل من صباغ الى صباغ حتى طاف على الاربعين معلما فلم يقبلوه لا اجيرا ولا معلما * فتوجه الى شيخ الصباغين واخبره * فقال له اننا لا نقبل غريبا يدخل في صنعتنا * فحصل عند ابي قير غيظ عظيم وطلع يشكوالى ملك تلك المدينة * وقال له يا ملك الزمان انا غريب و صنعتي الصباغة وجرى لي مع الصباغين ماهو كذا وكذا * وانا اصبغ الاحمر الوانا مختلفة كوردي وعنابي * والاخضر الوانا مختلفة كزرعي وفستقي و زيتي وجناح الدرّة * والاسود الوانا مختلفة كفحمي وكحلي * والاصفر الوانا مختلفة كنارنجي وليموني وصار يذكر له سائر الالوان * ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذين في مدينتك لايخرج من ايديهم ان يصبغوا شيأ من هذه الالوان ولايعرفون الّا صباغ الازرق * ولم يقبلوني ان اكون عندهم معلما ولا اجيرا * فقال له الملك قد صدقت في ذلك ولكن انا افتح لك مصبغة واعطيك راس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك شنقته على باب دكانه * ثم امرالبنا ئين

وقال لهم امضوا مع هذا المعلم و شقوا انتم واياه فى المدينة * واي مكان اعجبه فاخرجوا صاحبه منه سواء كان دكانا اوخانا اوغير ذلك * وابنوا له مصبغة على مراده ومهما امركم به فافعلــوه ولا تخالفوه فيما يقول * ثم ان الملك البسه بدلة مليحة واعطاه الف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية * واعطاه مملوكين من اجــل الخدمة وحصانا بعــدّة مزركشة * فلبس البدلة و ركب الحصان وصار كأنه امير * واخلى له الملك بيتا وامر بفرشه ففرشوه له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك اخلى بيتا لابي قير وامر بفرشه ففرشوه له و سكن فيه وركب فى ثاني يوم وشق فى المدينة والمهندسون قدامه * ولم يزل يتأمل حتى اعجبه مكان * فقال هذا المكان طيب فاخرجوا صاحبه منه واحضروه الى الملك فاعطاه ثمن مكانه زيادة على مايرضيه و دارت فيه البناية * و صار ابوقير يقول للبنائين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير * ثم حضر الى الملك واخبره بان المصبغة تمّ بناؤها * وانما تحتاج لثمن الصباغ من اجل ادارتها * فقال له الملك خذ هذه الاربعة الالف دينار واجعلها راس مال وارني ثمرة مصبغتك * فاخذها ومضى الى السوق فرأى النيلة كثيرة و ليس لها ثمن فاشترى جميــع ما يحتاج اليه من حوائج الصبــاغ * ثم ان الملك ارسل اليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيهـا وصبغها من ســائر الالوان ثم نشرها قدام باب المصبغة * فلما مر الناس عليها رأوا شيأ عجيبــا عمرهم

ما رأوا مثله * فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الالوان فيقول لهم هذا احمر وهذا اصفر وهذا اخضر ويذكر لهم اسامي الالوان * فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب * ولما فرغ من صباغ قماش الملك اخذه وطلع به الى الديوان * فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وانعم عليه انعاما زائدا * وصار جميع العسكر يأتون اليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على اغراضهم ويرمون عليه الذهب والفضة * ثم انه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب * وجميع الصباغين لم يقدر واحد منهم ان يتكلم معه * وانما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون اليه مما سبق منهم في حقه ويعرضون انفسهم عليه * ويقولون له اجعلنا خدماء عندك فلم يرض ان يقبل واحدا منهم * وصار عنده عبيد وجوار وجمع مالا كثيرا * هذا ما كان من امر ابي قير * واما ما كان من امر ابي صير فانه لما قفل عليه ابو قير باب الحجرة بعد ان اخذ دراهمه راح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود * فصار مرميا في تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمر كذلك ثلثة ايام * فانتبه بواب الخان الى باب الحجرة فرآه مقفولا ولم ير احدا من هذين الاثنين الى المغرب ولم يعلم لهما خبرا * فقال في نفسه لعلهما سافرا ولم يدفعا اجرة الحجرة او ماتا او ما خبرهما * ثم انه اتى الى باب الحجرة فرآه مقفولا وسمع ابن المزين في داخلها ورأى المفتاح في الضبة ففتح الباب

ودخل * فرأى المزيّن يئنّ فقال له لا باس عليك اين رفيقك * فقال له والله اني ما فقت من مرضي الّا في هذا اليوم وصرت انادي وما احد يرد عليّ جوابا * بالله عليك ياخي ان تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منه خمسة انصاف وتشتري لي بها شيأ أقتات به فاني في غاية الجوع فمد يده واخذ الكيس فرأه فارغا * فقال للمزين ان الكيس فارغ ما فيه شيء * فعرف ابوصير المزين ان ابا قير اخذ ما فيه وهرب * فقال له اما رأيت رفيقي فقال له من مدة ثلثة ايام ما رأيته وماكنت اظن الّا انك سافرت انت واياه * فقال له المزين ما سافرنا وانما طمع في فلوسي فاخذها وهرب حين رأني مريضا * ثم انه بكى وانتحب * فقال له بواب الخان لا باس عليك وهو يلقي فعله من الله * ثم ان بواب الخان راح وطبخ له شوربة وغرف له صحنا واعطاه اياه * ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به * ثم قام على اقدامه وقال لبواب الخان ان اقدرني الله تعالى جازيتك على ما فعلت معي من الخير * ولكن لا يجازي الّا الله من فضله * فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية انا ما فعلت معك ذلك الّا ابتغاء وجه الله الكريم * ثم ان المزين خرج من الخان وشق في الاسواق فاتت به المقادير الى السوق الذي فيه مصبغة ابي قير فرأى الاقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها * فسأل رجلا من اهل المدينة وقال له ما هذا المكان وما لي ارى الناس مزدحمين * فقال له المسئول ان هذه مصبغة السلطان التي انشأها لرجل غريب اسمه ابو قير * وكلما صبغ ثوبا نجتمع عليه ونتفرج على صباغه لان بلادنا ما فيها صباغون

يعرفون صباغ هذه الالوان * وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى واخبره بما جرى بين ابي قير وبين الصباغين * وانه شكاهم الى السلطان فاخذ بيده وبنى له هذه المصبغة واعطاه كذا وكذا واخبره بكل ماجرى * ففرح ابوصير وقال في نفسه الحمد لله الذى فتح عليه وصار معلما والرجل معذور لعله التهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن انت عملت معه معروفا واكرمته وهو بطال * فمتى رآك فرح بك واكرمك في نظر ما اكرمته * ثم انه تقدم الى جهة باب المصبغة فرأى اباقير جالسا على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة * وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه اربعة عبيد واربعة مماليك بيض لابسين افخر الملابس * ورأى الصنايعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لانه حين اشتراهم علّمهم صنعة الصباغة وهو قاعد بين المخدات كأنه وزير اعظم او ملك افخم لا يعمل شيأ بيده * وانما يقول لهم افعلوا كذا وكذا * فوقف ابوصير قدامه وهو يظن انه اذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره * فلما وقعت العين فى العين قال له ابوقير يا خبيث كم مرة وانا اقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب هل مرادك ان تفضحني مع الناس ياحرامي امسكوه * فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام ابوقير على حيله واخذ عصى وقال ارموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة * وقال له يا خبيث يا خائن ان نظرتك بعد هذا اليوم واقفا على باب هذه المصبغة ارسلتك الى الملك فى الحال فيسلمك الى الوالي ليرمي عنقك * امش لا بارك الله لك فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من الضرب والرذيل * فقال الحاضرون

لابي قير الصباغ اي شيء عمل هذا الرجل * فقال لهم انه حرامي يسرق اقمشة الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان اباقير ضرب اباصير وطـــرده وقال للناس ان هذا حرامي يسرق اقمشة الناس وانـــه سرق مني كم مرة من القماش * وانا اقول في نفسي سامحه الله فانه رجل فقير ولم ارض ان اشوش عليه واعطى الناس ثمن اقمشتهم وانهاه بلطف فلم ينته * فان رجع مرة غير هذه المرة ارسلته الى الملك فيقتله ويريح الناس من اذاه * فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه * هذا ما كان من امر ابي قير * واما ما كان من امر ابي صير فانه رجع الى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به ابوقير * ولم يزل جالسا حتى برد عليه الضرب ثم خرج وشق في اسواق المدينة * فخطر بباله انه يدخل الحمـــام فسأل رجلا من اهل المدينة وقال له يا اخي من اين طريق الحمام * فقال له وما يكون الحمام فقال له موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الاوساخ * وهو من اطيب طيبات الدنيا * فقال له عليك بالبحر قال انا مرادي الحمام قال له نحن لم نعـــرف الحمام كيف يكون فاننا كلنا نروح الى البحر * حتى الملك اذا اراد ان يغتسل فانه يروح الى البحر * فلما علم ابوصير ان المدينـــة لم يكن فيها حمام واهلها لاتعرف الحمام ولا كيفيته مضى الى ديـــوان الملك ودخل عليه وقبل الارض بين يديـــه ودعاله * وقال له انا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك واردت الذهاب الى الحمام فما رأيت فيها ولا حماما واحدا *

والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلـــة كيف تكون من غير حمام مع انه من احسن نعيم الدنيا * فقال له الملك اي شيء يكون الحمام فصـار يحكي له اوصاف الحمام وقال له لاتكـــون مدينتك مدينة كاملة الّا اذا كان بها حمام * فقال له الملك مرحبابك والبسه بدلة ليس لها نظير واعطاه حصانا وعبدين * ثم انعم عليه باربع جوار ومملوكيـــن وهيأله دارا مفروشة واكرمه اكثر من الصبّــاغ وارسل معه البنائين وقال لهم الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماما * فاخـــذهم وشق بهم في وسط المدينة حتى اعجبــه مكان فاشار لهم عليه فدوروا فيه البناية وصار يرشدهم الى كيفيته حتى بنوا له حماما ليس له نظيـــر * ثم امرهم بنقشه فنقشوه نقشا عجيبا حتى صار بهجة للناظرين * ثم طلع الى الملك واخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له انه لم يكن ناقصا غير الفرش فاعطاه الملك عشرة ألاف دينار فاخذها وفرش الحمام وصفّ فيه الفوط على الحبال * وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ويحتار فكـــره في نقشه * وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم * وصاروا يتفرجون عليه ويقولون اي شيء هذا فيقول لهم ابوصير هذا حمام فيتعجبون منه * ثم انه سخن الماء ودور الحمـام وعمـــل سلسبيلا فى الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من اهـــل المدينة * وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فاعطـاه عشرة مماليك مثل الاقمار * فصار يكبسهم ويقول لهم افعلـــوا مع الزبائن هكذا ثم اطلق البخور * وارسل مناديا ينادي فى المدينة ويقول يا خلق الله عليكم بالحمام فانه يسمى حمام السلطـان *

فاقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك ان يغسلوا اجساد الناس * وصارت الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون فى الليوان والمماليك تكبسهم مثل ما علّمهم ابوصير * واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا اجرة مدة ثلثة ايام * وفى اليوم الرابع عزم الملك الى الحمام فركب هو واكابر دولته وتوجهوا الى الحمام فقلع ودخل * فدخل ابوصير وكيس الملك واخرج من جسده الوسخ مثل الفتائل وصار يريه له ففرح الملك * وصار لوضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة * وبعد ان غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك فى المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رأه * ثم بعد ذلك اجلسه فى الليون وصارت المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود الند * فقال الملك يا معلم اهذا هو الحمام قال نعم * فقال له وحيوة رأسي ان مدينتي ما صارت مدينة الا بهذا الحمام * ثم قال له انت تأخذ على كل رأس اي شيء اجرة * قال ابوصير الذي تأمر لي به أخذه فامر له بالف دينار * وقال له كل من اغتسل عندك خذ منه الف دينار * فقال له العفو يا ملك الزمان ان الناس ليسوا سواء بل فيهم الغني وفيهم الفقير * واذا اخذت من كل واحد الف دينار يبطل الحمام فان الفقير لا يقدر على الالف دينار * قال الملك وكيف تفعل فى الاجرة قال اجعل الاجرة بالمروة فكل من يقدر على شيء وسمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل انسان على قدر حاله * فان الامر اذا كان كذلك تأتي الينا الخلائق والذي يكون غنيا يعطي على قدر مقامه * والذي يكون فقيرا يعطي على قدر ما تسمح به نفسه * فاذا كان الامر كذلك يدور

الحمام ويبقى له شان عظيم * واما الالف دينار فانها عطية الملك ولا يقدر عليها كل احد * فصدق عليه اكابر الدولة وقالوا هذا هو الحق يا ملك الزمان * اتحسب ان الناس كلهم مثلك ايها الملك العزيز * قال الملك ان كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقير واكرامه واجب علينا * فانه عمل في مدينتنا هذا الحمام الذي عمرنا مارأينا مثله * ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن الّا به فاذا أكرمناه بزيادة الاجرة ماهو كثير * فقالوا اذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك * واكرام الفقير من الملك بقلّة اجرة الحمـــــام لاجل ان تدعو لك الرعية * واما الالف دينار فنحن اكابر دولتك ولا تسمح انفسنـــا باعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء * فقال الملك يا اكابر دولتي كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكا وجارية وعبدا * فقالوا نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه الّا ما تسمح به نفسه * فقال لا بأس بذلك فجعلت الاكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكا وعبدا * وكان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم اربعمائة نفس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك في ذلك اليوم اربعمائة نفس * فصار جملة ما اعطوه من الدنانير اربعين الف دينار * ومن المماليك اربعمائة مملوك ومن العبيد اربعمائة عبد * ومن الجواري اربعمائة جارية * وناهيك بهذه العطية * واعطاه الملك عشرة ألاف دينار وعشرة ممـــاليك

وعشر جوار وعشرة عبيد * فتقدم ابو صير وقبل الارض بين ايادى الملك وقال له ايها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد اي مكان يسعني بهذه المماليك والجواري والعبيد * فقال له الملك انا ما امرت دولتي بذلك الّا لاجل ان نجمع لك مقدارا عظيما من المال * لانك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت اليهم واردت السفر الى اوطانك فتكون اخذت من بلادنا مقدارا جسيما من المال تستعين به على وقتك في بلادك * قال يا ملك الزمان اعزك الله ان هذه المماليك والجواري والعبيد الكثيرة شأن الملوك * ولو كنت امرت لي بمال نقد لكان خيرا لي من هذا الجيش فانهم يأكلون ويشربون ويلبسون * ومهما حصلته من المال لا يكفيهم فى الانفاق عليهم * فضحك الملك وقال والله انك قد صدقت فانهم صاروا عسكرا جرارا وانت ليس لك مقدرة على الانفاق عليهم * ولكن أتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار * فقال بعتك اياهم بهذا الثمن * فارسل الملك الى الخازندار ليحضر له المال فاحضره واعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال * ثم بعد ذلك انعم بهم على اصحابهم وقال كل من يعرف عبده او جاريته او مملوكه فليأخذه فانهم هدية مني اليكم فامتثلوا امر الملك واخذ كل واحد منهم ما يخصه * فقال له ابو صير اراحك الله يا ملك الزمان كما ارحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر ان يشبعهم الّا الله * فضحك الملك من كلامه وصدق عليه * ثم اخذ اكابر دولته وذهب من الحمام الى سرايته وبات تلك الليلة ابو صير وهو يصرد الذهب ويضعه فى الاكياس ويختم عليه * وكان عنده عشرون عبدا وعشرون مملوكا واربع جوار برسم الخدمة * فلما اصبح الصباح فتح الحمام

وارسل منادياً ينادي ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فانه يعطي ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروته * وقعد ابو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزباين وصار كل من طلع يحط الذي يهون عليه * فما امسى المساء حتى امتلأ الصندوق من خير الله تعالى * ثم ان الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ ابا صير ذلك قسم النهار من اجلها قسمين * وجعل من الفجر الى الظهر قسم الرجال * ومن الظهر الى الغروب قسم النساء * ولما اتت الملكة اوقف جارية خلف الصندوق وكان علّم اربع جوار البلانة حتى صرن بلّانات ماهرات * فلما دخلت الملكة اعجبها ذلك وانشرح صدرها وحطت الف دينار وشاع ذكره فى المدينة * وصار كل من دخل يكرمه سواء كان غنيا او فقيرا * فدخل عليه الخير من كل باب وتعرف باعوان الملك وصار له اصحاب واحباب * وصار الملك يأتي اليه فى الجمعة يوما ويعطيه الف دينار وبقية ايام الجمعة للاكابر والفقراء * وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة * فاتفق ان قبطان الملك دخل عليه فى الحمام يوما من الايام فقلع ابو صير ودخل معه وصار يكبسه ولاطفه ملاطفة زائدة * ولما خرج من الحمام عمل له الشرباب والقهوة * فلما اراد ان يعطيه شيأ حلف انه لا يأخذ منه شيأ فحمل القبطان جميلته لما رأى من مزيد لطفه به واحسانه اليه * وصار متحيرا فيما يهديه الى ذلك الحمامي في نظير اكرامه له * هذا ما كان من امر ابي صير * واما ما كان من امر ابي قير فانه سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول ان هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك ان شاء الله يا فلان تدخل بنا غدا هذا الحمام النفيس * فقال ابو قير في نفسه

لا بد ان اروح مثل الناس وانظر هذا الحمام الذي اخذ عقول الناس * ثم انه لبس افخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة واخذ معه اربعة عبيد واربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه الى الحمام * ثم انه نزل في باب الحمام * فلما صار عند الباب شم رائحة العود الند ورأى ناسا داخلين وناسا خارجين * ورأى المساطب ملآنة من الاكابر والاصاغر فدخل الدهليز فرآه ابو صير فقام اليه وفرح به * فقال له ابو قير هل هذا شرط اولاد الحلال وانا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة * وانت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول اين رفيقي * وانا عجزت وانا افتش عليك وابعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الاماكن فلا يعرفون طريقك ولا احد يخبرهم بخبرك * فقال له ابو صير اما جئت اليك وجعلتني لصاً وضربتني وهتكتني بين الناس * فاغتم ابو قير وقال اي شيء هذا الكلام هل هو انت الذي ضربتك * فقال له ابو صير نعم هو انا فحلف له ابو قير الف يمين انه ماعرفه * وقال انما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت انك هو * وصار يتندم ويضرب كفا على كف ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * قد اسأناك ولكن يا ليتك عرفتني بنفسك وقلت انا فلان فالعيب عندك لكونك لم تعرفني بنفسك * خصوصا وانا مدهوش من كثرة الاشغال * فقال له ابو صير سامحك الله يا رفيقي وهذا الشيء كان مقدرا في الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط * فقال له بالله عليك ان تسامحني يا اخي * فقال له ابرأ الله ذمتك وسامحك فانه كان امرا مقدرا علي في الازل * ثم قال له ابو قير ومن اين لك

هذه السيادة * فقال له الذي فتح عليك فتح عليّ فاني طلعت على الملك واخبرته بشأن الحمام فامرلي ببنائه * فقال له ابوقير وكما انك معرفة الملك فانا الأخر معرفته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة و الثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير لما تعاتب هو وابوصير قال له كما انت معرفة الملك انا الأخر معرفته * وان شاء الله تعالى انا اخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا الاكرام من اجلي * فانه لم يعرف انك رفيقي فانا اعرفه بانك رفيقي واوصيه عليك * فقال له ما يحتاج الى وصية فان المحنّن موجود وقد احبني الملك هو وجميع دولته واعطاني كذا وكذا واخبره بالخبر * ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وانا ادخل معك لاجل ان اكيسك * فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه ابوصير وكيسه وصبنه والبسه واشتغل به حتى خرج * فلما خرج احضر له الغداء والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة اكرامه له * ثم بعد ذلك اراد ابوقير ان يعطيه شيأ فحلف انه لا يأخذ منه شيأ وقال له استح من هذا الامر وانت رفيقي وليس بيننا فرق * ثم ان ابا قير قال لابي صير يا رفيقي والله ان هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة * فقال له وما نقصها قال له الدواء الذي هو اعقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء * فاذا اتى الملك فقدمه اليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حبا شديدا ويكرمك * فقال له صدقت ان شاء الله تعالى اصنع ذلك * ثم ان ابا قير خرج وركب بغلته وذهب الى الملك

و دخل عليه و قال له انا ناصح لك يا ملك الزمان * فقال له و ما نصيحتك * فقال بلغني خبر و هو انك بنيت حماما قال نعم قد اتاني رجل غريب فانشأته له كما انشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم و قد تزينت مدينتي به و صار يذكر له محاسن ذلك الحمام * فقال له ابوقير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذي نجاك من شر هذا الخبيث عدوالدين و هو الحمامي * فقال له الملك و ما شانه قال ابوقير اعلم يا ملك الزمان انك ان دخلته بعد هذا اليوم فانك تهلك * فقال له لاي شيء فقال له ان الحمامي عدوك و عدوالدين فانه ما حملك على انشاء هذا الحمام الا لان مراده ان يدخل عليك فيه السم فانه صنع لك شيأ * واذا دخلته يأتيك به و يقول لك هذا دواء كل من دهن به تحته يرمي الشعر منه بسهولة * و ليس هو بدواء بل هو داء عظيم و سم قاتل * وان هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى انه ان قتلك يفك له زوجته و اولاده من الاسر * فان زوجته واولاده مأسورون عند سلطان النصارى و كنت ما سورا معه في بلادهم * ولكن انا فتحت مصبغة وصبغت لهم الوانا فاستعطفوا علي قلب الملك * فقال لي الملك اي شيء تطلب فطلبت منه العتق فاعتقني و جئت الى هذه المدينة * ورأيته في الحمام فسألته وقلت له كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك واولادك * فقال لم ازل انا و زوجتي و اولادي مأسورين حتى ان ملك النصارى عمل ديوانا * فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفا من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك الى ان ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى و قال ما قهرني في الدنيا الا ملك المدينة الفلانية

فكل من تحيل لى على قتله فاني اعطيه كل ما يتمنى * فتقدمت انا اليه و قلت له اذا تحيلت لک على قتله هل تعتقني انا و زوجتي و اولادي فقال لي نعم اعتقكم واعطيک كل ما تتمنى * ثم اني اتفقت انا و اياه على ذلک و ارسلني في غليون الى هذه المدينة وطلعت الى هذا الملک فبنى لي هذا الحمام * وما بقي عليّ الّا ان اقتله واروح الى ملک النصارى و افدي اولادي وزوجتي وانمنى عليه * فقلت وما الحيلة التي دبرتها في قتله حتى تقتله قال لي هي حيلة سهلة اسهل ما يكون فانه يأتي اليّ في هذا الحمام* وقد اصطنعت له شيأ فيه سم فاذا جاء اقول له خذ هذا الدواء وادهن به تحتک فانه يسقط الشعر فيأخذه و يدهن به تحته فيلعب السم فيه يوما و ليلة حتى يسري الى قلبه فيهلكه والسلام * فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليک لان خيرک عليّ وقد اخبرتک بذلک * فلما سمع الملک هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال للصباغ اكتم هذا السر * ثم طلب الرواح الى الحمام حتى يقطع الشک باليقين * فلما دخل الملک الحمام تعرى ابوصير على جري عادته وتقيد بالملک وكيسه * وبعد ذلک قال يا ملک الزمان اني عملت دواء لتنظيف الشعر التحتاني* فقال احضره لي فاحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده انه سم * فغضب و صاح على الا عوان و قال امسكوه فقبض عليه الا عوان وخرج الملک وهو ممتزج بالغضب ولا احد يعرف سبب غضبه * ومن شدة غضب الملک لم يخبر احدا ولم يتجاسر احد على ان يسأله * ثم انه لبس وطلع الديوان ثم احضر اباصير بين يديه و هو مكتف * ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له الملک خذ هذا الخبيث

وحطه في زكيبة وحط في الزكيبة قنطارين جيرا من غير طفي واربط فمها عليه هو والجير * ثم ضعها في الزورق وتعال تحت قصري فتراني جالسا في شباكه وقل لي هل ارميه فاقول لك ارمه * فاذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفئ الجير عليه لاجل ان يموت غريقا حريقا فقال له سمعا وطاعة * ثم اخذه من قدام الملك الى جزيرة قصاد قصر الملك * وقال لابي صير يا هذا انا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فاكرمتني وقمت بواجبي وانبسطت منك كثيرا وحلفت انك لم تأخذ مني اجرة * وانا قد احببتك محبة شديدة فاخبرني ما قضيتك مع الملك * واي شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وامرني ان تموت هذه الميتة الرديئة * فقال له والله ما عملت شيأ وليس عندي علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القبطان لما سأل اباصير عن سبب غضب الملك عليه قال له والله يا اخي ما عملت معه شيأ قبيحا يستوجب هذا * فقال له القبطان ان لك عند الملك مقاما عظيما مانا له احد قبلك وكل ذي نعمة محسود * فلعل احدا حسدك على هذه النعمة ورمى في حقك بعض كلام عند الملك حتى ان الملك غضب عليك هذا الغضب * ولكن مرحبابك وما عليك من بأس * فكما انك اكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فانا اخلصك * ولكن اذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى

يسافر من هذه المدينــة غليون الى ناحية بلادك فارسلك معه * فقبل ابوصير يد القبطان وشكره على ذلك * ثم انه احضر الجيـر ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجرا كبيرا قدر الرجل وقال توكلت على الله * ثم ان القبطان اعطى اباصير شبكــة وقال له ارم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيأ من السمك لان سمك مطبــخ الملك مرتب عليّ في كل يوم * وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبـــة التي اصابتك فاخاف ان تأتي غلمان الطباخ ليطلبــوا السمك فلم يجدوه * فاذا كنت تصطاد شيأ فانهم يجدونـــه حتى اروح اعمل الحيلة تحت القصر واجعل اني رميتك * فقال له ابوصير انا اصطـــاد ورح انت والله يعينك فوضع الزكيبـــة في الزورق وسارالى ان وصل تحت القصر فرأى الملك جالسا في الشباك * فقال يا ملك الزمان هل ارميه فقال له ارمه واشار بيده واذا بشيء برق ثم سقط في البحر * واذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك * وكان مرصودا بحيث اذا غضب الملك على احد واراد قتلـــه يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فتقع راسه من بين كتفيه * وما اطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة الّا بسبب هذا الخاتم * فلما وقع الخاتم من اصبعه كتم امره ولم يقدران يقول خاتمي وقع في البحر خوفا من العسكر ان يقوموا عليه فيقتلوه فسكت * هذا ما كان من امر الملك * واما ما كان من امرابي صير فانه بعد ذهاب القبطان اخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكا * ثم طرحها ثانيا فطلعت ملآنة سمكا ايضا ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكا حتى

صار قدامه كوم كبير من السمك * فقال في نفسه والله ان لي مدة طويلة ما اكلت السمك * ثم انه نقى له سمكة كبيرة سمينة وقال لما يأتي القبطان اقول له يقلي لي هذه السمكة لا تغدى بها * ثم انه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخشوشها فرأى خاتم الملك فيه لانها كانت ابتلعته * ثم ساقتها القدرة الى تلك الجزيرة و وقعت في الشبكة فاخذ الخاتم ولبسه في خنصره و هو لا يعلم ما فيه من الخواص * و اذا بغلامين من خدام الطباخ اتيا لطلب السمك * فلما صارا عند ابى صير قالا يا رجل اين راح القبطان فقال لا ادري واشار بيده اليمنى و اذا براسي الغلامين وقعا من بين اكتافهما حين اشار اليهما وقال لا ادري * فتعجب ابوصير من ذلك وجعل يقول يا ترى من قتلهما وصعبا عليه * و صار يتفكر في ذلك و اذا بالقبطان اقبل فرأى كوما كبيرا من السمك * ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم في اصبع ابى صير * فقال له يا اخي لاتحرك يدك التي فيها الخاتم فانك ان حركتها قتلتني * فتعجب من قوله لا تحرك يدك التى فيها الخاتم لانك ان حركتها قتلتني * فلما وصل اليه القبطان قال من قتل هذين الغلامين قال له ابوصير والله يا اخي لا ادري قال صدقت * ولكن اخبرني عن هذا الخاتم من اين وصل اليك قال رأيته في نخشوش هذه السمكة قال صدقت فاني رأيته نازلا يبرق من قصر الملك حتى سقط فى البحر وقت ان اشار اليك وقال لي ارمه فانه لما اشار رميت الزكيبة وكان سقط من اصبعه ووقع فى البحر فابتعلته هذه السمكة و ساقها الله اليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك * ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم قال ابوصير لا ادري له خواصا * فقال القبطان اعلم انه

عسكر ملكنا ما اطاعوه الّا خوفا من هذا الخاتم لانه مرصود * فاذا غضب الملك على احد واراد قتله يشير به عليه فتقع رأسه من بين كتفيه * فان بارقة تخرج من هذا الخاتم و يتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته * فلما سمع ابو صير هذا الكلام فرح فرحا شديدا وقال للقبطان ردّني الى المدينة * فقال له القبطان اردّك فاني ما بقيت اخاف عليك من الملك فانك متى اشرت بيدك و اضمرت على قتله فان رأسه تقع بين يديك * ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فانك تقتلهم من غير عاقة * ثم انزله في الزورق و توجه به الى المدينة و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القبطان لما انزل ابا صير في الزورق توجه به الى المدينة * فلما وصل اليها طلع الى قصر الملك * ثم دخل الديوان فرأى الملك جالسا و العسكر بين يديه و هو في غم عظيم من شأن الخاتم و لم يقدر ان يخبر احدا من العسكر بضياع الخاتم * فلما رآه الملك قال له اما رميناك في البحر كيف فعلت حتى خرجت منه * فقال له يا ملك الزمان لما امرت برميي في البحر اخذني قبطانك وسار بي الى جزيرة و سألني عن سبب غضبك عليّ و قال لي اي شيء صنعت مع الملك حتى امر بموتك فقلت له و الله ما اعلم اني عملت معه شيأ قبيحا * فقال لي ان لك مقاما عظيما عند الملك فلعل احدا حسدك ورمى فيك كلاما عند الملك حتى غضب عليك * ولكن انا جئتك

في حمامك فاكرمتني ففي نظير اكرامك اياي في حمامك انا اخلصك و ارسلك الى بلادك * ثم حط في الزورق حجرا عوضا عني ورماه في البحر ولكن حين اشرت له عليّ وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة * وكنت انا في الجزيرة اصطاد سمكا فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها واردت ان اشويها * فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فاخذته وجعلته في اصبعي * فاتاني اثنان من خدام المطبخ و طلبا السمك فاشرت اليهما وانا لا ادري خاصية الخاتم فوقعت رؤسهما * ثم اتى القبطان فعرف الخاتم وهو في اصبعي و اخبرني برصده * فاتيت به اليك لانك عملت معي معروفا و اكرمتني غاية الاكرام وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي وهذا خاتمك فخذه * و ان كنت فعلت معك شيأ يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وانت في حلّ من دمي * ثم خلع الخاتم من اصبعه وناوله للملك * فلما رأى الملك ما فعل ابوصير من الاحسان اخذ الخاتم منه وتختم به وردّت له روحه وقام على اقدامه و اعتنق اباصير * وقال يا رجل انت من خواص اولاد الحلال فلا تؤاخذني و سامحني مما صدر مني في حقك * ولو كان احد غيرك ملك هذا الخاتم ماكان اعطاني اياه * فقال يا ملك الزمان ان اردت ان اسامحك فعرفني بذنبي الذي اوجب غضبك عليّ حيث امرت بقتلي * فقال له والله انه ثبت عندي انك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل * وانما الصبّاغ قد قال لي كذا وكذا واخبره بما قاله الصباغ * فقال ابوصير و الله يا ملك الزمان انا لا اعرف ملك النصارى ولاعمري رحت بلاد النصارى ولاخطر ببالي اني اقتلك * ولكن هذا الصباغ كان

رفيقي وجاري في مدينة اسكندرية * وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش و قرأنا مع بعضنا فاتحة على ان العمال يطعم البطال وجرى لي معه كذا وكذا * واخبره بجميع ما قد جرى له مع ابى قير الصباغ وكيف اخذ دراهمه و فاته ضعيفا فى الحجرة التي فى الخان * وان بواب الخان كان ينفق عليه و هو مريض حتى شفاه الله ثم طلع و سرح فى المدينة بعدّته على العادة * فبينما هو في الطريق اذ رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر الى باب المصبغة * فرأى اباقير جالسا على مسطبة هناك فدخل ليسلم عليه فوقع له منه ما وقع من الضرب والا ساءة و ادعى عليه انه حرامي وضربه ضربا موئلما واخبر الملك بجميع ما جرى له من اوله الى آخره * ثم قال يا ملك الزمان هو الذي قال لي اعمل الدواء وقدمه للملك فان الحمام كامل في جميع الامور الّا ان هذا الدواء مفقود منه * واعلم يا ملك الزمان ان هذا الدواء لايضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمام وانا كنت نسيته * فلما اتاني الصباغ واكرمته ذكّرني به وقال لي اعمل الدواء * وارسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنايعية المصبغة واسأل الجميع عما اخبرتك به * فارسل الملك الى بواب الخان والى صنايعية المصبغة * فلما حضر الجميع سألهم فاخبروه بالواقع فارسل الى الصباغ وقال هاتوه حافيا مكشوف الرأس مكتفا * وكان الصباغ جالسا فى بيته مسرورا بقتل ابي صير * فلم يشعر الّا واعوان الملك هجموا عليه والضرب فى قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك * فرأى ابا صير جالسا في جنب الملك و بواب الخان وصنايعية المصبغة واقفين امامه * فقال له بواب الخان اما هذا رفيقك الذي

سرقت دراهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفا وفعلت معه ما هو كذا وكذا * وقال صنايعية المصبغة اما هذا الذي امرتنا بالقبض عليه وضربناه * فتبين للملك قباحة ابي قير وانه يستحق ما هو اشد من تشديد منكر ونكير * فقال الملك خذوه وجرسوه في المدينة والسوق وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنايعية المصبغة تحقق خبث ابي قيرعنده * فاقام عليه النكير وقال لاعوانه خذوه وجرسوه في المدينة وحطوه في زكيبة وارموه في البحر * فقال ابو صير يا ملك الزمان شفعني فيه فاني سامحته من جميع ما فعل بي * فقال الملك ان كنت سامحته في حقك فانا لا يمكن ان اسامحه في حقي * ثم صاح وقال خذوه فاخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه في زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقا حريقا * وقال الملك يا ابا صير تمنّ عليّ تعط فقال له تمنيت عليك ان ترسلني الى بلادي فاني ما بقي لي رغبة في القعود هاهنا * فاعطاه شيأ كثيرا زيادة على ماله ونواله وموا هبه * ثم انعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له ايضا بعد ان عرض عليه ان يجعله وزيرا فما رضي * ثم ودع الملك وسافر وجميع ما في الغليون ملكه حتى النواتية مماليكه * ومازال سائرا حتى وصل الى ارض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا الى البر * فرأى مملوك من مماليكه زكيبة في جانب البر فقال يا سيدي ان في جنب شاطئ البر زكيبة كبيرة

ثقيلة وفمها مربوط ولا ادري ما فيها * فاتى ابوصير وفتحها فرأى فيها اباقير قد دفعه البحر الى جهـــة اسكندريه فاخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية * وعمل له مزارا واوقف عليه اوقافا وكتب على باب الضريح هذه الابـــــــــــــيــــــات

اَلْمَرْءُ يُعْرَفُ فِي الْأَنَامِ بِفِعْلِهِ ... وَفَعَايِلُ الْحُرِّ الْكَرِيمِ كَأَصْلِهِ
لَا تَسْتَغِيبَ فَتَسْتَغَابَ فَرُبَّمَا ... مَنْ قَالَ شَيْأً قِيلَ فِيهِ بِمِثْلِهِ
وَتَجَنَّبِ الْفَحْشَاءَ لَا تَنْطِقْ بِهَا ... مَا دُمْتَ فِي جِدِّ الْكَلَامِ وَهَزْلِهِ
فَالْكَلْبُ إِنْ حَفِظَ الْمَكَارِمَ يَقْتَنِي ... وَغَدَا الْهِزَبْرُ مُسَلْسَلٌ مِنْ جَهْلِهِ
وَالْبَحْرُ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُ الْفَلَا ... وَالدُّرُّ مَنْبُوذٌ بَأَسْفَلِ رَمْلِهِ
مَا كَانَ عُصْفُورٌ يُزَاحِمُ بَاشِقًا ... إِلَّا لِطَيْشِهِ وَخِفَّةِ عَقْلِهِ
فِي الْجَوِّ مَكْتُوبٌ عَلَى صُحُفِ الْهَوَى ... مَنْ يَفْعَلِ الْمَعْرُوفَ فَازَ بِمِثْلِهِ
إِيَّاكَ تَجْنِي سُكَّرًا مِنْ حَنْظَلٍ ... فَالشَّيْءُ يَرْجِعُ فِي الْمَذَاقِ لِأَصْلِهِ

ثم ان اباصير اقام مدة وتوفاه الله قد فنوه بجوار قبر رفيقه ابي قير * ومن اجل ذلك سمي هذا المكان بابي قير وابي صير واشتهر الآن بانه ابو قير * وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقي على الدوام وبارادته تصـــــــــــــــرف الليالي والايام *

ومما يحكى ايضا

انه كان رجلا صيادا اسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة اولاد وامهم وكان فقيرا جدا لا يملك الّا الشبكة وكان يروح كل يوم الى البحر ليصطاد فاذا اصطاد قليلا يبيعه وينفقه على اولاده بقدر ما رزقه الله وان اصطاد كثيرا يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة * ولم يزل

يصرف حتى لا يبقى معه شيء ويقول في نفسه رزق غد يأتي في غد * فلما وضعت زوجته صاروا عشرة اشخاص وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيأ ابدا * فقالت له زوجته يا سيدي انظر لي شيأ اتقوت به * فقال لها انا سارح على بركة الله تعالى الى البحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده * فقالت له توكّل على الله فاخذ الشبكة وتوجه الى البحر * ثم انه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل رزقه يسيرا غير عسير وكثيرا غير قليل وصبر عليها مدة * ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشا ورملا وحصى وحشيشا ولم ير فيها شيأ من السمك لا كثيرا ولا قليلا * فرماها ثاني مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكا * فرمى ثالثا ورابعا وخامسا فلم يطلع فيها سمك * فانتقل الى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى * ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلم يصطد ولا صيرة * فتعجب في نفسه وقال هل هذا المولود خلقه الله من غير رزق فهذا لا يكون ابدا لان الذي شق الاشداق تكفل لها بالارزاق فالله تعالى كريم رزاق * ثم انه حمل الشبكة ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله فانه تركهم بغير اكل * ولا سيما زوجته نفساء ولازال يمشي وهو يقول في نفسه كيف العمل وماذا اقول للاولاد في هذه الليلة * ثم انه وصل قدام فُرْن خباز فرأى عليه زحمة وكان الوقت وقت غلاء * وفي تلك الايام لا يوجد عند الناس من المؤنة الاّ قليل * والناس يعرضون الفلوس على الخباز ولا ينتبه لاحد منهم من كثرة الزحام * فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع * فنظر اليه الخباز وصاح عليه وقال تعال يا صياد فتقدم

اليه فقال له اتريد عيشا فسكت * فقال له تكلم ولا تستح فالله كريم ان لم يكن معك دراهم فانا اعطيك واصبر عليك حتى يجيئك الخير * فقال له والله يا معلم ما معي دراهم لكن اعطني عيشا كفاية عيالي وارهن عندك هذه الشبكة الى غد * فقال له يا مسكين ان هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فاذا رهنتها فباي شيء تصطاد * فاخبرني بالقدر الذي يكفيك قال بعشرة انصاف فضة فاعطاه خبزا بعشرة انصاف ثم اعطاه عشرة انصاف فضة *فقال له خذ هذه العشرة انصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة * وفي غد هات لي بها سمكا * وان لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشك وعشرة انصاف وانا اصبر عليك حتى يأتيك الخير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج اليه وانا اصبر عليك حتى يأتيك الخير * وبعد ذلك هات لي بما استحقه عندك سمكا * فقال له أجرك الله تعالى وجزاك عني كل خير * ثم اخذ العيش والعشرة انصاف فضة وراح مسرورا واشترى له ما تيسر * ودخل علي زوجته فرأها قاعدة تأخذ بخاطر الاولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم فى هذا الوقت يأتي ابوكم بما تأكلونه * فلما دخل عليهم حط لهم العيش فاكلوا واخبر زوجته بما حصل له * فقالت له الله كريم * وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول اسألك يا رب ان ترزقني في هذا اليوم بما يبيض وجهي مع الخباز * فلما وصل الى البحر صار يطرح

وخرج من داره وهو يقول اسألك يا رب ان ترزقني في هذا اليوم بما يبيّض وجهي مع الخباز * فلما وصل الى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك * ولم يزل كذلك الى أخر النهار ولم يحصل شيأ فرجع وهو في غم عظيم * وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال في نفسه من اين اروح الى داري ولكن اسرع خطوي حتى لايراني الخباز * فلما وصل الى فرن الخباز رأى زحمة فاسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لايراه * واذا بالخباز رفع بصره عليه فصاح وقال يا صياد تعال خذ عيشك ومصروفك فانك نسيت قال لا والله ما نسيت وانما استحيت منك فاني لم اصطد سمكا في هذا اليوم * فقال له لا تستح اما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير * ثم اعطاه العيش والعشرة انصاف وراح الى زوجته واخبرها بالخبر * فقالت له الله كريم ان شاء الله تعالى يأتيك الخير وتوفيه حقه * ولم يزل على هذه الحالة مدة اربعين يوما وهو في كل يوم يروح الى البحر من طلوع الشمس الى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشا ومصروفا من الخباز ولم يذكر له السمك يوما من الايام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة انصاف والعيش * وكلما يقول له يا اخي حاسبني يقول له رح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فاحاسبك فيدعو له ويذهب من عنده شاكرا له * وفي اليوم الحادي والاربعين قال لامرأته مرادي ان اقطع هذه الشبكة وارتاح من هذه العيشة * فقالت له لاي شيء قال لها كأنّ رزقي انقطع من البحر فالى متى هذا الحال * والله اني ذبت حياء من الخباز فانا ما بقيت اروح الى البحر حتى لا اجوز على فرنه فانه ليس لي طريق الّا على

فرنه * وكلما جزت عليه ينادينى ويعطيني العيش والعشرة الصاف والى متى وانا اتدايَن منه * قالت له الحمد لله تعالى الذي عطف قلبه عليك فيعطيك القوت واي شيء نكره من هذا قال بقي له عليّ قدر عظيم من الدراهم ولا بد انه يطلب حقه * قالت له زوجته هل أذاك بكلام قال لا ولم يرض ان يحاسبني ويقول لي حتى يأتيك الخير * قالت فاذا طالبك قل له حتى يأتي الخير الذي نرتجيه انا وانت * فقال لها متى يجيء الخير الذي نرتجيه قالت له الله كريم قال صدقت * ثم حمل شبكته وتوجه الى البحر وهو يقول يارب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى اهديها الى الخباز * ثم انه رمى الشبكة فى البحر ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما زال يعالج فيها حتى تعب تعبا شديدا * فلما اخرجها رأى فيها حمارا ميتا منفوخا ورائحته كريهة فسئمت نفسه * ثم خلصه من الشبكة وقال لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم قد عجزت * وانا اقول لهذه المرأة ما بقي لي رزق فى البحر دعيني اترك هذه الصنعة وهى تقول لي الله كريم سيأتيك الخير فهل هذا الحمار الميت هو الخير * ثم انه حصل له غم شديد وتوجه الى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار واخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه * فلما اخرج الشبكة رأى فيها آدميا فظن انه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذين كان يحبسهم في قماقم النحاس ويرميهم فى البحر * فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع فى الشبكة * فهرب منه وصار يقول الامان الامان يا عفريت سليمان فصاح عليه الآدمي من داخل الشبكة وقال تعال يا

صياد لا تهرب مني فاني آدمي مثلك فخلصني لتنال اجري * فلما سمع كلامه الصياد اطمأنّ قلبه وجاءه وقال له اما انت عفريت من الجن قال لا انما انا انسي مؤمن بالله ورسوله * قال له من رماك في البحر قال له انا من اولاد البحر كنت دائراً فرميت عليّ الشبكة * ونحن اقوام مطيعون لاحكام الله ونشفق على خلق الله تعالى * ولولا اني اخاف واخشى ان اكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدر الله عليّ * وانت اذا خلصتني تصير مالكاً لي وانا اصير اسيرك * فهل لك ان تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي اجيئك كل يوم في هذا المكان * وانت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البر * فان عندكم عنباً وتيناً وبطيخاً وخوخاً ورماناً وغير ذلك * وكل شيء تجيء به اليّ مقبول منك * ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر * فانا املأ لك المشنة التي تجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر * فما تقول يا اخي في هذا الكلام * قال له الصياد الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام * فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة * ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمي عبد الله البحري * فاذا اتيت الى هذا المكان ولم ترني فناد وقل اين انت يا عبد الله يا بحري فاكون عندك في الحال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله البحري قال له اذا اتيت الى هذا المكان ولم ترني فناد وقل اين انت يا عبد الله

يا بحري فاكون عندك في الحال * وانت ما اسمك فقال الصياد اسمي عبد الله قال انت عبد الله البري وانا عبد الله البحري فقف هنا حتى اروح وأتيك بهدية فقال له سمعا وطاعة * فراح عبد الله البحري في البحر * فعند ذلك ندم عبد الله البري على كونه خلصه من الشبكة وقال في نفسه من اين اعرف انه يرجع اليّ وانما هو ضحك عليّ حتى خلصته * ولو ابقيته كنت افرج عليه الناس في المدينة وأخذ عليه الدراهم من جميع الناس وادخل به بيوت الاكابر * فصار يتندم على اطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك * فبينما هو يتأسف على خلاصه من يده واذا بعبد الله البحري رجع اليه ويداه مملوءتان لؤلؤا ومرجانا وزمردا وياقوتا وجواهر وقال له خذ يا اخي ولا تواخذني فانه ما عندي مشنة كنت املؤها لك * فعند ذلك فرح عبد الله البري واخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتي الى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر * واما الصياد فانه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشيا حتى وصل الى فرن الخباز وقال له يا اخي قد اتانا الخير فحاسبني قال له ما يحتاج الى حساب ان كان معك شيء فاعطني * وان لم يكن معك شيء فخذ عيشك ومصروفك وروح الى ان يأتيك الخير * فقال له يا صاحبي قد اتاني الخير من فيض الله * وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذ هذا وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر * وكانت تلك الكبشة نصف ما معه فاعطاها للخباز وقال له اعطني شيأ من المعاملة اصرفه في هذا اليوم حتى ابيع هذه المعادن * فاعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده

من الخبز * و فرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد انا عبدك وخدامك و حمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه الى البيت فاعطى العيش لزوجته واولاده * ثم راح الى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر اصناف الفاكهة * وترك الفرن واقام طول ذلك اليوم وهو يتعاطى خدمة عبد الله البري ويقضي له مصالحه * فقال له الصياد يا اخي اتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب عليّ لانني صرت خدامك * واحسانك قد غمرني فقال له انت صاحب الاحسان عليّ فى الضيق والغلاء * وبات معه تلك الليلة على اكل طيب * ثم ان الخباز صار صديقا للصياد واخبر زوجته بوقعته مع عبد الله البحري ففرحت و قالت له اكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام * فقال لها ان كتمت سري عن جميع الناس فلا اكتمه عن الخباز * ثم انه اصبح في ثاني يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الاصناف في وقت المساء * ثم حملها قبل الشمس وتوجه الى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال اين انت يا عبد الله يا بحري واذا به يقول له لبيك وخرج اليه فقدم له الفاكهة فحملها و نزل بها و غطس فى البحر و غاب ساعة زمانية * ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع اصناف المعادن والجواهر فحملها عبد الله البري على رأسه وذهب بها * فلما وصل الى فرن الخباز قال له يا سيدي قد خبزت لك اربعين كف شريك وارسلتها الى بيتك وها انا اخبز العيش الخاص * فمتى خلص اوصله الى البيت واروح لاجيء لك بالخضار واللحم * فكبش له من المشنة ثلث كبشات واعطاه اياها وتوجه الى البيت وحط المشنة * واخذ من كل صنف من اصناف الجواهر جوهرة نفيسة * ثم ذهب الى

سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق و قال اشتر مني هذه الجواهر * فقال له ارني اياها فاراه اياها فقال له هل عندك غير هذا قال عندي مشنة ممتلئة قال له اين بيتك * قال له في الحارة الفلانية فاخذ منه الجواهر وقال لاتباعه امسكوه فانه هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان * ثم امرهم ان يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع اهل سوق الجواهر و صاروا يقولون مسكنا الحرامي * وبعضهم يقول ما سرق متاع فلان الّا هذا الخبيث * وبعضهم يقول ما سرق جميع ما في بيت فلان الّا هو * وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا * كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على احد منهم جوابا ولم يبد له خطابا حتى اوقفوه قدام الملك * فقال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة ارسلت اعلمتنا و طلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت انا من دون الناس واوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده * فقال الملك للطواشي خذ هذه المعادن وارها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك * فاخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة * فلما رأتها تعجبت منها وارسلت تقول للملك اني رأيت عقدي في مكاني وهذا ما هو متاعي * ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة الملك لما ارسلت تقول له هذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر

عقدي فلا تظلم الرجل و انكان يبيعها فاشترها منه لبنتك ام السعود لنضعها لها في عقد * فلما رجع الطواشي واخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهرية هو وجماعته لعنة عاد وثمود * فقالوا يا ملك الزمان انا كنا نعرف ان هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا انه سرقها * فقال يا قبحاء اتستكثرون النعمة على مؤمن فلاي شيء لم تسألوه * ربما رزقه الله تعالى بها من حيث لايحتسب فكيف تجعلونه حراميا و تفضحونه بين العالم * اخرجوا لا بارك الله فيكم فخرجوا وهم خائفون * هذا ما كان من امرهم * واما ما كان من امر الملك فانه قال يا رجل بارك الله لك فيما انعم به عليك وعليك الامان * ولكن اخبرني بالصحيح من اين لك هذه الجواهر فاني ملك ولم يوجد عندي مثلها * فقال يا ملك الزمان انا عندي مشنة ممتلئة منها وهو ان الامر كذا وكذا واخبره بصحبته لعبد الله البحري * وقال له انه قد صار بيني و بينه عهد على انني كل يوم املأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لي من هذه الجواهر فقال له يا رجل هذا نصيبك * و لكن المال يحتاج الى الجاه فانا ادفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الايام * ولكن ربما عزلت اومت و تولي غيري فانه يقتلك من اجل حب الدنيا والطمع * فمرادي ان ازوجك ابنتي واجعلك و زيري واوصي لك بالملك من بعدي حتى لايطمع فيك احد بعد موتي * ثم ان الملك قال خذوا هذا الرجل وادخلوه الحمام فاخذوه وغسلوا جسده و البسوه ثيابا من ثياب الملوك واخرجوه قدام الملك فجعله وزيرا له * وارسل السعاة واصحاب النوبة وجميع نساء الاكابر الى بيته فالبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي و اولادها واركبوها

في تختروان و مشت قدامها جميع نساء الاكابر والعساكر والسعاة واصحاب النوبة واتوا بها الى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها * وادخلوا اولادها الكبار على الملك فاكرمهم و اخذهم على حجره واجلسهم في جانبه * وهم تسعة اولاد ذكور وكان الملك معدوم الذرية ما رزق غير تلك البنت التي اسمها امّ السعود * واما الملكة فانها اكرمت زوجة عبد الله البري وانعمت عليها وجعلتها وزيرة عندها * وامر الملك بكتب كتاب عبد الله البري على ابنته و جعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح * وامر الملك ان ينادي بزينة المدينة من اجل فرح ابنته * وفي اليوم الثاني بعد ان دخل على بنت الملك و ازال بكارتها طل الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملا رأسه مشنة ممتلئة فاكهة * فقال له ما هذا الذي معك يا نسيبي و الى اين تذهب فقال الى صاحبي عبد الله البحري فقال له يا نسيبي ما هذا وقت الرواح الى صاحبك * فقال اخاف ان اخلف معه الميعاد فيعدّني كذابا ويقول لي ان الدنيا الهتك عني قال صدقت رح الى صاحبك اعانك الله * فمشى في البلد وهو متوجه الى صاحبه * وكانت الناس قد عرفته فصار يسمع الناس يقولون هذا نسيب الملك رائح يبدل الاثمار بالجواهر * والذي يكون جاهلا به ولا يعرفه يقول يا رجل بكم الرطل تعال بعني فيقول له انتظرني حتى ارجع اليك ولا يغم احدا * ثم راح واجتمع بعبد الله البحري واعطاه الفاكهة وابدلها له بالجواهر * ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمرّ على فرن الخباز فيراه مقفولا * ودام على ذلك مدة عشرة ايام * فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولا فقال في نفسه ان هذا شيءٌ عجيب * يا ترى اين راح

الخباز ثم انه سأل جاره فقال له يا اخي اين جارك الخباز فما فعل الله به * قال يا سيدي انه مريض لايخرج من بيته قال له اين بيته قال له في الحارة الفلانية * فعمد اليه و سأل عنه * فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد و على راسه مشنة ممتلئة فنزل اليه وفتح له الباب فدخل ورمى روحه عليه وعانقه و بكى * و قال له كيف حالك يا صاحبي فاني كل يوم امرّ على الفرن فاراه مقفولا * ثم سألت جارك واخبرني انك مريض فسألت عن البيت لاجل ان اراك * فقال له الخباز جزاك الله عني كل خير فليس بي مرض * وانما بلغني ان الملك اخذك لان بعض الناس كذب عليك وادعى انك حرامي فخفت انا وقفلت الفرن واختفيت قال صدقت * ثم انه اخبره بقضيته و ما وقع له مع الملك و شيخ سوق الجواهر * وقال له ان الملك قد زوجني ابنته وجعلني وزيره * ثم قال له خذ ما في هذه المشنة نصيبك ولا تخف * ثم خرج من عنده بعد ان اذهب عنه الخوف وراح الى الملك بالمشنة فارغة * فقال له الملك يانسيبي كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحري في هذا اليوم * فقال رحت له و الذي اعطاه لي اعطيته الى صاحبي الخباز فان له عليّ جميلا قال من يكون هذا الخباز * قال انه رجل صاحب معروف و جرى لي معه في ايام الفقر ما هو كذا وكذا ولم يهملني يوما ولا كسر خاطري * قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد الله الخباز و انا اسمي عبد الله البري وصاحبي اسمه عبد الله البحري * قال الملك و انا اسمي عبد الله * وعبيد الله كلهم اخوان فارسل الى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير ميسرة فارسل اليه * فلما حضر بين يدي الملك البسه بدلة وزير وجعله

وزير الميسرة * وجعل عبد الله البري وزير الميمنة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك جعل عبد الله البري نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة * واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة و هو في كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر و معادن * ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيبا ولوزا وبندقا وجوزا وتينا وغير ذلك * وجميع ما يا خذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته * فاتفق يوما من الايام انه اخذ المشنه ممتلئة نقلا على عادته فاخذها منه * وجلس عبد الله البري على الشاطئ وجلس عبد الله البحري في الماء قرب الشاطئ * وصارا يتحدثان مع بعضهما و يتداولان الكلام بينهما حتى انجرا الى ذكر المقابر* فقال البحري يا اخي انهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم مدفون عندكم في البر فهل تعرف قبره قال نعم * قال له في اي مكان هو قال له في مدينة يقال لها طيبة قال و هل تزوره الناس اهل البر قال نعم * قال هنيأ لكم يا اهل البر بزيارة هذا النبي الكريم الرحيم الذي من زاره استوجب شفاعته * وهل انت زرته يا اخي فقال لا لاني كنت فقيرا ولا اجد ما انفقه في الطريق وما استغنيت الّا من حين عرفتك وتصدقت عليّ بهذا الخير* ولكن قد وجبت عليّ زيارته بعد ان احج بيت الله الحرام* وما منعني من ذلك الّا محبتك فاني لا اقدر ان افارقك يوما واحدا * فقال له

و هل تقدم محبتي على زيارة قبر محمد صلى الله عليه و سلم الذي يشفع فيك يوم العرض على الله و ينجيك من النار و تدخل الجنة بشفاعته * وهل من اجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم * فقال لا والله ان زيارته مقدمة عندي على كل شيء * ولكن اريد منك اجازة ان ازوره في هذا العام قال اعطيتك الاجازة بربارته * واذا وقفت على قبره فاقرأه مني السلام وعندي امانة فادخل معي في البحر حتى أخذك الى مدينتي و ادخلك بيتي و اضيفك و اعطيك الامانة لتضعها على قبر النبي صلى الله عليه وسلم * وقل له يا رسول الله ان عبد الله البحري يقرؤك السلام وقد اهدى اليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار * فقال له عبد الله البري يا اخي انت خلقت في الماء و مسكنك الماء وهو لا يضرك * فهل اذا خرجت منه الى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدني وتهب عليّ نسمات البر فاموت * قال له وانا كذلك خلقت في البر و مسكني البر فاذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فاموت * قال له لا تخف من ذلك فاني أتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء * ولوكنت تقضي بقية عمرك وانت دائر في البحر و تنام وتقوم في البحر ولا يضرك شيء * قال اذا كان الامر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى اجرّبه قال وهو كذلك * ثم اخذ المشنة و نزل في البحر وغاب قليلا ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه اصفر كلون الذهب ورائحته زكية * فقال له عبد الله البري ما هذا يا اخي فقال له هذا شحم كبد صنف من اصناف السمك يقال له الدندان وهو اعظم

اصناف السمك خلقة وهو اشد اعدائنا علينا وصورته اكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمال او الفيل لا بلعه * فقال له يا اخي وما يأكل هذا المشؤم فقال له يأكل من دواب البحر * اما سمعت انه يقال في المثل مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف قال صدقت * ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير * قال عندنا شيء لا يحصيه الا الله تعالى * قال عبد الله البري اني اخاف اذا نزلت معك ان يصادفني هذا النوع فيأكلني * قال له عبد الله البحري لا تخف فانه متى رآك عرف انك ابن آدم فيخاف منك ويهرب * ولا يخاف من احد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم لانه متى اكل ابن آدم مات من وقته وساعته * فان شحم ابن آدم سم قاتل لهذا النوع ونحن مانجمع شحم كبده الا من اجل ابن آدم اذا وقع في البحر غريقا فانه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فيأكل الدندان لظنه انه من حيوان البحر فيموت * فنعثر به ميتا فنأخذ شحم كبده وندهن به اجسامنا وندور في البحر * فاي مكان كان فيه ابن آدم اذا كان فيه مائة او مائتان او الف او اكثر من ذلك النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فان الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله البحري قال لعبد الله البري واذا سمع الف من هذا النوع او اكثر من ابن آدم صيحة

واحدة يموتون لوقتهم ولايقدر احد منهم ان ينتقل من مكانه * فقال عبد الله البري توكلت على الله * ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطئ البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فرقه الى قدمه بهذا الدهن * ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضره الماء فمشى يمينا وشمالا * ثم جعل ان شاء يعلو وان شاء ينزل الى القرار ورأى ماء البحر مخيما عليه مثل الخيمة ولا يضره * فقال له عبد الله البحري ماذا ترى يا اخي قال له ارى خيرا يا اخي وقد صدقت فيما قلت فان الماء ما ضرني قال له اتبعني فتبعه * ولا زالا يمشيان من مكان الى مكان وهو يرى امامه وعن يمينه وعن شماله جبالا من الماء فصار يتفرج عليها وعلى اصناف السمك وهي تلعب في البحر البعض كبير والبعض صغير وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين * وكل نوع قربا منه يهرب حين يرى عبد الله البري * فقال للبحري يا اخي مالي ارى كل نوع قربنا منه يهرب منا * فقال له مخافة منك لان جميع ما خلقه الله تعالى يخاف من ابن آدم * ولازال عبد الله البري يتفرج على عجائب البحر حتى وصلا الى جبل عال فمشى عبد الله البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر الا وصيحة عظيمة * فالتفت فرأى شيأ اسود منحدرا عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل او اكبر وصار يصيح * فقال له ما هذا يا اخي قال له البحري هذا الدندان فانه نازل في طلبي مراده ان يأكلني فصح عليه يا اخي قبل ان يصل الينا فيخطفني ويأكلني * فصاح عليه عبد الله البري واذا هو وقع ميتا * فلما رآه ميتا قال سبحان الله وبحمده انا لا ضربته بسيف ولا

بسكين كيف هذه العظمة التي فيها هذا المخلوق و لم يحمل صيحتي بل مات * فقال له عبد الله البحري لا تعجب فوالله يا اخي لوكان من هذا النوع الف او الفان لم يحملوا صيحة ابن آدم * ثم مشيا الى مدينة فرأيا اهلها جميعا بنات وليس فيهن ذكور * فقال يا اخي ما هذه المدينة و ما هذه البنات * فقال له هذه مدينة البنات لان اهلها من بنات البحر * قال هل فيهن ذكور قال لا قال وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور * قال ان ملك البحر ينفيهم الى هذه المدينة وهن لا يحبلن ولا يلدن * و انما كل من غضب عليها من بنات البحر يرسلها الى هذه المدينة * ولا تقدر ان تخرج منها فان خرجت منها فان كل ما رآها من دواب البحر يأكلها * واما غير هذه المدينة ففيه رجال وبنات * قال هل فى البحر مدن غير هذه المدينة * قال له كثير * قال وهل عليكم سلطان فى البحر قال له نعم * قال له يا اخي اني رأيت فى البحر عجائب كثيرة * قال له واي شي رأيت من العجائب * اما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر اكثر من عجائب البر قال صدقت * ثم انه صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهن وجوها مثل الاقمار وشعورا مثل شعور النساء * ولكن لهن ايادٍ و ارجل في بطونهن ولهن اذناب مثل اذناب السمك * ثم انه فرجه على اهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه الى مدينة اخرى فرآها ممتلئة خلائق اناثا وذكورا * صورهم مثل صور البنات ولهم اذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل اهل البر * وليسوا لا بسين بل الكل عرايا مكشوفون العورة * فقال له يا اخي اني ارى الاناث

والذكور مكشوفين العورة * فقال له لان اهل البحر لا قماش عندهم * فقال له يا اخي كيف يصنعون اذا تزوجوا * فقال له هم لا يتزوجون بل كل من اعجبته انثى يقضي مراده منها * قال له ان هذا شيء حرام ولاي شيء لا يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحا ويتزوجها بما يرضى الله ورسوله * قال له ليس كلنا ملة واحدة فان فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى ويهودا وغير ذلك * والذي يتزوج منا خصوص المسلمين * فقال انتم عريانون ولا عندكم بيع ولا شراء فاي شيء يكون مهر نسائكم هل تعطونهن جواهر ومعادن * قال له ان الجواهر احجار ليس لها عندنا قيمة * وانما الذي يريد ان يتزوج يجعلون عليه شيأ معلوما من اصناف السمك يصطاده قدر الف او الفين او اكثر او اقل بحسب ما يحصل عليه الاتفاق بينه وبين ابي الزوجة * فلما يحضر المطلوب تجتمع اهل العريس واهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته * وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها * واذا عجز تصطاد هي وتطعمه * قال وان زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال * قال ان الذي يثبت عليه هذا الامر انكان انثى ينفوها الى مدينة البنات * فاذا كانت حاملا من الزنا فانهم يتركونها الى ان تلد فان ولدت بنتا ينفوها معها وتسمى زانية بنت زانية * ولم تزل بنتا حتى تموت * وانكان المولود ذكرا فانهم يأخذونه الى الملك سلطان البحر فيقتله * فتعجب عبد الله البري من ذلك * ثم ان عبد الله البحري اخذه الى مدينة اخرى وبعدها اخرى وهكذا * ومازال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى اهلها لا يشبهون

اهل غيرها من المدن * فقال له يا اخي هل بقي في البحر مدائن * قال واي شيءٍ رأيت من مدائن البحر وعجائبه وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرجتك الف عام في كل يوم على الف مدينة واريتك في كل مدينة الف اعجوبة ما اريتك قيراطا من اربعة وعشرين قيراطا من مدائن البحر وعجائبه * وانما فرجتك على ديارنا وارضنا لا غير * فقال له يا اخي حيث كان الامر كذلك يكفيني ما تفرجت عليه فاني سئمت من اكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يوما وانت لا تطعمني صباحا ومساء الا سمكا طريا لا مشويا ولا مطبوخا * فقال له اي شيءٍ يكون المطبوخ والمشوي * قال له عبد الله البري نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله اصنافا ونصنع منه انواعا كثيرة * فقال له البحري ومن اين تأتي لنا النار فنحن لا نعرف المشوي ولا المطبوخ ولا غير ذلك * فقال له البري نحن نقليه بالزيت والشيرج * فقال له البحري ومن اين لنا الزيت والشيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيأ مما ذكرته قال صدقت * ولكن يا اخي قد فرجتني على مدائن كثيرة ولم تفرجني على مدينتك * قال له اما مدينتي فاننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي اتينا منه وانما تركت مدينتي وجئت بك الى هنا لاني قصدت ان افرجك على مدائن البحر * قال له يكفيني ما تفرجت عليه ومرادي ان تفرجني على مدينتك قال له وهو كذلك * ثم رجع به الى مدينته فلما وصل اليها قال له هذه مدينتي فرأها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرج عليها * ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحري الى ان وصل الى

مغارة * قال له هذا بيتي وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار في الجبال * وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة * فان كل من اراد ان يصنع له بيتا يروح الى الملك و يقول له مرادي ان اتخذ بيتا في المكان الفلاني فيرسل الملك معه طائفة من السمك يسمون النقارين و يجعل كراهم شيأ معلوما من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود * فيأتون الى الجبل الذي اراده صاحب البيت وينقرون فيه البيت و صاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون * و صاحب البيت يسكنه و جميع اهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم الا بالسمك وكلهم سمك * ثم قال له ادخل فدخل فقال عبد الله البحري يا بنتي واذا ببنته اقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر و لها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب * فلما رأت عبد الله البري مع ابيها قالت له يا ابي ما هذا الازعر الذي جئت به معك * فقال لها يا بنتي هذا صاحبي البري الذي كنت اجيء لك من عنده بالفاكهة البرية * تعالي سلمي عليه فتقدمت و سلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ * فقال لها ابوها هاتي زادا لضيفنا الذي حلت علينا بقدومه البركة * فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخاروف * فقال له كل فاكل غصبا عنه من الجوع لانه سئم من اكل السمك وليس عندهم شيء غير السمك * فما مضى حصة الا وامرأة عبد الله البحري اقبلت وهي جميلة الصورة و معها ولدان كل ولد في يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الانسان في الخيارة * فلما رأت عبد الله البري

مع زوجها قالت اي شيء هذا الازعر * وتقدم الولدان واخنهما وامهم وصاروا ينظرون الى دبر عبد الله البري و يقولون اي والله انه ازعر و يضحكون عليه * فقال له عبد الله البري يا اخي هل انت جئت بي لتجعلني سخرية لاولادك و زوجتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله البري قال لعبد الله البحري يا اخي هل انت جئت بي لتجعلني سخرية لاولادك وزوجتك * فقال له عبد الله البحري العفو يا اخي فان الذي لاذنب له غير موجود عندنا * و اذا وجد واحد من غير ذنب يأخذ السلطان ليضحك عليه * ولكن يا اخي لا تؤاخذ هؤلاء الاولاد الصغار و المرأة فان عقولهم ناقصة * ثم صرخ عبد الله البحري على عياله و قال لهم اسكتوا فخافوا و سكتوا * وجعل يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه و اذا بعشرة اشخاص كبار شداد غلاظ اقبلوا عليه * و قالوا يا عبد الله انه بلغ الملك ان عندك ازعر من زعر البر * فقال لهم نعم وهو هذا الرجل فانه صاحبي اتاني ضيفا و مرادي ان ارجعه الى البر * قالوا له اننا لانقدر ان نروح الا به فان كان مرادك كلاما فقم وخذه و احضر به قدام الملك والذي تقوله لنا قله للملك * فقال عبد الله البحري يا اخي العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك * ولكن امض معي للملك وانا اسعى في خلاصك منه ان شاء الله ولاتخف فانه متى رآك عرف انك من اولاد البر ومتى علم انك برّي فلابد انه يكرمك ويردك الى البر * فقال عبد الله البري الرأي رأيك فانا اتوكل على الله وامشي

معك * ثم اخذه ومضى به الى ان وصل الى الملك * فلما رآه الملك ضحك عليه وقال مرحبا بالازعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول إيْ والله انه ازعر * فتعدم عبد الله البحرى الى الملك واخبره باحواله وقال له هذا من اولاد البر وصاحبي وهولا يعيش بيننا لانه لايحب اكل السمك الّا مقليا اومطبوخا * والمراد انك تأذن لي في ان ارده الى البر * فقال له الملك حيث كان الامر كذلك وانه لايعيش عندنا فقد أذنت لك في ان ترده الى مكانه بعد الضيافة * ثم ان الملك قال هاتوا له الضيافة فاتوا له بسمك اشكالا والوانا فاكل امتثالا لامر الملك * ثم قال له الملك تمنّ عليّ * فقال عبد الله البرى اتمنى عليك ان تعطيني جواهر * فقال خذوه الى دار الجواهر ودعوه ينقي ما يحتاج اليه فاخذه صاحبه الى دار الجواهر ونقى على قدر ما اراد * ثم رجع به الى مدينة واخرج له صرة وقال له خذ هذه امانة اوصلْها الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذها وهو لايعلم ما فيها * ثم خرج معه ليوصله الى البر فرأى في طريقه غناء وفرحا وسماطا ممدودا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم * فقال عبد الله البري لعبد الله البحري ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم هل عندهم عرس * فقال البحري ليس عندهم عرس وانما مات عندهم ميت * فقال له هل انتم اذامات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون قال نعم * وانتم يا اهل البر ماذا تفعلون قال البري اذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزنا على من مات * فحملق عبد الله

البحري عينيه في عبد الله البري وقال له هات الامانة فاعطاها له * ثم اخرجه الى البر وقال له قد قطعت صحبتك وودك فبعد هذا اليوم لاتاتني ولا اراك * فقال له لماذا هذا الكلام فقال له اما انتم يا اهل البر امانة الله فقال البري نعم * قال فكيف لايهون عليكم ان الله يأخذ امانته بل تبكون عليها وكيف اعطيك امانة النبي صلى الله عليه وسلم * وانتم اذا اتاكم المولود تفرحون به مع ان الله تعالى يضع فيه الروح امانة * فاذا اخذها كيف تصعب عليكم و تبكون و تحزنون فما لنا في رفقتكم حاجة ثم تركه وراح الى البحر * ثم ان عبد الله البري لبس جوائجه و اخذ جواهره و توجه الى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به * وقال له كيف انت يا نسيبي وما سبب غيابك عني هذه المدة * فاخبره بقصته وما رأه من العجائب في البحر فتعجب الملك من ذلك * ثم اخبره بما قاله عبد الله البحري فقال له هل انت الذي اخطأت في خبرك بهذا الخبر * ثم انه استمر مدة من الزمان وهو يروح الى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحري فلم يرد عليه ولم يأت اليه * فقطع عبد الله البري الرجاء منه واقام هو والملك نسيبه واهلهما في اسرّ حال وحسن اعمال حتى اتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات وما توا جميعا * فسبحان الحي الذي لايموت ذو الملك والملكوت وهو على كل شيءٍ قدير وبعباده لطيف خبير *

ومما يحكى ايضا

ان الخليفة هارون الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى مسرورا فحضر * فقال ائتني بجعفر سرعة فمضى واحضره * فلما وقف

بين يديه قال يا جعفر انه قد اعتراني في هذه الليلة ارق فمنع عني النوم ولا اعلم ما يزيله عني * قال يا امير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر الى المرأة * ودخول الحمام * واستعمال الغناء * يزيل الهم والفكر * فقال يا جعفراني فعلت هذا كله فلم يزل عني شيأ * وانا اقسم بأباي الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لاضربن عنقك * قال يا امير المؤمنين هل تفعل ما اشير به عليك قال وما الذي تشير به عليّ * قال ان تنزل بنا في زورق وننحدر به في بحر الدجلة مع الماء الى محل يسمى قرن الصراط * لعلنا نسمع مالم نسمع اوننظر مالم ننظر فانه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلثة امور * ان يرى الانسان مالم يكن رأه * اويسمع مالم يكن سمعه * اويطأ ارضا لم يكن وطئها * فلعل ذلك يكون سببا لزوال القلق عنك يا امير المؤمنين * فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر واخوه الفضل واسحق النديم وابو نواس وابودلف ومسرور السياف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا الى الدجلة ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا الى الموضع الذي يريدونه فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الابيات

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَضَرَ الْعُقَارُ وَقَدْ غَنَّى عَلَى الْأَيْكِ الْهَزَارُ

الى كم ذا التأني عن سرور ... افق ما العمر الا مستعار
فخذها من يدي خلٍّ عزيز ... بجفنيه فتور وانكسار
زرعت بخده وردا طريا ... فاثمر في السوالف جلنار
وتحسب موضع التخميش فيه ... رمادا خامدا والخد نار
يقول لي العذول تسل عنه ... فما عذري وقد نم العذار

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما احسن هذا الصوت * قال جعفر يا مولانا ما طرق سمعي اطيب ولا احسن من هذا الغناء * ولكن يا سيدي ان السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر * فقال انهض بنا يا جعفر حتى نتطفل علي صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا * قال جعفر سمعا وطاعة * فصعدوا من المركب واستاذنوا في الدخول * واذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان قد خرج اليهم * وقال اهلا وسهلا يا سادة المنعمين عليّ ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين ايديهم * فرأوا الدار باربعة اوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة باللازورد * وفيها ايوان به سدلة جميله وعليها مائة جارية كأنهن اقمار فصاح عليهن فنزلن عن اسرتهن * ثم التفت رب المنزل الى جعفر وقال يا سيدي انا ما اعرف منكم الجليل من الاجل * بسم الله ليتفضل منكم من هو اعلى في الصدر ويجلس اخوانه كل واحد في مرتبته * فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور في الخدمة بين ايديهم * ثم قال لهم صاحب المنزل يا اضيافي عن اذنكم هل احضر لكم شيأ من المأكول قالوا له نعم * فأمر الجواري باحضار الطعام فاقبل اربع جوار مشدودات الاوساط بين

ايديهن مائدة * وعليها من غرائب الالوان مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وافراخ وحمام * ومكتوب على حواشي السفرة من اشعار ما يناسب المجلس فاكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا ايديهم * فقال الشاب يا سادتي ان كان لكم حاجة فاخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها قالوا نعم * فاننا ما جئنا منزلك الا لاجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك * فاشتهينا ان نسمعه ونعرف صاحبته * فان رايت ان تنعم علينا بذلك كان من مكارم اخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال مرحبا بكم * ثم التفت الى جارية سوداء وقال احضري سيدتك فلانة فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسي فوضعته * ثم ذهبت ثانيا واتت ومعها جارية كأنها البدر في تمامه فجلست على الكرسي * ثم ان الجارية السوداء ناولتها خرقة من اطلس فاخرجت منها عود امرصعا بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما ابدلت جلست على الكرسي واخرجت العود من الخريطة واذا هو مرصع بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت اوتاره لرنات المزاهر وهي كما قال فيها وفي عودها الشاعر

حَضَنَتْهُ كَالْأُمِّ الشَّفِيقَةِ بِابْنِهَا فِي حِجْرِهَا وَجَلَتْ عَلَيْهِ مَلَاوِيَه
مَا حَرَّكَتْ يَدُهَا الْيَمِينُ لِجَسِّهِ إِلَّا وَأَصْلَحَتِ الْيَسَارُ مَلَاوِيَهْ

ثم ضمت العود الى صدرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست اوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بامه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الابيات

جَادَ الزَّمَانُ بِمَنْ أُحِبُّ فَاعْتَبَا ... يَا صَاحِبِي فَأَدِرْ كُؤُسَكَ وَاشْرَبَا
مِنْ خَمْرَةٍ مَا مَازَجَتْ قَلْبَ امْرِئٍ ... اِلَّا وَاَصْبَحَ بِالْمَسَرَّةِ مُطْرِبَا
قَامَ النَّسِيمُ بِحَمْلِهَا فِي كَأْسِهَا ... اَرَأَيْتَ بَدْرَ التِّمِّ يَحْمِلُ كَوْكَبَا
كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بَدْرَهَا ... مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَدْ اَضَاءَ الْغَيْهَبَا
وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّمَا ... قَدْ مَدَّ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا وصاح كل من في الدار بالبكاء حتى كادوا ان يهلكوا * وما منهم احد الا وغاب عن وجوده ومزق اثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها * فقال الرشيد ان غناء هذه الجارية يدل على انها عاشقة مفارقة * فقال سيدها انها ثاكلة لامها وابيها * فقال الرشيد ما هذا بكاء من فقد اباه وامه وانما هو شجو من فقد محبوبه * وطرب الرشيد من غنائها وقال لاسحق والله ما رأيت مثلها * فقال اسحق يا سيدي اني لاعجب منها غاية العجب ولا املك نفسي من الطرب * وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر الى صاحب الدار ويتأمل في محاسنه وظرف شمائله * فرأى في وجهه اثر اصفرار فالتفت اليه وقال له يا فتى فقال لبيك يا سيدي هل تعلم من نحن قال لا * فقال له جعفر اتحب ان نخبرك عن كل واحد باسمه فقال نعم * فقال جعفر هذا امير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين * وذكر له بقية اسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهي ان تخبرني عن هذا الاصفرار الذي في وجهك

هل هو مكتسب او اصلي من حين ولادتك * قال يا امير المؤمنين ان حديثي غريب وامري عجيب * لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر * قال اعلمني به لعل شفاؤك يكون على يدي * قال يا امير المؤمنين اوزعني سمعك واخل لي ذرعك * قال هات فحدثني فقد شوقتني الى سماعه * فقال اعلم يا امير المؤمنين اني رجل تاجر من تجار البحر واصلي من مدينة عمّان * وكان ابي تاجرا كثير المال وكان له ثلثون مركبا تعمل في البحر * اجرتها في كل عام ثلثون الف دينار * وكان رجلا كريما وعلمني الخط وجميع ما يحتاج اليه الشخص * فلما حضرته الوفاة دعاني واوصاني بما جرت به العادة * ثم توفاه الله تعالى الى رحمته وابقى الله امير المؤمنين * وكان لابي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر * فاتفق في بعض الايام اني كنت قاعدا في منزلي مع جماعة من التجار اذ دخل عليّ غلام من غلماني * وقال يا سيدي ان بالباب رجلا يطلب الاذن في الدخول عليك فاذنت له * فدخل وهو حامل على راسه شيأ مغطى فوضعه بين يدي وكشفه فاذا فيه فواكه بغير اوان وملح وطرائف ليست في بلادنا فشكرته على ذلك واعطيته مئة دينار وانصرف شاكرا * ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضرا من الاصحاب * ثم سألت التجار من اين هذا فقالوا انه من البصرة واثنوا عليه * وصاروا يصفون في حسن البصرة واجمعوا على انه ليس في البلاد احسن من بغداد ومن اهلها * وصاروا يصفون بغداد وحسن اخلاق اهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها * فاشتاقت نفسي اليها وتعلقت آمالي برؤيتها فقمت وبعت العقارات والاملاك * وبعت المراكب بمائة الف دينار وبعت العبيد

والجواري * وجمعت مالي فصار الف الف دينار غير الجواهر والمعادن * واكتريت مركبا وشحنتها باموالي وسائر متاعي * وسافرت بها اياما وليالي حتى جئت الى البصرة فاقمت بها مدة * ثم استأجرت سفينة ونزلت مالي فيهـــا وسرنا منحدرين اياما قلائل حتى وصلنا الى بغداد فسألت اين تسكن التجار واي موضع اطيب للسكان * فقالوا في حارة الكرخ فجئت اليها واستأجـــرت دارا في درب يسمى درب الزعفران * ونقلت جميع مالي الى تلك الدار فاقمت فيها مدة * ثم توجهت في بعض الايام الى الفرجـــة ومعي شيء من المال * وكان ذلك اليـــوم يوم الجمعة فاتيت الى جامع يسمى جامـــع المنصور تقام فيه الجمعة * وبعد ان خلصنا من الصلوة وخرجت مع الناس الى موضع يسمى قرن الصراط * فرأيت في ذلك المـــكان موضعا عاليا جميلا وله روشن مطل على الشاطئ وهناك شباك * فذهبت في جملة الناس الى ذلك المكان فرأيت شيخا جالسا وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة وقد سرح لحيته فافترقت على صدره فرقتين كأنها قضب من لجين * وحوله اربع جوار وخمسة غلمان * فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعتـــه * فقال هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيات كل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر الى الملاح * فقلت له والله ان لي زمانا ادور على مثل هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الشاب قال والله ان لي زمانا وانا ادور على مثل هذا * ثم قال فتقدمت اليـــه يا امير

المؤمنين وسلمت عليه وقلت له يا سيدي ان لي عندك حاجة * فقال ما حاجتك قلت اشتهي ان اكون ضيفك في هذه الليلة فقال حبا وكرامة * ثم قال يا ولدي عندي جوار كثيرة منهن مَنْ ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها باربعين دينارا * ومنهن من ليلتها باكثر فاختر من تريد * فقلت اختار التي ليلتها بعشرة دنانير * ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمني لغلام فاخذني ذلك الغلام و ذهب بي الى حمام فى القصر وخدمني خدمة حسنة * فخرجت من الحمام واتابي الى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية * فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بالرحب و السعة ضاحكة مستبشرة * وادخلتني دارا عجيبة مزركشته بالذهب فتأملت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفي خدمتها جاريتان كأنهما كوكبان * ثم اجلستني وجلست بجانبي * ثم اشارت الى الجواري فاتين بمائدة فيها من انواع اللحوم من دجاج وسمان وقطا وحمام فاكلنا حتى اكتفينا * وما رأيت في عمري الا من ذلك الطعام * فلما اكلنا رفعت تلك المائدة واحضرت مائدة الشراب و المشموم والحلوى و الفواكه وادمت عندها شهرا على هذا الحال * فلما فرغ الشهر دخلت الحمام و جئت الى الشيخ وقلت له يا سيدي اريد التي ليلتها بعشرين دينارا * فقال زن الذهب فمضيت واحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاما وقال له خذ سيدك فاخذني وادخلني الحمام * فلما خرجت اتى بي الى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية * فقال لها خذي ضيفك فتلقتني باحسن ملتقى واذا حولها اربع جوار * ثم امرت باحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الاطعمة فاكلت * ولما فرغت من الاكل ورفعت المائدة اخذت العود وغنت بهذه الابيات

أَيَا نَفَحَاتِ الْمِسْكِ مِنْ اَرْضِ بَابِلٍ ... بِحَقِّ غَرَامِي اَنْ تُؤَدِّي رَسَائِلِي
عَهِدْتُ بِهَا تِيكَ الْاَرَاضِي مَنَازِلاً ... لِاَحْبَابِنَا اَكْرِمْ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ
وَفِيهَا الَّتِي فِي حُبِّهَا كُلُّ عَاشِقٍ ... تَعَنَّى وَلَمْ يَرْتَدَّ مِنْهَا بِطَائِلِ

فاقمت عندها شهرا * ثم جئت الى الشيخ وقلت له اريد صاحبة الاربعين دينارا * فقال زن لي الذهب فوزنت له عن شهر الفا ومائتي دينار ومكثت عندها شهرا كأنه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة * ثم جئت الى الشيخ وكنا قد امسينا فسمعت ضجة عظيمة واصواتا عالية فقلت له ما الخبر * فقال لي الشيخ ان هذه الليلة عندنا اشهر الليالي وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك ان تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم * وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح * وهناك صبية جميلة تدهش الناظرين حسنا وجمالا وقدا واعتدالا * وبجانبها غلام يده على عنقها وهو يقبلها وتقبله * فلما رأيتهما يا امير المؤمنين لم املك نفسي ولم اعرف اين انا لما بهرني من حسن صورتها * فلما نزلت سألت الجارية التي انا عندها واخبرتها بصفتها * فقالت ما لك وما لها فقلت والله انها اخذت عقلي فتبسمت * وقالت يا ابا الحسن الك فيها غرض فقلت إي والله فانها تملكت قلبي ولبي * فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا * وكلنا جواريها اتعرف يا ابا الحسن كم ليلتها ويومها فقلت لا * قالت خمسمائة دينار وهي حسرة في قلوب الملوك * فقلت والله لاذهبن مالي كله على هذه الجارية وبت اكابد الغرام طول ليلي * فلما اصبحت دخلت الحمام ولبست افخر ملبوس

من ملابس الملوك وجئت الى ابيها و قلت يا سيدي اريد التي ليلتها خمسمائة دينار * فقال زن الذهب فوزنت له عن كل شهر خمسة عشر الف دينار فاخذها * ثم قال للغلام اعمد به الى سيدتك فلانة فاخذني و اتى بي الى دار لم ترعيني اظرف منها على وجه الارض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة * فلما رأيتها ادهشت عقلي بحسنها يا امير المؤمنين * وهي كالبدر في ليلة اربعة عشر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما حدث امير المؤمنين بصفات الجارية قال له وهي كالبدر في ليلة اربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال والفاظ تفضح رنات المزاهر كأنها المقصودة بقول الشاعر

قَالَتْ وَقَدْ لَعِبَ الغَرَامُ بِعِطْفِهَا ... فِي جُنْحِ لَيْلٍ سَابِلِ الأَحْلَاكِ
يَا لَيْلُ هَلْ لِي فِي دُجَاكَ مُسَامِرٌ ... أَوْ هَلْ لِهٰذَا الكُسِّ مِنْ نَيَّاكِ
ضَرَبَتْ عَلَيْهِ بِكَفِّهَا وَتَنَهَّدَتْ ... كَتَنَهُّدِ الأَسِفِ الحَزِينِ البَاكِي
وَالثَّغْرُ بِالْمِسْوَاكِ يُظْهِرُ حُسْنَهُ ... وَالأَيْرُ لِلْأَكْسَاسِ كَالْمِسْوَاكِ
يَا مُسْلِمُونَ أَمَا تَقُومُ أُيُورُكُمْ ... مَا فِيكُمُ أَحَدٌ يُغِيثُ الشَّاكِي
فَانْتَفَضَ مِنْ تَحْتِ الغَلَائِلِ قَائِمًا ... أَيْرِي وَقَالَ لَهَا أَتَاكِ أَتَاكِ
وَحَلَلْتُ عِقْدَ إِزَارِهَا فَتَفَزَّعَتْ ... مَنْ أَنْتَ قُلْتُ فَتًى أَجَابَ نِدَاكِ
وَغَدَوْتُ أَهْزُهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِهَا ... رَهْزَ اللَّطِيفِ يَضُرُّ بِالْأَوْرَاكِ
حَتَّى إِذَا مَا قُمْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ ... قَالَتْ هَنَاكَ النَّيْكُ قُلْتُ هَنَاكِ

وما احسن قول الآخر

وَلَو انّهَا لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضتْ ... لَبَاؤُابِهَا مِنْ دُونِ اَصْنَامِهِم رِبَّا
وَلَوتَفَلَتْ فِى الْبَحْرِ وَالْبَحْرُمَالِحُ ... لَاَصْبَحَ مَاءُالْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا عَذْباَ
وَلَوانّهَا فِى الشَّرقِ لَاحَتْ لِرَاهِبٍ ... لَخَلَّى سَبِيلَ الشَّرقِ وَاتَّبَعَ الغَربَا

وما احسن قول الآخر

نَظَرْتُ اِلَيْهَـــا نَظْرَةً فَتَحَيَّرَتْ ... دَقَائِقُ فِكْرِي فِي بَدِيعِ صِفَاتِهَا
فَاَوحَى اِلَيهَا الْوَهْمُ اَنِّي اُحِبُّهَا ... فَاَثَّرَذَاكَ الْوَهْمُ فِي وَجنَاتِهَا

فسلمت عليها * فقالت اهلا وسهلا ومرحبا واخذت بيدي يا امير المؤمنين واجلستني الى جانبها * فمن فرط الاشتياق بكيت مخافة الفراق واسبلت دمع العين وانشدت هذين البيـــــــتين

أُحِبُّ لَيَالِى الْهَجْرِ لَا فَرَحًا بِهَا ... عَسَى الدَّهْرُ يَأْتِي بَعْدَهَا بِوِصَالِ
وَاَكْرَهُ اَيَّامَ الْوِصَـــالِ لِاَنَّنِي ... اَرَى كُلَّ شَيْءٍ مُعْقِبًا بِزَوَالِ

ثم انها صارت تؤانسني بلطف الكلام وانا غريق في بحر الغرام خائف فى القرب الم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فانشدت هذين البيـــــــتين

فَكَّرتُ سَاعَةَ وَصلِهَا فِي هَجْرِهَا ... فَجَرَتْ مَدَامِعُ مُقلَتِي كَالعَنْدَمِ
فَطَفِقْتُ اَمْسَحُ مُقلَتِي فِي جِيدِهَا ... مِنْ عَادَةِ الْكَافُورِ اِمْسَاكُ الدَّمِ

ثم امرت باحضار الاطعمة فاقبلت اربـــع جوار نهد ابكار نوضعن بين ايدينا من الاطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمـــدام ما يصلح للملوك * فاكلنا يا امير المؤمنين وجلسنا على المدام

وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح الّا للملك * ثم جاءتها يا امير المؤمنين جارية بخريطة من الابريسم * فاخذتها و اخرجت منها عودا فوضعته فى حجرها وجسّت اوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بامه و انشدت هذين البيتين

لَا تَشْرَبِ ٱلرَّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَإٍ ... تَحْكِيهِ فِي رِقَّةِ ٱلْمَعْنَى وَيَحْكِيهَا
إِنَّ ٱلْمُدَامَةَ لَا يَلْتَذُّ شَارِبُهَا ... حَتَّى يَكُونَ نَقِيَّ ٱلْخَدِّ سَاقِيهَا

فاقمت يا امير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي * فتذكرت و انا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالانهار وصرت لا اعرف الليل من النهار * فقالت لاي شيءٍ تبكي فقلت لها يا سيدتي من حين جئت اليك وابوك يأخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار * و مابقي عندي شيءٌ من المال و قد صدق الشاعر حيث قال

اَلْفَقْرُ فِي أَوْطَانِنَا غُرْبَةٌ ... وَٱلْمَالُ فِي ٱلْغُرْبَةِ أَوْطَانُ

فقالت اعلم ان ابي من عادته انه اذا كان عنده تاجر وافتقر فانه يضيفه ثلثة ايام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود الينا ابدا * ولكن اكتم سرك واخف امرك و انا اعمل حيلة في اجتماعي بك الى ما شاء الله * فان لك في قلبي محبة عظيمة * واعلم ان جميع مال ابي تحت يدي وهو لا يعرف قدره * فانا اعطيك في كل يوم كيسا فيه خمسمائة دينار وانت تعطيه لابي وتقول له ما بقيت اعطى الدراهم الّا يوما بيوم * وكلما دفعته اليه فانه يدفعه اليّ و انا اعطيه لك * ونستمر هكذا الى ما شاء الله * فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم اقمت عندها يا امير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة *

فاتفق في بعض الايام انها ضربت جاريتها ضربا وجيعا * فقالت لها والله لا وجعن قلبك كما اوجعتني * ثم مضت تلك الجارية الى ابيها واعلمته بامرنا من اوله الى آخره * فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل عليّ وانا جالس مع ابنته * وقال لي يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا انه اذا كان عندنا تاجر وافتقر فاننا نضيفه ثلثة ايام * وانت لك سنة عندنا تأكل وتشرب وتفعل ماتشاء * ثم التفت الى غلمانه وقال اخلعوا ثيابه ففعلوا واعطوني ثيابا رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا لي عشرة دراهم * ثم قال لي اخرج فانا لا اضربك ولا اشتمك واذهب الى حال سبيلك * وان انمت في هذه البلدة كان دمك هدرا * فخرجت يا امير المؤمنين برغم انفي ولا اعلم اين اذهب وحل في قلبي كل هم فى الدنيا واشغلني الوسواس * وقلت في نفسي كيف اجيء فى البحر بمائة الف الف من جملتها ثمن ثلثين مركبا ويذهب هذا كله فى دار هذا الشيخ النحس * وبعد ذلك اخرج من عنده عريانا مكسور القلب فلا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * ثم اقمت في بغداد ثلثة ايام لم اذق طعاما ولا شرابا * وفى اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة الى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها الى ان وصلت الى البصرة فدخلت السوق واذا فى شدة الجوع * فرآني رجل بقّال فقام اليّ وعانقني لانه كان صاحبا لي ولابي من قبلي وسألني عن حالي فاخبرته بجميع ما جرى لي * فقال لي والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فاي شيء في ضميرك تريد ان تفعله فقلت له لا ادري ماذا افعل * فقال اتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهمان زيادة على اكلك وشربك

فاجبته الى ذلك واقمت عنده يا امير المؤمنين سنة كاملة ابيع واشتري الى ان صار معي مائة دينار * فاستأجرت غرفة على شاطئ البحر لعل مركبا تأتي ببضاعة فاشتري بالدنانير بضاعة وانوجه بها الى بغداد * فاتفق في بعض الايام ان المراكب جاءت وتوجه اليها جميع التجار يشترون فرحت معهم * واذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما * ثم اقبل التجار عليهما لاجل الشراء فقالا لبعض الغلمان احضروا البساط فاحضروه * وجاء واحد بخرج فاخرج منه جرابا وفتحه وكبه على البساط * واذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الالوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما اخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائر انواع الجواهر قال يا امير المؤمنين ثم ان واحدا من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت الى التجار وقال لهم يا معشر التجار انا ما ابيع في يومي هذا لاني تعبان * فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره اربعمائة دينار * فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار * فقلت له والله يا سيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار واستحيت منه ودمعت عيني فنظر اليّ وقد عسر عليه حالي * ثم قال للتجار اشهدوا على اني بعت جميع ما في الجراب من انواع الجواهر

والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار * وانا اعرف انه يساوي كذا وكذا الف دينار وهو هدية مني اليه * فاعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار اثنوا عليه * ثم اخذت ذلك ومضيت به الى سوق الجواهر وقعدت ابيع واشتري * وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين زنته نصف رطل * وكان احمر شديد الحمرة وعليه اسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم اعرف منفعته * فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم اخذت قرص التعويذ وقلت هذا له عندي مدة لا اعرفه ولا اعرف منفعته * فدفعته الى الدلال فاخذه ودار به ثم عاد وقال ما دفع فيه احد من التجار سوى عشرة دراهم * فقلت ما ابيعه بهذا القدر فرماه في وجهي وانصرف * ثم عرضته للبيع يوما أخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهما فاخذته من الدلال مغضبا ورميته عندي * فبينما انا جالس يوما اذ اقبل عليّ رجل فسلّم عليّ وقال لي عن اذنك هل اقلب ما عندك من البضائع قلت نعم * وانا يا امير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ * فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ * فلما رأه يا امير المؤمنين قبل يده وقال الحمد لله * ثم قال يا سيدي اتبيع هذا فازداد غيظي وقلت له نعم * فقال لي كم ثمنه فقلت له كم تدفع انت قال عشرين دينارا فتوهمت انه يستهزئ بي فقلت اذهب الى حال سبيلك * فقال لي هو بخمسين دينارا فلم اخاطبه * فقال بالف دينار هذا كله يا امير المؤمنين وانا ساكت ولم اجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول لاي شيء لم ترد عليّ * فقلت له اذهب الى حال سبيلك واردت ان اخاصمه وهو يزيد الفا بعد الف

ولم ارد عليه حتى قال اتبيعه بعشرين الف دينار * وانا اظن انه يستهزوٴ بي فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول لي بعه * وان لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد * فقلت له هل انت تشتري او تستهزوٴ فقال هل انت تبيع او تستهزوٴ قلت له ابيع * قال هو بثلثين الف دينار خذها وامض البيع * فقلت للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط ان تخبرني ما فائدته وما نفعه * قال امض البيع وانا اخبرك بفائدته ونفعه * فقلت بعتك فقال الله على ما اقول وكيل * ثم اخرج الذهب وقبضني اياه واخذ التعويذ ووضعه في جيبه * ثم قال لي هل رضيت قلت نعم * فقال اشهدوا عليه انه امضى البيع وقبض الثمن ثلثين الف دينار * ثم انه التفت اليّ وقال لي يا مسكين والله لو اخرت البيع لزدناك الى مائة الف دينار بل الى الف الف دينار * فلما سمعت يا امير الموٴمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلا عليه هذا الاصفرار الذي انت تنظره من ذلك اليوم * ثم قلت له اخبرني ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص * فقال اعلم ان ملك الهند له بنت لم ير احسن منها وبها داء الصداع * فاحضر الملك ارباب الاقلام واهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك * فقلت له وكنت حاضرا بالمجلس ايها الملك انا اعرف رجلا يسمى سعد الله البابلي ما على وجه الارض اعرف منه بهذه الامور * فان رأيت ان ترسلني اليه فافعل فقال اذهب اليه * فقلت له احضرلي قطعة من العقيق فاحضرلي قطعه كبيرة من العقيق ومائة الف دينار وهدية * فاخذت ذلك وتوجهت الى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلوني عليه ودفعت له المائة الف دينار والهدية * فاخذ ذلك مني ثم اخذ

القطعة العقيق واحضر حكّاكا فعملها هذا التعويذ * ومكث الشيخ سبعة اشهر يرصد النجم حتى اختار وقتا للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التي تنظرها * ثم جئت به الى الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لامير المؤمنين ان الرجل قال لي فاخذت هذا التعويذ وجئت به الى الملك فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها وكانت مربوطة في اربع سلاسل * وكل ليلة تبيت عندها جارية تنصبح مذبوحه * فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع عليّ وتصدق بمال كثير ثم وضعه في عقدها * فاتفق انها نزلت يوما في مركب هي وجواريها تتنزه في البحر * فمدت جارية يدها اليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك * فحصل للملك ما حصل من الحزن * فاعطاني مالا كثيرا وقال لي اذهب الى الشيخ ليعمل لها تعويذا عوضا عنه * فسافرت اليه فوجدته قد مات فرجعت الى الملك واخبرته * فبعثني انا وعشرة انفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فا وقعني الله به عندك فاخذه مني يا امير المؤمنين وانصرف * فكان ذلك الامر سببا للاصفرار الذي في وجهي * ثم اني توجهت الى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها * فلما اصبح الصباح لبست ثيابي وجئت الى بيت طاهر بن العلاء لعلي ارى من احبها * فان حبها لم يزل يتزايد في قلبي * فلما وصلت

الي داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت غلاما و قلت له. ما فعل الله بالشيخ * فقال يا اخيْ انه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له ابو الحسن العماني فاقام مع ابنته مدة من الزمان * ثم بعد ان ذهب ماله اخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حبا شديدا * فلما فارقها مرضت مرضا شديدا حتى بلغت الموت وعرف ابوها بذلك * فارسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة الف دينار فلم يره احد و لم يقع له على اثر * وهي الى الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال ابيها * قال باع الجواري من عظم ما اصابه فقلت له هل ادلك على ابي الحسن العماني فقال بالله عليك يا اخي ان تدلني عليه * فقلت له اذهب الي ابيها و قل له البشارة عندك فان ابا الحسن العماني واقف على الباب * فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون * ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ * فلما رآني رجع الي داره واعطى الرجل مائة الف دينار فاخذها وانصرف وهو يدعولي * ثم اقبل الشيخ وعانقني وبكى و قال يا سيدي اين كنت في هذه الغيبة قد هلكت ابنتي من اجل فراقك فادخل معي الى المنزل * فلما دخلت سجد شكرا لله تعالى و قال الحمد لله الذي جمعنا بك * ثم دخل لابنته وقال لها قد شفاك الله من هذا المرض * فقالت يا ابت ما ابرأ من مرضي الا اذا نظرت وجه ابي الحسن * فقال اذا اكلت اكلة و دخلت الحمام جمعت بينكما * فلما سمعت كلامه قالت اصحيح ما تقول قال لها والله العظيم ان الذي قلته صحيح * فقالت والله ان نظرت وجهه ما احتاج الى اكل فقال لغلامه احضر سيدك فدخلتُ * فلما نظرت اليّ يا امير المؤمنين وقعت مغشيا عليها * فلما افاقت انشدت هذا البيت

وَقَدْ يَجْمَعُ اللّٰهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ اَنْ لَا تَلَاقِيَا

ثم استوت جالسة وقالت والله يا سيدي ماكنت اظن اني ارى وجهك الّا ان كان مناما ثم انها عانقتني وبكت وقالت يا ابا الحسن الآن أكل واشرب فاحضروا الطعام والشراب * ثم صرت عندهم يا امير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال * ثم ان اباها استدعى بالقاضي والشهود وكتب كتابها عليّ وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي الى الآن * ثم ان ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع اليه بغلام بديع الجمال بقد ذي رشاقة واعتدال * وقال له قبل الارض بين ايادي امير المؤمنين فقبل الارض بين يدي الخليفة * فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه * ثم ان الرشيد انصرف هووجماعته وقال يا جعفر ما هذا الّا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت باغرب منه * فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال يامسرور قال لبيك ياسيدي * قال اجعل في هذا الايوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه * فصار مالا عظيما لا يحصى عدده الّا الله ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال احضرلي ابا الحسن قال سمعا وطاعة ثم احضره * فلما حضر قبل الارض بين يدي الخليفة وهو خائف ان يكون طلبه له بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله * فقال الرشيد يا عماني قال له لبيك يا امير المؤمنين خلد الله نعمه عليك * فقال اكشف هذه الستارة وكان الخليفة أمرهم ان يضعوا مال الثلثة اقاليم ويسبلوا عليه الستارة * فلما كشف العماني الستارة عن الايوان اندهش عقله من كثرة المال * فقال الخليفة يا ابا الحسن اهذا

المال اكثر ام الذي فاتك من ترص التعويذ فقال بل هذا يا امير المؤمنين اكثر باضعاف كثيرة * قال الرشيد اشهدوا يا من حضر اني وهبت هذا المال لهذا الشاب فقبل الارض واستحى و بكى من شدة الفرح بين يدي الرشيد * فلما بكى جرى الدمع من عينه على خده فرجع الدم الى محله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه * فقال الخليفة لا اله الّا الله سبحان من يغير حالا بعد حال وهو باق لايتغير * ثم اتي بمرأة و اراه وجهه فيها * فلما رأه سجد شكرا لله تعالى * ثم امر الخليفة ان يحمل اليه المال وسأله انه لاينقطع عنه لاجل المنادمة * فصار يتردد اليه الى ان توفى الخليفة الى رحمة الله تعالى فسبحان الذي لايموت في الملك و الملكوت

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد ان الخصيب صاحب مصر كان له ولد لم يكن احسن منه وكان من خوفه عليه لايمكّنه من الخروج الّا لصلوة الجمعة فمرّ وهو خارج من صلوة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة * فنزل عن فرسه وجلس عنده و قلّب الكتب و تأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد ان تنطق لم ير احسن منها على وجه الارض فسلبت عقله وادهشت لبه * فقال له يا شيخ بعني هذه الصورة فقبل الارض بين يديه * ثم قال يا سيدي بغير ثمن فدفع له مائة دينار واخذ الكتاب الذي فيه هذه الصورة * فصار ينظر اليها ويبكي ليله و نهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام وقال في نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو لربما اخبرني * فان كانت صاحبتها في الحيوة توصلت اليها * وان كانت صورة مطلقة

تركت التولع بها و لا اعذب نفسي بشيء لاحقيقة له و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال في نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة لربما اخبرني * فان كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا اعذب نفسي بشيء لاحقيقة له * فلما كان يوم الجمعة مرّ على الكتبي فنهض اليه قائما * فقال له يا عم اخبرني من صنع هذه الصورة * قال يا سيدي صنعها رجل من اهل بغداد يقال له ابوالقاسم الصندلاني في حارة تسمى حارة الكرخ * وما اعلم صورة من هي فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله احدا من اهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد الى البيت * فاخذ جرابا وملأه من الجواهر والذهب و قيمة الجواهر ثلثون الف دينار * ثم صبر الى الصباح وخرج ولم يعلم احدا ولحق قافلة فرأى بدويا * فقال له يا عم كم بيني وبين بغداد فقال له يا ولدي اين انت واين بغداد ان بينك وبينها مسيرة شهرين * فقال له يا عم ان وصلتني الى بغداد اعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها الف دينار * فقال له البدوي والله على ما نقول وكيل ولكن لاتنزل في هذه الليلة الّا عندي * فاجابه الى قوله وبات عنده * فلما لاح الفجر اخذه البدوي ثم ساربه سريعا في طريق قريب طمعا في تلك الفرس التي وعده بها * ومازالا سائرين حتى وصلا الى حيطان بغداد فقال له البدوي الحمد لله على السلامة يا سيدي هذه بغداد ففرح الغلام فرحا شديدا ونزل عن الفرس واعطاها

للبدوي هي والمائة دينار * ثم اخذ الجراب وسار يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التجار فساقه القدر الى درب فيه عشر حجر خمسة تقابل خمسة * وفي صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة * وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش * وفي احدهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة * وبين يديه خمسة مماليك كأنهم اقمار * فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التي ذكرها له الكتبي فسلم على الرجل فرد عليه السلام ورحب به واجلسه وسأله عن حاله * فقال له الغلام انا رجل غريب واريد من احسانك ان تنظرلي في هذا الدرب دارا لاسكن فيها * فصاح الرجل وقال يا غزالة فخرجت اليه جارية وقالت لبيك يا سيدي * فقال خذي معك بعض خدم واذهبوا الى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما يحتاج اليه من آنية وغيرها لاجل هذا الشاب الحسن الصورة * فخرجت الجارية وفعلت ما امرها به * ثم اخذه الشيخ واراه الدار فقال له الغلام يا سيدي كم اجرة هذه الدار * فقال له يا صبيح الوجه انا ما آخذ منك اجرة ما دمت فيها فشكره على ذلك * ثم ان الشيخ نادى جارية اخرى فخرجت جارية كأنها الشمس * فقال لها هاتي الشطرنج فاتت به ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام اتلعب معي قال نعم فلعب معه مرات والغلام يغلبه * فقال احسنت يا غلام ولقد كملت صفاتك والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني انت * ثم بعد ان هيأوا الدار بالفرش وسائر ما يحتاج اليه سلم اليه المفاتيح * وقال له يا سيدي الا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك * فاجابه الغلام الى ذلك ومشى معه * فلما وصلا الى الدار رأى دارا حسنة

جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير * وفيها من انواع الفرش والامتعة ما يعجز عن وصفه اللسان * ثم صار يحييه وامر باحضار الطعام فاتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت واتوا بالطعام الوانا غريبة لم يوجد افخر منها ولا الذ * فاكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر الى الدار والفرش ثم التفت الى الجراب الذي كان معه فلم يره * فقال لاحول ولاقوة الّا بالله العلي العظيم اكلت لقمة تساوي درهما او درهمين فذهب مني جراب فيه ثلثون الف دينار * ولكن استعنت بالله ثم سكت ولم يقدر ان يتكلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما رأى الجراب مفقودا حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر ان يتكلم * فقدم الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معي قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال الغلام احسنت ثم ترك اللعب وقام * فقال له مالك ياغلام فقال اريد الجراب فقام واخرجه له وقال هاهو ياسيدي هل ترجع الى اللعب معي قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام * فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به اليك غلبتني * ثم قال له ياولدي اخبرني من اي البلاد انت فقال من مصر * فقال له وما سبب مجيئك الى بغداد فاخرج له الصورة * وقال اعلم ياعم اني ولد الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي * فسألت عن صانعها فقيل لي ان صانعها رجل بحارة الكرخ يقال له ابو القاسم الصندلاني بدرب يعرف بدرب الزعفران * فاخذت

معي شيأ من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي احد وأريد من تمام احسانك ان تدلني عليه حتى اسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة مَنْ هي * ومهما اراده مني فاني اعطيه اياه فقال والله يا ابني اني انا ابو القاسم الصندلاني وهذا امر عجيب كيف ساقتك المقادير اليّ * فلما سمع الغلام كلامه قام اليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له بالله عليك ان تخبرني بصورة من هي فقال سمعا وطاعة * ثم قام وفتح خزانة واخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة * وقال اعلم يا ولدي ان صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي فى البصرة وابوها حاكم البصرة يقال له ابو الليث وهي يقال لها جميلة * وما على وجه الارض اجمل منها ولكنها زاهدة فى الرجال ولم تقدر ان تسمع ذكر رجل في مجلسها * وقد ذهبت الى عمي بقصد انه يزوجني بها وبذلت له الاموال فلم يجبني الى ذلك * فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وارسلت اليّ كلاما من جملته انها قالت ان كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة والّا تهلك ويكون ذنبك في عنقك * وهي جبارة من الجبابرة فخرجتُ من البصرة وانا منكسر الخاطر * وعملت هذه الصورة فى الكتب وفرقتها فى البلاد لعلها تقع فى يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل فى الوصول اليها لعلها تعشقه * واكون قد اخذت عليه العهد انه اذا تمكن منها يريني اياها ولو نظرة من بعيد * فلما سمع ابراهيم ابن الخصيب كلامه اطرق رأسه ساعة وهو يتفكر * فقال له الصندلاني يا ولدي اني ما رأيت ببغداد احسن منك * واظن انها اذا نظرتك تحبك فهل يمكنك اذا اجتمعت

بها وظفرت بها ان تريني اياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم * فقال اذا كان الامر كذلك فاقم عندي الى ان تسافر * فقال لا اقدر على المقام فان في قلبي من عشقها نارًا زائدة * فقال له اصبر حتى اجهز لك مركبا في ثلثة ايام لتذهب فيها الى البصرة فصبر حتى جهز له مركبا ووضع فيها كل ما يحتاج اليه من مأكول ومشروب وغير ذلك * وبعد الثلثة ايام قال للغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبا فيها سائر ما تحتاج اليه * والمركب ملكي والملاحون من اتباعي وفي المركب ما يكفيك الى ان تعود * وقد وصيت الملاحين ان يخدموك الى ان ترجع بالسلامة * فنهض الغلام ونزل في المركب وودعه وسار حتى وصل الى البصرة فاخرج الغلام مائة دينار للملاحين فقالوا له نحن اخذنا الاجرة من سيدنا * فقال لهم خذوها انعاما وانا لا اخبره بذلك فاخذوها منه ودعوا له * ثم دخل الغلام البصرة وسأل اين مسكن التجار فقالوا له في خان يسمى خان حمدان * فمشى حتى وصل الى السوق الذي فيه الخان فامتدت اليه الاعين بالنظر من فرط حسنه وجماله * ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخا كبيرا مهابا فسلم عليه فرد عليه السلام * فقال يا عم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم * ثم اخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال يا غلام ان هذه الحجرة تصلح لك * فاخرج الغلام دينارين وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فاخذهما ودعا له * وامر الغلام الملاح بالذهاب الى المركب * ثم دخل الحجرة فاستمر عنده بواب الخان وخدمه وقال له يا سيدي حصل لنا بك السرور

فاعطاه الغلام دينارا وقال له هات لنا به خبزا ولحما وحلوى وشرابا * فاخذه وذهب الى السوق ورجع اليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم واعطاه الباقي * فقال له الغلام اصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحا عظيما * ثم ان الغلام اكل مما طلبه قرصا واحدا بقليل من الأُدْم وقال لبواب الخان خذ هذا الى اهل منزلك * فاخذه وذهب به الى اهل منزله وقال لهم ما اظن ان احدا على وجه الارض اكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا احلى منه * فان دام عندنا حصل لنا الغنى * ثم ان بواب الخان دخل على ابراهيم فرآه يبكي فقعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال يا سيدي لاي شيء تبكي لا ابكاك الله * فقال يا عم اريد ان اشرب انا وانت في هذه الليلة فقال له سمعا وطاعة * فاخرج له خمسة دنانير وقال له اشتر لنا بها فاكهة وشرابا * ثم دفع له خمسة دنانير اخرى وقال له اشتر لنا بهذه نقلا ومشموما وخمس دجاجات سمان واحضر لي عودا * فخرج واشترى له ما امره به وقال لزوجته اصنعي هذا الطعام وصفي لنا هذا الشراب * وليكن ما تصنعينه جيدا فان هذا الغلام قد عمنا باحسانه فصنعت زوجته ما امرها به على غاية المراد * ثم اخذه ودخل به على ابراهيم ابن السلطان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب اخذه ودخل به على ابن السلطان فاكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وانشد هذين البيتين

يَا صَاحِبِي لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا   وَجُمْلَةَ ٱلْمَالِ وَالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
وَجَنَّةَ ٱلْخُلْدِ وَالْفِرْدَوْسِ أَجْمَعَهَا   بِسَاعَةِ ٱلْوَصْلِ كَانَ ٱلْقَلْبُ شَارِيهَا

ثم شهق شهقة عظيمة وخرّ مغشيا عليه فتنهد بواب الخان * فلما افاق قال له بواب الخان يا سيدي ما يبكيك ومن هي التي تريدها بهذا الشعر فانها لاتكون الّا ترابا لاقدامك * فقام الغلام و اخرج بقجة من احسن ملابس النساء وقال له خذ هذه الى حريمك فاخذها منه و دفعها الى زوجتها فاتت معه ودخلت على الغلام فاذا هو يبكي * فقالت له فتت اكبادنا فعرفنا باي مليحة تريدها وهي لا تكون الّا جارية عندك * فقال يا عم اعلم اني انا ابن الخصيب صاحب مصر واني متعلق بجميلة بنت الليث العميد * فقالت زوجة بواب الخان الله الله يا اخي ان تترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا احد فنهلك * فانه ما على وجه الارض اجبر منها ولا يقدر احد ان يذكر لها اسم رجل لانها زاهدة في الرجال * فيا ولدي اعدل عنها لغيرها * فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدا فقال له بواب الخان ما لي سوى روحي فانا اخاطر بها في هواك وادبر لك امرا فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده * فلما اصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك واذا ببواب الخان هو و زوجته قدما عليه و قالا له يا سيدي اعلم ان هنا رجلا خياطا احدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب اليه واخبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك الى اغراضك * فقام الغلام و قصد دكان الخياط الاحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كأنهم الاقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به واجلسوه وتحيروا

في محاسنه وجمالة * فلما رآه الاحدب اندهش عقلـــه من حسن صورته * فقال له الغلام اريد ان تخيط لي جيبي فتقدم الخياط واخذ فتلة من الحرير و خاطه وكان الغلام قد فتق جيبه عمدا * فلما خاطه اخرج له خمسة دنانير و اعطاها له و انصرف الى حجرته * فقال الخياط اي شيء عملتـــه لهذا الغلام حتى اعطاني الخمســـة دنانير ثم بات ليلته يفكر في حسنه وكرمه * فلما اصبح الصباح ذهب الى دكان الخياط الاحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه الســلام واكرمه ورحب به * فلما جلس قال للاحدب يا عم خيط لي جيبي فانه فتق ثانيا فقال له يا ولدي على الرأس والعين * ثم تقدم وخاطه فدفع له عشـــرة دنانير فاخذها وصار مبهوتا من حسنه وكرمه * ثم قال والله يا غلام ان فعلـــك هذا لا بد له من سبب و ما هذا خبرخياطة جيب * ولكن اخبرني عن حقيقـــة امرك فان كنت عشقت و احدا من هؤلاء الاولاد فوالله ما فيهم احسن منك وكلهم تراب اقدامك وها هم عبيدك بين يديك * وان كان غير هذا فاخبرني * فقال يا عم ما هذا محل الكلام فان حديثي عجيب وامري غريب * قال فاذا كان الامر كذلك فقم بنا في خلوة * ثم نهض الخياط واخذ بيده ودخل معه حجرة في داخل الدكان * وقال له يا غلام حدثني فحدثه بامره من اوله الى آخره فبهت من كلامه * و قال يا غلام اتق اللـــه في نفسك فان التي ذكرتها جبـــارة زاهدة في الرجال فاحفظ يا اخي لسانك والّا فانك تهلك نفسك * فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديدا ولزم ذيل الخياط وقال اجرني يا عم فاني هالك * وقد تركت ملكي وملك ابي وجـــدي وصرت في البلاد غريبا وحيدا ولاصبرلي عنها * فلما رأى الخياط

ما حل به رحمه وقال يا ولدي ما عندي الّا نفسي فاخاطر بها في هواك فانك قد جرحت قلبي * ولكن في غد ادبرلك امرا يطيب به قلبك فدعا له وانصرف الى الخان * فحدث بواب الخان بما قاله الاحدب فقال له قد فعل معك جميلا * فلما اصبح الصباح لبس الغلام أفخر ثيابه واخذ معه كيسا فيه دنانير واتى الى الاحدب فسلم عليه وجلس * ثم قال له ياعم انجز وعدي * فقال له قم في هذه الساعة وخذ ثلث دجاجات سمان وثلث اواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابا وخذ قدحا * وضع ذلك في كارة وانزل بعد صلوة الصبح في زورق مع ملاح وقل له اريد ان تذهب بي تحت البصرة * فان قال لك ما اقدران اعدى اكثر من فرسخ فقل له الرأي لك * فاذا عدى فرغبه بالمال حتى يوصلك فاذا وصلت فاول بستان تراه فانه بستان السيدة جميلة * فاذا رأيته فاذهب الى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل احدب مثلي فاشك اليه حالك وتوسل به * فعساه ان يرثي لحالك ويوصلك الى ان تنظرها ولو نظرة من بعيد * وما بيدي حيلة غير هذا * واما اذا لم يرث لحالك فقد هلكت انا وانت وهذا ما عندي من الرأي والامر الى الله تعالى * فقال الغلام استعنت بالله ما شاء الله كان ولاحول ولا قوة الّا بالله * ثم قام من عند الخياط الاحدب وذهب الى حجرته واخذ ما امره به في كارة لطيفة * ثم انه لما اصبح جاء الى شاطئ الدجلة واذا هو برجل ملاح نائم فايقظه واعطاه عشرة دنانير وقال له عدني الى تحت البصرة * فقال له يا سيدي بشرط انى لا اعدى اكثر من فرسخ وان تجاوزته شبرا هلكت اناوانت * فقال له الرأي لك فاخذه

وانحدر به * فلما قرب من البستان قال يا ولدي من هنا ما اقدر ان اعدى فان تعديت هذا الحد هلكت انا وانت * فاخرج له عشرة دنانير اخرى وقال له خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك * فاستحى منه وقال سلمت الامر لله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما اعطى للملاح العشرة دنانير الاخرى اخذها وقال سلمت الامر لله تعالى وانحدر به * فلما وصل الى البستان نهض الغلام من فرحته و وثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هاربا * ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الاحدب من البستان ورأى بابه مفتوحا * وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل احدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة * وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب * فنهض الغلام مسرعا وانكب على يده وقبلها * فقال له من انت ومن اين انيت ومن اوصلك الى ههنا يا ولدي * وكان ذلك الرجل لما رأى ابراهيم ابن الخصيب انبهر من جماله * فقال له ابراهيم يا عم انا صبي جاهل غريب ثم بكى فرق له واصعده على السرير ومسح له دموعه * وقال له لا بأس عليك ان كنت مديونا قضى الله دينك * وان كنت خائفا امن الله خوفك فقال يا عم ما بي خوف ولا عليّ دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه * فقال له يا ولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك الى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له امره * فلما سمع كلامه اطرق رأسه ساعة الى الارض وقال

هل الذي دلّك عليّ الخياط الاحدب قال له نعم قال هذا اخي وهو رجل مبارك * ثم قال يا ولدي لولاان محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت انت واخي وبواب الخان و زوجته * ثم قال اعلم ان هذا البستان ما على وجه الارض مثله وانه يقال له بستان اللؤلؤة * وما دخله احد مدة عمري الا السلطان وانا و صاحبته جميلة * واقمت فيه عشرين سنه فما رأيت احدا جاء الى هذا المكان * وكل اربعين يوما تأتي في المركب الى هاهنا وتصعد بين جواريها في حلة اطلس تحمل اطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب الى ان تدخل * فلم ارمنها شيأ ولكن انا مالي الانفسي فاخاطربها من اجلك * فعند ذلك قبل الغلام يده فقال له اجلس عندي حتى ادبر لك امرا * ثم اخذ بيد الغلام وادخله البستان * فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن انه الجنة ورأى الاشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه مندفقة والاطيار تناغي باصوات مختلفة * ثم ذهب به الى قبة وقال له هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة فتأمل تلك القبة فوجدها من اعجب المنتزهات * وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد * وفيها اربعة ابواب يصعد اليها بخمس درج * وفي وسطها بركة ينزل اليها بدرج من الذهب * وتلك الدرج مرصعة بالمعدن * وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من افواهها * فاذا صفقت الصور عند خروج الماء باصوات مختلفة تخيل لسامعها انه في الجنة * وحول القبة ساقية نواديسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج * وعلى يسار الساقية شباك من الفضة مطل على برج اخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والارانب * وعلى يمينها شباك مطل على ميدان فيه من

سائر الطيور وكلها تغرد باصوات مختلفة تدهش السامع * فلما رأى الغلام ذلك اخذه الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه فقال لي كيف ترى بستاني * فقال له الغلام هو جنة الدنيا فضحك البستاني * ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر * فوضعه بين يدي الغلام وقال له كل حتى تشبع * قال ابراهيم فاكلت حتى اكتفيت فلما رأني اكلت فرح وقال والله هكذا شأن الملوك واولاد الملوك * ثم قال يا ابراهيم اي شيء معك في هذه الكارة فحللتها بين يديه * فقال احملها معك فانها تنفعك اذا حضرت السيدة جميلة * فانها اذا جاءت لا اقدر ان ادخل لك بما تأكل * ثم قام واخذ بيدي واتى بي الى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الاشجار وقال له اصعد هنا * فاذا جاءت فانك تنظرها وهي لاتنظرك وهذا اكثر ما عندي من الحيلة وعلى الله الاعتماد * فاذا غنت فاشرب على غنائها فاذا ذهبت فارجع من حيث جئت ان شاء الله مع السلامة * فشكره الغلام واراد ان يقبل يده فمنعه * ثم ان الغلام وضع الكارة في العريشة التي عملها له * ثم قال له البستاني يا ابراهيم تفرج في البستان وكل من اثماره فان ميعاد حضور صاحبتك في غد * فصار ابراهيم يتنزه في البستان ويأكل من اثماره وبات ليلته عنده * فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صلى ابراهيم الصبح واذا بالبستاني جاءه وهو مصفر اللون وقال له قم يا ولدي واصعد الى العريشة * فان الجواري قد اتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخولي لما دخل على ابراهيم ابن الخصيب في البستان قال له قم يا ولدي اصعد الى العريشة فان الجواري قد اتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعد هن * واحذر من ان تبصق او تمخط او تعطس فنهلك انا وانت * فقام الغلام وصعد الي العريشة وذهب الخولي وهو يقول رزقك الله السلامة يا ولدي * فبينما الغلام قاعد واذا بخمس جوار اقبلن لم ير مثلهن احد * فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد واطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج * واقبل بعد هن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج * والجواري رافعات اذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير الغلام منها ولا من اثوابها شيأ * فقال في نفسه والله انه ضاع جميع تعبي ولكن لابد لي من ان اصبر حتى انظر كيف يكون الامر * فقدمت الجواري الاكل والشرب ثم اكلن وغسلن ايديهن ونصبن لها كرسيا فجلست عليه * ثم ضربن بآلات الملاهي جميعهن وغنين باصوات مطربة لامثل لهن * ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري * واذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك * فرآها ابراهيم وعليها الحلي والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ * فقام الجواري وقبلن الارض بين يديها وهي تضحك * قال ابراهيم ابن الخصيب فلما

رأيتها غبت عن وجودي واندهش عقلي وتحير فكري بما بهرني من جمـــال لم يكن علي وجه الارض مثله ووقعت مغشيا عليّ ثم افقت باكي العينين وانشدت هذين البيتـــــــين

أَرَاكَ فَلَا أَرُدُّ الطَّـــرْفَ كَيْ لَا ... يَكُونَ حِجَابَ رُؤْيَتِكَ الجُفُــونُ
وَلَوْ أَنِّي نَظَرْتُ بِكُـــلِّ لَحْظٍ ... لَمَا اسْتَوْفَتْ مَحَاسِنَكَ العُيُونُ

فقالت العجوز للجواري ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين * فلما رآهن ابراهيم قال فى نفسه اشتهي ان ترقص السيدة جميلة * فلما انتهى رقص العشر جوار اقبلن حولها وقلن يا سيدتنا نشتهي ان تــرقص في هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لاننا ما رأينا اطيب من هذا اليوم * فقال ابراهيم ابن الخصيب في نفسه لاشك ان ابواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي * ثم قبل الجوارى اقدامها وقلن لها والله ما رأينا صدرك مشروحا مثل هذا اليوم * فماز لن يرغبنها حتى قلعت اثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرز بانــواع الجواهـــر وابرزت نهودا كأنهن الرمان واسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه * فرأى ابراهيم من الحركات ما لم ير في عمره مثله ولما اتت في رقصها باسلوب غريب وابتداع عجيب حتى أنستنا رقـــص الحبب فى الكـــؤس واذكرتنا ميل العمائم عن الرؤس وهى كما قال فيهـــا الشاعـــر

كَمَا اشْتَهَتْ خُلِقَتْ حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَتْ ... فِي قَالَبِ الحُسْنِ لَا طُولٌ وَلَا قِصَرُ
كَأَنَّهَـــا خُلِقَتْ مِنْ مَاءِ لُؤْلُؤَةٍ ... فِى كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ حُسْنِهَا قَمَرُ

وكما قال الأخر

وَرَاقِصٍ مِثْلِ غُصْنِ البَانِ قَامَتُهُ ... تَكَادُ تَذْهَبُ رُوحِي مِنْ تَنَقُّلِهِ
لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ فِي رَقْصِهِ قَدَمٌ ... كَأَنَّمَا نَارُ قَلْبِي تَحْتَ أَرْجُلِهِ

قال ابراهيم فبينما انا انظر اليها اذلاحت منها التفاتة اليّ فرأتني * فلما نظرتني تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا انتم حتى اجيء اليكن * ثم عمدت الى سكين قدر نصف ذراع واخذتها واتت نحوي * ثم قالت لاحول ولاقوة الّا بالله العلي العظيم فلما قربت مني غبت عن الوجود * فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها و قالت سبحان مقلب القلوب * ثم قالت لي يا غلام طب نفسا ولك الامان مما تخاف فصرت ابكي وهي تمسح دموعي بيدها * وقالت يا غلام اخبرني من انت وما جاءبك الى هذا المكان * فقبلت الارض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك فقل لي من انت * قال ابرهيم فحدثتها بحديثي من اوله الى أخره فتعجبت من ذلك وقالت لي يا سيدى اناشدك الله هل انت ابراهيم ابن الخصيب قلت نعم فانكبت عليّ وقالت يا سيدي انت الذى زهدتني فى الرجال * لانني لما سمعت انه وجد فى مصر صبي لم يكن على وجه الارض اجمل منه هويتك بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر

أُذْنِي لَقَدْ سَبَقَتْ فِي عِشْقِهِ بَصَرِي ... وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانَا

فالحمد لله الذي اراني وجهك * والله لو كان احد غيرك لكنت صلبت البستاني وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم * ثم قالت لي كيف احتال على شيء تأكله من غير اطلاع جواري * فقلت لها ان معي ما نأكل وما نشرب * ثم حللت الكارة بين يديها فاخذت دجاجة وصارت تلقمني والقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت انه منام * ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهي عندي والجواري تغني * وما زلنا كذلك من الصبح الى الظهر * ثم قامت وقالت قم الآن هيّئ لك مركبا وانتظرني في المحل الفلاني حتى اجيء اليك فما بقي لي صبر على فراقك * فقلت يا سيدتي ان معي مركبا وهي ملكي والملاحون في اجارتي وهم في انتظاري * فقالت هذا هو المراد ثم مضت الى الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة جميلة لما مضت الى الجواري قالت لهن قمن بنا لنروح الى قصرنا * فقلن لها كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا اننا نقعد ثلثة ايام * فقالت اني اجد في نفسي ثقلا عظيما كأني مريضة واخاف ان يثقل عليّ ذلك فقلن لها سمعا وطاعة فلبسن ثيابهن * ثم توجهن الى الشاطئ ونزلن في الزورق واذا بالبستاني قد اقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذي جرى له * فقال يا ابراهيم مالك حظ في التلذذ برؤيتها فان من عادتها ان تقيم هنا ثلثة ايام وانا اخاف ان تكون رأتك * فقال

ابراهيم ما رأتني ولارأيتها ولاخرجت من القبة قال صدقت ياولدي فانها لورأتك لكنا هلكنا * ولكن اقعد عندي حتى تأتي فى الاسبوع الثاني وتراها وتشبع من النظر اليها * فقال ابراهيم ياسيدي ان معي مالا واخاف عليه وورائي رجال فاخاف ان يستغيبوني * فقال يا ولدي انه يعز عليّ فراقك ثم عانقه وودعه * ثم ان ابراهيم توجه الى الخان الذي كان نازلا فيه وقابل بواب الخان واخذ ماله * فقال له بواب الخان خبر خيران شاء الله * فقال له ابراهيم انى ما وجدت الى حاجتي سبيلا واريدان ارجع الى اهلي فبكى بواب الخـــان وودعه وحمل امتعته ووصله الى المركب * وبعد ذلك توجه الى المحل الذي قالت له عليه وانتظرها فيه * فلما جن الليل واذا بها قد اقبلت عليه وهي في زيّ رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة * وفي احدى يديهـــا قوس ونشاب وفى الاخرى سيف مجرد * وقالت له هل انت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها ابراهيم هو انا فقالت له واي علق انت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلّم السلطان * قال ابراهيم فوقعت مغشيا عليّ * واما الملاحون فانهم ماتوا في جلودهم من الخوف * فلما رأت ما حل بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت المنطقة فرايتهـــا هي السيدة جميلة * فقلت لها والله انك قطعت قلبي * ثم قلت للملاحين أسرعوا في سير المركب فحلوا الشراع واسرعوا فى السير * فما كان الّا ايام قلائل حتى وصلنا الى بغداد واذا بمركب واقفة على جانب الشط * فلما رأنا الملاحون الذين فيها صاحوا علي الملاحين الذي معنا * وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهنّيكم بالسلامة ثم دفعوا مركبهم

على مركبنا فنظرنا فاذا فيها ابو القاسم الصندلاني * فلما رآنا قال ان هذا هو مطلوبي امضوا في وداعة اللـه وانا اريد التوجه الى غرض وكان بين يديه شمعة * ثم قال لي الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا * فلما رأته جميلة تغير حالها واصفر لونها * ولما رآها الصندلاني قال اذهبوا في امان الله انا رائح الى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر * ثم احضر علبة من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج * فقال ابراهيم يا قرة عيني كلي من هذا فبكت وقالت يا ابراهيم اتدري من هذا قلت نعم هذا فلان * قالت انه ابن عمي وكان سابقا خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه الى البصرة فربما يعرف ابي بنا * فقلت يا سيدتي هو لا يصل الى البصرة حتى نصل نحن الى الموصل ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب * فاكلت شيأ من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الارض برأسي * فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عريانا مرميا في الخراب * فلطمت على وجهي وقلت في نفسي ان هذه حيلة عملها عليّ الصندلاني * وصرت لا ادري اين اذهب وما عليّ سوى سروال فقمت وتمشيت قليلا * واذا بالوالي اقبل عليّ ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت * فرأيت حماما خربا فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوثت بالدم فمسحتها في سروالي ولم اعلم ما هو * ثم مددت يدي اليه ثانيا فجاءت على القتيل وطلعت رأسه في يدي فرميتها وقلت لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام واذا

بالوالي وقف على باب الحمام وقال ادخلوا هذا المكان وفتشوا * فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت المقتول فرأيته صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية * وعليها ثياب ثمينة * فلما رأيتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال فتشوا جهات الحمام * فدخلوا الموضع الذي انا فيه فنظرني رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع * فلما قرب مني قال سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن * يا غلام من اين انت ثم اخذ بيدي وقال يا غلام لاي شيء قتلت هذه المقتولة * فقلت والله ما قتلتها ولا اعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان الا فزعا منكم * واخبرته بقصتي وقلت له بالله عليك لا تظلمني فاني مشغول بنفسي فاخذني وقدمني الى الوالي * فلما رأى على يدي اثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الخصيب قال فلما قدموني الى الوالي ورأى على يدي اثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه * فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديدا وجرت مني دموع العين وانشدت هذين البيتين

مَشَيْنَا هَا خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنَا   وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ   فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

ثم شهقتُ شهقةً فوقعت مغشيا عليّ فرقّ لي قلب الجلاد وقال والله

ماهذا وجه من قتل * فقال الوالي اضربوا عنقه فاجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني غطاء * واخذ السياف سيفه واستأذن الوالي واراد ان يضرب عنقي فصحت واغربتاه * واذا بخيل قد اقبلت وقائل يقول دعوه امنع يدك ياسياف * وكان لذلك سبب عجيب وامر غريب وهو ان الخصيب صاحب مصر كان قد ارسل حاجبه الى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه ان ولدي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت انه ببغداد * والمقصود من انعام خليفة الله ان يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسله اليّ مع الحاجب * فلما قرأ الخليفة الكتاب امر الوالي ان يبحث عن حقيقة خبره * فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له انه بالبصرة فاخبر الخليفة بذلك * فكتب الخليفة كتابا واعطاه للحاجب المصري وامره ان يسافر الى البصرة وان يأخذ معه جماعة من اتباع الوزير * فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي * فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجّل اليه * فقال له الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فاخبره بالخبر * فقال الحاجب والحال انه لم يعرف انه ولد السلطان ان وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وامره بحلّ وثاقه فحلّه * فقال قدمه اليّ فقدمه اليه وكان قد ذهب جماله من شدة ما قاساه من الاهوال * فقال له الحاجب اخبرني بقضيتك يا غلام وما شان هذه المقتولة معك * فلما نظر ابراهيم الى الحاجب عرفه * فقال له ويلك اما تعرفني اَمَا انا ابراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي * فامعن الحاجب فيه النظر فعرفه

غاية المعرفة فلما عرفه انكب على اقدامه * فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب اصفر لونه * فقال له الحاجب ويلك يا جبار هل كان مرادك ان تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر * فقبل الوالي ذيل الحاجب وقال له يا مولاي من اين اعرفه وانما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية مقتولة بجانبه * فقال له ويلك انك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاما وما قتل عصفورا فكيف يقتل قتيلا هلا امهلته وسألته عن حاله * ثم قال الحاجب والوالي فتشوا على قاتل الصبية * فدخلوا الحمام ثانيا فرأوا قاتلها فاخذوه واتوا به الى الوالي * فاخذه وتوجه به الى دار الخلافة واعلم الخليفة بما جرى * فامر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم امر باحضار ابن الخصيب * فلما تمثل بين يديه تبسم الرشيد في وجهه وقال له اخبرني بقضيتك وما جرى لك * فحدثه بحديثه من اوله الى أخره * فعظم ذلك عنده فنادى مسرور السياف وقال اذهب في هذه الساعة واهجم على دار ابي القاسم الصندلاني وأتني به وبالصبية * فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف فحلها مسرور واتى بها وبالصندلاني * فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت الى الصندلاني وقال خذوه واقطعوا يديه اللذين ضرب بهما هذه الصبية واصلبوه وسلموا امواله واملاكه الى ابراهيم ففعلوا ذلك * فبينما هم كذلك واذا بابي الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد اقبل عليهم يستغيث بالخليفة من ابراهيم بن الخصيب

صاحب مصر و يشكو اليه انه اخذ ابنته * فقال له الرشيد انه كان سببا في خلاصها من العذاب و القتل * و امر با حضار ابن الخصيب فلما حضر قال لابي الليث الا ترضى ان يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلا لابنتك فقال سمعا و طاعة لله ولك يا امير المؤمنين * فدعا الخليفة بالقاضي والشهود * و زوّج الصبية با براهيم ابن الخصيب و وهب له جميع اموال الصندلاني و جهزه الى بلاده * وعاش معها في اتم سرور و اوفى حبور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد ان المعتضد بالله كان عالي الهمة شريف النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير وما كان يخفى عليه من امور الناس شيء * فخرج يوما هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من اخبار الناس فحمي عليهما الحر والهجير * وقد انتهيا الى زقاق لطيف في شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا في صدر الزقاق دارا حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء * فقعدا على الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان كالقمرين في ليلة اربعة عشر * فقال احدهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لان سيدي لم يأكل الّا مع الضيفان وقد صرنا الى هذا الوقت ولم ار احدا * فتعجب الخليفة من كلامهما وقال ان هذا دليل على كرم صاحب الدار * ولا بد ان ندخل داره وننظر مروته ويكون ذلك سببا في نعمة تصل اليه منا * ثم قال للخادم استأذن سيدك في قدوم جماعة اغراب وكان الخليفة في ذلك

الزمان اذا اراد الفرجة على الرعيــة تنكّر في زي التجار * فدخل الخادم على سيده واخبره ففرح وقام وخرج اليهما بنفسه * واذا به جميل الوجــه حسن الصورة وعليه قميص نيسابوري ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفي يده خاتم من الياقوت * فلما رأهما قال اهلا وسهلا بالسادة المنعمين علينا غاية الانعــام بقدومهم * فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسى الاهل والاوطان كأنها قطعــة من الجنــان وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكــلام المــبــاح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفــة لما دخل الدار هو ومن معه رأياها تنسى الاهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان * ومن داخلها بستان فيه من سائر الاشجار وهي تدهش الابصار واماكنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا * وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش * قال ابن حمدون فنظرت الى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير وكنت اعرف من وجهه حال الرضى والغضب * فلما رأيته قلت في نفسي ياترى ما باله حتى غضب * ثم جاؤا بطشت من الذهب فغسلنا ايدينا * ثم جاؤا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران * فلما انكشفت الاغطية عن الاواني رأينا طعاما كزهر الربيع في اعز الاوان صنوانا وغير صنوان * ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا والله ان الجوع قد امضني فانعموا عليّ بالاكل من هذا الطعام كما هوا خلاق الكرام * وصار صاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعه بين ايدينا ويضحك وينشد الاشعار ويورد الاخبار

ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس * قال ابن حمدون فاكلنا وشربنا * ثم نقلنا الى مجلس أخر يدهش الناظرين تفوح منه الروائح الزكية * ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية فزادت افراحنا وزالت اتراحنا * قال ابن حمدون ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوس ولم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع ان عادته انه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم وانا اعرف انه غير حسود ولا ظلوم * فقلت في نفسي يا ترى ماسبب عبوسه وعدم زوال بؤسه * ثم جاؤا بطبق الشراب ومجمع شمل الاحباب واحضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة * وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران واذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلث جوار نهد ابكار * وجوههن كالشمس في رابعة النهار * وتلك الجواري ما بين عوادة وجنكية ورقاصة * ثم قدم لنا النقل والفواكه * قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الابريسم وحلقاتها من الذهب * فلم يلتفت الخليفة الى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده * فقال الخليفة لصاحب الدار اشريف انت قال لا يا سيدي انما انا رجل من اولاد التجار اعرف بين الناس بابي الحسن عليّ ابن احمد الخراساني * فقال له الخليفة اتعرفني يا رجل قال والله يا سيدي لم يكن لي معرفة باحد من جنابكم الكريم * فقال له ابن حمدون يا رجل هذا امير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله * فقام الرجل وقبل الارض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه * وقال يا اميرالمؤمنين بحق أبائك الطاهرين ان كنت رأيت مني تقصيرا او قلة ادب بحضرتك

ان تعفو عني * فقال الخليفة اما ما صنعته معنا من الاكرام فلا مزيد عليه * واما ما انكرته عليك هنا فان اصدقتني حديثه واستقر ذلك بعقلي نجوت مني * وان لم تعرفني حقيقته اخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابا لم اعذب احدا مثله * قال معاذ الله ان احدث بالمحال وما الذي انكرته عليّ يا امير المؤمنين * فقال الخليفة انا من حين دخلت الدار وانا انظر الى حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك * فاذا عليها اسم جدي المتوكل على الله قال نعم * اعلم يا امير المؤمنين ايدك الله ان الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لاحد على ان يتكلم بغير الصدق في حضرتك * فامره بالجلوس فجلس فقال له حدثني * فقال اعلم يا امير المؤمنين ايدك الله بنصره وحفك بلطائف امره انه لم يكن ببغداد احد أيسر مني ولا من ابي * ولكن اخل لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى احدثك بسبب ما انكرته عليّ * فقال له الخليفة قل حديثك فقال اعلم يا امير المؤمنين انه كان ابي بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له في كل سوق حانوت ووكيل وبضائع من سائر الاصناف وكان له حجرة من داخل الدكان التي بسوق الصيارف لاجل الخلوة فيها * وجعل الدكان لاجل البيع والشراء * وكان ما له يكثر عن العدّ ويزيد عن الحد * ولم يكن له ولد غيري وكان محبا لي وشفوقا عليّ فلما حضرته الوفاة دعاني واوصاني بوالدتي وبتقوى الله تعالى * ثم مات رحمه الله تعالى وابقى امير المؤمنين فاشتغلت باللذات واكلت وشربت * ثم اتخذت الاصحاب والاصدقاء * وكانت امي تنهاني عن ذلك وتلومني عليه فلم اسمع منها كلاما حتى ذهب المال جميعه * وبعت العقارات ولم يبق لي شيء غير الدار التي

انا فيها * وكانت دارا حسنة يا اميرالمؤمنين فقلت لامي اريد ان ابيع الدار * فقالت يا ولدي ان بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكانا تأوي اليه * فقلت هي تساوي خمسة آلاف دينار فاشتري من جملة ثمنها دارا بالف دينار ثم اتجر بالباقي * فقالت اتبيعني هذه الدار بهذا المقدار قلت نعم * فجاءت الى طابق وفتحته واخرجت منه اناء من الصيني فيه خمسة آلاف دينار فتخيل لي ان الدار كلها ذهب * فقالت لي يا ولدي لا تظن ان هذا المال مال ابيك * والله يا ولدي انه من مال ابي وكنت ادخرته لوقت الحاجة اليه * فاني كنت في زمن ابيك غنية عن الاحتياج الى هذا المال * فاخذت المال منها يا اميرالمؤمنين وعدت لما كنت عليه من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفدت الخمسة آلاف دينار ولم اقبل من امي كلاما ولا نصيحة * ثم قلت لها مرادي ان ابيع الدار فقالت ياولدي قد نهيتك عن بيعها لعلمي انك محتاج اليها فكيف تريد بيعها ثانيا * فقلت لها لا تطيلي عليّ الكلام فلا بد من بيعها * فقالت بعني اياها بخمسة عشر الف دينار بشرط ان اتولى امورك بنفسي * فبعتها لها بذلك المبلغ على ان تتولى اموري بنفسها * فطلبت وكلاء ابي واعطت كل واحد منهم الف دينار وجعلت المال تحت يدها والاخذ والعطاء معها واعطتني بعضا من المال لاتجر فيه * وقالت لي اقعد انت في دكان ابيك ففعلت بما قالت امي يا امير المؤمنين وجئت الى الحجرة التي في سوق الصيارف * وجاء اصحابي وصاروا يشترون مني وابيع لهم وطاب لي الربح وكثر مالي * فلما رأتني امي على تلك الحالة الحسنة اظهرت لي ما كان مدخرا عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب * ثم عادت لي املاكي

التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذا الحال مدة * وجاء وكلاء ابي فاعطيتهم البضائع * ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان * فبينما انا قاعد فيها على عادتي يا امير المؤمنين واذا بجارية قد اقبلت عليّ لم تر العيون اجمل منها منظرا * فقالت اهذه حجرة ابي الحسن علي ابن احمد الخراساني قلت لها نعم * قالت اين هو قلت هو انا ولكن اندهش عقلي من فرط جمالها يا امير المؤمنين * ثم انها جلست وقالت لي قل لغلامك يزن لي ثلثمائة دينار * فامرته ان يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فاخذته وانصرفت وانا ذاهل العقل * فقال لي غلامي اتعرفها قلت لا والله قال فلِمَ قلت لي زن لها * فقلت والله اني لم ادر ما اقول مما بهرني من حسنها وجمالها * فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه اثر ضربة * فقلت له ما بالك فقال اني تبعت الجارية لانظر اين تذهب * فلما احست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت ان تتلف وقلع عيني * ثم مكثت شهرا لم ارها ولم تأت وانا ذاهل العقل في هواها يا امير المؤمنين * فلما كان آخر شهر واذا بها جاءت وسلمت عليّ فكدت ان اطير فرحا * فسألتني عن خبري وقالت لعلك قلت في نفسك ما شان هذه المحتالة كيف اخذت مالي وانصرفت * فقلت والله يا سيدتي ان مالي وروحي ملك لك فاسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلي والحلل تلعب على وجهها وصدرها * ثم قالت لي زن لي ثلثمائة دينار فقلت سمعا وطاعة * ثم وزنت لها الدنانير فاخذتها وانصرفت * فقلت للغلام اتبعها فتبعها * ثم عاد لي وهو مبهوت ومضت مدة وهي

لم نأت * فبينما انا جالس في بعض الايام و اذابها قد اقبلت عليّ وتحدثت ساعة ثم قالت لي زن لي خمسمائة دينار فانّي قد احتجت اليها فاردت ان اقول لها علي اي شيءٌ اعطيك مالي فمنعني فرط الغرام من الكلام * وانا يا امير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لوني وانسى ما اريد ان اقول واصير كما قال الشاعر

فَمَا هُوَ اِلَّا اَنْ اَرَاهَا فُجَاءَةً   فَأُبْهَتُ حَتَّى لَا اَكَادُ اُجِيبُ

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فاخذتها وانصرفت فقمت وتبعتها بنفسي الى ان وصلت الى سوق الجواهر فوقفت على انسان فاخذت منه عقدا والتفتت فرأتني فقالت زن لي خمسمائة دينار * فلما نظرني صاحب العقد قام اليّ وعظمني فقلت له اعطها العقد وثمنه عليّ فقال سمعا وطاعة * فاخذت العقد وانصرفت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن الخراساني قال فقلت له اعطها العقد وثمنه عليّ فاخذت العقد وانصرفت * فتبعتها حتى جاءت الى الدجلة ونزلت في مركب فاومأت الى الارض لا قبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفا انظرها الى ان دخلت قصرا فتأملته فاذا هو قصر الخليفة المتوكل * فرجعت يا امير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم فى الدنيا وكانت قد اخذت مني ثلثة آلاف دينار * فقلت في نفسي قد اخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها * ثم رجعت الى داري وقد حدثت امي بجميع ما جرى لي * فقالت لي يا ولدي اياك ان تتعرض لها بعد ذلك

فتهلك * فلما رحت الى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخا كبيرا * فقال لي يا سيدي مالي اراك متغير الحال يظهر عليك اثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ماجرى لي معها * فقال لي يا ولدي ان هذه من جواري قصر اميرالمؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال لله تعالى ولاتشغل نفسك بها * واذا جاءتك فاحذر ان تتعرض لك واعلمني بذلك حتى ادبر لك امرا لئلا يحصل لك تلف * ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار * فلما كان أخر الشهر واذا بها قد اقبلت عليّ ففرحت بها غاية الفرح * فقالت لي ما حملك على انك تبعتني فقلت لها حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي * وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت والله ما في قلبك شيءٌ من الغرام الّا وفي قلبي اكثر منه * ولكن كيف اعمل والله مالي من سبيل غير اني اراك في كل شهر مرة * ثم دفعت اليّ ورقة وقالت خذ هذه الى فلان الفلاني فانه وكيلي واقبض منه ما فيها فقلت ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك * فقالت سوف ادبر لك امرا يكون فيه وصولك اليّ وان كان فيه تعب لي * ثم ودعتني وانصرفت فجئت الى الشيخ العطار واخبرته بماجرى لي فجاء معي الى دارالمتوكل * فرأيتها هي المكان الذي دخلت فيه الجارية * فصارالشيخ العطار متحيرا في حيلة يفعلها * ثم التفت فرأى خياطا قبال الشباك المطل على الشاطئ وعنده صناع * فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم اليه وقل له ان يخيطه لك فاذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعا وطاعة * ثم توجهت الى ذلك الخياط واخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت له فصل هاتين اربعة ملابس * اثنين فرجية

واثنين غير فرجيه * فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها اعطيته اجرتها زيادة عن العادة بكثير * ثم مد يده الي بتلك الملابس فقلت خذها لك و لمن حضر عندك وصرت اقعد عنده و اطيل القعود معه * ثم فصلت عنده غيرها وقلت له علقه علي وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه ففعل * وصار كل من خرج من قصر الخليفة واعجبه شيء من الملابس وهبته له حتي البواب * فقال لي الخياط يوما من الايام اريد يا ولدي ان تصدقني حديثك لانك فصلت عندي مئة حلة ثمينة * وكل حلة تساوي جملة من المال و وهبت غالبها للناس و هذا ما هو فعل تاجر * لان التاجر يحاسب علي الدرهم وما مقدار رأس مالك حتي تعطي هذه العطايا وما يكون مكسبك في كل عام فاخبرني خبرا صحيحا حتي اعاونك علي مرادك * ثم قال اناشدك الله اما انت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جوارى قصر الخليفة * فقال قبحهن الله كم يفتن الناس * ثم قال لي هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل المحظية عنده * لكن لها مملوك فاجعل بينك و بينه صداقة لعله يكون سببا في اتصالك بها * فبينما نحن فى الحديث و اذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كأنه القمر في ليلة اربعة عشر * وبين يدي الثياب التي خاطها لي الخياط وكانت من الديباج من سائر الالوان فصار ينظر اليها و يتأمل * ثم اقبل علي فقمت اليه وسلمت عليه فقال من انت فقلت رجل من التجار * قال اتبيع هذه الثياب قلت نعم فاخذ منها خمسة وقال بكم هذه الخمسة فقلت هي هدية مني اليك عقد صحبة بيني و بينك ففرح بها * ثم جئت الى بيتي واخذت له ملبوسا مرصعا بالجواهر و اليواقيت قيمته ثلثة آلاف

دينار ونوجهت به اليه فقبله مني * ثم اخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال لي فما اسمك بين التجار فقلت له رجـــل منهم * فقال قد رابني امرك فقلت لماذا قال لانك اهديت لي شيأ كثيرا ملكت به قلبي وقد صح عندي انك ابـو الحسن الخراساني الصيرفي * فبكيت يا اميـــر المؤمنين فقال لي لِمَ تبكي فوالله ان التي تبكي من اجلها عندها من الغرام بك اكثر مما عندك من الغرام بها واعظم * وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك * ثم قال لي واي شيء تريد فقلت اريد انك تساعدني على بليتي فوعدني الى غد فمضيت الى داري * فلمـــا اصبحت توجهت اليه ودخلت حجرته فلما جاء قال اعلم انهـــا لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالامس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعـــه وقد عزمت على الاجتماع بك فاقعد عندي الى أُخر النهار فقعدت عنده * فلما جن الليل واذا بالمملوك اتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلـــة من حلل الخليفة فالبسني اياها وبخّرني فصرت اشبه الخليفة * ثم اخذني الى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لي هذه حجر الجواري الخاص فاذا مررت عليها فضـــع على كل باب من الابواب حبة من الفول * لان من عادة الخليفة ان يفعـــل هكذا في كل ليلة وادرك شهـــر زاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المملـــوك قال لابي الحسن فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفـــول

لان من عادة الخليفة ان يفعل هكذا الى ان تأتـي الى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر * فاذا وصلت اليها فمسها بيدك * وان شئت فعدّ الابواب فهي كذا وكذا بابا فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتـراك صاحبتك وتأخذك عندها * واما خروجك فان الله يهون عليّ فيه ولو اخرجك في صندوق * ثم ركبني ورجع وصرت امشي واعدّ الابواب واضع على كل باب حبة فول * فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع واقبـل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني * فتأملته فاذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهن الشمع * فسمعت واحـدة منهن تقول لصاحبتها يا اختي هـل نحن لنا خليفتـان ان الخليفة قد جاز على حجرتي وشممت منه رائحـة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته * وفي هذه الساعة ارى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل معه * فقالت ان هذا امر عجيب لان التزيّي بزيّ الخليفة لا يجسر عليه احد * ثم قرب الضوء مني فارتعدت اعضائي * واذا بخادم يصيح على الجواري ويقـول هاهنا فانعطفوا الى حجرة من الحجر ودخلوا * ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا الى بيت صاحبتي * فسمعت الخليفة يقول هذه حجرة مَنْ فقالوا هذه حجرة شجرة الدر فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت اقدام الخليفة * فقال لها اتشربين الليلة فقالت ان لم يكن لحضرتك والنظر الى طلعتك فلا اشرب فانني لا اميل الى الشراب في هذه الليلة * فقال للخادم قل للخازن يدفع لها العقد الفلاني * ثم امر بالدخول الى حجرتها فدخلت بين يديه الشموع ودخل في حجرتها واذا بجارية اما مهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي

بيدها فقربت مني وقالت من هذا * ثم قبضت عليّ واخذتني الى حجرة من الحجر وقالت لي من انت * فقبلت الارض بين يديها وقلت لها اناشدك الله يا مولاتي ان تحقني دمي وترحميني وتتقربي الى الله بانقاذ مهجتي وبكيت فزعا من الموت * فقالت لا شك انك لص فقلت لا والله ما انا لص فهل ترى عليّ اثر اللصوص * فقالت اصدقني خبرك وانا اجعلك في امان * فقلت انا عاشق جاهل احمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة * فقالت قف هنا حتى اجيء اليك ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت اخرج خلفي فخرجت خلفها حتى وصلت الى حجرتها وقالت ادخل هنا فدخلت حجرتها * فجاءت بي الى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا باس عليك * اما انت ابو الحسن الخراساني الصيرفي قلت بلى قالت قد حقن الله دمك ان كنت صادقا ولم تكن لصا فانك تهلك لا سيما وانت في زي الخليفة ولباسه وبخوره * واما ان كنت ابا الحسن علي الخراساني الصيرفي فانك قد امنت ولا بأس عليك لانك صاحب شجرة الدر التي هي اختي فانها لا تقطع ذكرك ابدا وتخبرنا كيف اخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها الى الشاطئ واوميت لها الى الارض تعظيما وفي قلبها منك النار اكثر مما في قلبك منها * ولكن كيف وصلت الى هاهنا اباامرها ام بغير امرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها * فقلت والله يا سيدتي اني انا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها الّا النظر والاستماع لحديثها فقالت احسنت فقلت يا سيدتي

الله شهيد علي ما اقول ان نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية * فقالت بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك في قلبي * ثم قالت لجاريتها يا فلانة امضي الى شجرة الدر وقولي لها ان اختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فان صدرها ضيق فتوجهت اليها * ثم عادت واخبرتها انها تقول متّعني الله بطول حيوتك وجعلني فداك والله لو دعوتني الى غير هذا ما توقفت لكن يضرني صداع الخليفة وانت تعلمين منزلتي عنده * فقالت للجارية ارجعي اليها وقولي لها انه لا بد من حضورك لسرّ بينك وبينها * فتوجهت اليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كأنه البدر فقابلتها واعتنقتها * وقالت يا ابا الحسن اخرج اليها وقبل يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت اليها يا امير المؤمنين * فلما رأتني القت نفسها عليّ وضمتني الى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره * ثم قالت حدثني بما جرى لك فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره * فقالت يعز عليّ ما قاسيته من اجلي والحمد لله الذي جعل العاقبة الى السلامة * وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل اختي * ثم اخذتني الى حجرتها وقالت لاختها اني قد عاهدته ان لا اجتمع معه في الحرام * ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لاكونن ارضا لوطئ قدميه وترابا لنعليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لاختها اني قد

عاهدته اني لا اجتمع معه في الحرام * ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الاهوال لاكونن ارضاً لوطيء قدميه وترابا لنعليه * فقالت لها اختها بهذه النية نجاه الله تعالى * فقالت سوف ترين ما اصنع حتى اجتمع معه في الحلال فلا بد ان ابذل مهجتي في التحيل على ذلك * فبينما نحن في الحديث واذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها * فاخذتني يا امير المؤمنين وحطتني في سرداب وطبقته عليَّ * وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته * ثم امرت باحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها البنجة وهي ام المعتز بالله * وكانت تلك الجارية قد هجرته وهجرها * فلعزّ الحسن والجمال لا تصالحه والمتوكل لعزّة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها * مع ان في قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظرائها من الجواري والدخول اليهن في حجراتهن * وكان يحب غناء شجرة الدر فامرها بالغناء فاخذت العود وشدت الاوتار وغنت بهذه الاشعار

عَجِبتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بيني وبينها ... فلمّا انقضَى مَا بيننا سَكَنَ الدَّهرُ
هَجَرتُكَ حتى قيل لا يعرفُ الهوى ... وزرتُكَ حتى قيل ليسَ لهُ صبرُ
فيا حُبَّها زِدْني جوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سلوةَ الأيّام مَوْعدُكَ الحشرُ
لَهَا بشرٌ مثلُ الحريرِ ومنطِقٌ ... رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ
وعينانِ قالَ اللهُ كُونا فكانتا ... فعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ

فلما سمعها الخليفة طرب طربا شديدا وطربت انا يا امير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا ثم انشدت ايضا هذه الابيات

أُعانقه والنفس بعدُ مشوقةٌ … اليه وهل بعد العناق تَدَانِ
وألثم فاه كي تزول حرارتي … فيشتدّ ما القى من الهيمانِ
كأنّ فؤادي ليس يبري غليلهُ … سوى ان ترى الروحان يمتزجانِ

فطرب الخليفة وقال تمني عليّ يا شجرة الدر فقالت اتمنى عليك عتقي يا امير المؤمنين لما فيه من الثواب * فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقبلت الارض بين يديه * فقال خذي العود وقولي لنا شيأً في شان جاريتي التي انا متعلق بهواها * والناس تطلب رضاي وانا اطلب رضاها فاخذت العود وانشدت هذين البيتين

أيا ربّة الحسن التي اذهبت نسكي … على كلّ احوالي فلا بدّ لي منك
فاما بذلٍّ وهو أليق بالهوى … وإمّا بعزٍّ وهو أليق بالملك

فطرب الخليفة وقال خذي العود وغني شعرا يتضمن شرح حالي مع ثلث جواري ملكن قيادي ومنعن رقادي * وهن انت وتلك الجارية الهاجرة واخرى لا اسميها ليس لها مناظرة * فاخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

مَلَكَ الثلاثُ الغانياتُ عِناني … وحللن من قلبي أعزّ مكاني
مالي مطاعٌ في البريّة كلّها … وأُطيعهنّ وهنّ في عصياني
ما ذاك الّا انّ سلطان الهوى … وبه غلبن أعزّ من سلطاني

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به الى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب * ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية واخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبلت الارض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته * هذا ما كان من امره *

واما ما كان من امر شجرة الدر فانها جاءت اليّ وهي فرحانة * وقالت انى صرت حرة بقدومك المبارك لعل الله يعينني على ما ادبره حتى اجتمع بك في الحلال فقلت الحمد لله * فبينما نحن فى الحديث واذا بخادمها قد دخل علينا فحدثناه بماجرى لنا * فقال الحمد لله الذي جعل أخره خيرا ونسأل الله ان يتم ذلك بخروجك سالما * فبينما نحن فى الحديث واذا بالجارية اختهـــا قد جاءت وكان اسمها فاتر * فقالت يا اختي كيف نعمل حتى نُخرِجه من القصر سالما * فان الله تعالى منّ عليّ بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه * فقالت لها ليس لي حيلة في خروجه الّابان البسه ثياب النساء * ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فالبستنيها * ثم خرجت يا امير المؤمنين في ذلك الوقت * فلما جئت الى وسط القصر واذا باميرالمؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر اليّ وانكرني غاية الانكار * وقال لحاشيته اسرعوا وأتوني بهذه الجارية الذاهبة * فلما اتوابي رفعوا نقابي فلما رأني عرفني وسألني فاخبرتــه بالخبر ولم اخف عليه شيأ * فلما سمع حديثي تفكر في امري ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر * فقال كيف تختارين عليّ بعض اولاد التجار فقبلت الارض بين يديه وحدثته بحديثها من اوله الى أخره على وجـــه الصدق * فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها فى العشق واحواله ثم انصرف * ودخل عليها خادمها وقال لها طيبي نفسا ان صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فاخبره كما اخبرتِه حرفا بحرف * ثم رجع الخليفة واحضرني بين يديه وقال لي ما حملك على التجاري على دار الخلافة * فقلت يا امير المؤمنين حملني على ذلك جهلي والصبابة والاتكال على عفوك وكرمك * ثم بكيت وقبلت

الارض بين يديه فقال عفوت عنكما * ثم امرني با لجلوس فجلست فدعا با لقاضي احمد ابن ابي داود و زوجني بها * وامر بحمل جميع ما عندها اليّ و زفوها عليّ في حجرتها وبعد ثلثـــة ايام خرجت ونقلت جميع ذلك الى بيتي * فجميع ما تنظره يا امير المؤمنين في بيتي و تنكره كلـــه من جهازها * ثم انها قالت لي يوما من الايام اعلم ان المتوكل رجل كريم * واخاف ان يتذكرنا او يذكرنا عنده احد من الحساد فاريد ان اعمل شيأ يكون فيه الخلاص من ذلك قلت وما هو * قالت اريد ان استأذنه في الحج والتوبة من الغناء فقلت لها نعم الرأي الذي اشرت اليه * فبينما نحن في الحديث واذا برسول الخليفة قد جاء ني في طلبها لانه كان يحب غناءها فمضت وخدمته * فقال لها لا تنقطعي عنا فقالت سمعا وطاعة * فاتفق انها ذهبت اليه في بعض الايام وكان قد ارسل اليها على جري العادة فلم اشعر الّا وقد جاءت من عنده ممزقة الثياب باكية العين * ففزعت من ذلك وقلت انا لله وانا اليه راجعون * وتوهمت انه امر با لقبض علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا * فقالت واين المتوكل ان المتوكل قد انقضى حكمه وانمحى رسمه * فقلت اخبريني بحقيقة الامر فقالت انه كان جالسا وراء الستارة يشرب * وعنده الفتح ابن خاقان و صدقة ابن صدقة * فهجم عليه ولده المنتصر هو وجماعة من الاتراك فقتله * وانقلب السرور با لشرور والحظ الجميل با لبكاء والعويل * فهربت انا والجارية و سلمنا الله * ثم قمت في الحال يا امير المؤمنين وانحدرت الى البصرة * وجاءني الخبر بعـــد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر والمستعين فخفت فنقلت زوجتي وجميع مالي الى البصرة * وهذه حكايتي يا امير المؤمنين

لا زدتها حرفا و لا نقصتها حرفا * فجميع ما نظرته في بيتي يا امير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا * لان اصل نعمتنا من اصولك الاكرمين وانتم اهل النعم و معدن الكرم * ففرح الخليفة بذلك فرحا شديدا وتعجب من حديثه * ثم اخرجت للخليفة الجارية و اولادي منها فقبلوا الارض بين يديه فتعجب من جمالهم * واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن املاكنا عشرين سنه * ففرح الخليفة واتخذه نديما الى ان فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور فسبحان الملك الغفور

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد رزقه الله بنتا و ولدا فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها * وسمى الولد قمر الزمان لشدة حسنه * ولما نظر ما اعطاهما الله من الحسن والجمال و البهاء و الاعتدال خاف عليهما من اعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين * فحجبهما عن الناس في قصر مدة اربعة عشر سنة ولم يرهما احد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما * وكان والدهما يقرأ القرآن كما انزله الله * وكذلك امهما تقرأ القرآن فصارت الام تقرئ بنتها والرجل يقرئ ولده * حتى حفظا القرآن * وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من ابيهما وامهما ولم يحتاجا الى معلم * فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته الى متى و انت حاجب ولدك قمر الزمان من اعين الناس اهو بنت ام غلام فقال لها غلام *

قالت حيث كان غلاما لم لم تأخذه معك الى السوق و تقعده فى الدكان * حتى يعرف الناس و يعرفوه لاجل ان يشتهر عند هم انه ابنك * و تعلمه البيع و الشراء وربما يحصل لك امر فيكون الناس قد عرفوا انه ولدك فيضع يده على مخلفاتك * و اما اذا مت على هذه الحالة و قال للناس انا ابن التاجر عبد الرحمن فانهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف ان له ولدا وتأخذ اموالك الحكام ويصير ولدك محروما * وكذلك البنت مرادي ان اشهرها عند الناس لعل احدا كفوءُ لها يخطبها فنزوجها له و نفرح بها * فقال لها مخافة عليهما من اعين الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها مخافة عليهما من اعين الناس لاني محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد احسن من قال هذه الابيات

اَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ نَظَرِي وَمِنِّي ... وَمِنْكَ وَمِنْ مَكَانِكَ وَالزَّمَانِ
وَلَوْ اَنِّي وَضَعْتُكَ فِي عُيُونِي ... دَوَامًا مَا سَئِمْتُ مِنَ التَّدَانِي
وَلَوْ وَاصَلْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ ... اِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَا كَفَانِي

فقالت له زوجته توكل على الله ولا باس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك الى الدكان * ثم انها البسته بدلة من افخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين * واخذه ابوه معه ومضى به الى السوق فصار كل من رأه يفتتن به

ويتقدم اليه ويبوس يده ويسلم عليه * وصار ابوه يشتم الناس حيث تبعوه لقصد الفرجة * وصار البعض من الناس يقول ان الشمس قد طلعت في المحل الفلاني واشرقت في السوق * و البعض يقول مطلع البدر في الجهة الفلانية * والبعض يقول ظهر هلال العيد على عباد الله * وصاروا يلمحون الى الولد بالكلام ويدعون له * وقد حصل لابيه خجل من كلام الناس ولا يقدر ان يمنع احدا منهم عن الكلام * وصار يشتم امه ويدعو عليها لانها هي التي كانت سببا في خروجه * والتفت ابوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش الى ان وصل الى الدكان * ففتح الدكان وجلس واجلس ولده قدامه والتفت الى الناس فرأهم قد سدوا الطريق * وصار كل من مر به من رائح وغاد يقف قدام الدكان وينظر الى ذلك الوجه الجميل * ولا يقدر ان يفارقه و انعقد عليه اجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فِتْنَةً   وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونِ
وَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ   فَكَيْفَ عِبَادُكَ لَا يَعْشَقُونِ

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفا نساء ورجالا لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيرا في امره ولم يدر ماذا يصنع * فلم يشعر الا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد اقبل عليه من طرف السوق * ثم تقدم الى الغلام وصار ينشد الاشعار ويرخي الدموع الغزار * فلما رأى قمر الزمان جالسا كانه قضيب البان نابت على كثيب من الزعفران افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

رَأَيتُ غُصْنًا عَلَى كَثِيبٍ ... شَبِيهُهُ بَدْرٌ إذا تَلَألا
فَقُلْتُ مَا الاسْمُ قَالَ لُولُو ... فَقُلْتُ لِي لِي فَقَالَ لا لا

ثم ان الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام * فلما نظر الى الغلام اندهش منه العقل والناظر وانطبق عليه قول الشاعر

فَبَيْنَمَا ذَاكَ الْمَلِيحُ فِي مَحَلّ ... مِنْ وَجْهِهِ هِلالُ عِيدِ الْفِطْرِ هَلّ
إِذَا بِشَيْخٍ ذِي وَقَارٍ قَدْ أَهَلّ ... مُعْتَمِدًا فِي مَشْيِهِ عَلَى مَهَل
يُرَى عَلَيْهِ أَثَرٌ لِلزُّهْدِ

قَدْ مَارَسَ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ... وَخَاضَ فِي الْحَرَامِ وَالْحَلالِ
وَهَامَ بِالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ... وَرَقَّ حَتَّى صَارَ كَالْخِلالِ
وَعَادَ عَظْمًا بَالِيًا فِي جِلْدِ

وَكَانَ فِي ذَا الْفَنِّ أَعْجَمِيَّا ... الشَّيْخُ عِنْدَهُ يُرَى صَبِيَّا
وَفِي مَحَبَّةِ النِّسَاءِ عُذْرِيَّا ... فِي الْخَصْلَتَيْنِ مَاهِرًا غَوِيَّا
فَزَيْنَبٌ لَدَيْهِ مِثْلُ زَيْدِ

يَهِيمُ بِالْحَسْنَا وَيَهْوَى الْحَسَنَا ... وَيَنْدُبُ الرَّبْعَ وَيَبْكِي الدِّمَنَا
تَخَالُهُ مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ غُصُنَا ... مَعَ الصَّبَا إِلَى هُنَاكَ أَوْ هُنَا
إِنَّ الْجُمُودَ مِنْ طِبَاعِ الصَّلْدِ

وَكَانَ فِي فَنِّ الْهَوَى خَبِيرَا ... مُمْتَيَقِّظًا فِي أَمْرِهِ بَصِيرَا

وَجَابَ مِنْهُ السَّهْلَ وَالْعَسِيرَا   وَعَانَقَ الظَّبْيَةَ وَالْغَرِيرَا
وَهَامَ بِالشَّيْبِ مَعًا وَالْمُرْدِ

ثم تقدم الى الولد واعطاه عرق ريحان فمد ابوه يده الى جيبه واخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يا درويش واذهب الى حال سبيلك * فاخذ منه الدراهم وجلس على مسطبة الدكان قدام الولد * وصار ينظر الى الولد ويبكي ويتحسر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر اليه وتعترض عليه * و بعضهم يقول كل الدراويش فساق * و بعضهم يقول ان الدرويش في قلبه من عشق الولد احتراق * واما ابوه فانه لما عاين هذا الحال قام وقال قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح الى بيتنا و لا ينبغي لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء * الله تعالى يجازي امك بما فعلت معنا فانها هي التي تسببت في هذا كله * ثم قال يا درويش قم حتى اقفل الدكان فقام الدرويش و قفل التاجر دكانه واخذ ولده ومشى * فتبعهما الدرويش و الناس الى ان وصلا الى منزلهما * فدخل الولد المنزل والتفت التاجر الى الدرويش وقال له ما تريد يا درويش وما لي اراك تبكي * فقال يا سيدي اريد ان اكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى * فقال مرحبا بضيف الله ادخل يا درويش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان انا ضيف الله * فقال له التاجر مرحبا بضيف الله ادخل

يا درويش * وقال التاجر في نفسه ان كان هذا الدرويش عاشقا للولد وطلب منه فاحشة فلا بد ان اقتله في هذه الليلة واخفي قبره * وان كان ما عنده فساد فان الضيف يأكل نصيبه * ثم انه ادخل الدرويش هو وقمر الزمان في قاعة وقال سرّا لقمر الزمان يا ولدي اجلس بجانب الدرويش ونامشه ولاعبه بعد ان اخرج من عندكما * فان طلب منك فسادا فانا اكون ناظرا لكما من الطاقة المطلة على القاعة فانزل اليه واقتله * ثم ان الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة قعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر اليه ويتحسر ويبكي * واذا كلمه الولد يرّد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت الى الولد ويتنهد ويبكي الى ان اتي العشاء فصار يأكل وعينه الى الولد ولا يفتر عن البكاء * فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال ابو الولد يا ولدي تقيّد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه واراد ان يخرج * فقال له الدرويش يا سيدي خذ ولدك معك او نم عندنا قال لا * وها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيأ فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك * ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التي هما فيها * هذا ما كان من امر التاجر * واما ما كان من امر الولد فانه تقدم الى الدرويش وصار ينا غشه ويعرض نفسه عليه * فاغتاظ الدرويش وقال له ما هذا الكلام يا ولدي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم * اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ابعد عني يا ولدي * ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيدا عن الولد فتبعه الولد ورمى روحه عليه * وقال له لاي شيء يا درويش تحرم نفسك من لذة وصال وانا قلبي يحبك فازداد غيظ الدرويش *

وقال له ان لم تمتنع عني ناديت اباك واخبره بخبرك * فقال له ان ابي يعرف انني بهذه الصفة ولا يمكن انه يمنعني فاجبر بخاطري لاي شيء تمتنع عني اما اعجبتك * فقال له والله يا ولدي ما افعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وانشد قول الشاعر

إِنَّ قَلْبِي يَهْوَى ٱلْمِلَاحَ ذُكُورًا ... وَإِنَاثًا وَلَسْتُ بِٱلْمُتَوَانِي
بَلْ أَرَاهُمْ أَصَائِلًا وَبُكُورًا ... لَمْ أَكُنْ لَائِطًا وَلَا أَنَا زَانِي

ثم بكى وقال له قم افتح لي الباب حتى اروح الى حال سبيلي انا ما بقيت انام في هذا المكان * ثم قام على قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له انظر لاشراق وجهي و حمرة خدي ولين معاطفي ورقة شفائفي * ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي * ورنا اليه بلحظ يعجز السحر والراقي * وكان بديع الجمال رخيم الدلال كما قال فيه بعض من قال

لَمْ أَنْسَهُ مُذْ قَامَ يَكْشِفُ عَامِدًا ... عَنْ سَاقِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ ٱلْبَرَّاقِ
لَا تَعْجَبُوا مِنْ أَنْ تَقُومَ قِيَامَتِي ... إِنَّ ٱلْقِيَامَةَ يَوْمَ كَشْفِ ٱلسَّاقِ

ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر الى نهودي فانها احسن من نهود البنات وريقي احلى من السكر النبات * فدع الورع والزهادة وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالي وتمل بجمالي ولا تخف من شيء ابدا وعليك الامان من الردى * واترك هذه البلادة فانها بئست العادة * وصار يريه ما خفي من محاسنه ويبديه ويثني عنان عقله بتثنيه * والدرويش يلفت وجهه ويقول اعوذ بالله استح يا ولدي ان هذا شيء حرام لا

افعله ولا في المنام * فشدد عليه الغلام فالتفت منه الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلي * فلما رآه يصلي تركه حتى صلى ركعتين وسلم و اراد ان يتقدم اليه فنوى الصلوة ثاني مرة وصلى ركعتين * ولم يزل يفعل هكذا ثالثا ورابعا وخامسا * فقال له الولد وما هذه الصلوة هل مرادك ان تطير على السحاب اضعت حظنا * وانت طول الليل في المحراب * ثم ان الغلام ارتمى عليه وصار يبوسه بين عينيه * فقال له يا ولدي اخزعنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن * فقال له ان لم تفعل بي ما اريد انادي ابي و اقول له ان الدرويش يريد ان يفعل بي الفاحشة * فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك * كل هذا وابوه ينظر بعينه ويسمع باذنه فثبت عند ابى الولد ان الدرويش ما عنده فساد * وقال في نفسه لو كان هذا الدرويش مفسودا ما كان يتحمل هذه المشقة كلها * ثم ان الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلوة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ على الولد * و اغلظ على الولد وضربه فبكى الولد فدخل عليه ابوه ومسح دموعه واخذ بخاطره * وقال للدرويش يا اخي حيث كنت على هذه الحالة لاي شيء تبكي و تتحسر حين رأيت ولدي هل لهذا من سبب قال له نعم * فقال له انا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك السوء فامرت الولد بهذا الامر حتى اجربك * و اضمرت اني اذا رأيتك تطلب منه فاحشة ادخل عليك واقتلك * فلما رأيت ما وقع منك عرفت انك من الصلاح على غاية * ولكن بالله عليك ان تخبرني بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدي لا تحرك على ساكن الجراح * فقال لا بد ان تخبرني فقال اعلم انني درويش سياح في البلاد والاقطار لاعتبر باثار

خالق الليل و النهار * فاتفق انني دخلت مدينـــة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار وادرك شهرزاد الصباح فحكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدرويش قال للتاجر اعلم انني درويش سياح فاتفق انني دخلت مدينـــة البصرة في يوم جمعـــة ضحوة النهار* فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الاصناف والبضائع و المأكل و المشرب * وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد * وليس في الشوارع و الاسواق كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا انس انيس * فتعجبت من ذلك و قلت يا ترى اين راح اهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل الله بهم * وكنت جائعا فاخـــذت عيشا سخنا من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبست العيش بالسمن و العسل واكلت * وطلعت دكان شرباتي فشربت ما اردت * ورايت القهوة مفتوحة فدخلتها * ورايت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها احد وشربت كفايتي وقلت ان هذا لشيء عجيب * كأنّ اهل هذه المدينة اتاهم الموت فماتوا كلهم هذه الساعة * اوخافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا ان يقفلوا دكاكينهم * فبينما انا افكر في هذا الامر واذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان * وصرت انظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الاقمار قد مشين في السوق زوجا زوجا من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه * وهن اربعون زوجا بثمانين جارية * ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدران

ينقل اقدامه مما عليه * وعليها من الذهب والفضة والجواهر * وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بافخر الزينة ولابسة افخر الملبوس * وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها اساور تضيء كالنجوم * وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن * والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها * وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر * فلما وصلت تلك الصبية الى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد * وقالت يا بنات اني قد سمعت حسّ شيء في داخل هذا الدكان * ففتشنه لئلا يكون فيه احد مستخف ومراده ان يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه * ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي انا مستخف فيها * وبقيت انا خائفا فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد راينا هنا رجلا وهاهو بين يديك * فقالت للجارية التي معها السيف ارمي عنقه * فتقدمت اليه الجارية وضربت عنقه * ثم تركنه مطروحا على الارض ومضين * ففزعت انا لما رايت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية * وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس في الاسواق والتموا على المقتول يتفرجون عليه فخرجت انا من المكان الذي كنت فيه سرا * ولم ينتبه لي احد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية * فصرت اتجسس عليها سرا فلم يخبرني احد عنها بخبر * ثم اني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة * فلما رأيت ابنك هذا رأيته اشبه الناس بتلك الصبية فاذكرني بها وهيج عليّ نار الغرام واضرم بقلبي لهيب الهيام

وهذا سبب بكائي * ثم انه بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد * وقال يا سيدي بالله عليك ان تفتح لي الباب حتى اذهب الى حال سبيلي ففتح له الباب وخرج * هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام * فلما اصبح الصباح قال لابيه كل اولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد * وليس منهم واحد الّا وابوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها * ولاي شيء يا ابي لم تجهز لي تجارة حتى اسافر بها وانظر سعدي * فقال له يا ولدي ان التجار مقلّون من المال فيسفرون اولادهم من اجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا * واما انا فعندي اموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغربك * وانا لا اقدر على فراقك ساعة خصوصا وانت فريد في الجمال والحسن والكمال واخاف عليك * فقال له يا ابي لا يمكن الّا ان تجهز لي متجرا لاسافر به والّا اغافلك واهرب ولو من غير مال ولا تجارة * وان اردت تطييب خاطري فجهز لي بضاعة حتى اسافر واتفرج على بلاد الناس * فلما رآه ابوه متعلقا بالسفر اخبر زوجته بهذا الخبر * وقال لها ان ولدك يريد ان اجهز له متجرا ليسافر به الى بلاد الغربة مع ان الغربة كربة * فقالت له زوجته ما ذا يضرك من ذلك ان هذه عادة اولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالاسفار والمكاسب * فقال لها ان غالب التجار فقراء يطلبون كثرة المال واما انا فمالي كثير * فقالت له زيادة الخير لا تضر وان كنت انت لا تسمح له بذلك فانا اجهز له متجرا من مالي * فقال التاجر اني اخاف عليه من الغربة لانها بئست الكربة * قالت لا بأس بالاغتراب الذي فيه الاكتساب والّا يذهب ولدنا

ونطلبه فلا نراه ونفتضح بين الناس * فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجرا لولده بتسعين الف دينار * واعطته امه كيسا فيه اربعون فصا من ثمين الجواهر اقلّ قيمة الواحد خمسمائة دينار * وقالت يا ولدي احتفظ على هذه الجواهر فانها تنفعك * فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر الى البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اخذ جميع ذلك وسافر الى البصرة * وكان قد وضع الجواهر في كمر وشده على وسطه * ولم يزل مسافرا حتى لم يبق بينه وبين البصرة الّا مرحلة واحدة * فخرج عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله وخدمه فرقد بين قتيلين ولطخ روحه بالدم * فظن العرب انه مقتول فتركوه ولم يتقرب منه احد * ثم اخذوا امواله وراحوا * فلما راح العرب الى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيأ غير الفصوص التي على حزامه * ولم يزل سائرا حتى دخل البصرة فاتفق ان دخوله كان في يوم جمعة * وكانت المدينة خالية من الناس كما اخبر الدرويش * فرأى الاسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهى ممتلئة بالبضائع فاكل وشرب وصار يتفرج * فبينما هو كذلك اذ سمع النوبة تدق فاختفى في دكان الى ان جاءت البنات فتفرج عليهن * ولما رأى الصبية راكبة اخذه العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى صار لا يستطيع القيام * وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الاسواق * وذهب الى السوق

وتوجه الى رجل جوهري واخرج له حجرا من الاربعين يساوي الف دينار فباعه له ورجع الى محله * ثم بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام * ثم باع اربعة فصوص باربعة الاف دينار * وصار يتفرج في شوارع البصرة وهو لابس افخر الملابس حتى وصل الى سوق * فرأى فيه رجلا مزينا فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صحبة * ثم قال له يا والدي انا غريب البلاد وبالامس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها احد من انس ولا جان * ثم اني رأيت بناتا وبينهن صبية راكبة في موكب واخبره بما رأى * فقال له يا ولدي هل اخبرت غيري بهذا الخبر قال لا * فقال له يا ولدي اياك ان تذكر هذا الكلام قدام احد غيري فان كل الناس لا يكتمون الكلام والاسرار وانت ولد صغير * فاخاف عليك ان ينتقل الكلام من ناس الى ناس حتى يصل الى اصحابه فيقتلوك * واعلم يا ولدي ان هذا الذي رأيته ما احد رآه ولا يعرفه في غير هذه المدينة * واما اهل البصرة فانهم يموتون بهذه الحسرة * وفي كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي فى الاسواق * وجميع اهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الابواب * ولا يقدر احد منهم ان يمر في السوق ولا ان يطل من طاقة * ولا يعرف احد ما سبب هذه البلية * ولكن يا ولدي في هذه الليلة اسأل زوجتي عن سببها فانها داية تدخل بيوت الاكابر وتعرف اخبار هذه المدينة * فان شاء الله تعالى تأتيني عندي في غد وانا اخبرك بما تخبرني به * فكبش كبشة من الذهب وقال يا والدي خذ

هذا الذهب واعطه لزوجتك فانها صارت امي * وكبش كبشة ثانية وقال خذ هذا لك * فقال المزين يا ولدي اجلس مكانك حتى اروح الى زوجتي واسأ لها واجي اليك بالخبر الصحيح * ثم تركه في الدكان وراح الى زوجته واخبرها بشان الغلام * وقال لها مرادي ان تخبريني بحقيقة امر هذه المدينة حتى اخبر به هذا الشاب التاجر * فانه متولع بالاطلاع على حقيقة امرها من امتناع الناس والحيوانات عن الاسواق في ضحوة يوم الجمعة * واظن انه عاشق وهو كريم سخي فاذا اخبرناه يحصل لنا منه خير كثير * فقالت له رح هاته وقل له تعال كلّم امك زوجتي فانها تقرئك السلام وتقول لك ان الحاجة مقضية * فذهب الى الدكان فرأى قمر الزمان قاعدا ينتظره فاخبره بالخبر * وقال له يا ولدي اذهب بنا الى امك زوجتي فانها تقول لك ان الحاجة مقضية * ثم اخذه وسار به حتى دخل على زوجته فرحبت به واجلسته * ثم انه اخرج مائة دينار واعطاها لها وقال لها يا امي اخبريني عن هذه الصبية من تكون * فقالت يا ولدي اعلم ان سلطان البصرة قد جاءته جوهرة من عند ملك الهند فاراد ان يثقبها * فاحضر جميع الجوهرية وقال لهم اريد منكم ان تثقبوا لي هذه الجوهرة * والذي يثقبها له عليّ تمنية فمهما تمناه اعطيه له * وان كسرها فاني ارمي رأسه فخافوا وقالوا يا ملك الزمان ان الجوهر سريع العطب وقلّ ان يثقبه احد ويسلم * لان الغالب عليه الكسر فلا تحملنا ما لا نطيق * فنحن لا يخرج من ايدينا ان نثقب هذه الجوهرة * وانما شيخنا اخبرنا * فقال الملك ومَنْ شيخكم قالوا له المعلم عبيد وهو اخبرنا بهذه الصناعة * وعنده اموال كثيرة وله معرفة جيدة فارسل اليه واحضره بين يديك وأمره ان يثقب

لك هذه الجوهرة * فارسل اليه وأمره بثقبها وشرط عليه الشرط المذكور فاخذها وثقبها على مزاج الملك * فقال له تمنّ عليّ يا معلم * فقال يا ملك الزمان امهلني الى غد * والسبب في ذلك انه اراد ان يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التي رأيتها فى الموكب * وكان يحبها محبة شديدة *. ومن عظم محبته لها انه كان لا يفعل شيأ الّا اذا شاورها فيه * ولاجل ذلك امهل التمنية حتى يشاورها * فلما اتى اليها قال لها اني ثقبت للملك جوهرة واعطاني تمنيـــة وقد امهلنها حتى اشاورك فاي شيء تريدين حتى اتمناه * قالت نحن عندنا اموال لا تأ كلها النيران * ولكن ان كنت تحبني فتمن على الملك انه ينادي في شوارع البصرة ان اهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلوة بساعتين * ولا يبقى فى البلد كبير ولا صغير حتى يكون فى المسجد او في البيت * وتقفل عليهم ابواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة * وانا اركب بجواري واشق فى المدينة ولا ينظرني احد من طاقة ولا من شباك * وكل من عثرت به قتلته * فراح الى الملك وتمنى عليه هذه الامنية فاعطاه ما تمناه * ونادى بين اهـــل البصرة وادرك شهـر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيـــد ان الملك لما اعطى الجوهري ما تمناه ونادى بين اهل البصرة بما تمناه قالوا اننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب * فامر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلوة الجمعة وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة

قبل الصلوة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصرة * ولا يقدر احد ان يمر في السوق ولا ان يطل من طاقة ولا من شباك * فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية * ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها او مرادك الاجتماع بها * فقال يا امي مرادي الاجتماع بها * فقالت اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة * فقال يا امي عندي من ثمين المعادن اربعة اصناف * صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار * وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار * وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار * وصنف ثمن كل واحد منه الف دينار * قالت له وهل تسمح نفسك باربعة منها قال نفسي تسمح بالجميع * قالت قم يا ولدي من غير مطرود واخرج منها فصا يكون ثمنه خمسمائة دينار * واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب اليه تراه جالسا في دكانه وعليه ثياب فاخرة * وتحت يده الصناع فسلم عليه واجلس على الدكان واخرج الفص * وقل له يا معلم خذ هذا الحجر وصغه لي خاتما بالذهب * ولا تجعله كبيرا بل اجعله قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعا جيدا * ثم اعطه عشرين دينارا واعط الصناع كل واحد دينارا واقعد عنده حصة وتحدث معه * واذا اتاك سائل فاعطه دينارا واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك * ثم قم من عنده ورح الى منزلك وبت هناك فاذا اصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لابيك فانه فقير * قال وهو كذلك * ثم خرج من عندها وذهب الى الوكالة واخذ فصا ثمنه خمسمائة دينار * وعمد به الى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه * فلما وصل الى الدكان

حكاية تعليم زوجة المزين لقمر الزمان الحيلة في وصوله الى زوجة المعلم عبيد

رأى شيخ الجوهرية رجلا مهابا وعليه ثياب فاخرة وتحت يده اربعة صناع * فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به و اجلسه * فلما جلس اخرج له الفص و قال له يا معلم اريد منك ان تصوغ لي هذا الحجر خاتما بالذهب * ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة و صغه صياغة طيبة * ثم اخرج له عشرين دينارا وقال له خذ هذه في نظير نقشه و الاجرة باقية * ثم أعطى كل صانع دينارا فاحبه الصناع و احبه المعلم عبيد * وقعد يتحدث معه وصار كل من اتاه من السائلين يعطيه دينارا فتعجبوا من كرمه * ثم ان المعلم عبيد كان عنده عدّة في بيته مثل العدة التي في الدكان * وكان من عادته انه اذا اراد ان يصنع شيأ غريبا يشتغله في بيته حتى ان الصناع لايتعلمون منه الصنعة الغريبة * وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فاذا كانت قدامه و نظر اليها فانه يصنع كل شيء غريب في صناعته بحيث لا يليق الاّ بالملوك * فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت * فلما رأته زوجته قالت له ما مرادك ان تصنع بهذا الفص قال اريد ان اصوغه خاتما بالذهب فان ثمنه خمسمائة دينار * فقالت له لِمَنْ قال لغلام تاجر جميل الصورة * له عيون تجرح * وخدود تقدح * وله فم كخاتم سليمان * ووجنات كشقائق النعمان * وشفائف حمر كالمرجان * وله عنق مثل اعناق الغزلان * و هو ابيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا * وصار تارة يصف لها حسنه وجماله و تارة يصف لها كرمه وكماله * ولا زال يذكر لها محاسنه و كرم اخلاقه حتى عشقها فيه * ولم يكن احد اعرص من الذي يصف لزوجته انسانا بالحسن

والجمال وفرط سخائه بالمال * فلما فاض بها الغرام قالت له هل يوجد فيه شيء من محاسني * فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في الصفة * وربما كان عمره قدر عمرك * ولولا اني اخاف على خاطرك لقلت انه احسن منك بالف مرة فسكتت * ولكن التهبت نار محبته في قلبها * ثم ان الصائغ لم يزل يتحدث معها في تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم * ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر اصبعها * فقالت له ياسيدي ان قلبي حب هذا الخاتم واشتهي انه يكون لي ولا انزعه من اصبعي * فقال لها اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فان باعني اياه جئت به اليك * وان كان عنده حجر اخر اشتريه لك واصوغه مثله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال لزوجته اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فان باعني اياه جئت به اليك * وان كان عنده حجر اخر اشتريه واصوغه لك مثله * هذا ماكان من امر الجوهري وزوجته * واما ما كان من امر قمر الزمان فانه بات في منزله * فلما اصبح اخذ مائة دينار وأتى الى العجوز زوجة المزين وقال لها خذي هذه المائة دينار * فقالت له اعطها لابيك فاعطاها له * ثم انها قالت له هل فعلت كما قلت لك قال نعم * قالت له قم توجه الآن الى شيخ الجوهرية * فاذا اعطاك الخاتم فضعه في راس اصبعك وانزعه بسرعة وقل له يا

معلم اخطأت ان الخاتم جاء ضيقا * فيقول لك يا تاجر هل اكسره واصوغه واسعا فقل له لا احتاج الى كسره وصياغته ثانيا * ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك واخرج له حجرا آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار * وقل له خذ هذا الحجر صغه لي فانه احسن من ذلك واعطه ثلثين دينارا واعط لكل صانع دينارين * وقل له هذه الدنانير في نظير نقشه والاجرة باقية * ثم ارجع الى منزلك وبت هناك وتعال في الصباح ومعك مائتا دينار وانا اكمل لك بقية الحيلة * ثم انه ذهب الى الجوهري فرحب به واجلسه على الدكان * فلما جلس قال له هل قضيت الحاجة قال نعم واخرج له الخاتم فاخذه وحطه في راس اصبعه ثم نزعه سريعا * وقال اخطأت يا معلم ورماه له وقال له انه ضيق على اصبعي * فقال له الجوهري يا تاجر هل اوسعه قال لا * ولكن خذه احسانا والبسه لبعض جواريك فان ثمنه تافه لانه خمسمائة دينار فلا يحتاج الى صياغته ثانيا * ثم اخرج له فصا آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا * ثم اعطاه ثلثين دينارا واعطى كل صانع دينارين * فقال له يا سيدي لما نصوغ الخاتم نأخذ اجرته قال هؤلاء في نظير نقشه والاجرة باقية * ثم تركه ومضى فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع * ثم ان الجوهري ذهب الى زوجته وقال لها يا فلانة ما رأت عيني اكرم من هذا الشاب وانت بختك طيب لانه اعطاني الخاتم بلا ثمن * وقال لي اعطه لبعض جواريك وحكى لها القصة * ثم قال لها اظن ان هذا الولد ما هو من اولاد التجار وانما هو من اولاد الملوك والسلاطين * وصار كلما مدحه تزداد فيه غراما ووجدا

وهيا ما ثم لبست الخاتم و الجوهري صاغ له الثاني اوسع من الاول بقليل * فلما فرغ من صياغته لبسته في اصبعها من داخل الخاتم الاول * ثم قالت يا سيدي انظر ما احسن الخاتمين في اصبعي فاشتهي ان يكون الخاتمان لي * فقال لها اصبري لعلي اشتري الثاني لك ثم بات * فلما اصبح اخذ الخاتم وتوجه الى الدكان * هذا ما كان من امره * و اما ما كان من امر قمر الزمان فانه اصبح متوجها الى العجوز زوجة المزين واعطاها مائتي دينار * فقالت له توجه الى الجوهري فاذا اعطاك الخاتم فضعه في اصبعك وانزعه سريعا وقل اخطأت يا معلم ان الخاتم جاء واسعا * والمعلم الذي يكون مثلك اذا اتاه مثلي بشغل ينبغي له ان يأخذ القياس فلو كنت اخذت قياس اصبعي ما اخطأت * واخرج له حجرا اخر يكون ثمنه الف دينار وقل له خذ هذا اصنعه واعطه هذا الخاتم الى جارية من جواريك * ثم اعطه اربعين دينارا واعط كل صانع ثلثة دنانير وقل له هذا في نظير نفشة * واما الاجرة فانها باقية وانظر ماذا يقول * ثم تعال ومعك ثلثمائة دينار واعطها لابيك يستعين بها على وقته فانه رجل فقير الحال فقال سمعا وطاعة * ثم انه توجه الى الجوهري فرحب به واجلسه ثم اعطاه الخاتم فوضعه في اصبعه ونزعه بسرعة * و قال له ينبغي للمعلم الذي مثلك اذا اتاه مثلي بشغل ان يأخذ قياسه * فلو كنت اخذت قياس اصبعي ما اخطأت ولكن خذه واعطه لبعض جواريك * ثم اخرج له حجرا ثمنه الف دينار وقال له خذ هذا واصنعه لي خاتما على قدر اصبعي فقال صدقت والحق معك * فاخذ القياس واخرج له اربعين دينارا و قال له خذ

هذه في نظر نقشه والاجرة باقية * فقال له يا سيدي كم اجرة اخذنا ها منك فاحسانك علينا كثير فقال له لا بأس * ثم انه تحدث معه حصة وصار كلما يمر به سائل يعطيه دينارا وبعد ذلك تركه وانصرف * هذا ماكان امره * واما ماكان من امر الجوهري فانه توجه الى بيته وقال لزوجته ما اكرم هذا الشاب التاجر * فما رأيت اكرم منه ولا اجمل منه ولا احلى من لسانه وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه * فقالت له يا عديم الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد اعطاك خاتمين مثمنين ينبغي لك ان تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد اليه * فاذا رأى منك المودة وجاء منزلنا ربما تنال منه خيرا كثيرا * وان كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وانا اعمل له الضيافة من عندي * فقال لها هل انت تعرفين انني بخيل حتى تقولي هذا الكلام * قالت له ما انت بخيل ولكنك عديم الذوق فاعزمه في هذه الليلة ولا تجئ بدونه * وان امتنع فاحلف عليه بالطلاق واكّد عليه * فقال لها على الرأس والعين * ثم انه صاغ الخاتم ونام واصبح في ثالث يوم متوجها الى الدكان وجلس فيها * هذا ماكان من امره * واما ماكان من امر قمر الزمان فانه اخذ ثلثمائة دينار وتوجه الى العجوز واعطاها لزوجها * فقالت له ربما يعزم عليك في هذا اليوم * فاذا عزم عليك وبت عنده فمهما جرى لك فاخبرني به في الصباح وهات معك اربعمائة دينار واعطها لابيك فقال سمعا وطاعة * وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الاحجار * ثم انه توجه الى الجوهري * فقام له واخذه بالاحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة * ثم انه اخرج له الخاتم فرآه على قدر اصبعه * فقال

له بارك الله فيك يا سيد المعلمين ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للجوهري ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي * لان عندي احسن منه فخذه واعطه لبعض جواريك * واخرج له غيره واخرج له مائة دينار وقال له خذ اجرتك ولا تؤاخذنا فاننا اتعبناك * فقال له يا تاجر ان الذي تعبنا فيه قد اعطيتنا اياه وتفضلت علينا بشيءٍ كثير وانا قلبي تعلق بحبك ولا اقدر على فراقك * فبالله عليك ان تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر بخاطري * فقال لا بأس ولكن لا بد ان اتوجه الى الخان لاجل ان اوصي اتباعي واخبرهم بانني غير بائت في الخان حتى لا ينتظروني * فقال له انت نازل في اي خان قال في الخان الفلاني فقال اجيءُ اليك هناك فقال لا بأس * ثم ان الجوهري توجه الى ذلك الخان قبل المغرب خوفا من غضب زوجته عليه ان دخل البيت بدونه * ثم انه اخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فافتتنت به * ثم صارا يتحدثان الى ان جاء العشاء فاكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات * ولم يزل يسامره الى وقت العشاء فصليا الفريضة * ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب * فلما شربا غلب عليهما النوم فناما * ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فاندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام مَنْ عشق الملاح * ثم

فلبثه على قفاه وركبت على صدره * ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى اثر ذلك في خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته * ونزلت على شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم في فمها * ومع ذلك لم تنطفئ نارها ولم يرو أوارها * ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى اشرق جبين الصباح وتبلّج الفجر ولاح * ثم وضعت في جيبه اربعة عواشق وتركته وراحت * وبعد ذلك ارسلت جاريتها بشيء مثل الشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا وافاقا * فقالت لهما الجارية اعلموا يا اسيادي ان الصلوة وجبت فقوموا لصلوة الصبح واتت لهما بالطشت والابريق * ثم قال قمر الزمان يا معلم ان الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم * فقال الجوهري للتاجر يا صاحبي ان نوم هذه القاعة ثقيل كلما انام فيها يجرى لي هذا الامر فقال صدقت * ثم ان قمر الزمان اخذ يتوضو * فلما وضع الماء على وجهه احرقته خدوده وشفته * فقال عجائب اذا كان هواء القاعة ثقيلا واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني * ثم قال يا معلم ان خدودي وشفتي تحرقني * فقال اظن ان هذا من اكل الناموس * فقال عجائب وهل يجري لك فيها مثلي قال لا * ولكن اذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك الّا اذا كان الضيف مثلك امرد * واما اذا كان ملتحيا فلا يعف عليه الناموس وما منع الناموس عني الّا لحيتي * كأن الناموس لا يهوي اصحاب اللحي فقال له صدقت * ثم ان الجارية جاءت لهما بالفطور فافطرا وخرجا وراح قمر الزمان الى العجوز * فلما رأته قالت له اني ارى آثار الحظ على وجهك فاخبرني بما رأيت قال ما رأيت شيأ * وانما

تعشيت انا وصاحب المحل في قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا فما افقنا الّا في الصبح * فضحكت وقالت ما هذا الاثر الذي في خدك وعلى شفتك قال لها ان ناموس القاعة فعل معي هذه الفعال فقالت صدقت * وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك قال لا ولكنه اخبرني ان ناموس تلك القاعة لا يضر اصحاب اللحى ولا يعف الّا على المرد * وكلما يكون عنده ضيف فان كان امرد يصبح يشكو من قرص الناموس * وان كان ملتحيا فلا يجري له شيء من ذلك فقالت صدقت * فهل رأيت شيأً غير هذا قال رأيت في جيبي اربعة عواشق * قالت ارني اياها فاعطاها لها فاخذتها وضحكت وقالت ان معشوقتك قد وضعت هذه العواشق في جيبك * قال وكيف ذلك قالت انها تقول لك بالاشارة لوكنت عاشقا ما نمت فان الذي يعشق لاينام * ولكن انت لم تزل صغيرا ولا يليق بك الّا اللعب بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح * وقد جاءتك في الليل فرأتك نائما فقطعت خدودك بالبوس وحطت لك هذه الامارة * ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لابدان ترسل اليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة * فاذا رحت معه فلا تنم عاجلا وهات معك خمسمائة دينار وتعال اخبرني بما يحصل * وانا اكمل لك الحيلة فقال لها سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان * هذا ماكان من امره * واما ماكان من امر زوجة الجوهري فانها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم * ولكن يا فلانة ان الناموس شوش عليه في هذه الليلة وقطع خدوده وشفته وانا استحيت منه * فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فانه لا يهوي الّا المرد * ولكن اعزمه في الليلة الآتية فتوجه اليه في الخان الذي هو فيه وعزمه واتى به الى القاعة فاكلا

وشربا وصليا العشاء * فدخلت عليهما الجارية واعطت كل واحد فنجانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية دخلت عليهما واعطت كل واحد فنجانا فشربا وناما * فاتت الصبية وقالت له يا علق كيف تنام وتدعي انك عاشق والعاشق لا ينام * ثم ركبت على صدره ولازالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش الى الصباح * ثم حطت له في جيبه سكينا وارسلت جاريتها عند الصباح * فنبهتهما وخدوده كانها ملهبة بالنار من شدة الاحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل * فقال له الجوهري لعل الناموس شوش عليك قال لا لانه لما عرف النكتة ترك الشكاية * ثم انه رأى السكين في جيبه فسكت * ولما افطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه الى الخان * واخذ خمسمائة دينار وذهب الى العجوز واخبرها بمارأى وقال لها اني نمت غصبا عني * ولما اصبحت ما رأيت شيأ غير سكين في جيبي * فقالت له الله يحميك منها في الليلة القابلة انها تقول لك ان نمت مرة اخرى ذبحتُك * وانت معزوم عندهم في الليلة القابلة فان نمت ذبحتك * فقال وكيف يكون العمل فقالت اخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم * قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منا فنجانا * فمتى شربت فنجاني نمت ولا افيق الا في الصباح * فقالت له ان الداهية في الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد * وحين تعطيه لك الجارية قل لها اسقيني ماء فتذهب لتجيء اليك

بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة واجعل روحك نائما * فلما ترجع اليك بالقلة تظن انك نمت بعد شرب الفنجان فتروح عنك * وبعد حصة يظهر لك الحال * واياك ان تخالف امري فقال سمعا وطاعة * ثم توجه الى الخان * هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر زوجة الجوهري فانها قالت لزوجها اكرام الضيف ثلث ليال * فاعزمه مرة ثالثة فتوجه اليه وعزمه واخذه ودخل به القاعة * فلما تعشيا وصليا العشاء واذا بالجارية دخلت واعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد * واما قمر الزمان فانه لم يشرب فقالت له الجارية اما تشرب ياسيدي * فقال لها انا عطشان هاتي القلة فذهبت لتجيء اليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد * فلما رجعت الجارية رأته راقدا فاخبرت سيدتها بذلك وقالت انه لما شرب الفنجان رقد * فقالت الصبية في نفسها ان موته احسن من حيوته * ثم اخذت سكينا ماضية ودخلت عليه وهي تقول ثلث مرات وانت لم تلحظ الاشارة يا احمق الآن اشق بطنك * فلما رأى مقبلة عليه وفي يدها السكين فتح عينه وقام ضاحكا * فقالت له ما فهمت هذه الاشارة من فطنتك بل بدلالة ماكر فاخبرني من اين لك هذه المعرفة * قال من عجوز وجرى لي معها كذا وكذا واخبرها بالخبر * فقالت له في غد اخرج من عندنا ورح الى العجوز وقل لها هل بقي معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار * فان قالت لك معي فقل لها اجتهدي في الوصول اليها جهارا * وان قالت مالي مقدرة وهذا اخر ما معي فاتركها عن بالك * وفي ليلة غد يأتي اليك زوجي ويعزمك فتعال معه واخبرني وانا اعرف بقية التدبير فقال لا بأس * ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق واعمال حرف الجر باتفاق واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين

الا ضانه معزول * و لم يزالا على هذه الحالة الى الصباح * ثم قالت له انا مايكفيني منك ليلة ولا يوم ولاشهرو لاسنه وانما قصدي ان اقيم معك بقية العمر * ولكن اصبر حتى اعمل لك مع زوجي حيلا تحير ذوي الالباب و نبلغ بها الآراب * و ادخل عليه الشك حتى يطلقني و انزوج بك واروح معك الى بلادك و انقل جميع ما له و ذخائره عندك واتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره * ولكن اسمع كلامي و طاوعني فيما اقوله لك و لاتخالفني فقال لها سمعا وطاعة وما عندي خلاف * فقالت رح الى الخان وان جاء زوجي وعزمك فقل له يا اخي ان ابن أدم ثقيل ومتى اكثر التردداد اشمأزّ منه الكريم و البخيل * وكيف اروح عندك كل ليلة وارقد انا وانت في القاعة * فان كنت انت لا تغتاظ مني فربما اغتاظ حريمك مني بسبب منعك عنه * فان كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتا بجانب بيتك وتبقى انت تارة تسهر عندي الى وقت النوم و انا تارة اسهر عندك الى وقت النوم * ثم اروح الى منزلي وانت تدخل حريمك وهذا الرأي احسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فانه بعد ذلك يأتي اليّ و يشاورني فاشير عليه ان يخرج جارنا فان البيت الذي هو ساكن فيه بيتنا * والجار ساكن بالكرى ومتى انيت البيت يهون الله علينا بقية تدبيرنا * ثم انها قالت له رح الآن وافعل كما امرتك فقال لها سمعا وطاعة * ثم تركته وراحت وهو جعل روحه نائما وبعد مدة انت الجارية فنبهتهما * فلما افاق الجوهري قال يا تاجر لعل الناموس شوش عليك قال لا * فقال الجوهري لعلك اعتدت عليه * ثم انهما افطرا وشربا القهوة وخرجا الى اشغالهما و توجه قمرالزمان الى العجوز واخبرها بما جرى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمرالزمان لما توجه الى العجوز اخبرها بماجرى * وقال لها انها قالت لي كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا * فهل عندك اكثر من هذا التدبير حتى توصلني الى الاجتماع بها جهارا * فقالت يا ولدي الى هنا انتهى تدبيري وفرغت حيلتي * فعند ذلك تركها وتوجه الى الخان * ولما اصبح الصباح توجه اليه الجوهري عند المساء وعزمه * فقال له لا يمكن اني اروح معك فقال له لماذا وانا احببتك وما بقيت اقدر على فراقك * فبالله عليك ان تمضي معي * فقال له ان كان مرادك طول العشرة معي ودوام الصحبة بيني وبينك فخذلي بيتا بجانب بيتك * وان شئت تسهر عندي وانا اسهر عندك * وعند النوم يروح كل منا الى بيته وينام فيه * فقال له ان عندي بيتا بجانب بيتي وهو ملكي فامض معي في هذه الليلة وفي غد اخليه لك فمضى * وتعشيا وصليا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد * وفنجان قمر الزمان لاغش فيه فشربه ولم يرقد * فجاءته وقعدت تسامره الى الصبـــاح وزوجها مرمي مثل الميت * ثم انه صحا من النوم على العادة وارسل احضر الساكن وقال له يا رجل اخل لي بيتي فانني قد احتجت اليه * فقال له على الرأس والعين فاخلاه له وسكن فيـــه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه * وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمرالزمان ثم راح الى بيته * وفي ثاني يوم ارسلت الصبية الى معمار ماهر فاحضرته وارغبته بالمال حتى عمل لها سردابا من قصرها يوصل الى بيت قمر الزمان * وجعل له طابقا تحت الارض فما يشعر قمرالزمان الّا

وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال * فقال لها من اين جئت فأرته السرداب * وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تهارشه وتلاعبه الى الصباح * ثم قالت له انتظرني حتى اروح له وانبهه ليذهب الى دكانه وأتى لك * فقعد ينتظرها وانصرفت لزوجها وايقظته فقام وتوضأ وصلى وذهب الى الدكان * وبعد ذهابه اخذت اربعة اكياس وراحت الى قمر الزمان من السرداب وقالت له خذ هذا المال وجلست عنده * ثم انصرف كل منهما الى حال سبيله فتوجهت الى بيتها وتوجه قمر الزمان الى السوق * ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده عشرة اكياس وجواهر وغير ذلك * ثم ان الجوهري جاءه في بيته واخذه الى القاعة وسهر فيها هو واياه * فدخلت الجارية على العادة واسقتهما فرقد سيدها * وقمر الزمان ما اصابه شيء لان فنجانه سالم لا غش فيه * ثم اقبلت عليه الصبية فجلست تلاعبه وصارت الجارية تنقل المصالح الى بيته من السرداب * ولم يزالوا على هذه الحالة الى الصباح ثم ان الجارية نبهت سيدها واسقتهما القهوة وكل منهما راح الى حال سبيله * وفي ثالث يوم اخرجت له سكينا كانت لزوجها وهي صياغته بيده وكلفها خمسمائة دينار لم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة * ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لاحد من المخلوقين * ثم قالت له خذ هذه السكين وحطها في حزامك ورح الى زوجي واجلس عنده واخرجها من حزامك * وقل له يا معلّم انظر هذه السكين فاني اشتريتها في هذا اليوم واخبرني هل انا مغلوب فيها او غالب فانه يعرفها ويستحي ان يقول لك هذه سكيني * فان قال لك من اين اشتريتها وبكم اخذتها * فقل له

رأيت اثنين من الاولادية يتقاتلان مع بعضهما * فقال واحد منهما للآخر اين كنت قال كنت عند صاحبتي وكل ما اجتمع معها تعطيني دراهم * وفي هذا اليوم قالت لي ان يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت * و لكن خذ هذه السكين فانها سكين زوجي فاخذتها منها و مرادي بيعها فاعجبتني السكين * و لما سمعته يقول ذلك قلت له اتبيعها لي فقال اشتر فاخذتها منه بثلثمائة دينار * فيا ترى هل هي رخيصة او غالية وانظر ما يقول لك * ثم تحدث معه مدة وقم من عنده و تعال الي بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب انتظرك فاعطني السكين فقال لها سمعا و طاعة * ثم اخذ تلك السكين وحطها في حزامه وراح الى دكان الجوهري فسلم عليه فرحب به و اجلسه * فرأى السكين في حزامه فتعجب و قال في نفسه ان هذه سكيني و من اوصلها الى هذا التاجر * و صار يفكر في نفسه و يقول يا ترى هل هي سكيني او سكين تشابهها * و اذا بقمر الزمان اخرجها و قال يا معلم خذ هذه السكين تفرج عليها * فلما اخذها من يده عرفها حق المعرفة و استحى ان يقول هذه سكيني و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما اخذ السكين من قمر الزمان عرفها و استحى ان يقول هذه سكيني * ثم قال له من اين اشتريتها فاخبره بما اوصته به الصبية * فقال له هذه بهذا الثمن رخيصة لانها تساوي خمسمائة دينار * وانقادت النار في قلبه وارتبطت اياديه عن الشغل في صنعته * وصار يتحدث معه

وهو غريق في بحر الافكار * وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة * وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر

لَمْ أَدْرِ قَوْلًا إِذَا حَيُّوا مُكَالَمَتِي ... أَوْ كَلَّمُونِي يَرَوْنِي غَائِبَ الْفِكْرِ
غَرْقَانَ فِي بَحْرِ فِكْرٍ لَا قَرَارَ لَهُ ... لَا أَفْرِقُ النَّاسَ أُنْثَاهَا مِنَ الذَّكَرِ

فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول في هذه الساعة * ثم قام من عنده وتوجه الى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره * فلما رأته قالت له هل فعلت كما امرتك قال نعم قالت له ما قال لك * قال لها قال لي انها رخيصة بهذا الثمن لانها تساوي خمسمائة دينار * ولكن تغيرت احواله نقمت من عنده ولم ادرما جرى له بعد ذلك * فقالت هات السكين وما عليك منه * ثم اخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر الجوهري فانه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسواس * وقال في نفسه لابد ان اقوم وانفقد السكين واقطع الشك باليقين * فقام واتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان * فقالت له مالك يا سيدي فقال لها اين سكيني قالت في الصندوق * ثم دقت صدرها بيدها وقالت يا همّي لعلك تخاصمت مع احد فاتيت تطلب السكين لتضربه بها * قال لها هاتي السكين اريني اياها قالت حتى تحلف انك لا تضرب بها احدا * فحلف لها ففتحت الصندوق واخرجتها له فصار يقلبها ويقول ان هذا شيء عجيب * ثم انه قال لها خذيها وحطيها في مكانها قالت له اخبرني ما سبب ذلك * قال لها

اني رأيت مع صاحبنا سكينا مثلها واخبرها بالخبر كله * ثم قال لها ولما رأيتهـــا في الصندوق قطعت الشك باليقين * فقالت له لعلك ظننت بي سوءا وجعلتني صاحبة اللاوندي واعطيته السكين * فقال لها نعم اني شككت في هذا الامر ولكن لما رأيت السكين ارتفع الشك من قلبي * فقالت له يا رجل انت ما بقي فيك خير فصار يعتذر اليها حتى ارضاها ثم خرج وتوجه الى دكانه * وفي ثاني يوم اعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند احد مثلها * ثم انها قالت له رح الى دكانه واجلس عنده وقل له ان الذي رأيته بالامس رأيته في هذا اليوم وفي يده ساعة * قال لي اتشتري هذه الساعة فقلت له من اين لك هذه الساعة * قال كنت عند صاحبتي فاعطتني اياها فاشتريتها منه بثمانية وخمسين دينارا * فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن اوغالية وانظر ما يقول لك * واذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني اياها * فراح اليه قمر الزمان وفعل معه ما امرته به * فلما رآها الجوهري قال هذه تساوي سبعمائة دينار وداخله الوهم * ثم ان الغلام تركه وراح الى الصبية واعطاها تلك الســاعة واذا بزوجهــا دخل ينفخ * وقال لها اين ساعتي قالت له هاهي حاضرة قال لها هاتيها فاتت له بها * فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * فقالت له يا رجل ما انت بلا خبر فاخبرني بخبرك * فقال لها ماذا اقول اني تحيرت في هذه الحالات ثم انشد هذه الابيـــــــات

تَحَيَّرتُ وَالرَّحمنِ لَا شَكَّ فِي أَمرِي ... وَحَاقَت بِيَ الأَحزَانُ مِن حَيثُ لَا أَدرِي
سَأَصبِرُ حَتَّى يَعلَمَ الصَّبرُ أَنَّنِي ... صَبَرتُ عَلَى شَيءٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبرِ
وَمَا مِثلُ مُرِّ الصَّبرِ صَبرِي وَإِنَّمَا ... صَبَرتُ عَلَى شَيءٍ أَحَرَّ مِنَ الجَمرِ

وَمَا الْأَمْرُ أَمْرِي فِي الْمُرَادِ وَإِنَّمَا ... أُمِرْتُ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ

ثم قال يا امرأة اني رأيت مع التاجر صاحبنا أولا سكيني وقد عرفتها لان صياغتها اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها واخبرني باخبار تغم القلب واتيت فرأيتها * ورأيت معه الساعة ثانيا وصياغتها ايضا اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة * واخبرني ايضا باخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت اعرف ماجرى لي * فقالت له مقتضى كلامك اني انا خليلة ذلك التاجر وصاحبته واعطيته مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني * ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت اثبت خيانتي * لكن يا رجل حيث انك ظننت بي هذا الظن ما بقيت اواكلك في زاد ولا اشاربك في ماء بعد هذا فاني كرهتك كراهة التحريم * فصار يأخذ بخاطرها حتى ارضاها * ثم خرج وتندم على مقابلتها بهذا الكلام وتوجه الى دكانه وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما خرج من عند زوجته صار يتندم على هذا الكلام * ثم ذهب الى الدكان وجلس معه في الدكان وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب * وعند المساء اتى الى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه * فقالت له الصبية اين التاجر قال في منزله قالت هل بردت الصحبة التي بينك وبينه * قال والله اني كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شان خاطري * فقام ودخل

عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها * فتقادحت النار في قلبه وصار يتنهد * فقال قمر الزمان مالي اراك في فكر فاستحى ان يقول له ان حوائجي عندك من اوصلها اليك * وانما قال له حصل عندي تشويش ولكن قم بنا الى البيت لنتسلى هناك * فقال دعني في محلي فلا اروح معك فحلف عليه واخذه * ثم تعشى معه وسهرا تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الافكار * واذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة * ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين على العادة * فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لان فنجانه غير مغشوش * ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له كيف رأيت هذا القرنان الذي هو في غفلته سكران ولا يعرف مكائد النسوان * فلا بد ان اخدعه حتى يطلقني * ولكن في غد اتهيأ بهيئة جارية واروح خلفك الى الدكان * وقل له يا معلم انني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بالف دينار * فانظرها لي هل هي رخيصة بهذا الثمن او غالية ثم اكشف له عن وجهي ونهودي وفرجه عليّ * ثم خذني وارجع بي الى منزلك وانا ادخل بيتي من السرداب حتى انظر اخرامرنا معه * ثم انهما امضيا ليلتهما على انس وصفاء ومنادمة وهراش وبسط وانشراح الى الصباح * وبعد ذلك ذهبت الى مكانها وارسلت الجارية فايقظت سيدها وقمر الزمان * فقاما وصليا الصبح وافطرا وشربا القهوة وخرج الجوهري الى دكانه وقمر الزمان دخل بيته * واذا بالصبية خرجت له من السرداب وهي بصفة جارية وكان اصلها جارية * ثم توجه الى دكان الجوهري ومشت خلفه ولم يزل ماشيا وهي خلفه حتى وصل بها الى دكان الجوهري

فسلم عليه وجلس * وقال يا معلم اني دخلت اليوم خان اليسيرجية بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فاعجبتني فاشتريتها بالف دينار * وقصدي ان تتفرج عليه وتنظر هل هي رخيصة بهذا الثمن ام لا * وكشف له عن وجهها فرأها زوجته وهي لابسة افخر ملبوسها ومتزينة با حسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته * فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لانه صاغها بيده * ورأى الخواتم التي صاغها جديدا لقمر الزمان في اصبعها * وتحقق عنده انها زوجته من سائر الجهات * فقال لها ما اسمك يا جارية قالت حليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه * فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بالف دينار قال انك اخذتها بلا ثمن لان الالف دينار اقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء * فقال له بشرك الله بالخير وحيث اعجبتك فانا اذهب بها الى بيتي * فقال افعل مرادك فاخذها وراح الى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر الجوهري فان النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه انا اروح انظر زوجتي * فان كانت فى البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجلّ من ليس له شبيه * وان لم تكن زوجتي فى البيت تكون هي من غير شك * ثم انه قام يجري الى ان دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التى راها بها فى الدكان * فضرب يدا على يد وقال لاحول ولاقوة الّا بالله العلي العظيم * فقالت له يا رجل هل حصل لك جنون او ما خبرك فما هذه عادتك لا بد ان يكون لك امر من الامور * فقال لها اذا كان مرادك ان اخبرك فلا تغتمي فقالت له قل * قال

ان التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك * وهي تشبهك في جميع صفاتك وفي اصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك * فلما فرّجني عليها ظننت انها انت وقد تحيّرت في امري * ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صاحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فانه كدّر عيشتي بعد الصفاء * وكان سببا في الجفاء بعد الوفاء * وادخل الشك في قلبي * فقالت له طل في وجهي لعلي اكون انا التي كنت معه والتاجر صاحبي * وقد تلبست بصفة جارية واتفقت معه على ان يفرجك عليّ حتى يكيدك * فقال ايّ شيءٍ هذا الكلام انا ما اظن بك ان تفعلي مثل هذه الفعال * وكان ذلك الجوهري مغفّلا عن مكائد النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
وَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقول الآخر

اعْصِ النِّسَاءَ فَتِلْكَ الطَّاعَةُ الحَسَنَهْ ... فَلَنْ يَفُوزَ فَتًى يُعْطِي النِّسَا رَسَنَهْ
يَعُقْنَهُ عَنْ كَمَالٍ فِي فَضَائِلِهِ ... وَلَوْ سَعَى طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَهْ

وقول الآخر

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينٌ خُلِقْنَ لَنَا ... أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ
وَمَنْ بِهِنَّ رُمَاةُ العِشْقِ مُبْتَلِيًا ... قَدْ ضَيَّعَ الحَزْمَ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

ثم قالت له ها انا قاعدة في قصري ورح انت اليه في هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة * فاذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجلّ من ليس له شبيه * وان لم ترالجارية عنده اكون انا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنك بي السوء محققا فقال صدقت * ثم تركها وخرج فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان واخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرّجه عليّ * فبينما هما في الكلام واذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال انا صاحبك فانك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها * ولكن ما كملت فرحتي بها فافتح الباب وفرجني عليها قال لا بأس بذلك * ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة * فرآها لا تتميز عن زوجته بشيء فقال يخلق الله ما يشاء * ثم انه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع الى بيته فرأى زوجته جالسة لانها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها * فلما دخل عليها زوجها قالت له اي شيء رأيت قال رأيتها عند سيدها وهي تشبهك * فقالت توجه الى دكانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بي سوءا * فقال لها الامر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني * قالت سامحك الله ثم قلبها ذات اليمين وذات الشمال وراح الى

دكانه * فنزلت من السرداب الى قمر الزمان ومعها اربعة اكياس * وقالت له جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا امهال حتى افعل لك ما عندي من الحيل * فطلع واشترى بغالاً وحمل احمالاً وجهز تختطروانا واشترى مماليك وخدما واخرج الجميع من البلد ومابقي له عائقة واتى لها *وقال اني تممت اموري فقالت له وانا الاخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك * وماخليت له قليلا ولاكثيرا ينتفع به * وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فانا افديك الف مرة بزوجي * ولكن ينبغي ان تذهب اليه وتودعه وتقول له انا اريد السفر بعد ثلثة ايام * وجئت لاودعك فاحسب ما انجمل لك عندي من اجرة البيت حتى ارده لك وتبرئ ذمتي * وانظر ما يكون من جوابه وارجع اليّ واخبرني فاني عجزت * وانا احتال عليه واغيظه لاجل ان يطلقني فماأراه الّا متعلقابي ومابقي لنا احسن من السفر الى بلادك * فقال لها يا حبذا ان صحت الاحلام * ثم راح الى دكانه وجلس عنده وقال له يا معلم انا مسافر بعد ثلثة ايام وماجئت الّا لاودعك * والمراد انك تحسب ما انجمل لك عندي من اجرة البيت حتى اعطيه لك وتبرئ ذمتي * فقال له ما هذا الكلام ان فضلك عليّ والله ما اخذ منك شيأ من اجرة البيت وحلّت علينا البركات * ولكنك نوحشنا بسفرك ولولا انه يحرم عليّ لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك * ثم ودعه وتباكيا بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه ينبغي ان اشيع صاحبي * وصار كلما راح يقضي حاجة يروح معه * واذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين ايديهما وتخدمهما * واذا رجع الى بيته يراها قاعدة هناك * ولم يزل

يراها في بيته اذا دخله ويراها في بيت قمر الزمان اذا دخله مدة ثلثة ايام * ثم انها قالت له اني نقلت جميع ما عنده من الذخائر والاموال والفروش ولم يبق عنده الّا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب * ولكنني لا اقدر على فراقها لانها قريبتي وعزيزة عندي وكاتمة لسري * ومرادي ان اضربها واغضب عليها * واذا اتى زوجي اقول له انا ما بقيت اقبل هذه الجارية ولا اقعد انا واياها في بيت فخذها وبعهـــا * فيأخذها ليبيعها فاشترها انت حتى نأخذها معنا * فقال لا بأس ثم انها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها * فقالت ان سيدتي ضربتني فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتها * فقالت له يا رجل اني اقول لك كلمة واحدة انا ما بقيت اقدر ان انظر هذه الجاريـــة فخذها وبعها والّا طلقني فقال ابيعها ولا اخالف لك امرا * ثم انه اخذها معـــه وهو خارج الى الدكان ومر بها على قمر الزمان * وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعـــة الى قمر الزمان فادخلهـــا في التختروان قبل ان يصل اليـــه الشيخ الجوهري * فلما وصل اليه ورأى قمر الزمان الجـــارية معه قال له ما هذه قال جاريتي التي كانت تسقينـــا الشراب * ولكنهـــا خالفت سيدتها فغضبت عليها وامرتني ان ابيعها * فقال انها حيث بغضتها سيدتها ما بقي لها تعود عندها * ولكن بعها لي حتى اشم رائحتك فيها واجعلها خادمة لجاريتي حليمة * فقال لا بأس خذها فقال له بكم فقال انا لا آخذ منك شيأ لانك تفضلت علينا * فقبلها منه وقال للصبية قبلي يد سيـدك فبرزت له من التختروان وقبلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر اليها * ثم قال له قمر الزمان

استودعتك الله يا معلم عبيد ابرئ ذمتي * فقال له ابرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة الى عيالك * وودعه وتوجه الى دكانه وهو يبكي وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقا له والرفيق له حق * ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل عنده من امر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته * هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر قمر الزمان فان الصبية قالت له ان اردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية ان اردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة فقال سمعا وطاعة * ثم سلك طريقا غير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها * ولم يزل مسافرا من بلاد الى بلاد حتى وصل الى حدود قطر مصر * ثم كتب كتابا وارسله الى والده مع ساع * وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعدا في السوق بين التجار * وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار * لانه من يوم توجه ما اتاه من عنده خبر * فبينما هو كذلك واذا بالساعي مقبل وقال يا سادتي من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن * فقالوا له ما تريد منه قال لهم ان معي كتابا من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة * ثم اخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان الى التاجر عبد الرحمن * وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فان سألتم عنا فلله الحمد والمنه * وقد

بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية * فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم واكثر الضيافات والعزائم واحضر الات الطرب * واتى في الفرح بانواع العجب * فلما وصل ولده الى الصالحية خرج الى مقابلته ابوه وجميع التجار * فقابلوه واعتنقه والده وضمه الى صدره وبكى حتى اغمي عليه * ولما افاق قال له يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم انشد قول الشاعر

وَقُرْبُ الْحَبِيبِ تَمَامُ السُّرُورِ ... وَكَأْسُ الْهَنَاءِ عَلَيْنَا يَدُورْ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِلَيْلِي مَرْحَبًا ... بِنُورِ الزَّمَانِ وَبَدْرِ الْبُدُورْ

ثم افاض من شدة الفرح دمع العين وانشد هذين البيتين

قَمَرُ الزَّمَانِ يَلُوحُ فِي إِسْفَارِهِ ... إِشْرَاقُهُ إِدْجَاءُ مِنْ أَسْفَارِهِ
فَشُعُورُهُ فِي اللَّوْنِ لَيْلُ غَيَابِهِ ... لَكِنْ شُرُوقُ الشَّمْسِ مِنْ أَزْرَارِهِ

ثم ان التجار تقدموا اليه وسلموا عليه فرأوا معه احمالا كثيرة وخدما وتختروانا وهو في دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت * فلما خرجت الصبية من التختروان راها ابوه فتنة لمن يراها * ففتحوا لها قصرا عاليا كأنه كنز انحلت عنه الطلاسم * ولما رأتها امه افتتنت بها وظنت انها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها * فقالت لها انا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغي لنا اننا نقيم لك فرحا عظيما حتى نفرح بك وبولدي * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد الى حال سبيله اجتمع بولده * وقال له يا ولدي ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها *

فقال له يا والدي انها ليست جارية وانما هي التي كانت سبب غربتي * قال والده وكيف ذلك قال انها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا * فان آمالي تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر الّا من اجلها حتى تعريت في الطريق واخذت العرب اموالي * وما دخلت البصرة الّا وحدي وحصل لي كذا وكذا وصار يحكي لوالده من المبتدأ الى المنتهى * فلما فرغ من حديثه قال له يا ولدي وبعد ذلك كله هل تزوجتها قال لا ولكن وعدتها ان اتزوج بها * قال له هل مرادك الزواج بها قال ان كنت تأمرني افعل ذلك والّا فلا اتزوجها * قال له ان تزوجت بها اكون بريئاً منك في الدنيا والآخرة واغضب عليك غضبا شديدا كيف تتزوج بها * وهي عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملها مع زوجها على شانك تعمل معك مثلها على شان غيرك فانها خائنة والخائن ليس له امان * فان كنت تخالفني اكون غضبانا عليك * وان سمعت كلامي افتش لك على بنت احسن منها تكون طاهرة زاكية فازوجك بها ولو كنت انفق عليها جميع مالي واعمل لك فرحا ليس له نظير وافتخر بك وبها * واذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان احسن من ان يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب * وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شان ذلك عبارات ونكتا واشعارا وامثالا ومواعظ * فقال قمر الزمان يا والدي حيث كان الامر كذلك فلا علاقة لي بزواجها * فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبّله ابوه بين عينيه وقال له انت ولدي حقا وحيوتك يا ولدي لا بد لي من ان

ازوجك بنتا ليس لها نظير * ثم ان التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهري وجاريتهـا في قصر عال وقفل عليهما وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما اكلهما وشربهما * وقال لها انت وجاريتك تستمران محبوسين في هذا القصر حتى انظر لكما من يشتريكما وابيعكما له * وان خالفت قتلتك انت وجاريتك فانك خائنة ولا خير فيك * فقالت له افعل مرادك فاني استحق جميع ما تفعله معي * ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما احد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيهما اكلهما وشربهما من طاقة القصـــر * فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجها * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه ارسل الخطاب يخطبون بنتا ذات حسب ونسب لولده فلا زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن باحسن منهـا حتى دخلن بيت شيخ الاسلام * فرأين بنته لم يكن لها نظير في مصر وهي ذات حسن وجمال وقد واعتدال لانها احسن من زوجة عبيد الجوهري بالف طبقة * فاخبرنه بها فذهب هو والاكابر الى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحا عظيما * ثم عمل الولائم وعزم في اول يوم الفقهاء فعملوا مولدا شريفا * وثاني يوم عزم التجار تماما * ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزين الحارة والخط بالقناديل * وفي كل ليلة تأتي سائر ارباب الملاعب ويلعبون انواع اللعب * وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من اصناف الناس حتى عزم العلماء والامراء والصناجق والحكام * ولم يزل الفرح قائما مدة اربعين يوما * وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط

وكان فرحا ليس له نظير * وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريبا وقريبا * فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جالس وابنه بجنبه * فبينما هم كذلك واذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه اثر السفر * فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لابيه انظر يا ابي الى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب * فنظر اليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين * وفي وجهه اصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج * ويئن انين المريض المحتاج * ويمشي بتهافت ويميل في مشيه ذات اليمين وذات الشمال * وتحقق فيه قول من قـــال

اَلفَقرُ يُزرِي بِالفَتَى دائِمًا ... كَمَا اصفِرارِ الشَّمسِ عِندَ المَغِيب
يَمرّ بَينَ النَّاسِ مُستَخفِيًا ... وَإِن خَلَا يَبكِي بِدَمعٍ صَبِيب
وَإِن يَغِب فَلَيسَ يُعنَى بِهِ ... وَمَا لَهُ عِندَ حُضُورٍ نَصِيب
وَاللهِ مَا الإِنسَانُ فِي أَهلِهِ ... إِذَا ابتَلَى بِالفَقرِ إِلَّا غَرِيب

وبقول الآخر

يَمشِي الفَقِيرُ وَكُلُّ شَيءٍ ضِدُّهُ ... وَالأَرضُ تُغلَقُ دُونَهُ أَبوَابُهَا
وَتَرَاهُ مَمقُوتًا وَلَيسَ بِمُذنِبٍ ... وَيَرَى العَدَاوَةَ لَا يَرَى أَسبَابَهَا
حَتَّى الكِلَابُ إِذَا رَأَت ذَا نِعمَةٍ ... أَومَت إِلَيهِ وَحَرَّكَت أَذنَابَهَا
وَإِذَا تَرَى يَومًا فَقِيرًا بَائِسًا ... نَبَحَت عَلَيهِ وَكَشَّرَت أَنيَابَهَا

وما احسن قول الشـــاعـــر

إِذَا صَحِبَ الفَتَى عِزًّا وَسَعدًا ... تَجَنَّبَ مِنهُ المَكَارِهُ وَالخُطُوبُ
وَوَاصَلَهُ الحَبِيبُ بِغَيرِ وَعدٍ ... طُفَيلِيًّا وَقَادَ لَهُ الرَّقِيبُ

وَعَلَى النَّــاسِ ضَرْطَتُهُ غَنَــاءٌ   وَقَالُوا اِنْ فَسَــا قَدْ فَاحَ طِيبُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر عبد الرحمن لمــا قال له ولده انظر الى هذا الرجل الفقير * قال يا ولدي من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا * فقال له ا هذا الذي كنت تحدثني عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة * وكان السبب في مجيئه انه لما ودع قمر الزمان توجه الى دكانه فجاءته دفة شغل فاخذها واشتغلها في بقية النهار * وعند المساء قفل الدكان وذهب الى البيت ووضـــع يده على الباب فانفتح * فدخـــل فلم ير زوجتـــه ولا الجـــارية ورأى البيت في اســـوء الاحوال منطبق عليه قول من قـــــــــــــال

كَانَتْ خَلِيَّاتُ نَحْلٍ وَهْيَ عَامِرَةٌ   لِمَا خَلَى نَحْلُهَا عَادَتْ خَلِيَّاتِ
كَأَنَّهَا اليَوْمَ بِالسُّكَّانِ مَا عُمِرَتْ   اَوْ غَالَ سُكَّانُهَا فَصْلُ المَنِيَّاتِ

فلما رأى الدار خاليـــة التفت يمينا وشمالا * ثم دار فيها مثـــل المجنون فلم يجـــد احدا * وفتح باب خزينته فلم يجد فيهـــا شيأ من ماله ولا من ذخائره * فعند ذلك فاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف ان زوجته هي التي كانت تنقلب عليه بالحيل * حتى غدرته فبكى على ما حصل * ولكنه كتم امره حتى لا يشمت به احد من اعدائه ولا يتكدر احد من احبـابه * وعلم انه اذا باح بالسر لا ينوله الا الهتيكة والتعنيف من الناس * وقال في نفسه يا فلان

اكتم ما حصل لك من الخبال والوبال * وعليك بالعمل بقول من قال

إِذَا كَانَ صَدْرُ ٱلْمَرْءِ بِٱلسِّرِّ ضَيِّقًا   فَصَدْرُ ٱلَّذِي يَسْتَوْدِعُ ٱلسِّرَّ أَضْيَقُ

ثم انه قفل بيته وقصد الدكان ووكّل بها صانعا من صناعه * وقال له ان الغلام التاجر صاحبي عزم على ان اروح معه الى مصر بقصد الفرجة وحلف انه ما يرحل حتى يأخذني معه بحريمي * وانت يا ولدي وكيلي في الدكان * وان سألكم عني الملك فقولوا له انه توجه بحريمه الى بيت الله الحرام * ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالا وبغالا ومما ليك واشترى له جارية وحطها في التخطروان وخرج من البصرة بعد عشرة ايام * فودعه احبابه وسافر والناس لا يظنون الّا انه اخذ زوجته وتوجه الى الحج وفرحت الناس * وقد انقذهم الله من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة * وصار بعض الناس يقول لاردّه الله الى البصرة مرة اخرى حتى نحبس في المساجد والبيوت في كل يوم جمعه لان هذه الخصله اورثت اهل البصرة حسرة عظيمة * وبعضهم يقول اظنه لايرجع من سفره بسبب دعاء اهل البصرة عليه * وبعضهم يقول ان رجع لا يرجع الّا منكس الحال * وفرح اهل البصرة بسفره فرحا عظيما بعد ان كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم * فلما اتى يوم الجمعة نادى المنادي في البلد على العادة بانهم يدخلون المساجد قبل صلوة الجمعة بساعتين او يستخفون في البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم * فاجتمعوا جميعا وتوجهوا الى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له يا ملك الزمان ان الجوهري اخذ حريمه وسافر الى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس من

اجله فبأي سبب نحبس الان * فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني لكن اذا جاء من سفره لا يكون الّا خيرا روحوا الى دكاكينكم و بيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة * هذا ماكان من امر المَلك و اهل البصرة * واما ماكان من امر المعلم عبيد الجوهري فانه سافر عشرة مراحل فحل بـه ماحل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه واخـذوا ماكان معه وجعل روحه ميتا حتى خلص * وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان الى ان دخل بلدا * فحنن الله عليه اهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة * وصار يسأل ويتقوت من بلـد الى بلد حتى وصل الى مصر المحروسة فاحرقه الجوع فدار يسأل فى الاسواق * فقال له رجل من اهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فان هنـاك في هذا اليوم سماط الفقراء والغرباء * فقال لا اعرف طريق بيت الفرح * فقال له اتبعني وانا اريه لك فتبعه الى ان وصـل الى البيت قال له هذا هو بيت الفرح فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب * فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه واخبر به اباه * ثم ان التاجر عبد الرحمن قال لولده يا ولدي اتركه في هذه الساعة ربما يكون جائعا فدعه يأكل حتى يشبـع ويسكن روعه وبعـد ذلك نطلبه * فصبروا عليه حتى اكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر واراد ان يخرج فارسل خلفه والد قمر الزمان * فقال له الرسول تعال يا غريب كلّم التاجر عبد الرحمن * فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن انه يعطيه احسانا * فلما اقبل على التاجر رأى صاحبـه قمر الزمان فغـاب عن الوجود من

الحياء منه * وقام له قمر الزمان على الاقدام واخذه بالاحضان وسلم عليه وتباكيا بكاء شديدا * ثم انه اجلسه بجانبه فقال له ابوه يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الاصحاب ارسله اوّلا الى الحمام وارسل اليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث انت واياه فصاح على بعض الخدام * وامرهم ان يدخلوه الحمام * وارسل اليه بدلة من خاص الملبوس تساوي الف دينار او اكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده والبسوه البدلة * فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنه حين غيابه في الحمام * وقالوا من هذا ومن اين تعرفه * فقال هذا صاحبي وقد انزلني في بيته وله عليّ احسان لا يحصى * فانه اكرمني اكراما زائدا * وهو من اهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس له نظير وملك البصرة يحبه حبا كثيرا * وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ * وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول انه فعل معي كذا وكذا وانا صرت في حياء منه ولا ادري ما اجازيه به في مقابلة ما صنعه معي من الاكرام * ولم يزل يثني عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهابا في اعينهم * فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه واكرامه من شأنك * ولكن مرادنا ان نعرف ما سبب مجيئه الى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله به حتى صار في هذه الحالة * فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا ان ابن آدم تحت القضاء والقدر * وما دام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات * وقد صدق من قال هذه الابيات

اَلدَّهْرُ يفتِرسُ الرِّجالَ فَلَا تَكُنْ ... مِمَّنْ تُطَيِّشهُ الْمَنَاصِبُ وَالرُّتَبْ
وَاحْذَرْ مِنَ الزَّلَّاتِ وَاجْتَنِبِ الْاَسَى ... وَاعْلَمْ بِاَنَّ الدَّهْرَ شِيمَتُهُ الْعَطَبْ

كَمْ نِعْمَةٍ زَالَتْ بِأَصْغَرِ نِقْمَةٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي تَقَلُّبِهِ سَبَبْ

اعلموا اني انا دخلت البصرة في اسوء من هذه الحالة واشد من هذا النكال لان هذا الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان * واما انا فاني دخلت بلاده مكشوف العورة يد من خلف ويد من قدام و لا نفعني الا الله وهذا الرجل العزيز * والسبب في ذلك ان العرب عروني واخذوا جمالي و بغالي و احمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا اني ميت فذهبوا وفاتوني * وبعد ذلك قمت ومشيت عريانا الى ان دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل وكساني وانزلني في بيته و قواني بالمال و جميع ما اتيت به معي ليس الا من خير الله وخيره * فعند ما سافرت اعطاني شيأ كثيرا و رجعت الى بلدي مجبور الخاطر وفارقته و هو في سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان * اوجبت له فراق الاهل والاوطان * وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك * ولكن ينبغي لى الان ان اجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال و اعمل بقول من قال

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا هَلْ تَدْرِي مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
مَا شِئْتَ فَاصْنَعْ جَمِيلَ فِعْلٍ كَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ

فبينما هم في هذا الكلام وامثاله واذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنه شاه بندر التجار * فقام اليه الجميع وسلموا عليه واجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان يا صاحبي نهارك مبارك سعيد لا تحك لي على شيء جرى علي قبلك فان كان العرب عروك

واخذوا منك ما لا فان المال فدى الابدان فلا تغم نفسك * فاني دخلت بلادك عريانا وقد كسوتني واكرمتني ولك عليّ الاحسان الكثير فانا اجازيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري اني دخلت بلادك عريانا وقد كسوتني ولك عليّ الاحسان الكثير فانا اجازيك وافعل معك كما فعلت معي بل اكثر من ذلك فطب نفسا وقر عينا * وصار يأخذ بخاطره ومنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه * ولم يزل يعظه بمواعظ وامثال واشعار ونكت وحكايات واخبار ويسليه حتى لحظ الجوهري ما اشار اليه قمر الزمان من الكتمان فكتم ما عنده وتسلى بما سمعه من الاخبار والنوادر وانشد قول الشاعر

فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ سَطْرٌ لَوْ نَظَرْتَ لَهُ ... أَبْكَاكَ مَضْمُونُهُ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دَمَا
مَا سَلَّمَ الدَّهْرُ بِالْيُمْنَى عَلَى أَحَدٍ ... إِلَّا وَيُسْرَاهُ تَسْقِيهِ الرَّدَى كَظَمَا

ثم ان قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن اخذا الجوهري ودخلا به في قاعة الحريم واختليا به * فقال له التاجر عبد الرحمن نحن ما منعناك من الكلام الّا خوفا من الفضيحة في حقك وحقنا * ولكن نحن الآن في خلوة فاخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي * فاخبره بالقضية من المبتدا الى المنتهى * فلما فرغ من قصته قال له هل الذنب من زوجتك او من ولدي * قال له والله ان ولدك ما عنده ذنب لان الرجال لها الطمع في النساء والنساء

عليهن ان يمتنعن من الرجال * فلا عيب عندك زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال * فقام التاجر واختلى بولده وقال له يا ولدي اننا اختبرنا زوجته وعرفنا انها خائنة * ومرادي الآن ان اختبره واعرف هل هو صاحب عرض ومروّة او هو ديوث فقال له وكيف ذلك * فقال مرادي ان احمله على الصلح مع زوجته فان رضي بالصلح وسامحها فاني اضربه بسيف فاقتله وبعد ذلك اقتلها هي وجاريتها لانه لا خير في حيوة الديوث والزانية * وان نفر منها فاني ازوجه اختك واعطيه باكثر من ماله الذي اخذته منه * ثم انه رجع اليه وقال له يا معلم ان معاشرة النساء تحتاج الى طول البال * ومن كان يهواهن يحتاج الى سعة الصدر لانهن يعربدن في الرجال * ويؤذينهم لعزتهن عليهم بالحسن والجمال * فيستعظمن انفسهن ويستحقرن الرجال * ولا سيما اذا بانت لهن المحبة من بعولهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات * فان كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة * ولا يواففهن الّا من كان واسع البال كثير الاحتمال * وان لم يتحمل الرجل زوجته ويقابل اساءتها بالسماح فانه لا يحصل له في عشرتها نجاح * وقد قيل في حقهن لو كن في السماء لمالت اليهن اعناق الرجال * ومن قدر وعفى كان اجره على الله * وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي ان يكون عندك لها السماح * وهذا في العشرة من علامات النجاح * والنساء ناقصات عقل ودين وهي ان اساءت فانها قد

قابت وان شاء الله لا ترجع الى فعل ما كانت تفعلـه اولا * فالرأي عندي انك تصطلح انت و اياها و انا اردلك اكثر من مالك * و ان اقمت عندي فمرحبا بك و بها و ليس لكما الا ما يسركما * و ان كنت تطلب التوجه الى بلادك فانا اعطيك ما يرضيك و ها هو التخطروان حاضر فركّب زوجتك و جاريتها فيه وسافر الى بلادك * والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير و لا تسلك سبيل التعسير * فقال الجوهري يا سيدي و اين زوجتي * فقال له هاهي في هذا القصر فاطلع اليها و استوص بها من شأني و لا تشوش عليها فان ولدي لما جاء بها و طلب زواجها منعته عنها وحطيتها في هذا القصر و قفلت عليها الباب * و قلت في نفسي ربما يجيء زوجها فاسلمها اليه لانها جميلة الصورة * والتي مثل هذه لا يمكن زوجها ان يفوتها والذي حسبته حصل و الحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك * و اما من جهة ابني فاني خطبت له و زوجته غيرها و هذه الولائم و الضيافات من اجل فرحه * و في هذه الليلة دخلته على زوجته وها هو مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذه وافتح الباب و ادخل على زوجتك و جاريتك و انبسط معها و يأتيكم الاكل و الشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها * فقال له جزاك الله عني كل خير يا سيدي * ثم اخذ المفتاح و طلع فرحانا فظن التاجر ان هذا الكلام اعجبه و انه رضي به * فاخذ السيف و تبعه من خلفه بحيث لم يره * ثم وقف ينظر ما يحصل بينه و بين زوجته * هذا ما كان من امر التاجر عبد الرحمن * واما ما كان من امر

الجوهري فانه دخل على زوجته فرأها تبكي بكاء شديدا بسبب ان مرالزمان تزوج بغيرها * ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك يا سيدتي وقلت لك ان هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركي عشرته فما سمعت كلامي حتى نهبت جميـــع مال زوجك و اعطيته له * و بعد ذلك فارقت مكانك و تعلقت في هواه و جئت معه في هذه البلاد * وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تعلقك به الحبس * فقالت لها اسكتي يا ملعونة فانه وان تزوج بغيري لا بد ان اخطر يوما على باله فانا لا اسلو مسامرته وانا على كل حال اتسلى بقول من قـــــــــــال

يَا سَادَتِي هَلْ يَخْطُرَنَّ بِبَالِكُمْ ... مَنْ لَيسَ يَخْطُرُ غَيرُكُمْ فِي بَالِهِ

حَاشَاكُمُ اَنْ تَغْفُلُوا عَنْ حَالِ مَنْ ... هُوَ غَافِلٌ فِي حَالِكُمْ عَنْ حَالِهِ

فلا بد انه يتذكرعشرتي وصحبتي ويسأل عني وانا لا ارجـع عن محبته ولا احول عن هواه و لو مت في السجن فانه حبيبي و طبيبي * وعشمي فيـه انه يرجع اليّ و يعمل معي انبساطا * فلما سمعهـــا زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة ان عشمك فيه مثل عشم ابليس في الجنة * كل هذه العيوب فيك وانا ما عندي خبر * ولو علمت ان فيك عيبا من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندي ساعة واحدة * ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغي ان اقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة * ثم قبض عليها بيديه الاثنين وانشد هذين البيـــــــــــــتــــــــــــــين

يَا مِلَاحًا اَذْهَبتُمْ صِدْقَ وُدِّي ... بِالتَّجَنِّي وَلَمْ تُرَاعُوا حُقُوقَا

كَمْ بِكُمْ صَبْوَةً عَلِقْتُ وَلٰكِنْ ... بَعْدَ هٰذَا الْاَسَى كَرِهْتُ الْعَلُوقَا

ثم اتكأ على زمّارة حلقها و كسرها فصاحت الجارية و اسيدتاه * فقال لها يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين ان فيها هذه الخصلة ولم تخبريني * ثم قبض على الجارية وخنقها كل ذلك حصل و التاجر ماسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع باذنه ويرى بعينه * ثم ان عبيد الجوهري لما خنقها في قصر التاجر كثرت عليه الاوهام وخاف عاقبة الامر وقال في نفسه ان التاجر اذا علم اني قتلتهما في قصره لابد انه يقتلني * ولكن اسأل الله ان يجعل قبض روحي على الايمان و صار متحيرا في امره ولم يدر ماذا يفعل * فبينما هو كذلك واذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك انك تستاهل السلامة * وانظر هذا السيف الذي في يدي فاني كنت ضامرا على ان اقتلك ان صالحتها ورضيت عليها واقتل الجارية * وحيث فعلت هذه الفعال فمرحبا بك ثم مرحبا * ولا جزاؤك الا ان ازوجك ابنتي اخت قمر الزمان * ثم انه اخذه ونزل به و امر باحضار الغاسلة و شاع الخبر ان قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتتا * فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض الله عليك * ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف احد حقيقة الامر * هذا ما كان من امر عبيد الجوهري وزوجته وجاريته * واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه احضر شيخ الاسلام وجميع الاكابر * وقال يا شيخ الاسلام اكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري * ومهرها قد وصلني بالتمام والكمال * فكتب الكتاب وسقاهم الشربات و جعلوا الفرح واحدا *

وزفوا بنت شيخ الاسلام زوجة قمر الزمان واخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تخطروان واحد في ليلة واحدة * وفي المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وادخلوا * قمر الزمان على بنت شيخ الاسلام * وادخلوا المعلم عبيد على بنت التاجر عبد الرحمن * فلما دخل عليها رآها احسن من زوجته واجمل منها بالف طبقة * ثم انه ازال بكارتها ولما اصبح دخل الحمام مع قمر الزمان * ثم اقام عندهم مدة في فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق الى بلاده * فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم اني اشتقت الى بلادي ولي فيها املاك وارزاق وكنت اقمت فيها صانعا من صناعي وكيلا عني * وفي خاطري ان اسافر الى بلادي لابيع املاكي وارجع اليك فهل تأذن لي في التوجه الى بلادي من اجل ذلك * فقال له يا ولدي قد اذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فان حب الوطن من الايمان * والذي ما له خير في بلاده ما له خير في بلاد الناس * وربما انك اذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك الى زوجتك وقعودك في بلادك * فالرأي الصواب ان تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك ان شئت الرجوع الينا فارجع انت وزوجتك ومرحبا بك وبها * لاننا ناس لا نعرف طلاقا ولا تتزوج منا امرأة مرتين ولا نهجر انسانا بطرا * فقال يا عم اخاف ان ابنتك لا ترضى بالسفر معي الى بلادي * فقال له يا ولدي نحن ما عندنا نساء تخالف بعولهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها * فقال له بارك الله فيكم وفي نسائكم * ثم انه دخل على زوجته وقال لها انا مرادي السفر الى بلادي فما

تقولين * قالت ان ابي لا زال يحكم عليّ ما دمت بكرا و حيث تزوجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي فاني لا اخالفه * فقال لها بارك الله فيك وفي ابيك ورحم الله بطنا حملتك وظهرا القاك * ثم بعد ذلك قطع علائقه و اخذ في اسباب السفر فاعطاه عمه شيأً كثيرا و ودعا بعضهما * ثم اخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافرا حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الاقارب والاصحاب * وهم يظنون انه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحانا بقدومه * وبعضهم مغموما لرجوعه الى البصرة * وقال الناس لبعضهم انه يضيق علينا في كل جمعة بحسب العادة ونحبس في الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا * هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر ملك البصرة فانه لما علم بقدومه غضب عليه وارسل اليه واحضره بين يديه وعنفه * و قال له كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزا عن شيء اعطيه لك لتستعين به على الحج الى بيت الله الحرام * فقال له العفو يا سيدي والله ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا واخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوجه ابنته الى ان قال له وقد جئت بها الى البصرة * فقال له والله لولا اني اخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الاصيلة من بعدك ولو كنت انفق عليها خزائن الاموال * لانها لا تصلح الّا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوص بها خيرا * ثم انه انعم على الجوهري ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات * وبعد ذلك توفي الى رحمة الله تعالى * فخطبها الملك فما رضيت وقالت

ايها الملك انا ما وجدت في طائفتي امرأة تزوجت بعد بعلها * فانا لا اتزوج احدا بعد بعلي فلا اتزوجك ولو كنت تقتلني * فارسل يقول لها هل تطلبين التوجه الى بلادك * فقالت اذا فعلت خيرا تجازى به فجمع لها جميع اموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامه * ثم ارسل معها وزيرا من وزرائه مشهورا بالخير والصلاح * وارسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى اوصلها الى ابيها * واقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع * واذا كانت هذه المرأة ما رضيت ان تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تستوي بمن تبدله في حال حيوته بغلام مجهول الاصل والنسب وخصوصا اذا كان ذلك في السفاح * وعلى غير طريق سنة النكاح * ومن ظن ان النساء كلهن سواء فان داء جنونه ليس له دواء * فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يوما من الايام فرأى خراج جميع البلاد والاقطار جاء الى بيت المال الّا خراج البصرة فانه لم يأت في ذلك العام فنصب ديوانا لهذا السبب * وقال عليّ بالوزير جعفر فحضر بين يديه * فقال له ان خراج جميع الاقطار جاء الى بيت المال الّا خراج البصرة فانه لم يأت منه شيء * فقال يا امير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له امر الهاه عن ارسال الخراج * فقال له

ان مدة حضور الخراج عشرون يوما فما عذره في هذه المدة حتى لم يرسل الخراج اويرسل باقامة العذر * فقال له يا امير المؤمنين ان شئت ارسلنا اليه مرسالا * فقال ارسل له ابا اسحق الموصلي النديم فقال سمعا وطاعة لله ولك يا امير المؤمنين * ثم ان الوزير جعفر نزل الى داره واحضر ابا اسحق الموصلي النديم وكتب له خطا شريفا وقال له امض الى عبدالله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي الهاه عن ارسال الخراج * ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأتني به سريعا * فان الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجده قد وصل الا خراج البصرة * وان رأيت الخراج غير حاضر واعتذر اليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه * فاجاب بالسمع والطاعة واخذ خمسة ألاف فارس من عسكره وسافر حتى وصل الى مدينة البصرة * فعلم بقدومه عبدالله بن فاضل فخرج بعسكره اليه ولاقاه * ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا فى الخيام خارج البصرة * وقد عين لهم ابن فاضل جميع مايحتاجون اليه * ولما دخل ابو اسحق الديوان وجلس على الكرسي اجلس عبدالله بن فاضل بجانبه وجلس الاكابر حوله على قدر مراتبهم * ثم بعد السلام قال له ابن فاضل يا سيدي هل لقدومك علينا من سبب قال نعم * انما جئت لطلب الخراج فان الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت * فقال يا سيدي يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فان الخراج حاضر بالتمام والكمال *

وقد كنت عازما على ان ارسله في غد * ولكن حيث اتيت فانا اسلمه اليك بعد ضيافتك ثلثة ايام * وفي اليوم الرابع احضر الخراج بين يديك * ولكن وجب علينا الآن اننا نقدم اليك هدية من بعض خيرك وخير امير المؤمنين * فقال له لا بأس بذلك * ثم انه فض الديوان ودخل به قصرا في داره ليس له نظير * ثم قدم له ولا صحابه سفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا * ثم رفعت المائدة وغسلت الايادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة الى ثلث الليل * ثم فرشوا له سريرا من العاج * مرصعا بالذهب الوهاج * فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر على ابي اسحق رسول امير المؤمنين * وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لانه من خواص ندماء الخليفة * وكان له باع عظيم في الاشعار ولطائف الاخبار * ولم يزل سهرانا في انشاء الشعر الى نصف الليل * فبينما هو كذلك واذا بعبد الله بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولابا واخذ منه سوطا واخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن ان ابا اسحق نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن ان ابا اسحق النديم نائم * فلما

خرج تعجب ابو اسحق و قال في نفسه الى اين يذهب عبدالله بن فاضل بهذا السوط فلعل مراده ان يعذب احدا * ولكن لا بدلي من ان اتبعه و انظر ما يصنع في هذه الليلة * ثم ان ابا اسحق قام وخرج و راءه قليلا قليلا بحيث انه لم يره * فرأى عبد الله فتح خزانة واخرج منها مائدة فيها اربعة اصحن من الطعام وخبزا و قلة فيها ماء * ثم انه حمل المائدة و القلة و مشى فتبعه ابو اسحق مستخفيا الى ان دخل قاعة * فوقف ابو اسحق خلف باب القاعة من داخل و صار ينظر من خلال ذلك الباب * فرأى هذه القاعة واسعة و مفروشة فرشا فاخرا * و في وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج * و ذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب * ثم انه رأى عبد الله حط المائدة على جانب في مكان و شمر عن اياديه و فك الكلب الاول * فصار يتلوى في يده و يضع و جهه في الارض كأنه يقبل الارض بين يديه و يعوي عيا خفيفا بصوت ضعيف * ثم انه كتفه و رماه على الارض وسحب السوط و نزل به عليه وضربه ضربا و جيعا من غير شفقة و هو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصا * ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الانين و غاب عن الوجود * ثم انه اخذه و ربطه في مكانه * و بعد ذلك اخذ الكلب الثاني و فعل به كما فعل با لاول * ثم انه اخرج محرمة و صار يمسح لهما دموعهما و يأخذ بخاطرهما و يقول لاتؤاخذاني و الله ما هذا بخاطري ولم يسهل علي * ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجا و مخرجا و يدعو لهما * و حصل كل هذا وابو اسحق النديم

واقف يسمع باذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة * ثم انه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما انواهما * وحمل الفلة وسقا هما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة واراد ان يخرج فسبقه ابو اسحق وجاء الى سريره ونام * ولم يره ولم يعرف انه تبعه واطلع عليه * ثم ان عبد الله وضع السفرة والفلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوائجه ونام * هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر ابي اسحق فانه بات بقية تلك الليلة يفكر في شأن هذا الامر ولم يأته نوم من كثرة العجب * وصار يقول في نفسه يا ترى ما سبب هذه القضيه ولم يزل يتعجب الى الصباح * ثم قاموا وصلوا الصبح واحط لهم الفطور فاكلوا وشربوا القهوة وطلعوا الى الديوان * واشتغل ابو اسحق بهذه الفكرة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها * وثاني ليلة فعل بالكلبين كذلك فضربهما ثم صالحهما واطعمهما وسقاهما وتبعه ابو اسحق فراه فعل بهما كاول ليلة وكذلك ثالث ليلة * ثم انه احضر الخراج الى ابي اسحق النديم في رابع يوم واخذه وسافر ولم يبد له شيأ * ولم يزل مسافرا حتى وصل الى بغداد وسلم الخراج الى الخليفة * ثم ان الخليفة سأله عن سبب تاخير الخراج * فقال له يا امير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج واراد ارساله ولو تأخرت يوما لقابلني في الطريق * لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجبا عمري ما رأيت مثله يا امير المؤمنين * فقال الخليفة وما هو يا ابا اسحق قال رأيت

ما هو كذا وكذا و اخبره بما فعله مع الكلبين * و قال له رأيته ثلث ليال متواليات و هو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما و يطعمهما ويسقيهما وانا انفرج عليه بحيث لا يراني * فقال له الخليفة فهل سالته عن السبب فقال له لا وحيوة رأسك يا امير المؤمنين * فقال الخليفة يا ابا اسحق امرتك ان ترجع الى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل و بالكلبين * فقال يا امير المؤمنين دعني من هذا فان عبد الله بن فاضل اكرمني اكراما زائدا * وقد طلعت على هذه الحالة اتفاقا من غير قصد فاخبرتك بها فكيف ارجع اليه واجيء به * فان رجعت اليه لا القى لي وجها حياء منه فاللائق ارسال غيري اليه بخطيدك فيأتيك به و بالكلبين * فقال له ان ارسلت له غيرك ربما ينكر هذا الامر و يقول ما عندي كلاب * واما اذا ارسلتك انت وقلت له اني رأيتك بعيني فانه لا يقدر على انكار ذلك فلابد من ذهابك اليه واتيانك به و بالكلبين * والّا فلا بد من قتلك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد قال لابي اسحق لا بد من ذهابك اليه واتيانك به و بالكلبين والّا فلابد من قتلك * فقال له ابو اسحق سمعا وطاعة يا امير المؤمنين وحسبنا الله و نعم الوكيل * و صدق من قال أفة الانسان من اللسان فانا الجاني على نفسي حيث اخبرتك * ولكن اكتب لي

خطا شريفا وانا اذهب اليه و آتيك به * فكتب له خطا شريفا
و توجه بـه الى البصرة * فلما دخل على عامل البصرة قال له
كفانا الله شر رجوعك يا ابا اسحق فمالي اراك رجعت سريعا
لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة * فقال يا امير عبد الله ليس
رجوعي من اجل نقص الخراج فانه كامل و قبله الخليفة * و لكن
ارجو منك عدم المؤاخذة فاني اخطأت في حقك و هذا الذي
و قع مني مقدر من الله تعالى * فقال له و ما و قـع منك يا
ابا اسحق اخبرني فانك حبيبي و انا لا اؤاخذك * فقال له اعلم
اني لما كنت عندك انبعتك ثلث ليال متواليات و انت تقوم
كل ليلـة في نصف الليل و تعذب الكلاب و ترجع فتعجبت من
ذلك و استحيت ان اسألك عنه * ثم اني اخبرت الخليفة بخبرك
اتفاقا من غير قصد فالزمني بالرجوع اليك و هذا خط يده *
و لو كنت اعلم ان الامر يحوج الي ذلك ما كنت اخبرته و لكن
جرى القدر بذلك و صار يعتذر اليه * فقال له حيث اخبرتـه
فانا اصدق خبرك عنده لئـلا يظن بك الكذب فانك حبيبي
و لوا خبر غيرك كنت انكرت ذلك و كذبته * فها انا اروح معك
و آخذ الكلبين معي و لو كان في ذلك تلف نفسي و انقضاء اجلي *
فقال له الله يسترك كما سترت و جهي عند الخليفة * ثم انـه
اخذ هدية تليق بالخليفـة و اخذ الكلبين في جنازير من
الذهب * و حمل كل كلب على جمل و سافروا الى ان وصلوا
الى بغداد و دخل على الخليفة فقبل الارض بين يديه فاذن له
بالجلوس فجلس واحضر الكلبين بين يديه * فقال الخليفة ما هذان
الكلبان يا امير عبد الله فصار الكلبان يقبلان الارض بين يديـه

و يحركان اذنا بها و يبكيان كانهما يشكوان اليه * فتعجب الخليفة من ذلك و قال له اخبرني بخبر هذين الكلبين و ما سبب ضربك لهما و اكرامها بعد الضرب * فقال له يا خليفة الله ما هذان كلبان و انما هما رجلان شابان ذوا حسن و جمال و قد و اعتدال و هما اخواي و ولدا امي و ابي * فقال الخليفة و كيف كانا آدميين و صارا كلبين قال ان اذنت لي يا امير المؤمنين اخبرك بحقيقة الخبر * فقال اخبرني و اياك و الكذب فانه صفة اهل النفاق و عليك بالصدق فانه سفينة النجاة وسيمة الصالحين * فقال له اعلم يا خليفة الله اني اذا اخبرتك بخبر هما يكونان هما الشاهد ان عليّ * فان كذبت يكذباني وان صدقت يصدقاني * فقال له هذان من الكلاب لايقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك او عليك * فقال لهما يا اخواي اذا انا تكلمت كلاما كذبا فارفعا روسكما و حملقا اعينكما * واذا تكلمت صدقا فنكسا روسكما و غصا اعينكما * ثم انه قال اعلم يا خليفة الله انا نحن ثلثة اخوة امنا واحدة و ابونا واحد وكان اسم ابينا فاضل و ماسمي بهذا الاسم الّا لكون ام ابيه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد فمات احدهما من وقته و ساعته و فضل الثاني فسماه ابوه فاضلا * ثم رباه واحسن تربيته الى ان كبر فزوجه امنا و مات فوضعت اخي هذا اولا فسماه منصورا و حملت ثاني مرة و وضعت اخي هذا فسماه ناصرا * و حملت ثالث مرة و وضعتني فسماني عبد الله وربانا حتى كبرنا و بلغنا مبلغ الرجال فمات * و خلف لنا بيتا و دكانا ملآنا قماشاملونا من سائر انواع القماش الهندي والرومي و الخراساني و غير ذلك * و خلف لناستين الف دينار

فلما مات ابونا غسلناه و عملنا له مشهـــدا عظيماله و دفناه لرحمة مولاه * و عملنا له عتاقة و ختمات و تصدقنا عليـه الى تمام الاربعين يوما * ثم اني بعد ذلك جمعت التجار و اشراف الناس و عملت لهم يوما عظيما * و بعد ما اكلوا قلت لهم يا تجار ان الدنيا فانية و الآخرة باقية و سبحان الدائم بعد فناء خلقه * هل تعلمون لأي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي * قالوا سبحان اللـــه علام الغيوب فقلت لهم ان ابي مات عن جملة من المال و انا خائف ان يكون عليه تبعة لاحـــد من دين او رهن اوغير ذلك * و مرادي خلاص ذمة ابي من حقوق الناس فمن كان له عليه شيء فليقـــل ان لي عليه كذا وكذا و انا اورده له لاجل براءة ذمة ابي * فقال لي التجار يا عبد الله ان الدنيا لا تغنـــي عن الآخرة ولسنا اصحاب باطل و كل منا يعرف الحلال من الحرام و نخاف من اللـــه تعالى و نجتنب اكل مال اليتم و نعلم ان اباك رحمة الله عليه كان دائما يبقي ما له عند الناس و لا يخلي في ذمته شيأ الى احد * و نحن دائما نسمعه و هو يقول انا خائف من متاع الناس * و دائما كان يقول فى دعائه الهي انت ثقتي و رجائي فلا تمتني و عليّ دين * وكان من جملة طباعه انه اذا كان لاحد عليه شيء فانه يدفعه له من غير مطالبة * و اذا كان له على احد شيء فانه لا يطالبه و يقول له على مهلك * و ان كان فقيرا يسامحه و يبرئ ذمته * و ان لم يكن فقيرا و مات يقول سامحه الله مما لي عنده * و نحن كلنا نشهد انه ليس لاحد عنده شيء فقلت بارك اللـه فيكم * ثم اني التفت الى اخويّ هذين و قلت لهما يا اخويّ ان

ابانا ليس عليه لاحد شيء وقد خلف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان * ونحن ثلثة اخوة كل منا يستحق ثُلُث هذا الشيء فهل نتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركا بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء * او نقسم القماش والاموال ويأخذ كل واحد منا حصته * فقالا نقسم ويأخذ كل واحد منا حصته * ثم التفت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا اخويّ فنكسا روسهما وغضا عيونهما كأنهما قالا نعم * ثم انه قال فاحضرت قساما من طرف القاضي يا امير المومنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفه لنا ابونا * وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الاموال ورضينا بذلك * وصار البيت والدكان في قسمي وهما اخذا قسمهما مالا وقماشا * ثم اني فتحت الدكان وحطيت فيه القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصني زيادة على البيت والدكان قماشا حتى ملأت الدكان وقعدت ابيع واشتري * واما اخواي فانهما اشتريا قماشا واكتريا مركبا وسافرا فى البحر الى بلاد الناس * فقلت الله يساعدهما وانا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة * ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله عليّ وصرت اكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلفه لنا ابونا * فاتفق لي يوما من الايام انني كنت جالسا فى الدكان وعليّ فروتان احدهما سمور والاخرى سنجاب لان ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في اوان اشتداد البرد * فبينما انا كذلك واذا باخويّ قد اقبلا عليّ وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة وشفاههما بيض من البرد وهما ينتفضان * فلما رأيتهما

عسر عليّ ذلك و حزنت عليهما و ادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة * فلما رأيتهما ينتفضان عسر عليّ ذلك و حزنت عليهما وطار عقلي من رأسي * فقمت اليهما واعتنقتهما و بكيت على حالهما و خلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب * وادخلتهما الحمام وارسلت الى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر الفي * وبعدما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته * ثم اخذتهما الى البيت فرأيتهما في غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الاطعمة فاكلا واكلت معهما ولاطفتهما واخذت بخاطرهما * ثم التفت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا اخويّ فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما * ثم انه قال يا خليفة الله * ثم اني سألتهما وقلت لهما كيف جرى لكما واين اموالكما * فقالا سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة * وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين دينارا * وكسبنا مكاسبا عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة اربعين دينارا * ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا اموال كثيرة وجعلوا يذكرون لي البلاد والمكاسب * فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرح والخير فما لي اراكما رجعتما عريانين * فتنهدا وقالا يا اخانا ما حل بنا

الّا عين صائبة والسفر ماله امان * فلما جمعنا تلك الاموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه الى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلثة ايام * وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وارغى وازبد وتحرك وهاج وتلاطم بالامواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار * واختلفت علينا الارياح والتطمت بنا المركب في سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنا في البحر وصرنا نخبط على وجه الماء يوما وليلة * فارسل الله لنا مركبا اخرى فاخذتنا ركابها وصرنا من بلاد الى بلاد * ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم * وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة * وما وصلنا الى البصرة حتى شربنا الف حسرة * ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا اتينا باموال تضاهي اموال الملك * ولكن هذا مقدر من الله علينا فقلت لهما يا اخوي لا تحملا همّا فان المال فدى الابدان والسلامة غنيمة * وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى وما الفقر والغنى الّا كطيف خيال ولله در من قال

إِذَا سَلِمَتْ هَامُ الرِّجَالِ مِنَ الرَّدَى ... فَمَا الْمَالُ الّا مِثْلُ قَصِّ الْاَظَافِرِ

ثم قلت لهما يا اخويّ نحن نقدّر ان ابانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي وقد طابت نفسي على اننا نقسمه بيننا بالسوية * ثم احضرت قسّاما من طرف القاضي واحضرت له جميع مالي فقسمه بيننا واخذ كل منا ثُلُث المال * فقلت لهما يا اخويّ بارك الله للانسان في رزقه اذا كان في بلده * فكل واحد منكما يفتح له دكانا ويقعد فيه لتعاطى

الاسباب و الذي له شيءٌ في الغيب لا بد ان يحصله * ثم سعيت
لكل واحد منهما في فتح دكان و ملأته له بالبضائع * و قلت لهما
بيعا و اشتريا و احفظا اموالكما ولا تصرفا منها شيأً * و جميع ما يلزم
لكما من اكل و شــرب و غير هما يكون من عندي * ثم قمت
باكرامهما و صارا يبيعان ويشتر يا ن في النهار ٭ وعند المساء يبيتان
في بيتي ولم ادعهما يصرفان شيأً من اموالهمـــا * و كلما جلست
معهما للحديث يمدحان الغربة و يذكران محاسنهـــا و يصفان
ما حصل لهما فيها من المكا سب و يغريانني على ان اوا فقهمـــا
على التغرب في بلاد الناس * ثم قال للكلبين هل جرى ذلك يا
اخويّ فنكسا روؤسهما و غضا عيو نهما تصديقا له * ثم قال يا خليفة
الله فمازالا يرغبانني و يذكران لي كثرة الربح والمكاسب في الغربة
و يأمرانني بالسفر معهما حتى قلت لهما لا بد ان اسافر معكما من
اجل خاطر كما * ثم اني عقدت الشركة بيني و بينهما وحملنا قماشا
من سائر الا صناف النفيسة واكترينا مركبا و شحناها با لبضـــائع
من انواع المتاجر ونزلنا في تلك المركب جميع ما نحتاج اليه *
ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج المتلاطم با لامواج
الذي الداخل فيه مفقود و الخارج منه مولود * و لا زلنا مسافرين
حتى طلعنا الى مدينة من المدائن فبعنا و اشترينا و ظهر لنا
كثرة المكسب * ثم رحلنا منها الى غيرها * ولم نزل نرحل من بلد
الى بلد و من مدينة الى مدينــة ونحن نبيع و نشتري و نربح
حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم * ثم اننا وصلنا الى جبل
فالقى الريس المرساة * و قال لنا يا ركاب اطلعوا الى البر تنجوا
من هذا اليوم و فتشوا فيه لعلكم تجدوا ماء فخرج جميع من

في المركب وخرجت انا بجملتهم و صرنا نفتش على الماء و توجه كل منا في جهة وصعدت انا على اعلى الجبل * فبينما انا سائر اذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة وورا ها ثعبان اسود يسعى خلفها وهو مشوّه الخلقة هائل المنظر * ثم ان الثعبان لحقها و ضايقها و مسكها من رأسها و لف ذيله على ذيلها فصاحت فعرفت انه مفتر عليها * فاخذ تني الشفقة عليها و تناولت حجرا من الصوان قدر خمسة ارطال او اكثر و ضربت به الثعبان فجاء في راسه فدقّها * فما اشعر الّاو تلك الحية انقلبت و صارت بنتا شابة ذات حسن وجمال و بهاء وكمال و قد و اعتدال كأنها البدر المنير فاقبلت عليّ و قبلت يدي * ثم قالت لي سترك الله بسترين ستر من العار فى الدنيا وستر من النار فى الآخرة يوم الموقف العظيم يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ اِلّا مَنْ اَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * ثم قالت يا انسي انت قد سترت عرضي و صارلك عليّ الجميل و وجب عليّ جزاؤك * ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت و نزلت فيها * ثم انطبقت عليها الارض فعرفت انها من الجن * واما الثعبان فان النار قادت فيه و احرقته و صار رمادا فتعجبت من ذلك * ثم انّي رجعت الى اصحابي واخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة * وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع و طوى الاطراف * ثم سافرنا حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوما ولم نر برّا ولا طيرا وفرغ ماؤنا * فقال الريس يا ناس ان الماء الحلو قد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء * فقال والله اني تهت عن الطريق ولااعرف طريقا يؤديني الى جهة البر * فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى ان يهدينا الى الطريق * ثم بتنا تلك الليلة في اسوء حال ولله درّ من قال

وَكَمْ لَيْلَـــةٍ بِتُّ فِي كُرْبَـــةٍ   يَكَادُ الرَّضِيعُ لَهَـــا اَنْ يَشِيبْ
فَمَـــا اَصْبَحَ الصُّبْحُ اِلَّا اَتَى   نَصْرٌ مِنَ اللَّـــهِ فَتْحٌ قَرِيبْ

فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأينا جبلا عاليا * فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به * ثم انا وصلنا الى ذلك الجبل فقال الريس يا ناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقه بسبب قلة وجود الماء * ثم اني صعدت على اعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة او اكثر * فناديت اصحابي فاقبلوا عليّ فلما اتوا قلت لهم انظروا الى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل * فاني ارى فيها مدينة عالية البينان مشيدة الاركان ذات اسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لاتخلو من الماء والخيرات * فسيروا بنا نمضي الى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشتري ما نحتاج اليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع * فقالوا نخاف ان يكون اهل هذه المدينة كفارا مشركين اعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون اسرى تحت ايديهم * او يقتلونا ونكون قد تسبّبنا في قتل انفسنا حيث اوقعنا انفسنا في الهلاك وسوء الارتباك * والمغرور غير مشكور لانه على خطر من الاسواء كما قال فيه بعض الشعراء

مَادَامَتِ الْاَرْضُ اَرْضًا وَالسَّمَاءُ سَمَا   لَيْسَ الْمُغَرِّرُ بِمَحْمُودٍ وَاِنْ سَلِمَا

فنحن لا نغرّ بانفسنا فقلت لهم يا ناس لا حكم لي عليكم ولكن آخذ اخوتي واتوجه الى هذه المدينة * فقال لي اخواي نحن نخاف من هذا الامر ولا نروح معك * فقلت اما انا فقد عزمت على الذهاب

الى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدر الله عليّ * فانتظراني حتى اذهب اليهما وارجع اليكما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله قال فانتظرا في حتى اذهب اليها وارجع اليكما * ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت الى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة اسوارها عالية وابراجها محصنة وقصورها شاهقة وابوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول * فلما دخلت من الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الاصفر * وفي تلك السلسلة اربعة عشر مفتاحا فعرفت ان ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها اربعة عشر بابا * ثم اني دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد عليّ السلام فسلمت عليه ثانيا وثالثا فلم يرد عليّ الجواب * فوضعت يدي على كتفه وقلت له يا هذا لاي شيءٍ لم ترد السلام * هل انت نائم او اصم او غير مسلم حتى تمنع رد السلام فلم يجبني ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجرا * فقلت ان هذا شيءٌ عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق * ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلا واقفا فى الطريق فدنوت منه وتأملته فرأيته حجرا * ثم اني لم ازل ماشيا في شوارع تلك المدينة وكلما رأيت انسانا ادنو منه واتأمله فاجده حجرا * وقابلت امرأة عجوزا على رأسها عقدة ثياب مهيئة للغسيل

فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر * ثم اني دخلت السوق فرأيت زياتا مبؤانه منصوبة وقدامه اصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر * ثم اني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين * وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت رجالا ونساء وصبيانا وكل ذلك من الحجر * ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالسا في دكانه والدكان ممتلئة بانواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الاقمشة كنسيج العنكبوت فصرت اتفرج عليها * وكلما مسكت ثوبا من القماش يصير بين يدي هباء منثورا * ورأيت صناديق ففتحت واحدا فوجدت فيه ذهبا في اكياس فمسكت الاكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله * فحملت منه على قدر ما اطيقه وصرت اقول في نفسي لو حضر اخواي معي لاخذا من هذا الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التي لا اصحاب لها * وبعد ذلك دخلت دكان اخر فرأيت فيه اكثر من ذلك ولكن ما بقيت اقدر ان احمل غير ما حملت * ثم اني خرجت من ذلك السوق الى سوق اخر * ثم منه الى سوق اخر وهكذا ولا زلت اتفرج على مخلوقات مختلفة الاشكال وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة * ثم اني دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالا جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في ايديهم وبعضها في اقفاص * فلما رأيت ذلك يا امير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب * وحملت من المصاغ ما اطيق حمله * وخرجت من سوق الصاغة الى سوق الجواهر فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام

كل واحد منهم قفص ملآن بانواع المعادن كاليا قوت و الالماس و الزمرد و البلخش وغير ذلك من سائر الاصناف واصحاب الدكاكين احجار * فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما اطيق حمله وبقيت اتندم حيث لم يكن اخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما اراداه * ثم اني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين باحسن زينة * ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدام وجند و اعوان و عساكر وحكام وهم لابسون افخر الملابس وكلهم احجار * فلمست واحدا منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسج العنكبوت * ثم اني مشيت في ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير في بنائها واحكام صنائعها * ورأيت في تلك السراية ديوانا مشحونا بالاكابر و الوزراء والاعيان والامراء وهم جالسون على كراسي وكلهم احجار * ثم اني رأيت كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر و الجوهر و جالس فوقه ادمي عليه افخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار * فلما وصلت اليه رأيته من الحجر * ثم اني توجهت من ذلك الديوان الى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديوانا من النساء * ورأيت في ذلك الديوان كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر * وجالس فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر * وحولها نساء مثل الاقمار جالسات على كراسي ولابسات افخر الملابس الملونة بسائر الالوان * وواقف هناك طواشية ايديهم على صدورهم كأنهم واقفون من اجل الخدمة * وذلك الديوان يدهش عقول

الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش * ومعلق فيه ابهج التعاليق من البلور الصافي * وفي كل نذرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال * فرميت ما معي يا امير المؤمنين وصرت اخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما اطيق وبقيت متحيرا فيما احمله وفيما اتركه لاني رأيت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن * ثم اني رأيت بابا صغيرا مفتوحا وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت اربعين سلما * فسمعت انسانا يتلو القرأن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت الى باب القصر * فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد * والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم * والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهرلي باب قصر مزخرف يحير الافكار * فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصرا كأنه كنز على وجه الدنيا * ومن داخله بنت كأنها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهي لابسة افخر الملابس ومتحلية بانفس ما يكون من الجواهر * مع انها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال * وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفى العليل واجفان ذات اعتلال * كأنها المرادة بقول من قال

سَلَامٌ عَلَى مَافِي الثِّيَابِ مِنَ القَدِّ ... وَمَا فِي بَسَاتِينِ الخُدُودِ مِنَ الوَرْدِ
كَأَنَّ الثُرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهَا ... وَبَاقِي نُجُومِ اللَّيْلِ فِي الصَّدْرِ كَالعِقْدِ
فَلَوْ لَبِسَتْ ثَوْبًا مِنَ الوَرْدِ خَالِصًا ... لَأَدْمَى مُجَانِي جِسْمِهَا وَرَقُ الوَرْدِ
وَلَوْ تَفَلَتْ فِي البَحْرِ وَالبَحْرُ مَالِحٌ ... لَأَصْبَحَ طَعْمُ البَحْرِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ

وَلَوْ وَاصَلَتْ شَيْخًا كَبِيرًا عَلَى عَصًا   لَأَصْبَحَ ذَاكَ الشَّيْخُ مُفْتَرِسَ الْأُسْدِ

ثم انه قال يا امير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بهـا حبا وتقدمت اليها * فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلو كتاب الله عز وجل حفظا على ظهر قلبها * وصوتها كأنه صرير ابواب الجنان اذا فتحها رضوان * والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر * ووجهها ببديع المحاسن زاه وزاهر * كما قال في مثلها الشاعر

يَا مُطْرِبًا بِلُغَاتِهِ وَصِفَاتِهِ   قَدْ زَادَ فِيكَ تَشَوُّقِي وَتَشَوُّفِي
شَيْآنِ فِيكَ تُذِيبُ أَرْبَابَ الْهَوَى   نَغَمَاتُ دَاوُدٍ وَصُورَةُ يُوسُفِ

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم * وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ تلجلجت في الكلام * ولم احسن السلام واندهش مني العقل والناظر * وصرت كما قال الشاعر

مَا هَزَّنِي الشَّوْقُ حَتَّى نُهْتُ عَنْ كَلِمِي   وَلَا دَخَلْتُ الْحِمَى إِلَّا لِسَفْكِ دَمِي
وَلَا سَمِعْتُ كَلَامًا مِنْ عَوَاذِلِنَا   إِلَّا لِأُشْهِدَ مَنْ أَهْوَاهُ فِي الْكَلِمِ

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك * ايتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة ادام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك * فقالت وعليك مني السلام والتحية والاكرام يا عبد الله يا بن فاضل اهلا وسهلا ومرحبا بك يا حبيبي وقرة عيني * فقلت لها يا سيدتي من اين علمت اسمي ومن تكوني انت وما شأن اهل هذه المدينة حتى صاروا احجارا * فمرادي ان تخبريني بحقيقة الامر فاني تعجبت من هذه المدينة ومن اهلها ومن كونها لم يوجد فيها احد الا انت * فبالله عليك ان تخبريني بحقيقة

ذلك على وجه الصدق * فقالت لي اجلس يا عبد لله وانا ان شاء الله تعالى احدثك و اخبرك بحقيقة امري و بحقيقة امر هذه المدينة واهلها على التفصيل * و لا حول ولا قوة الّا با لله العلي العظيم فجلست الى جانبها * فقالت لي اعلم يا عبد الله يرحمك الله انني بنت ملك هذه المدينة ووالدي هو الذي رأيته جالسا في الديوان على الكرسي العالي * والذي حوله اكابر دولته واعيان مملكته وكان ابي ذا بطش شديد و يحكم على الف الف و مائة الف و عشرين الف جندي * و عدة امراء دولته اربعة و عشرون الفا كلهم حكام واصحاب مناصب * وتحت طاعته من المدن الف مدينة غير البلدان و الضياع والحصون والقلاع و القرى * و امراء العربان الذين تحت يده الف امير كل امير يحكم على عشرين الف فارس * و عنده من الاموال والذخائر و المعادن و الجواهر ما لا عين رأت ولا اذن سمعت و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت ملك مدينة الاحجار قالت يا عبد الله ان ابي كان عنده من الاموال والذخائر ما لا عين رأت ولا اذن سمعت * وكان يقهر الملوك و يبيد الابطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان * وتخشاه الجبابرة وتخضع له الاكاسرة * ومع ذلك كان كافرا مشركا بالله يعبد الصنم دون مولاه * وجميع عساكره كفار يعبدون الاصنام دون الملك العلام * فاتفق انه كان يوما من الايام جالسا على كرسي مملكته وحوله اكابر دولته * فلم يشعر الّا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه * فنظر

اليه ابي فرآه لابساحلة خضراء و هو طويل القامة و اياديه نازلة الى تحت ركبتيه * و عليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه * فقال لابي يا باغي يا مفتري الى متى وانت مغرور بعبادة الاصنام * و تترك عبادة الملك العلام * قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله * واسلم انت وقومك ودع عنك عبادة الاصنام فانها لا تنفع ولا تشفع * ولا يعبد بحق الا الله رافع السموات بغير عماد * وباسط الارضين رحمة للعباد * فقال له من انت ايها الرجل الجاحد لعبادة الاصنام حتى تتكلم بهذا الكلام * اما تخشى ان تغضب عليك الاصنام فقال له ان الاصنام احجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني رضاها فاحضرلي صنمك الذي انت تعبده وأمر كل واحد من قومك ان يحضر صنمه * فاذا حضر جميع اصنامكم فادعوهم ليغضبوا علي * وانا ادعو ربي ان يغضب عليهم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق * فان اصنامكم قد صنعتموها انتم وتلبست بها الشياطين * وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الاصنام * فاصنامكم مصنوعة والهي صانع ولا يعجزه شيء * فان ظهر لكم الحق فاتبعوه * وان ظهر لكم الباطل فاتركوه * فقالوا له ائتنا ببرهان ربك حتى نراه * فقال ائتوني ببراهين اربابكم فأمر الملك كل من كان يعبد ربا من الاصنام ان يأتي به * فاحضر جميع العساكر اصنامهم فى الديوان * هذا ما كان من امرهم * واما ما كان من امري فاني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان ابي * وكان لي صنم من زمردة خضراء جسمه قدر جسم ابن ادم فطلبه ابي فارسلته اليه فى الديوان فوضعوه في جانب صنم ابي * وكان صنم ابي من الياقوت و صنم الوزير من جوهر

الا لماس * واما اكابر العساكر والرعية فبعض اصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها من المرجان وبعضها من العود القملري وبعضها من الآبنوس وبعضها من الفضة وبعضها من الذهب * وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه * واما رعاع العساكر والرعية فبعض اصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين * وكل الاصنام مختلفة الالوان ما بين اصفر واحمر واخضر واسود وابيض * ثم قال ذلك الشخص لابي ادع صنمك وهؤلاء الاصنام تغضب عليّ * فصفوا تلك الاصنام ديوانا وجعلوا صنم ابي على كرسي من الذهب وصنمي الى جانبه في الصدر * ثم رتبوا الاصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده * وقام ابي وسجد لصنمه وقال له يا الهي انت الرب الكريم وليس في الاصنام اكبر منك وانت تعلم ان هذا الشخص اتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزءا بك * ويزعم ان له الها اقوى منك ويأمرنا ان نترك عبادتك ونعبد الهه فاغضب عليه يا الهي * وصار يطلب من الصنم والصنم لا يرد عليه جوابا ولا يخاطبه بخطاب * فقال له يا الهي ما هذه عادتك لانك كنت تكلمني اذا كلمتك فما لي اراك ساكنا لا تتكلم * هل انت غافل او نائم فانتبه وانصرني وكلمني * ثم هزه بيده فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه * فقال ذلك الشخص لابي ما لي ارى صنمك لا يتكلم قال له اظن انه غافل او نائم * فقال له يا عدو الله كيف تعبد الها لا ينطق وليس له قدرة على شيء * ولا نعبد الهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام * ولا تدركه الاوهام يرى ولا يرى وهو على كل شيء قدير * والهك عاجز لا يقدر

على دفع الضرر عن نفسه وقد كان متلبسا به شيطان رجيم يضلك ويغويك * وقد ذهب الان شيطانه فاعبد الله واشهد انه لا اله الّا هو ولا معبود سواه وانه لا يستحق العبادة غيره ولا خير الّا خيره * واما الهك هذا فانه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه * ثم تقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الارض * فغضب الملك وقال للحاضرين ان هذا الجاحد قد صك الهي فاقتلوه * فارادوا القيام ليضربوه فلم يقدر احد منهم ان يقوم من مكانه * فعرض عليهم الاسلام فلم يسلموا * فقال اريكم غضب ربي فقالوا ارنا فبسط يديه وقال الهي وسيدي انت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خيرك ويعبدون غيرك * يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار اسألك ان تقلب هؤلاء القوم احجارا * فانك قادر ولا يعجزك شيء وانت على كل شيء قدير * فمسخ الله اهل هذه المدينة احجارا * واما انا فاني حين رأيت برهانه اسلمت وجهي لله فسلمت مما اصابهم * ثم ان ذلك الشخص دنا مني وقال سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك ارادة * وصار يعلمني واخذت عليه العهد والميثاق * وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلثين عاما * ثم اني قلت له يا سيدي جميع ما في المدينة وجميع اهلها صاروا احجارا بدعوتك الصالحة * وقد نجوت انا حين اسلمت على يديك فانت شيخي فاخبرني باسمك ومدّني بمددك وتصرف لي في شيء اقتات منه * فقال لها اسمي ابو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت واورقت وازهرت واثمرت رمانة

واحدة في الحال * فقال كلي مما رزقك الله تعالى و اعبديه حق عبادته * ثم علمني شروط الاسلام وشروط الصلوة وطريق العبادة * وعلمني تلاوة القران وصارلي ثلثة وعشرون عاما وانا اعبد الله في هذا المكان * وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فاكلها واقتات بها من الوقت الى الوقت * والخضر عليه السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني باسمك وبشرني بانك سوف تأتيني في هذا المكان * وقد قال لي اذا اتاك فاكرميه و اطيعي امره ولا تخالفيه وكوني له اهلا ويكون لك بعلا و اذهبي معه حيث شاء * فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة واهلها و السلام * ثم انها ارتني شجرة الرمان وفيها رمانة فاكلت نصفها واطعمتني نصفها فما رأيت احلى ولا ازكى ولا اطعم من تلك الرمانة * ثم قلت لها هل رضيت بما امرك به شيخك الخضر عليه السلام بان تكوني لي اهلا واكون لك بعلا وتذهبي معي الى بلادي وامكث بك في مدينة البصرة * فقالت نعم ان شاء الله تعالى فاني سميعة لقولك مطيعة لامرك من غير خلاف * ثم اني اخذت عليها العهد الوثيق وادخلتني الى خزانة ابيها واخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله * وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا الى اخوي فرأيتهما يفتشان عليّ * فقالا لي اين كنت فانك ابطأت علينا وقلبنا مشغول بك * وامّا ريس المركب فانه قال لي يا تاجر عبد الله ان الريح طاب لنا من مدة وانت عوقتنا عن السفر * فقلت له لا ضرر في ذلك ولعل التاخير خير لان غيابي لم يكن فيه غير الاصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الامال ولله در من قال

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيـنِي

أَٱلْخَيْرُ ٱلَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ   أَمِ ٱلشَّرُّ ٱلَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم قلت لهم انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة * و فرجتهم على ما معي من الذخائر واخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر * وقلت لهم لو كنتم اطعتموني ورحتم معي كان يحصل لكم من هذا شيءٌ كثير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما قال لهم ولا خويه لو رحتم معي لحصل لكم من هذا خير كثير قالوا له والله لو رحنا ما كنا نستجري ان ندخل على ملك المدينة * فقلت لا خوي لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعا وهذا نصيبنا * ثم اني قسمت ما معي اقساما على قدر الجميع واعطيت لا خويّ والريس واخذت مثل واحد منهم * واعطيت ما تيسر للخدامين والنواتية ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما اعطيته لهم الاّ اخويّ فانهما تغيرت احوالهما ولاجت عيونهما * فلحظت ان الطمع تمكن منهما فقلت لهما يا اخويّ اظن ان الذي اعطيته لكما لم يقنعكما * ولكن انا اخوكما وانتما اخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيءٌ واحد * واذا مت لا يرثني غيركما وصرت أخذ بخاطرهما * ثم اني انزلت البنت فى الغليون وادخلتها فى الخزانة وارسلت لها شيأ تأكله وتعدت اتحدث انا واخواي * فقالالي يا اخانا ما مرادك ان تفعل بهذه البنت البديعة الجمال * فقلت لهما مرادي ان اكتب كتابي

عليها اذا دخلت البصرة واعمل فرحا عظيما وادخل بها هناك * فقال بعضهما يا اخي اعلم ان هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمرادي ان تعطيها لي فاتزوج بها انا * وقال الثاني وانا الاخر كذلك فاعطها لي لاتزوّج بها * فقلت لهما يا اخويّ انها قد اخذت عليّ عهدا وميثاقا اني اتزوج بها * فاذا اعطيتها لواحد منكما اكون ناقضا للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر * لانها ما اتت معي الّا على شرط اني اتزوج بها فكيف ازوجها لغيري * واما من جهة انكما تحبانها فانا احبها اكثر منكما على انها لُقْطتي وكوني اعطيها لواحد منكما هذا شيء لا يكون ابدا * ولكن اذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة انظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة واخطبهما لكما وادفع المهر من مالي واجعل الفرح واحدا * وندخل نحن الثلثة في ليلة واحدة واعرضا عن هذه البنت فانها من نصيبي فسكتا وقد ظننت انهما رضيا بما قلت لهما * ثم اننا سافرنا متوجهين الى ارض البصرة وصرت ارسل اليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وانا انام بين اخويّ على ظهر الغليون * ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة اربعين يوما حتى بانت لنا مدينة البصرة ففرحنا باقبالنا عليها وانا راكن الى اخويّ ومطمئن بهما * ولا يعلم الغيب الّا الله تعالى فنمت تلك الليلة * فبينما انا مستغرق في النوم لم اشعر الّا وانا محمول بين ايادي اخويّ هذين واحد قابض عليّ من سيقاني * والاخر من يدي لكونهما اتفقا على تغريقي في البحر من شأن تلك البنت * فلما رأيت روحي محمولا بين ايديهما قلت يا اخويّ لأي شيء تفعلان معي هذه الفعال * فقالا يا قليل الادب

كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك في البحر من اجل ذلك ثم رموني فيه * ثم انه التفت الى الكلبين وقال احق ما قلته يا اخويّ ام لا فنكسا رؤسهما * وصارا يعويان كأنهما يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك * ثم قال يا امير المؤمنين فلما رموني في البحر وصلت الى القرار * ثم نفضني الماء على وجه البحر فما اشعر الّا وطائر كبير قدر الآدمي نزل عليّ وخطفني وطار بي في الجو الا علی * ففتحت عيني فرايت روحي في قصر مشيد الاركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الاشكال والالوان * وفيه جوار واقفة واضعة الايادي على الصدور * واذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر * وعليها ملابس لايقدر الانسان ان يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر * وفي وسطها حزام من الجواهر لا يفي بثمنه مال * وعلى رأسها تاج ثلث دورات يحير العقول والافكار ويخطف القلوب والابصار * ثم ان الطير الذي كان خطفني انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة * فامعنت النظر فيها فاذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية * وكان الثعبان يقاتلها ولفّ ذيله على ذيلها وانا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر * فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي لأي شيء جئت هنا بهذا الانسي * فقالت لها يا امي ان هذا هو الذي كان سببا في ستر عرضي بين بنات الجان * ثم قالت لي هل تعرف من انا قلت لا قالت انا التي كنت في الجبل الفلاني * وكان الثعبان الاسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وانت قتلته فقلت انما رأيت مع الثعبان حية بيضاء * فقالت انا التي كنت حية بيضاء ولكنني بنت الملك الاحمر ملك

الجان واسمي سعيدة * وهذه الجالسة هي امي واسمها مباركة زوجة الملك الاحمر * والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الاسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة * واتفق انه لما رآني عشقني ثم انه خطبني من ابي فارسل اليه ابي يقول له وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى تتزوج بنات الملوك * فاغتاظ من ذلك وحلف يمينا انه لا بد ان يفضح عرضي كيدا في ابي * وصار يقفوا اثري ويتبعني اينما رحت ومراده ان يفضح عرضي * وقد وقع بينه وبين ابي حروب عظيمة ومشقات جسيمة ولم يقدر عليه ابي لكونه جبارا مكارا * ثم ان ابي كلما ضايقه واراد ان يظفر به يهرب منه وقد عجز ابي * وصرت انا في كل يوم انقلب اشكالا والوانا * وكلما انقلب في صفة ينقلب هو في صفة ضدها * وكلما هربت الى ارض يشم رائحتي ويلحقني في تلك الارض حتى قاسيت منه مشقة عظيمة * ثم انقلبت في صفة حية وذهبت الى ذلك الجبل * فانقلب هو في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى اتعبني وركب عليّ * وكان مراده ان يفعل بي ما يشتهيه فاتيت انت وضربته بالحجر فقتلته * وانا انقلبت بنتا واريتك روحي وقلت لك انه صار لك عليّ جميل لا يضيع الاّ مع اولاد الزنا * فلما رايت اخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت اليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الاكرام من امي وابي * ثم انها قالت يا امي اكرميه في نظير ما ستر عرضي فقالت مرحبا بك يا انسي فانك فعلت معنا جميلا تستحق عليه الاكرام * وامرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال واعطتني جملة من الجواهر والمعادن *

ثم انها قالت خذوه وادخلوه على الملك فاخذوني وادخلوني على الملك في الديوان * فرأيته جالسا على كرسي وبين يديه المردة والاعوان * فلما رأيته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر * فلما رآني قام على الاقدام وقامت العساكر اجلالا له * ثم حياني ورحب بي واكرمني غاية الاكرام واعطاني مما عنده من الخيرات * وبعد ذلك قال لبعض اتباعه خذوه الى بنتي توصله الى المكان الذي جاءت به منه * فاخذوني وذهبوا بي الى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات * هذا ما كان من امري وامر سعيدة * واما ما كان من امر ريس الغليون فانه افاق على الخبطة حين رموني في البحر * فقال ما الذي وقع في البحر فبكى اخواي وصارا يخبطان على صدورهما * ويقولان يا ضيعة اخينا فانه اراد ان يزيل ضرورة في جانب الغليون فوقع في البحر * ثم انهما وضعا ايديهما على مالي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما يأخذها غيري * واستمرا على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا اخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه * فبينما هما في هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل قال فبينما هما في هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون * فرآني اخواي فعانقاني وفرحا بي وصارا يقولان يا اخانا كيف حالك فيما جرى لك ان قلبنا مشغول عليك * فقالت سعيدة لو كان

قلبكما عليه اوكنتمـــا تحبانه ماكنتما رميتمـاه في البحـر وهو نائم * ولكن اختارا لكما موتة تموتانهـا وقبضت عليهما و اردت قتلهما * فصاحا و قالا في عرضك يا اختنا نصرت اتداخل عليها و اقول لها انا واقع في عرضك لا تقتلي اخويّ وهي تقول لا بد من قتلهما انهما خائنان * فمازلت الاطفها واستعطفها حتى قالت من شأن خاطرك لا اقتلهما ولكن اسحرهمـا * ثم اخرجت طاسة وحطت فيهـا ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكـلام لا يفهم وقالت اخرجا من الصورة البشريـة الى الصورة الكلبية * ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما ياخليفة الله * ثم التفت اليهمـا وقال احق ما قلتـه يا اخويّ فنكسا رؤسهما كأنهمـا يقولان له صدقت * ثم قال يا امير المؤمنين وبعد ان سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون * اعلموا ان عبد الله بن فاضل هذا صار اخي وانا اشق عليه كل يوم مرة اومرتين * وكل من خالفـه منكم اوعصى امره اوآذاه باليد او اللسـان فاني افعـل بـه ما فعلت بهذين الخائنين واسحره كلبـا حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولم يجد له خلاصا * فقال لهـا الجميع يا سيدتي نحن كلنا عبيده وخدمـه ولا نخالفه * ثم انها قالت لي اذا دخلت البصرة تفقد جميع مالك فان كان نقص منه شيء فاعلمني وانا اجيء لك به من اي شخص كان ومن اي مكان كان ومن كان اخذا له اسحره كلبا * ثم بعد ان تخزن اموالك حط في رقبة كل واحد من هذين الخائنين غـلاّ واربطهمـا في ساق السرير واجعلهمـا في سجن وحدهما * وكل ليله في نصف الليل انزل اليهما واضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود * وان مضت ليلة ولم تضربهما

فاني اجيء اليك واضربك علقة وبعد ذلك اضربهما فقلت لها سمعا وطاعة * ثم انها قالت لي اربطهما فى الحبال حين تدخل البصرة فحطيت في رقبة كل واحد منهما حبلا ثم ربطتهما في الصاري وتوجهت هي الى حال سبيلها * وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتي وسلموا عليّ ولم يسأل احد عن اخويّ * وانما صاروا ينظرون الى الكلاب ويقولون لي يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك * فاقول لهم اني ربيتهما في هذه السفرة وجئت بهما معي فيضحكون عليهما ولم يعرفوا انهما اخويّ * ثم اني حطيتهما في خزنة والتهيت تلك الليلة في توزيع الاحمال التي فيها القماش والمعادن * وكان عندي التجار لاجل السلام فاشتغلت بهم ولم اضربهما ولم اربطهما بالسلاسل ولم اعمل معهما ضررا * ثم نمت فما اشعر الّا وقد اتتني سعيدة بنت الملك الاحمر وقالت لي اما قلت لك حط في رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة * ثم انها قبضت عليّ واخرجت السوط وضربتني علقة حتى غبت عن الوجود * وبعد ذلك ذهبت الى المكان الذي فيه اخواي وضربت كل واحد منهما علقة بالسوط حتى اشرف على الموت * وقالت كل ليلة اضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة * وان مضت ليلة ولم تضربهما فانا اضربك فقلت يا سيدتي في غد احط السلاسل في رقابهما والليلة الآتية اضربهما ولا ارفع الضرب عنهما ليلة واحدة فاكدت عليّ فى الوصية بضربهما * فلما اصبح الصباح لم يهن عليّ ان اضع السلاسل في رقابهما فذهبت الى صائغ وامرته ان يعمل لهما اغلالا من الذهب فعملها وجئت بها ووضعتها فى رقابهما وربطتهما

كما امرتني * وفي ثاني ليلة ضربتهما قهرا عني * وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الخامس من بنى العباس * و قد اصطحبت معه بارسال الهدايا فقلدني ولاية وجعلني نائبا فى البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان * ثم اني قلت في نفسي لعل غيظها قد برد فتركتهما ليلة من غير ضرب * فاتتني و ضربتني علقة لم انس حرارتها بقية عمري * فمن ذلك الوقت لم اقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدي * ولما توفي المهدي و توليت انت بعده و ارسلت اليّ تقرير الاستمرار على مدينة البصرة وقد مضى لي اثنى عشر عاما وانا في كل ليلة اضربهما قهرا عني * وبعد ما اضربهما اخذ بخاطرهما واعتذر اليهما واطعمهما واسقيهما وهما محبوسان * ولم يعلم بهما احد من خلق الله تعالى حتى ارسلت اليّ ابا اسحق النديم من اجل الخراج فاطلع على سري و رجع اليك فاخبرك * فارسلته ثانيا تطلبني وتطلبهما فاجبت بالسمع والطاعة واتيت بهما بين يديك * ولما سألتني عن حقيقة الامر اخبرتك بالقصة وهذه حكايتي * فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين * ثم قال وهل انت فى هذه الحالة سامحت اخويك مما صدر منهما في حقك وعفوت عنهما ام لا * فقال يا سيدي سامحهما الله وابرأ ذمتهما فى الدنيا والآخرة وانا محتاج لكونهما يسامحاني لانه مضى لي اثنى عشر عاما وانا اضربهما كل ليلة علقة * فقال له الخليفة يا عبد الله ان شاء الله تعالى انا اسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا اولا واصلح بينكم و تعيشون بقية اعماركم اخوة متحابين * وكما انك سامحتهما يسامحانك فخذهما انزل الى منزلك * وفي هذه الليلة لا تضربهما

وفي غد ما يكون الّا الخير * فقال له يا سيدي وحيوة رأسك ان تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة و تضربني وانا مالي جسد يتحمل ضربا * فقال له لا تخف فانا اعطيك خط يدي * فا اذا اتتك سعيدة فا عطها الورقة فاذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها * وان لم تطع امري كان امرك الى الله ودعها تضربك علقة وقدّر انك نسيتهما من الضرب ليلة وضربتك بهذا السبب * واذا حصل ذلك و خالفتني فان كنت انا امير المؤمنين فاني اعمل خلاصي معها * ثم ان الخليفه كتب لها قطعة ورقة مقدار اصبعين وبعد ما كتبها ختمها * وقال يا عبد الله اذا اتتك سعيدة فقل لها ان الخليفة ملك الانس امرني بعدم ضربهما * وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأسا * ثم اخذ عليه العهد والميثاق انه لا يضربهما * فاخذ هما وراح بهما الى منزله وقال في نفسه يا ترى ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن اذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة * ولكن انا اصبر على ضربي علقة واريح اخوي في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من اجلهما العذاب * ثم انه تفكر في نفسه وقال له عقله لولا ان الخليفة مستند الى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما * ثم انه دخل منزله ونزع الاغلال من رقاب اخويه وقال توكلت على الله * وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا باس عليكما فان الخليفة السادس من بني العباس قد تكفّل بخلاصكما و انا قد عفوت عنكما * وان شا الله تعالى يكون الاوان قدآن وتخلصان في هذه الليلة المباركة فا بشرا بالهنا والسرور * فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عوي الكلاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة و الثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل قال لاخويه ابشرا بالهنأ والسرور * فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عي الكلاب ويمرغان خدود هما على اقدامه كأنهما يدعوان له و يتواضعان بين يديه فحزن عليهما و صار يملس بيده على ظهورهما الى ان جاء وقت العشاء * فلما وضعوا السفرة قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة * فصارت اعوانه باهتين يتعجبون من أكله مع الكلاب و يقولون هل هو مجنون او مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو اكبر من وزير اما يعلم ان الكلب نجس * وصاروا ينظرون الى الكلبين وهما يأكلان معه اكل الحشمة ولا يعلمون انهما اخواه * وما زالوا يتفرجون على عبد الله و الكلبين حتى فرغوا من الاكل * ثم ان عبد الله غسل يديه فمد الكلبان ايديهما و صارا يغسلان * وكل من كان واقفا صار يضحك عليهما ويتعجب * و يقولون لبعضهم عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل و تغسل ايديها بعد اكل الطعام * ثم انهما جلسا على المراتب بجنب عبد الله بن فاضل ولم يقدر احد ان يسأله عن ذلك * واستمر الامر هكذا الى نصف الليل ثم صرف الخدام و ناموا و نام كل كلب على سرير * وصار الخدام يقولون لبعضهم انه نام و نام معه الكلبان * و بعضهم يقول حيث اكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس اذا ناموا معه وما هذا الاّ حال المجانين * ثم انهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيأ وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب * ثم اخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا انها نجسة * هذا ما كان من امرهم * واما ما كان

من امر عبد الله بن فاضل فانه لم يشعر الّا و الارض قد انشقت وظلعت سعيدة وقالت يا عبد الله لاي شيءٍ ماضربتهمافى هذه الليلة ولاي شيءٍ نزعت الاغلال من اعناقهماهل فعلت ذلك عنادا لي اواستخفافا بامري * ولكن انا الا ن اضربك واسحرك كلبا مثلهما * فقال لها يا سيدتي اقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان بن داؤد عليهما السلام ان تمهلي عليّ حتى اخبرك بالسبب ومهما اردته بي فافعليه * فقالت له اخبرني فقال لها اما سبب عدم ضربهما فان ملك الانس الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد امرني ان لا اضربهما فى هذه الليلة * و قد اخذ عليّ مواثيق و عهودا على ذلك و هو يقرئك السلام * واعطاني مرسوما بخط يده و امرني ان اعطيك اياه فامتثلت امره و اطعته * و طاعة اميرالمؤمنين و اجبة و ها هو المرسوم فخذيه و اقرئيه وبعد ذلك افعلي مرادك * فقالت هاته فناولها المرسوم ففتحته وقرأته فرأت مكتو با فيه بسم الله الرحمن الرحيم * من ملك الانس هارون الرشيد الى بنت الملك الاحمر سعيدة * اما بعد فان هذا الرجل قد سامح اخويه و اسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهم بالصلح * واذا وقع الصلح ارتفع العقاب فان اعترضتمونا في احكامنا اعترضناكم في احكامكم و خرقنا قانونكم * و ان امتثلتم امرنا و نفذتم احكامنا فاننا ننفذ احكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما * فان كنت تؤمنين بالله و رسوله فعليك بطاعة ولي الامر * و ان عفوت عنهما فانا اجازيك بما يقدرني عليه ربي * و علامة الطاعة ان ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين * وان لم تخلصيهمافانا اخلصهما قهراعنك بعون الله تعالى * فلما قرأت ذلك الكتاب قالت يا عبد الله لا افعل شيأ حتى اذهب الى ابى و اعرض

عليه مرسوم ملك الانس وارجع اليك بالجواب بسرعة * ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها * فلما ذهبت طار قلب عبدالله فرحا وقال اعزالله امير المؤمنين * ثم ان سعيدة دخلت على ابيها واخبرته بالخبر و عرضت عليه مرسوم امير المؤمنين فقبله و وضعه على رأسه * ثم قرأه و فهم ما فيه و قال يا بنتي ان امر ملك الانس علينا ماض و حكمه فينا نافذ و لا نقدر ان نخالفه فامضي الى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة * وقولي لهما انتما في شفاعة ملك الانس * فانه ان غضب علينا اهلكنا عن اخرنا فلا تحملينا ما لا نطيق * فقالت له يا ابت اذا غضب علينا ملك الانس ما ذا يصنع بنا * فقال لها يا بنتي انه يقدر علينا من وجوه * الاول انه من البشر فهو مفضل علينا * والثاني انه خليفة الله * والثالث انه مصرّ على ركعتي الفجر * فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع ارضين لا يقدرون ان يصنعوا به مكروها * فانه ان غضب علينا يصلي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين و نصير كالغنم بين يدي الجزار * ان شاء يأمرنا بالرحيل من اوطاننا الى ارض موحشة لا نستطيع المكث فيها * وان شاء هلاكنا امرنا بهلاك انفسنا فيهلك بعضنا بعضا فنحن لا نقدر على مخالفة امره * فان خالفنا امره احرقنا جميعا وليس لنا مفر من بين يديه * وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فان حكمه نافذ فينا فلا تتسببي في هلاكنا من اجل رجلين * بل امضي وخلصيهما قبل ان يحل بنا غضب امير المؤمنين * فرجعت الى عبد الله بن فاضل واخبرته بما قال ابوها و قالت له قبل لنا ايادي امير المؤمنين واطلب لنا رضاه * ثم انها اخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء و عزمت عليها و تكلمت بكلمات لا تفهم

ثم رشتهما بالماء * وقالت اخرجا من الصورة الكلبيــــة الى الصورة البشرية فعادا بشرين كما كان اولا و انفك عنهما رصد السحر * وقالا اشهد ان لا اله الا الله و اشهد ان محمدا رسول الله * ثم انهما وقعا على يد اخيهما وعلى رجليه يقبلانهما و يطلبان منه السماح * فقال لهما سامحا ني انتما * ثم انهما تابا توبة نصوحا و قالا قد غــرّنا ابليس اللعين واغوانا الطمع * وربنا جازانا بما نستحقــه و العفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان اخاهما و يبكيان و يتندمان على ما وقع منهما * ثم انه قال لهما ما فعلتما بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر * فقالا لما اغوانا الشيطان ورميناك فى البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول انا اتزوج بها * فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت اننا رميناك فى البحـــر طلعت من الخزنة وقالت لا تختصما من اجلي فاني لست لواحـــد منكما ان زوجي راح البحر وانا اتبعه * ثم انها رمت روحها في البحر وماتت * فقال انها ماتت شهيدة فلا حول و لا قوة الاّ بالله العلي العظيم * ثم انه بكى عليها بكاء شديدا و قال لهما لا يصح منكما ان تفعلا هذه الفعال وتعدماني زوجتي * فقالا انا اخطأنا وربنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدره الله علينا قبل ان يخلقنا فقبل عذرهما * ثم ان سعيدة قالت ايفعلان معك كل هذه الفعال وانت تعفو عنهما * فقال يا اختي من قدر وعفا كان اجره على الله * فقالت خذ حذرك منهما فانهما خائنان * ثم ودعته وانصرفت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله لما حذرتــه سعيدة من

اخويه و دعته وانصرفت الى حال سبيلها بات عبد الله بقية تلك الليلة هو واخواه على اكل و شرب وبسط و انشراح صدر * فلما اصبح الصباح ادخلهما الحمام وعند خروجهما من الحمام البس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال * ثم انه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فاكل هو واخواه * فلما نظرهما الخدام وعرفوا انهما اخواه سلموا عليهما وقالوا للامير عبد الله يا مولانا هنّاك الله باجتماعك على اخويك العزيزين واين كانا في هذه المدة * فقال لهم هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذي خلصهما من السجن والعذاب الاليم * ثم انه اخذهما وتوجه الى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم * فقال له الخليفة مرحبا بك يا امير عبدالله اخبرني بماجرى لك * فقال يا امير المؤمنين اعز الله قدرك اني لما اخذت اخويّ وذهبت بهما الى منزلي اطمأنيت عليهما بسببك حيث تكفلت بخلاصهما * وقلت في نفسي ان الملوك لا يعجزون عن امر يجتهدون فيه فان العناية تساعدهم * ثم نزعت الاغلال من رقابهما وتوكلت على الله و اكلت انا وإياهما على السفرة * فلما رأني اتباعي أكل معهما و هما في صورة كلبين استخفوا عقلي * وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو اكبر من الوزير * ورموا ما فضل من السفرة وقالوا لانأكل ما بقي من الكلاب وصاروا يسفهون رأيي وانا اسمع كلامهم ولا ارد عليهم جوابا لعدم معرفتهم انهما اخواي * ثم صرفتهم عند ما جاء وقت النوم وطلبت النوم فما اشعر الاّ وارض قد انشقت و خرجت سعيدة بنت الملك

الاحمر وهي غضبانة عليّ * وعيناها مثل النار ثم اخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن ابيها وكيف اخرجتهما من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية * ثم قال وها هما بين يديك يا امير المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين * فقال الخليفة جزاك الله عني خيرا يا عبد الله حيث اعلمتني بفائدة ما كنت اعلمها * ان شاء الله تعالى لا اترك صلوة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر مادمت حيا * ثم انه عنف اخوي عبد الله بن فاضل على ما سلف منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة * فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم بعضا وعفا الله عما سلف * ثم التفت الى عبد الله وقال يا عبد الله اجعل اخويك معينين لك وتوص بهما واوصاهما بطاعة اخيهما ثم انعم عليهم وامرهم بالارتحال الى مدينة البصرة بعد ان اعطاهم انعاما جزيلا فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين * وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلوة ركعتين قبل الفجر وقال صدق من قال مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ * هذا ما كان من امرهم مع الخليفة * واما ما كان من امر عبد الله بن فاضل فانه سافر من مدينة بغداد ومعه اخواه بالاعزاز والاكرام ورفع المقام الى ان دخلوا مدينة البصرة * فخرج الاكابر والاعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير * وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة * وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء له ولم يلتفت احد الى اخويه * فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان الّا بغضا له وحسدا فيه وقد قيل في هذا المعنى

وَذَا رَأَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي ... مُدَارَاتُــهُ شَطَّتْ وَعَزَّ نَوَالُهَا
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ ... إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيــهِ إِلَّا زَوَالُهَــا

ثم انه اعطى كل واحد منهما سُرّيـة ليس لها نظير و جعلهما بخدم و حشم وجوار وعبيد سود و بيض من كل نوع اربعين * واعطى كل واحد منهما خمسين جوادا من الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع * ثم انه عيّن لهما الخراج ورتب لهما الرواتب و جعلهما معينين له * قال لهما يا اخويّ انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله رتب لاخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا اخويّ انا وانتمـا سواء ولا فرق بيني و بينكما * فالحكم بعد الله والخليفة لي و لكما فاحكمـا في البصرة في غيابي و حضوري وحكمكما نافذ ولكن عليكمـا بتقوى الله في الاحكام و اياكما والظلم فانه ان دام دمر * وعليكما بالعدل فانه ان دام عمر * ولا تظلما العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصـل الى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم احد * والذي تطمعـان فيه من اموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتـاجان اليه * ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم من محكم الآيات ولله در من قال هذه الابيـــات

الظُّلْمُ فِي نَفْسِ الْفَــتَى كَامِنٌ ... وَلَيْسَ إِلَّا الْعَجْزُ يُخْفِيــهِ
ذُو الْعَقْـلِ لَا يَنْهَضُ فِي حَاجَـةٍ ... حَتَّى يَرَى الْوَقْتَ يُوَافِيــهِ

لِسَانُ مَنْ يَعْقِلُ فِي قَلْبِهِ ۞ وَقَلْبُ مَنْ يَجْهَلُ فِي فِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ اكبرَ مِنْ عَقْلِهِ ۞ يقتلُهُ أَصغرُ مَا فِيهِ
أَصْلُ الْفَتَى خَافٍ وَلَكِنَّهُ ۞ مِنْ فعلِه يظْهَرُ خَافِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عنصرهُ طَيِّبًا ۞ لَا يَظْهَرُ الطِيبُ مِنْ فِيهِ
مَنْ قَلَّدَ الأَحْمَقَ فِي فِعْلِهِ ۞ كَانَ لَهُ فِي الْجَهْلِ مُسَاوِيهِ
وَمَنْ اطْلَعَ النَّاسَ عَلَى سِرِّهِ ۞ تَنَبَّهَتْ لَهُ أَعَادِيهِ
يَكْفِي الْفَتَى مَا كَانَ مِنْ شَانِهِ ۞ وَتَرْكُهُ مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ

ثم انه صار يعظ اخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن انهما احباه بسبب بذل النصيحة لهما * ثم انه ركن اليهما وبالغ في اكرامهما ومع اكرامه لهما ما ازدادا الا حسدا له وبغضا فيه * ثم ان اخويه ناصرا ومنصورا اجتمعا مع بعضهما * فقال ناصر لمنصور يا اخي الى متى ونحن تحت طاعة اخينا عبد الله وهو في هذه السيادة والامارة * وبعد ما كان تاجرا صار اميرا وبعد ما كان صغيرا صار كبيرا * ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له ما معنى ذلك * اليس اننا خدمته ومن تحت طاعته وما دام طيبا لا ترتفع درجتنا ولم يبق لنا شأن * فلا يتم غرضنا الا ان قتلناه واخذنا امواله * ولا يمكن اخذ هذه الاموال الا بعد هلاكه * فاذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر * وبعد ذلك نقسمها بيننا * ثم نهيّئ هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وانت تكون نائب البصرة وانا اكون نائب الكوفة * او انك تكون نائب الكوفة وانا اكون نائب البصرة * ويبقى لكل واحد منا صورة

وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك الّا اذا هلكناه * فقال منصور انك صادق فيما قلت ولكن ماذا نصنع معه حتى نقتله * فقال نعمل ضيافة عند احدنا و نعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة * ثم نساهره بالكلام و نحكي له حكايات ونكتا ونوادر الى ان يذوب قلبه من السهر * ثم نفرش له حتى يرقد فاذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه فى البحر * ونصبح نقول ان اخته الجنية اتته وهو قاعد يتحدث بيننا * وقالت له يا قطاعة الانس ما مقدارك حتى تشكوني الى امير المؤمنين * اتظن اننا نخاف منه فكما انه ملك نحن ملوك وان لم يلزم ادبه في حقنا قتلناه اقبح قتلة * ولكن بقيت انا اقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد امير المؤمنين * ثم خطفته وشقت الارض ونزلت به * فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصله * وبعد ذلك نرسل الى الخليفة ونعلمه فانه يولينا مكانه * وبعد مدة نرسل الى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة * وواحد منا يقيم فى البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد * فقال له نعم ما اشرت به يا اخي ثم اتفقا على قتل اخيهما وصنع ناصر ضيافة * وقال لاخيه عبد الله يا اخي اعلم اني انا اخوك ومرادي انك تجبر بخاطري انت واخي منصور * وتأكلان ضيافتي في بيتي حتى افتخر بك ويقال ان الامير عبد الله اكل ضيافة اخيه ناصر لاجل ان يحصل لي بذلك جبر خاطر * فقال له عبد الله لا بأس يا اخي ولا فرق بيني وبينك وبيتك بيتي ولكن حيث عزمتني فما يأبى الضيافة الّا اللئيم * ثم التفت الى اخيه منصور وقال له اتروح معي الى بيت اخيك ناصر ونأكل ضيافته ونجبر بخاطره * فقال له اخي وحيوة رأسك

ما اروح معك حتى تحلف لي انك بعد ما تخرج من بيت اخي ناصر تدخل بيتي و تأكل ضيافتي فهل ناصر اخوك وانا لست اخاك فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطري فقال لا بأس بذلك حبا وكرامة * فمتى خرجت من دار اخيك ادخل دارك وكما هو اخي انت اخي * ثم ان ناصرا قبل يد اخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة * وفي ثاني يوم ركب عبد الله واخذ معه جملة من العسكر واخاه منصورا * وتوجه الى دار اخيه ناصر فدخل وجلس هو وجماعته واخوه * فقدم لهم السماط ورحب بهم فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والزبادي وغسلت الايادي واقاموا ذلك اليوم على اكل وشرب وبسط ولعب الى الليل فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء * ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكي حكاية وناصر يحكي حكاية وعبد الله يسمع * وكانوا في قصر وحدهم وبقية العسكر في مكان آخر * ولم يزالوا في نكت وحكايات ونوادر واخبار حتى ذاب قلب اخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله لما طال عليه السهر واراد النوم فرشوا له الفرش * ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق في النوم * فلما عرفا انه استغرق في النوم قاما وبركا عليه فافاق فرآهما باركين على صدره * فقال لهما ما هذا يا اخوي * فقالا له ما نحن اخواك ولا نعرفك يا قليل الادب * وقد صار موتك احسن من حيوتك وحطا ايديهما

في رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنّا انه مات * وكان القصر على البحر فرموه في البحر * فلما وقع في البحر سخر الله له درفيلا كان معتادا على مجيئه تحت ذلك القصر لان المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان * وكانوا في ذلك اليوم قد رموا سقاطا كثيرا بسبب الضيافة فاكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة * فلما سمع الخبطة في البحر اتى بسرعة فرأه ابن أدم فهداه الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر * ولم يزل ماشيا به حتى وصل الى البر من الجهة الثانية والقاه على البر * وكان ذلك المكان الذي اطلعه فيه على قارعة الطريق * فمرت به قافلة فرأوه مرميا على جانب البحر * فقالوا هنا غريق القاه البحر على الشاطئ واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه * وكان شيخ القافلة رجلا من اهل الخير وعارفا بجميع العلوم وخبيرا بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة * فقال لهم يا ناس ما الخبر * فقالوا هذا غريق ميت فاقبل عليه وتأمله وقال يا ناس هذا الشاب فيه الروح * وهذا من خيار اولاد الناس الاكابر وتربية العز والنعم وفيه الرجاء ان شاء الله تعالى * ثم انه اخذه والبسه بدلة وادفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلث مراحل حتى افاق * ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار شيخ القافلة يعالجه باعشاب يعرفها * ولم يزالوا مسافرين مدة ثلثين يوما حتى بعدوا عن البصرة بمدة

المسافة وهو يعالج فيه * ثم دخلوا مدينة يقال لها مدينة عوج وهي في بلاد العجم فنزلوا في خان وفرشوا له ورقد فبات تلك الليلة يئنّ وقد اقلق الناس من انينه * فلما اصبح الصباح اتى بوّاب الخان الى شيخ القافلة وقال ما شأن هذا الضعيف الذي عندك فانه اقلقنا * فقال هذا رأيته فى الطريق على جانب البحر غريقا فعالجته وعجزت ولم يشف * فقال له اعرضه على الشيخة راجحة فقال له وما تكون الشيخة راجحة * فقال عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة اسمها الشيخة راجحة * وكل من كان به داء يأخذونه اليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافا ولم يكن فيه شيء يضره * فقال له شيخ القافلة دلّني عليها فقال له احمل مريضك فحمله ومشى بوّاب الخان قدامه الى ان وصل الى زاوية * فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين * فدخل بوّاب الخان حتى وصل الى الستارة وقال دستور يا شيخة راجحة خذي هذا المريض * فقالت ادخله من داخل هذه الستارة فقال له ادخل فدخل ونظر اليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة البحر فعرفها وعرفته وسلمت عليه وسلم عليه * فقال لها من اتى بك الى هذا المكان * فقالت له لما رأيت اخويك رمياك فى البحر وتخاصما عليّ رميت روحي فى البحر * فتنا ولني شيخي الخضر ابو العباس واتى بي الى هذه الزاوية واعطاني الاذن بشفاء المرضى * ونادى في هذه المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لي اقيمي في هذا المكان حتى يؤن الاوان ويأتي اليك زوجك في هذه الزاوية * فصار كل مريض يأتي اليّ اكبسه فيصبح طيبا وشاع ذكري بين العالم * واقبلت عليّ الناس بالنذور

وعندي الخير كثير وانا في عز واكرام * وجميع اهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء * ثم انها كبسته فشفي بقدرة الله تعالى وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة * وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليله الجمعة * فلما جن الليل جلست هي واياه بعد ما تعشيا من افخر المأكول * ثم قعدا ينتظران حضور الخضر * فبينما هما جالسان واذا به قد اقبل عليهما فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة * ثم تركهما وراح * فلما اصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فراه قصره وعرفه وسمع الناس في ضجة * فطل من الشباك فرأى اخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة * والسبب في ذلك انهما لما رمياه في البحر اصبحا يبكيان ويقولان ان اخانا خطفته الجنية ثم هيئا هدية وارسلاها الى الخليفة واخبراه بهذا الخبر * وطلبا منه منصب البصرة فارسل احضرهما عنده وسألهما فاخبراه كما ذكرنا فاشتد غضب الخليفة * فلما جن الليل صلى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين * فسألهم عن عبد الله فحلفوا له انه لم يتعرض له احد منهم وقالوا له ما عندنا خبربه * فاتت سعيدة بنت الملك الاحمر واخبرت الخليفة بخبره فصرفهم * وفي ثاني يوم رمى ناصرا ومنصورا تحت الضرب فاقرا على بعضهما * فغضب عليهما الخليفة وقال خذوهما الى البصرة واصلبوهما قدام قصر عبد الله * هذا ما كان من امرهما * واما ما كان من امر عبد الله فانه امر بدفن اخويه * ثم ركب وتوجه الى بغداد واخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه اخواه من الاول الى الآخر * فتعجب الخليفة من ذلك واحضر القاضي والشهود

وكتب كتابه على البنت التي جاوبها من مدينة الحجر ودخل بها * واقام معهـــــا في البصرة الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجمـــــاعات فسبحـــــان الحي الذي لا يمـــــوت *

ومما يحكى

ايها الملك السعيد انه كان في مدينة مصر المحروسة رجل اسكافي يرقع الزرابين القديمة * وكان اسمه معروفا وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك الّا لأنها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن * وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه الف مرة * وكان يخشى شرها ويخاف من اذاها لانه كان رجلا عاقلا يستحي على عرضه لكنه كان فقير الحال * فاذا اشتغل بكثير صرفه عليها * واذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة واعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهي كما قال في حقها الشـــــــــــــــاعر

كم ليلـــة قد بتّ مـــع زوجتي ... في اشأم الاحوال قضيتهـــــا
يا ليتني عنــد دخولي بهـــا ... احضرت سمــا ثم سميتهـــا

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل من زوجته انها قالت له يا معروف اريد منك في هذه الليلة ان تجيء لي معك بكنـــافة عليها عسل نحل * فقال لها الله تعالى يسهل لي حقها وانا اجيء بها لك في هذه الليلة والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم * ولكن ربنا يسهل * فقالت له انا ما اعرف هذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان معروفا الاسكافي قال لزوجته الله يسهل بكلفتها وانا اجيء بها اليك في هذه الليلة والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل * فقالت له انا ما اعرف هذا الكلام ان سهل اولم يسهل لا تجيئني الا بالكنافة التي بعسل نحل * وان جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني ووقعت في يدي * فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلى الصبح وفتح الدكان * وقال اسألك يارب ان ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شر هذه الفاجرة في هذه الليلة * وقعد في الدكان الى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته * فقام وقفل الدكان وصار متحيرا في امره من شأن الكنافة مع انه لم يكن معه من حق الخبز شيء * ثم انه مر على دكان الكنفاني ووقف باهتا وغرغرت عيناه بالدموع * فلحظ عليه الكنفاني وقال يا معلم معروف مالك تبكي فاخبرني بما اصابك فاخبره بقصته * وقال له ان زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئني ولا حق الخبز وانا خائف منها فضحك الكنفاني وقال لا بأس عليك كم رطل تريد قال خمسة ارطال * فوزن له خمسة ارطال وقال له السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل وانما عندي عسل قطر احسن من عسل النحل وما ذا يضر اذا كانت بعسل قطر فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها * فقال له هاتها بعسل قطر فقلى له الكنافة بالسمن وغرقها بعسل قطر * فصارت تهدى للملوك ثم انه قال له أتحتاج عيشا وجبنا

قال نعم فاخذ له بارعبة انصاف عيشا و بنصف جبنا والكنافة بعشرة انصاف * وقال له اعلم يا معروف انه قد صار عندك خمسة عشر نصفا رح الى زوجتك واعمل حظا وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم او يومين او ثلثة حتى يرزقك الله * ولا تضيق على زوجتك فانا اصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك فاخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعيا له وروح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربي ما اكرمك * ثم انه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم * ثم وضعها قدامها فنظرت اليها فرأتها بعسل قصب * فقالت له اما قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادي و تعملها بعسل قصب * فاعتذر اليها و قال لها انا ما اشتريتها الّا مؤجلا ثمنها * فقالت هذا كلام باطل انا ما آكل كنافة الّا بعسل نحل وغضبت عليها وضربته بهافي وجهه * وقالت له قم يا معرص هات لي غيرها ولكمته في صدغه فقلعت سنة من اسنانه ونزل الدم على صدره * ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمون * فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبوها * وقالوا نحن كلنا في قبل آكل الكنافة التي بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير ان هذا عيب عليك ولازالوا يلاطفونها حتى اصلحوا بينها وبينه * ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما نأكل من الكنافة شيأ فاحرقه الجوع * فقال في نفسه هي حلفت ما تأكل فانا آكل * ثم اكل فلما رأته يأكل صارت تقول له ان شاء الله يكون اكلها سما يهري بدن البعيد * فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل ويضحك ويقول انت حلفت ما نأكلين من هذه فالله كريم *

فان شاء الله في ليلة غد اجيءُ لك بكنافـــة تكون بعسل نحل و تأكليها وحدك * وصار يأخذ بخاطرها و هي تدعو عليه * ولم تزل تسبه و تشتمه الى الصبح * فلما اصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه * فقال لها امهليني و انا اجيءُ لك بغيرها * ثم خرج الى المسجد وصلى و توجه الى الدكان و فتحها و جلس فلم يستقر بـــه الجلوس حتى جاء اثنان من طرف القاضي و قالا له قم كلّم القاضي فان امرأتك اشتكتك اليه وصفتها كذا وكذا فعرفها * وقال الله تعالى ينكد عليها * ثم قام مشى معهما الى ان دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها و برقعها ملوث بالدم و هي واقفـــة تبكي وتمسح دموعها * فقال له القاضي يا رجل الم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها و تقلـــع سنها وتعمل بها هذه الفعال * فقال له ان كنت ضربتها او قلعت سنها فاحكم فيّ بما تختار و انما القصـــة كذا وكذا والجيران اصلحوا بيني و بينها واخبره بالقصة من الاول الى الآخر * وكان ذلك القاضي من اهل الخير فاخرج له ربـــع دينار وقال له يا رجل خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح انت و اياها * فقال له اعطه لها فاخذته واصلح بينهما وقال يا حرمة اطيعي زوجك وانت يا رجل ترفـق بها * وخرجا مصطلحين على يد القاضي وراحت المرأة من طريق وزوجها راح من طريق أُخر الى دكانـــه وجلس واذا بالرسل اتوا له وقالوا هات خدمتنا * فقال لهم ان القاضي لم يأخذ مني شيأً بل اعطاني ربع دينار * فقالوا لا علاقة لنا بكون القاضي اعطاك او اخذ منك فان لم تعطنا خدمتنا اخذناها قهرا عنك * وصاروا يجرونه في السوق فباع عدتـــه واعطاهم نصف دينار ورجعوا

هنه وحطّ يده على خده وقعد حزينا حيث لم يكن عنده مدّة يشتغل بها * فبينما هو قاعد و اذا برجلين قبحي المنظر اقبلا عليه و قالا له قم يا رجل كلّم القاضي فان زوجتك اشتكتك اليه * فقال لهما قد اصلح بيني و بينها * فقالا له نحن من عند قاض أُخر فان زوجتك اشتكتك الى قاضينا فقام معهما وهو يحتسب عليها * فلما رأها قال لها اما اصطلحنا يا بنت الحلال قالت ما بقي بيني و بينك صلح فتقدم وحكى للقاضي حكايته * و قال له ان القاضي فلان اصلح بيننا في هذه الساعة * فقال لها القاضي ياعاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئت تشكين اليّ قالت انه ضربني بعد ذلك * فقال لهما القاضي اصطلحا و لا تعد الى ضربها و هي لا تعود الى مخالفتك فاصطلحا * وقال له القاضي اعط الرسل خدمتهم فاعطى الرسل خدمتهم وتوجه الى الدكان وفتحها و قعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي اصابه * فبينما هو قاعد واذا برجل اقبل عليه و قال له يا معروف قم استخف فان زوجتك اشتكتك الى الباب العالي و نازل عليك ابو طبق * فقام و قفل الدكان و هرب في جهة باب النصر * وكان قد بقي معه خمسة انصاف فضة من حق القوالب و العدة * فاشترى باربعة انصاف عيشا و بنصف جبنا وهو هارب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر * فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل افواه القرب فابتلت ثيابه * فدخل العادلية فرأى موضعا خربا فيه حاصل مهجور من غير باب * فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجـــه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من اجفانه وصار يتضجر مما به و يقول اين اهرب من هذه العاهرة * اسألك يا رب ان تقيض لي من يوصلني الى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها * فبينما هو جالس يبكي واذا بالحائط قد انشقت وخرج

له منها شخص طويل القامة ورؤيته تقشعر منها الابدان * وقال له يا رجل مالك اقلقتني في هذه الليلة انا ساكن في هذا المكان من منذ مائتي عام * فما رأيت احدا دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت انت فاخبرني بمقصودك وانا اقضي حاجتك فان قلبي اخذته الشفقة عليك * فقال له من انت وما تكون فقال له انا عامر هذا المكان فاخبره بجميع ما جرى له مع زوجته * فقال له اتريد ان اوصلك الى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقا قال نعم * قال له اركب فوق ظهري فركب وحمله وطار به من بعد العشاء الى طلوع الفجر وانزله على رأس جبل عال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن معروفا الاسكافي لما حمله المارد طار به وانزله على جبل عال وقال يا انسي انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فان زوجتك لا تعرف لك طريقا ولا يمكنها ان تصل اليك * ثم تركه وراح فصار معروف باهتا متحيرا في نفسه الى ان طلعت الشمس * فقال في نفسه اقوم وانزل من على هذا الجبل الى المدينة فان قعودي هنا ليس فيه فائدة * فنزل الى اسفل الجبل فرأى مدينة باسوار عالية وقصور مشيدة وابنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين * فلما مشى فى السوق صار اهل المدينة ينظرون اليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لان ملبسه لا يشبه ملابسهم * فقال له رجل

من اهل المدينة يا رجل هل انت غريب قال نعم * قال له من اي البلاد قال من مدينة مصر السعيدة قال له الك زمان مفارقها * قال له البارحة العصر فضحك عليه و قال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول * فقالوا ما يقول قال انه يزعم انه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم * واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل انت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم انك فارقت مصر بالامس في وقت العصر و اصبحت هنا * والحال ان بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة * فقال لهم ما مجنون الّا انتم واما انا فاني صادق في قولي وهذا عيش مصر لم يزل معي طريا واراهم العيش * فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لانه لا يشبه عيش بلادهم * وكثر الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه * وصارت له شهرة في تلك المدينة * ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون و يهزؤن به * فبينما هم في تلك الحالة واذا بتاجر اقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان * ففرق الناس و قال يا ناس اما تستحون و انتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به * ولم يزل يسبهم حتى طردهم عنه ولم يقدر احد ان يرد عليه جوابا * وقال له تعال يا اخي ما عليك بأس من هؤلاء انهم لا حياء عندهم * ثم اخذه وسار به الى ان ادخله دارا واسعة مزخرفة واجلسه في مقعد ملوكي * و امر العبيد ففتحوا له صندوقا واخرجوا له بدلة تاجر الفي والبسه اياها * وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار * ثم ان ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الاطعمة الفاخرة من سائر الالوان فأكلا

و شربا * وبعد ذلك قال له يا اخي ما اسمك قال اسمي معروف وصنعتي اسكافي ارقع الزرابين القديمة * قال له من اي البلاد انت قال من مصر قال من اي الحارات قال له هل انت تعرف مصر قال له انا من اولادها * فقال له انا من الدرب الاحمر قال له من تعرف من الدرب الاحمر قال له فلان و فلان وعدّ له ناسا كثيرة * قال له هل تعرف الشيخ احمد العطار قال له هو جاري الحيط في الحيط قال له هل هو طيب قال نعم * قال له كم له من الاولاد قال ثلثة مصطفى ومحمد وعلي * قال له ما فعل الله باولاده قال اما مصطفى فانه طيب وهو عالم مدرس * واما محمد فانه عطار قد فتح له دكانا بجنب دكان ابيه بعد ان تزوج وولدت له زوجته ولدا اسمه حسن قال بشرك الله بالخير * قال واما علي فانه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائما العب انا واياه * وبقينا نروح بصفة اولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة * فاتفق في بعض المرات ان النصارى رأونا ومسكونا بكتاب فاشتكونا الى اهلنا * وقالوا لابيه اذا لم تمنع ولدك من اذانا اشتكيناك الى الملك فاخذ بخاطرهم وضربه علقة * فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقا وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه احد بخبر * فقال له هو انا علي بن الشيخ احمد العطار وانت رفيقي يا معروف وسلّما على بعضهما * وبعد السلام قال له يا معروف اخبرني بسبب مجيئك من مصر الى هذه المدينة فاخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معه * وقال له انه لما اشتد عليّ اذاها هربت منها في جهة باب النصر ونزل عليّ المطر * فدخلت في حاصل خرب في العادلية

وقعدت ابكي * فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجن وسألني فاخبرته بحالي فاركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والارض ثم حطني على الجبل واخبرني بالمدينة * فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم الناس عليّ وسألوني * فقلت لهم اني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني فجئت انت ومنعت عني الناس * وجئت بي الى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصروانت ما سبب مجيئك هنا * قال له غلب عليّ الطيش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وانا دائر من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن * فرأيت اهلها ناسا كراما وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكلما قاله يصدقونه فيه * فقلت لهم انا تاجر وقد سبقت الحمْلة ومرادي مكان انزل فيه حملتي فصدقوني واخلوا لي مكانا * ثم اني قلت لهم هل فيكم من يداينني الف دينار حتى تجيء حِمْلتي واردله ما اخذه منه فاني محتاج الى بعض مصالح قبل دخول الحملة * فاعطوني ما اردت وتوجهت الى سوق التجار فرأيت شيأ من البضاعة فاشتريته * وفي ثاني يوم بعته فربحت فيه خمسين دينارا واشتريت غيره * وصرت اعاشر الناس واكرمهم فحبوني وصرت ابيع واشتري فكثر مالي * واعلم يا اخي ان صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيلة * والبلاد التي لايعرفك احد فيها مهما شئت فافعل فيها * وانت اذا قلت لكل من سألك انا صنعتي اسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر * فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة اقامتك في هذه المدينة * وان قلت حملني عفريت نفروا منك ولايقرب منك احد

ويقولون هذا رجل معفرت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر * وتبقى هذه الاشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون اني من مصر * قال وكيف اصنع قال انا اعلمك كيف تصنع ان شاء الله تعالى * اعطيك في غد الف دينار وبغلة تركبها وعبدا يمشي قدامك حتى يوصلك الى باب سوق التجار فادخل عليهم * واكون انا قاعدا بين التجار فمتى رأيتك اقوم لك واسلم عليك واقبل يدك واعظم قدرك * وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني فقل كثير * وان سألوني عنك اشكرك واعظمك في اعينهم * ثم اني اقول لهم خذوا له حاصلا ودكانا واصفك بكثرة المال والكرم * واذا اتاك سائل فاعطه ما تيسر فيثقوا بكلامي ويعتقدوا عظمتك وكرمك ويحبوك * وبعد ذلك اعزمك واعزم جميع التجار من شأنك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر عليّ قال لمعروف اعزمك واعزم جميع التجار من شأنك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم لاجل ان تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال * فلما اصبح الصباح اعطاه الف دينار والبسه بدلة واركبه بغلة واعطاه عبدا * وقال ابرء الله ذمتك من الجميع لانك رفيقي فواجب عليّ اكرامك * ولا تحمل هما ودع عنك سيرة زوجتك ولاتذكرها لاحد * فقال

له جزاك الله خيرا * ثم انه ركب البغلة ومشى قدامه العبد الى ان اوصله الى باب سوق التجار وكانوا جميعا قاعدين والتاجر علي قاعد بينهم * فلما رأه قام ورمى روحه عليه وقال له نهار مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف * ثم قبّل يده قدام التجار وقال يا اخواننا أنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في اعينهم * ثم انزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده * فقالوا له هل هذا تاجر * فقال لهم نعم بل هو اكبر التجار ولا يوجد واحد اكثر مالا منه لان اموال له واموال ابيه واجداده مشهورة عند تجار مصر * وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدم عظيم فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واخدموه * واعلموا ان مجيئه الى هذه المدينة ليس من اجل التجارة وما مقصده الّا الفرجة على بلاد الناس لانه غير محتاج الى التغرب من اجل الربح والمكاسب لان عنده اموالا لا تأكلها النيران وانا من بعض خدمه * ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته * ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار اتى له وسلم عليه * وصار يقول له التاجر علي بحضرة التجار يا سيدي لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني فيقول له كثير * وكان في ذلك اليوم فرجة على اصناف القماش المثمنة وعرفه اسامي الاقمشة الغالي والرخيص * فقال له تاجر من التجار يا سيدي هل جئت معك بجوخ اصفر قال كثير * قال واحمر دم الغزال قال كثير * وصار كلما سأله عن شيء يقول له كثير * فعند ذلك قال يا تاجر علي ان بلديك لواراد ان يحمل الف حمل

من القماشات المثمنة بحملها * فقال له يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء * فبينماهم قاعدون واذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من اعطاه نصف فضة ومنهم من اعطاه جديدا * وغالبهم لم يعطه شيأ حتى وصل الى معروف فكبش له كبشة ذهب واعطاه اياها فدعا له وراح * فتعجب التجار من ذلك وقالوا ان هذه عطايا ملوك فانه اعطى السائل ذهبا من غير عدد * ولولا انه من اصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ماكان اعطى السائل كبشة ذهب * وبعد حصة اتته امرأة فقيرة فكبش واعطاها وذهبت تدعو له وحكت للفقراء فاقبلوا عليه واحدا بعد واحد * وصار كل من اتى له يكبش ويعطيه حتى انفق الالف دينار * وبعد ذلك ضرب كفا على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل * فقال له شاه بندر التجار مالك يا تاجر معروف قال كان غالب اهل هذه المدينة فقراء ومساكين * ولو كنت اعرف انهم كذلك كنت جئت معي في الخرج بجانب من المال واحسن به الى الفقراء * وانا خائف ان تطول غربتي ومن طبعي اني لا ارد السائل ولم يبق معي ذهب فاذا اتاني فقير ماذا اقول له * قال له قل له الله يرزقك قال ما هي عادتي وقد ركبني الهم بهذا السبب * وكان مرادي الف دينار اتصدق بها حتى تجيء حملتي * فقال لا بأس وارسل بعض اتباعه فجاء له بالف دينار فاعطاه اياها * فصار يعطي كل من مرّبه من الفقراء حتى اذّن الظهر * فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الالف دينار نثره على رؤس المصلين * فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه * ثم انه مال على تاجر أخر واخذ منه الف دينار وفرقها وصار التاجر عليّ ينظر فعله

ولا يقدر ان يتكلم * ولم يزل على هذه الحالة حتى اذّن العصر فدخل المسجد وصلى وفرق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى اخذ خمسة آلاف دينار وفرقها * وكل من اخذ منه شيأ يقول له حتى تجيء الحملة ان اردت ذهبا اعطيك * وان اردت قماشا اعطيك فان عندي شيأ كثيرا * وعند المساء عزمه التاجر علي وعزم معه التجار جميعا واجلسه في الصدر * وصار لا يتكلم الاّ بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيأ يقول عندي منه كثير * وثاني يوم توجه الى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم الاموال ويفرقها على الفقراء * ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوما حتى اخذ من الناس ستين الف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية * فضجت الناس على اموالهم وقالوا ما اتت حملة التاجر معروف والى متى وهو يأخذ اموال الناس ويعطيها للفقراء * فقال واحد منهم الرأي ان نتكلم مع بلديه التاجر علي فاتوه * وقالوا له يا تاجر علي ان حملة التاجر معروف لم تأت * فقال لهم اصبروا فانها لا بد ان تأتي عن قريب * ثم انه اختلى به وقال له يا معروف ما هذه الفعال هل انا قلت لك قمر الخبز او احرقه * ان التجار ضجوا على اموالهم واخبروني انه صار لهم عليك ستون الف دينار اخذتها وفرقتها على الفقراء ومن اين تسدّ دين الناس وانت لا تبيع ولا تشتري * فقال له اي شيء يجري وما مقدار ستين الف دينار لما تجيء الحملة اعطيهم * ان شاؤا قماشا * وان شاؤا ذهبا وفضة * قال له التاجر علي الله اكبر وهل انت لك حملة قال كثير * قال له الله والرجال عليك وعلى سماجتك هل انا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي فانا اخبر بك الناس * فقال له

رح بلا كثرة كلام هل انا فقير ان حملتي فيها شيء كثير * فاذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين انا غير محتاج اليهم * فعند ذلك اغتاظ التاجر علي وقال له يا قليل الادب لابد ان اريك كيف تكذب عليّ ولاتستحي * فقال له الذي يخرج من يدك افعله ويصبرون حتى تجيء حملتي و يأخذون متاعهم بزيادة فتركه وراح * وقال في نفسه انا شكرته سابقا وان ذممته الآن صرت كاذبا وادخل في قول من قال * مَنْ شَكَرَ وَذَمَّ كَذَبَ مَرَّتَيْنِ وصار متحيرا في امره * ثم ان التجار اتوه وقالوا يا تاجر علي هل كلمته * قال لهم يا ناس انا استحي منه ولي عنده الف دينار ولم اقدر ان اكلمه عليها * وانتم لما اعطيتموه ما شاورتموني وليس لكم عليّ كلام من طرفه فطالبوه * وان لم يعطكم فاشكوه الى ملك المدينة وقولوا له انه نصاب نصب علينا فان الملك يخلصكم منه * فراحوا للملك واخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان اننا تحيرنا في امرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد * فانه يفعل كذا وكذا وكل شيء اخذه يفرقه على الفقراء بالكبشة * فلوكان مقلاّ ماكانت تسمح نفسه انه يكبش الذهب ويعطيه للفقراء * ولوكان من اصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته * ونحن لا نرى له حملة مع انه يدعي ان له حملة وقد سبقها * وكلما ذكرنا له صنفا من اصناف القماش يقول عندي منه كثير * وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون الف دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء * وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه * وكان ذلك الملك طمّاعا اطمع من اشعب * فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره

لولم يكن هذا التاجر عنده اموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله * ولابد ان تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعثر عليهم اموالا كثيرة فانا احق منهم بهذا المال * فمرادي ان اعاشره وا تودد اليه حتى تأتي حملته والذي يا خذه منه هؤلاء التجار أخذه انا وا زوجه ابنتي واضم ما له الى مالي * فقال له الوزير يا ملك الزمان ما اظنه الّا نصابا والنصاب قد اخرب بيت الطمّاع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما قال للملك ما اظنه الّا نصابا والنصاب قد اخرب بيت الطمّاع * قال له الملك يا وزير انا امتحنه واعرف هل هو نصاب او صادق وهل هو تربية نعمة اولا * قال الوزير بما ذا تمتحنه قال الملك ان عندي جوهرة فانا ابعث اليه واحضره عندي * واذا جلس اكرمه واعطيه الجوهرة فان عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم * وان لم يعرفها فهو نصاب محدث فا قتله اقبح قتلة * ثم ان الملك ارسل اليه واحضره * فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام واجلسه الى جانبه وقال له هل انت التاجر معروف قال نعم * قال له ان التجار يزعمون ان لهم عندك ستين الف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم * قال له لِمَ لم تعطهم اموالهم قال يصبرون حتى تجيء حملتي واعطيهم المثل مثلين * وان ارادوا ذهبا اعطيهم * وان ارادوا فضة اعطيهم * وان ارادوا بضاعة اعطيهم * والذي له الف اعطيه الفين في نظير ما ستر به وجهي مع الفقراء فان عندي شيأ كثيرا * ثم ان الملك قال له يا

تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها واعطاه جوهرة قدر البندقة * كان الملك اشتراها بالف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها * فاخذها معروف بيده وقرط عليها بالابهام والشاهد فكسرها لان الجوهر رقيق لا يتحمل * فقال له الملك لاي شيء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة * هذه قطعة معدن تساوي الف دينار كيف تقول عليها انها جوهرة ان الجوهرة يكون ثمنها سبعين الف دينار * وانما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة مالم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا اعتني بها * كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها الف دينار * ولكن انتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة * فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذي تخبر به قال كثير * فغلب الطمع على الملك فقال له هل تعطيني جواهر صحاحا قال له حتى تجيء الحملة اعطيك كثيرا * ومهما طلبته فعندي منه كثير واعطيك من غير ثمن * ففرح الملك وقال للتجار روحوا الى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تجيء الحملة ثم تعالوا خذوا ما لكم مني فراحوا * هذا ما كان من امر معروف والتجار * واما ما كان من امر الملك فانه اقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروف وخذ واعط معه في الكلام * واذكر له ابنتي حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التي عنده * فقال الوزير يا ملك الزمان ان حال هذا الرجل لم يعجبني * واظن انه نصاب وكذاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شيء * وكان الوزير سابقا ساق على الملك ان يزوجه البنت واراد زواجها

له * فلما بلغها ذلك لم ترض * ثم ان الملك قال له يا خائن انت لا تريد لي خيرا لكونك خطبت ابنتي سابقا و لم ترض ان تتزوج بك * فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك ان بنتي تبور حتى تأخذ ها انت فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام * كيف يكون نصابا كذابا مع انه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه * وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله و يحبها ويعطيها جواهر وذخائر * وانت مرادك ان تحرم ابنتي و تحرمني من هذه الخيرات * فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه اغر الكلاب على البقر * ثم ميل على التاجر معروف وقال له ان حضرة الملك حبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد ان يزوجها لك فما تقول * فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فان مهر بنات الملوك واسع و مقامهن ان لا يمهرون الاّ بمهر يناسب حالهن * وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر عليّ حتى تجيء الحملة فالخير عندي كثير * ولا بد ان ادفع صداقها خمسة آلاف كيس * واحتاج الى الف كيس افرقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة * والف كيس اعطيها للذين يمشون في الزفة * والف كيس اعمل بها الاطعمة للعساكر وغيرهم * و احتاج الى مائة جوهرة اعطيها للملكة صبيحة العرس * ومائة جوهرة افرقها على الجواري والخدم فاعطي كل واحدة جوهرة تعظيما لمقام العروسة * واحتاج الى ان اكسي الف عريان من الفقراء ولا بد من صدقات * و هذا شيء لا يمكن الاّ اذا جاءت الحملة فان عندي شيئا كثيرا * واذا جاءت الحملة لا ابالي بهذا المصروف كله فراح الوزير واخبر

الملك بما قاله * فقال الملك حيث كان مراده ذلك كيف نقول عنه انه نصاب كذاب * قال الوزير ولم ازل اقول ذلك ففزع فيه الملك ووبخه وقال له وحيوة رأسي ان لم تترك هذا الكلام لا قتلنك فارجع اليه وهاته عندي وانا مني له اصطفل * فراح اليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال سمعا وطاعة * ثم جاء اليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الاعذار فان خزنتي ملآنة * فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج اليه واعط ما تشاء واكس الفقراء وافعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري * واذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الاكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق ابدا * ثم امر شيخ الاسلام ان يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح * وامر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدت الاطعمة من سائر الالوان واقبلت ارباب الملاعب * وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد * وتأتي قدامه ارباب الملاعب والشطار والجنك وارباب الحركات الغريبة والملاهي العجيبة * وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة * وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسو العريانين * وصار فرحا عجاجا * وما بقي الخازندار يلحق ان يجيء بالاموال من الخزنة وكاد قلب الوزير ان ينفقع من الغيظ ولم يقدر ان يتكلم * وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الاموال ويقول للتاجر معروف الله والرجال على صدغك * اما كفاك ان اضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك * فقال له التاجر معروف لا علاقة لك واذا

جاءت الحملة اعوض ذلك على الملك باضعافه وصار يبدد في الاموال ويقول في نفسه كبة حامية فالذي يجري يجري والمقدر ما منه مفر * ولم يزل الفرح مدة اربعين يوما * وفي اليوم الحادي والاربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع سائر الامراء والعساكر * ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف اموالا لها مقدار عظيم * وادخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وارخوا الستائر وقفلوا الابواب وخرجوا وتركوه عند العروسة * فخبط يدا على يد وقعد حزينا مدة وهو يضرب كفا على كف * ويقول لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم * فقالت له الملكة يا سيدي سلامتك مالك مغموما * فقال كيف لا اكون مغموما وابوك قد شوّش عليّ وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الاخضر * قالت وما عمل معك ابي قل لي * قال ادخلني عليك قبل ان تأتني حملتي وكان مرادي اقل ما تكون مائة جوهرة افرقها على جواريك * لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول ان سيدي اعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي * وهذه الخصلة كانت تعظيما لمقامك وزيادة في شرفك فانني لا اقصر ببذل الجواهر لان عندي منها كثيرا * فقالت له لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب * اما انا فما عليك مني لاني اصبر عليك حتى تجيء الحملة * واما الجواري فما عليك منهن قم اقلع ثيابك واعمل انبساطا ومتى جاءت الحملة فاننا لا حقون على تلك الجواهر وغيرها * فقام وقلع ماكان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب الناغاش * ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هي في حجره والقمته شفتها في فمه * وصارت هذه الساعة

تنسى الانسان اباه وامه فحضنها وضمها اليه وعصرها في حضنه وضمها الى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها * ووضع يده من تحت ابطها الشمال فحنت اعضاؤه واعضاؤها للوصال * ولكزها بين النهدين فراحت بين الفخذين * وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى يا ابا اللثامين وحط الذخيرة واشعل الفتيل وحرر على بيت الابرة واعطى النار فخسف البرج من الاربعة اركان * وحصلت النكتة التي لا يسأل عنها وزعقت الزعقة التي لابد منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لا بد منها ازال التاجر معروف بكارتها * وصارت تلك الليلة لا تعد من الاعمار لاشتمالها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورصع الى الصباح * ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك * فقام له من فيه على الاقدام وقابلوه باعزاز واكرام وهنوه وباركوا له * وجلس بجانب الملك وقال اين الخازندار فقالوا ها هو حاضر بين يديك * قال هات الخلع والبس جميع الوزراء والامراء وارباب المناصب فجاء له بجميع ما طلب * وجلس يعطي كل من اتى له ويهب لكل انسان على قدر مقامه * واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوما ولم يظهر له حملة ولا غيرها * ثم ان الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف * وكان الملك جالسا هو والوزير لا غير فقبل الارض بين

يديه وقال يا ملك الزمان انا اخبرك بشيءٍ لانك ربما تلوّمني على عدم الاخبار به * اعلم ان الخزنه فرغت ولم يبق فيها شيءٌ من المال الّا القليل وبعد عشرة ايام نقفلها على الفارغ * فقال الملك يا وزير ان حمله نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر * فضحك الوزير وقال له الله يلطف بك يا ملك الزمان ما انت الّا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب * وحيوة رأسك انه لا حملة له ولا كبّة تريحنا منه * وانما هو لم يزل ينصب عليك حتى اتلف اموالك وتزوج بنتك بلا شيءٍ * والى متى وانت غافل عن هذا الكذاب * فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله * فقال يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل الّا زوجته فارسل الى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى اسألها عن حقيقة حاله لاجل ان تختبره و تطلعنا على حاله فقال لا بأس بذلك * وحيوة رأسي ان ثبت انه نصاب كذاب لا قتلنه اشأم قتلة * ثم انه اخذ الوزير ودخل به الى قاعة الجلوس وارسل الى بنته فاتت خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها * فلما اتت قالت يا ابي ما تريد قال كلمي الوزير * قالت ايها الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي ان زوجك اتلف مال ابيك وقد تزوج بك بلا مهر * وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد ان تخبرينا عنه * فقالت ان كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم ارشيأً * فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة ان تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له اخبرني بالصحيح ولا تخف من شيءٍ فانك صرت زوجي ولا افرط فيك فاخبرني بحقيقة الامر وانا ادبرلك تدبيرا ترتاح به * ثم قربي و

بعدي له في الكلام واريه المحبة وقربه * ثم بعد ذلك اخبريني بحقيقة امره فقالت يا ابت انا اعرف كيف اختبره * ثم انها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته * فقامت له واخذته من تحت ابطه وخادعته خداعا زائدا وناهيك بمخادعة النساء اذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها * وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام احلى من العسل حتى سرقت عقله * فلما رأته مال اليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني يا ثمرة فؤادي لا اوحش الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك * فان محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك احرقت اكبادي وليس فيك تفريط ابدا * ولكن مرادي ان تخبرني بالصحيح لان حيل الكذب غير نافعة ولاتنطلي في كل الاوقات * والى متى وانت تنصب وتكذب على ابي وانا خائفة ان يفتضح امرك عنده قبل ان ندبر له حيلة فيبطش بك فاخبرني بالصحيح ومالك الا ما يسرك * ومتى اخبرتني بحقيقة الامر لا تخش من شيءٍ يضرك * فكم تدعي انك تاجر وصاحب اموال ولك حملة * وقد مضت لك مدة طويلة وانت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر * ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب * فان كان كلامك ليس له صحة فاخبرني وانا ادبر لك تدبيرا تتخلص به ان شاء الله * فقال لها يا سيدتي انا اخبرك بالصحيح ومهما اردتِ فافعلي * فقالت قل وعليك بالصدق فان الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فانه يفضح صاحبه ولله در من قال

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ اَنَّهُ ... أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الوَعِيدْ
وَابْغِ رِضَى اللّهِ فَأَغْبَى الوَرَى ... مَنْ أَسْخَطَ المَوْلَى وَأَرْضَى العَبِيدْ

فقالت يا سيدتي اعلمي اني لست تاجرا ولا لي حملة ولا كبة حامية * وانما كنت في بلادي رجلا اسكافيا ولي زوجة اسمها فاطمة العرّة * وجرى لي معها كذا وكذا واخبرها بالحكاية من اولها الى اٰخرها * فضحكت وقالت انك ماهر في صناعة الكذب والنصب * فقال يا سيدتي الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفكّ الكروب * فقالت اعلم انك نصبت على ابي وغررته بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم اتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك * وكم مرة يتكلم فيك عند ابي ويقول له انه نصاب كذاب * ولٰكن ابي لم يطعه فيما يقول بسبب انـه كان خطبني وانا لم ارض به ان يكون لي بعلا واكون له اهلا * ثم ان المدة طالت وقد تضايق ابي وقال لي قرريه وقد قررتك وانكشف المغطى * وابي مصرلك على الضرربهذا السبب ولٰكنك صرت زوجي وانالا افرط فيك * فان اخبرت ابي بهذا الخبر ثبت عنده انك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك واذهبت اموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة * ويشيع بين الناس اني تزوجت برجل نصاب كذاب ونكـون فضيحة في حقي * واذا قتلك ابي ربما يحتاج الى ان يزوجني الى اٰخر وهذا شيءٌ لا اقبله ولومت * ولٰكن قم الاٰن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين الـف دينار من مالي واركب على جواد وسافرالى بلاد يكون حكم ابي لا ينفذ فيها * واعمل تاجرا هناك واكتب لي كتابا وارسله مع ساع يأتيني به خفية لا علم في اي البلاد انت حتى ارسل اليك كلما طالته يدي ويكثر مالك * فان مات ابي ارسلت اليك فتجيءُ باعزاز واكرام * واذامت انت اومت انا الى رحمة الله تعالى فالقيٰمة تجمعنا وهذا هو الصواب * وما دمت طيبا

و انا طيبة لا اقطع عنك المراسلة والاموال قم قبل ان يطلع النهار عليك وتحتار و يحيط بك الدمار * فقال لها يا سيدتي انا في عرضك ان تودعيني بو صالك فقالت لا بأس * ثم و اصلها واغتسل و لبس بدلة مملوك وامر السياس ان يشدوا له جوادا من الخيل الجياد فشدوا له جوادا * ثم ودعها و خرج من المدينة في آخر الليل و سار * فصار كل من رآه يظن انه مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة * فلما اصبح الصباح جاء ابوها هو والوزير الى قاعة الجلوس وارسل اليها ابوها فاتت خلف الستارة * فقال لها ابوها يا بنتي ما تقولين قالت اقول سوّد الله وجه وزيرك فانه كان مراده ان يسود وجهي مع زوجي * قال وكيف ذلك قالت انه دخل عليّ امس قبل ان اذكر له هذا الكلام * واذا بفرج الطواشي دخل عليّ وبيده كتاب وقال ان عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر واعطوني هذا الكتاب * و قالوا لي قبل لنا ايادي سيدي معروف التاجر واعطه هذا الكتاب فاننا من مماليكه الذين مع الحملة * وقد بلغنا انه تزوج بنت الملك فاتينا له لنخبره بما حل بنا في الطريق * فاخذت الكتاب وقرأته * فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة الى حضرة سيدنا التاجر معروف * وبعد فالذي نعلمك به انك بعد ما فتنا خرج العرب علينا وحاربونا * وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك * ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم و منعونا عن الطريق ومضى لنا ثلثون يوما ونحن نحاربهم و هذا سبب تأخيرنا عنك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الملك قالت لابيها ان زوجي جاءه مكتوب من اتباعه * مضمونه ان العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك * وقد اخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكا * فلما بلغه الخبر قال خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لاجل مائتي حمل بضاعة وما مقدار مائتي حمل * فما كان ينبغي لهم ان يتأخروا من اجل ذلك فان قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار * ولكن ينبغي اني اروح اليهم واستعجلهم * والذي اخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيأ * واقدر اني تصدقت به عليهم ثم نزل من عندي ضاحكا ولم يغتم على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه * ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين اتوا له بالكتاب كأنهم الاقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوي الفي دينار وليس عند ابي مملوك يشبه واحدا منهم * ثم توجه مع المماليك الذين جاؤا له بالمكتوب ليجيء بحملته * والحمد لله الذي منعني ان اذكر له شيأ من الكلام الذي امرتني به فانه كان يستهزؤ بي وبك * وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاما لا يليق به * فقال الملك يا بنتي ان مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك * ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء * وان شاء الله عن قريب يأتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير * وصار يأخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة *

هذا ما كان من امر الملك * واما ما كان من امر التاجر معروف فانه ركب الجواد وسار في البر الاقفر وهو متحير لا يدري الى اي البلاد يروح * وصار من الم الفراق ينوح وقاسى الوجد واللوعات وانشد هذه الابيات

غَدَرَ الزَّمَانُ بِشَمْلِنَا فَتَفَرَّقَا ... وَالْقَلْبُ ذَابَ مِنَ الْجَفَا وَتَحَرَّقَا
وَالْعَيْنُ تَقْطُرُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي ... هٰذَا الْفِرَاقُ مَتَى يَكُونُ الْمُلْتَقَى
يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ أَنَا الَّذِي ... فِي حُبِّكُمْ تَرَكَ الْفُؤَادَ مُمَزَّقَا
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَجْتَمِعْ بِكَ سَاعَةً ... مِنْ بَعْدِ طِيبِ وِصَالِكُمْ ذُقْتُ الشَّقَا
مَا زَالَ مَعْرُوفٌ بِدُنْيَا مُغْرَمًا ... إِنْ كَانَ مَاتَ صَبَابَةً فَلَهَا الْبَقَا
يَا بَهْجَةَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ أَدْرِكِي ... قَلْبًا لِمَعْرُوفٍ الْمَحَبَّةِ مُحْرَقَا
يَا هَلْ تَرَى الْأَيَّامُ تَجْمَعُ شَمْلَنَا ... وَنَفُوزُ مِنْهَا بِالْمَسَرَّةِ وَاللِّقَا
وَيَضُمُّنَا قَصْرُ الْحَبِيبَةِ بِالْهَنَا ... وَأَضُمُّ فِيهِ مُعَانِقًا غُصْنَ النَّقَا
يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرَةِ شَمْسُهُ ... مَا زَالَ وَجْهُكَ بِالْمَحَاسِنِ مُشْرِقَا
إِنِّي لَرَاضٍ بِالْغَرَامِ وَهَمِّهِ ... حَيْثُ السَّعَادَةُ فِي الْهَوَى عَيْنُ الشَّقَا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وقد انسدت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحيوة * ثم انه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائرا الى وقت الظهر حتى اقبل على بلد صغيرة * فرأى رجلا حراثا قريبا منها يحرث على ثورين * وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام * وقال مرحبا بك يا سيدي هل انت من مماليك السلطان قال نعم * قال انزل عندي للضيافة * فعرف انه من الاجاويد * فقال له يا اخي ما انا ناظر عندك شيأ حتى تطعمني اياه فكيف تعزم علي * فقال الحراث يا سيدي الخير موجود انزل انت وها هي البلد قريبة فاروح

واجيء لك بغداء و عليق لحصانك * قال حيث كانت البلد قريبة فانا اصل اليها في مقدار ما تصل انت اليها و اشتري مرادي من السوق و آكل * فقال له يا سيدي ان البلد كَفْرٌ صغير و ليس فيها سوق ولا بيع و لا شراء * سألتك بالله ان تنزل عندي وتجبر بخاطري و انا اذهب اليها و ارجع اليك بسرعة فنزل * ثم ان الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره * ثم قال في نفسه انا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله * و لكن انا اقوم واحرث عوضا عنه حتى يأتي في نظير ما عوقته عن شغله * ثم اخذ المحراث و ساق الثيران فحرث قليلا وعثر المحراث في شيء فوقفت البهائم * فساقها فلم تقدر على المشي فنظر الى المحراث فرآه مشبوكا في حلقة من الذهب فكشف عنها التراب * فوجد تلك الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون * فعالج فيه حتى قلعه من مكانه * فبان من تحته طابق بسلالم فنزل في تلك السلالم فرأى مكانا مثل الحمام باربعة لواوين * الليوان الاول ملآن من الارض الى السقف بالذهب * و الليوان الثاني ملآن زمردا و لؤلؤا او مرجانا من الارض الى السقف * و الليوان الثالث ملآن ياقوتا و بلخشا و فيروزجا * والليوان الرابع ملآن بالالماس ونفيس المعادن من سائر اصناف الجواهر * وفي صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة * وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب * فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحا شديدا و قال يا هل ترى اي شيء في هذه العلبة * ثم انه فتحها فرأى فيها خاتما من الذهب مكتوبا عليه اسماء

وطلاسم مثل دبيب النمل * فدعك الخاتم واذا بقائل يقول لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعط * هل تريد ان تعمر بلدا او تخرب مدينة او تقتل ملكا او تحفر نهرا او نحو ذلك * فمهما طلبته فانه قد صار باذن الملك الجبار خالق الليل والنهار * فقال له يا مخلوق ربي من انت وما تكون قال انا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه * فمهما طلبه من الاغراض قضيته له ولا عذر لي فيما يأمرني به * فاني سلطان على اعوان من الجان وعدة عسكري اثنان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون الفا * وكل واحد من الالف يحكم على الف مارد * وكل مارد يحكم على الف عون * وكل عون يحكم على الف شيطان * وكل شيطان يحكم على الف جني * وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي * وانا مرصود لهذا الخاتم لا اقدر على مخالفة من ملكه وها انت قد ملكته * وصرت انا خادمك فاطلب ما شئت فاني سميع لقولك مطيع لامرك * واذا احتجت اليّ في اي وقت في البر او في البحر فادعك الخاتم تجدني عندك * واياك ان تدعكه مرتين متواليتين فتحرقني بنار الاسماء وتعدمني وتندم عليّ بعد ذلك وقد عرفتك بحالي والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خادم هذا الخاتم لما اخبر معروفا باحواله قال له معروف ما اسمك * قال اسمي ابو السعادات * فقال له يا ابا السعادات ما هذا المكان ومن ارصدك في هذه العلبة * قال له يا سيدي هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن

هاد الذي عمر إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وانا كنت خادمه في حيوته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه ولكنه نصيبك * فقال له معروف هل تقدر ان تخرج ما في هذا الكنز على وجه الارض قال نعم اسهل ما يكون * قال اخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيأ فاشار بيده الى الارض فانشقت * ثم نزل وغاب مدة لطيفة واذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا * وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهبا وفرغوها * ثم راحوا وجاؤا بغيرها * ولا زالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقي في الكنز شيء * ثم طلع له ابوالسعادات * وقال له يا سيدي قد رأيت ان جميع ما في الكنز قد نقلناه * فقال له ما هذه الاولاد الحسان قال هؤلاء اولادي لان هذه الشغلة لا تستحق ان اجمع لها الاعوان واولادي قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك فاطلب ما تريد غير هذا * قال له هل تقدر ان تجيء لي ببغال وصناديق وتحط هذه الاموال في الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا اسهل ما يكون * ثم انه زعق زعقة عظيمة فحضرت اولاده بين يديه وكانوا ثمان مائة * فقال لهم لينقلب بعضكم في صورة البغال وبعضكم في صورة المماليك الحسان الذين اقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك * وبعضكم في صورة المكارية * وبعضكم في صورة الخدامين ففعلوا كما امرهم * وانقلبوا سبعمائة بغالا للحملة والمائة الباقي في صورة الخدام * ثم صاح على الاعوان فحضروا بين يديه * فامرهم ان ينقلب بعضهم في صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر * فلما رأى معروف ذلك قال اين الصناديق فاحضروهم

بين يديه * قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل * فقال معروف يا ابا السعادات هل تقدر ان تجيء لي باحمال من نفيس القماش * قال انريد قماشا مصريا اوشاميا او اعجميا او هنديا او روميا * قال هات من قماش كل بلد مائة حمل على مائة بغل * قال يا سيدي اعطني مهلة حتى ارتب اعواني لذلك وأمر كل طائفة ان تروح الى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها * وينقلب الاعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع * قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار الّا وعندك جميع ما تريد قال امهلتك هذه المدة * ثم انه امرهم ان ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاؤا له بسماط وقال له ابو السعادات يا سيدي اجلس في الخيمة * وهؤلاء اولادي بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء وانا رائح اجمع اعواني وابعثهم ليقضوا حاجتك * ثم ذهب ابو السعادات الى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه واولاد ابي السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم * فبينما هو جالس على تلك الحالة واذا بالرجل الفلاح قد اقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيرا * فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وايديهم على صدورهم * فظن ان السلطان اتى ونزل في ذلك المكان فوقف باهتا * وقال في نفسه يا ليتني كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقري من شأن السلطان * واراد ان يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه * وقال للمماليك هاتوه فحملوه هو والقصعة العدس واتوا بهما قدامه * فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك

فلا تؤاخذني فاني ما كنت اظن ان السلطان يأتي الى هذا المكان * ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة * فقال معروف ان السلطان لم يجيء وانما انا نسيبه وكنت مغبونا منه * وقد ارسل اليّ مماليكه فصالحوني وانا الآن اريد ان ارجع الى المدينة * وانت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدسا فانا ما آكل الّا من ضيافتك * ثم امره بوضع القصعة في وسط السماط واكل منها حتى اكتفى * واما الفلاح فانه ملأ بطنه من تلك الالوان الفاخرة * ثم ان معروفا غسل يديه واذن للمماليك في الاكل فنزلوا على بقية السماط واكلوا * ولما فرغت القصعة ملأها له ذهبا وقال له اوصلها الى منزلك وتعال عندي في المدينة وانا اكرمك * فاخذ القصعة ملآنة ذهبا وساق الثيران وراح الى بلده وهو يظن انه نسيب الملك * وبات معروف تلك الليلة في انس وصفاء وجاؤا له ببنات من عرائس الكنوز فدقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكانت لاتعد من الاعمار * فلما اصبح الصباح لم يشعر الّا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة احمالا وهي سبعمائة بغل حاملة اقمشة * وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وابو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة * وقدامه تختروان له اربع عساكر من الذهب الاحمر الوهاج مرصعة بالجواهر * فلما وصل الى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الارض وقال يا سيدي ان الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثل لها من ملابس الملوك فالبسها واركب في التختروان وأمرنا بما تريد * فقال له يا

ابا السعادات مرادي ان اكتب لك كتابا تروح به الى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك * ولا تدخل عليه الّا في صورة ساع انيس * فقال له سمعا وطاعة * فكتب كتابا وختمه فاخذه ابو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك * فرأه يقول يا وزير ان قلبي على نسيبي واخاف ان تقتله العرب * يا ليتني كنت اعرف اين ذهب حتى كنت اتبعه بالعسكر * ويا ليته كان اخبرني بذلك قبل الذهاب * فقال له الوزير الله يلطف بك على هذه الغفلة التي انت فيها * وحيوة رأسك ان الرجل عرف اننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب * وما هو الّا كذاب نصاب واذا بالساعي داخل فقبل الارض بين يدى الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء * فقال له الملك من انت وما حاجتك * فقال له انا ساع ارسلني اليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد ارسل اليك معي كتابا وها هو * فاخذه وقرأه فرأى فيه بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فاني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر * فقال الملك سوّد الله وجهك يا وزير كم تقدح عرض نسيبي وتجعله كذابا نصابا وقد اتى بالحملة فما انت الّا خائن * فاطرق الوزير رأسه الى الارض حياء وخجلا * وقال يا ملك الزمان انا ما قلت هذا الكلام الّا لطول غياب الحملة وكنت خائفا على ضياع المال الذي صرفه * فقال يا خائن اي شيء اموالا حيثما اتت حملته فانه يعطيني عوضا عنها شيأ كثيرا * ثم امر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها لك البشارة ان زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد ارسل اليّ مكتوبا بذلك وها انا طالع لملاقاته * فتعجبت البنت من هذه الحالة * وقالت في

نفسها ان هذا شيء عجيب هل كان يهزؤبي و يتمسخر عليّ * اوكان يختبرني حين اخبرني بانه فقير * ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصيرفي حقه * هذا ماكان من امره * واما ما كان من امر التاجر علي المصري فانه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك * فقالوا له ان التاجر معروف نسيب الملك قد اتت حملته * فقال الله اكبر ما هذه الداهية انه قد اتاني هاربا من زوجته و كان فقيرا فمن اين جاءت له حملة * ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفا من الفضيحة و الملوك لا تعجز عن شيء * فالله تعالى يستره و لايفضحه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر علي لما سأل عن الزينة اخبروه بحقيقة الحال فدعا له و قال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وانسروا لاجل اخذ اموا لهم * ثم ان الملك جمع العسكر و طلع * وكان ابو السعادات قد رجع الى معروف و اخبره بانه بلغ الرسالة * فقال معروف حملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب فى التختروان و صار اعظم واهيب من الملك بالف مرة ومشى الى نصف الطريق و اذا بالملك قابله بالعسكر * فلما وصل اليه رآه لابسا تلك البدلة وراكبا فى التختروان فرمى روحه عليه وسلم عليه وحيّاه بالسلام * وجميع اكابر الدولة سلموا عليه و بان ان معروفا صادق و لا كذب عنده * ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الاسد وسعت اليه التجار وقبلوا الارض بين يديه * ثم ان التاجر علي قال له قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين * ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من

فضله فضحك معروف * ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال ادخلوا احمال الذهب في خزانة عمي الملك * وهاتوا احمال الاقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملا بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل * فنقى اطيبها وقال ادخلوه للملكة لتفرقه على جواريها * وخذوا هذا الصندوق والجواهر وادخلوه لها لتفرقه على الجواري والخدم * وصار يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الاقمشة في نظير ديونهم * والذي له الف يعطيه قماشا يساوي الفين او اكثر * وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر ان يعترض عليه * و لم يزل يعطي ويهب حتى فرق السبعمائة حمل * ثم التفت الى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمردا ويواقيت ولؤلؤا ومرجانا وغير ذلك وصار لا يعطي الجواهر الا بالكبش من غير عدد * فقال له الملك يا ولدي يكفي هذا العطاء لانه لم يبق من الحملة الا القليل * فقال له عندي كثير واشتهر صدقه وما بقي احد يقدر ان يكذبه * وصار لا يبالي بالعطاء لان الخادم يحضر له مهما طلب * ثم ان الخازندار اتى للملك وقال يا ملك الزمان ان الخزنة امتلأت وصارت لا تسع بقية الاحمال وما بقي من الذهب والمعادن اين نضعه فاشار له الى مكان آخر * ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها يا هل ترى من اين جاء له كل هذا الخير * وكذلك التجار فرحوا بما اعطاهم ودعوا له * واما التاجر علي فانه صار متعجبا ويقول في نفسه يا ترى كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء ولكن ما احسن قول من قال

مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ إِذَا وَهَبْ   لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ ٱلسَّبَبْ
ٱللّٰهُ يُعْطِي مَنْ يَشَا   وَفَكُنْ عَلَى حَدِّ ٱلْأَدَبْ

هذا ما كان من امره * واما ما كان من امر الملك فانه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف و من كرمه و سخائه ببذل المال * ثم بعد ذلك دخل معروف علي زوجته فقابلته وهي متبسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده * وقالت هل كنت تتمسخر عليّ او كنت تجربني بقولك انا فقير وهارب من زوجتي * والحمد لله حيث لم يقع مني في حقك تقصير وانت حبيبي * وما عندي اعز منك سوا و كنت غنيا او فقيرا * و اريد ان تخبرني ما قصدت بهذا الكلام قال اردت تجريبك حتى انظر هل محبتك خالصة او على شأن المال وطمع الدنيا * فظهر لي ان محبتك خالصة و حيث كنت صادقة في المحبة فمرحبا بك و قد عرفت قيمتك * ثم انه اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له ابو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد * قال اريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحليا كنوزيا مشتملا على عقد فيه اربعون جوهرة يتيمة قال سمعا وطاعة * ثم احضر له ما امره به فحمل البدلة والحلي بعد ان صرف الخادم * ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذي والبسي فمرحبا بك * فلما نظرت الي ذلك طار عقلها من فرحتها * ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة * واساور وحلقا وحزاما لا يتقوم بثمنها اموال فلبست البدلة والحلي * ثم قالت يا سيدي مرادي ان ادخرها للمواسم والاعياد قال البسيها دائما فان عندي غيرها كثير * فلما لبستها

ونظرها الجواري فرحن وقبلن يديه فتركهن واختلى بنفسه * ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم * فقال له هات لي مائة بدلة بمصاغها فقال سمعا وطاعة * ثم احضر له البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها فاخذها * وزعق على الجواري فأتين اليه فاعطى كل واحدة بدلة فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين * وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم * ثم ان بعض الجواري اخبر الملك بذلك فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها هي وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب * ثم خرج واحضر وزيره وقال له يا وزير انه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الامر * قال يا ملك الزمان ان هذه الحالة لا تقع من التجار لان التاجر تفعل عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها الّا بمكسب * فمن اين للتجار كرم مثل هذا الكرم ومن اين لهم ان يحوزوا مثل هذه الاموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك الّا قليل * فكيف يوجد عند التجار منها احمال فهذا لا بد له من سبب * ولكن ان طاوعتني ابين لك حقيقة الامر * فقال له اطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه وواده وتحدث معه * وقل له يا نسيبي في خاطري ان اروح انا وانت والوزير من غير زيادة بستانا لاجل النزهة * فاذا خرجنا الى بستان نحط سفرة المدام واغصب عليه واسقيه * ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة امره فانه يخبرنا باسراره والمدام فضّاح ولله درّ من قال

وَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا ... إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي
مَخَافَةَ أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ شُعَاعُهَا ... فَتَظْهَرَ نُدْمَانِي عَلَى سِرِّيَ الْخَفِي

ومتى اخبرنا بحقيقة الامر فاننا نطلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار فان هذه الحالة التي هو فيها اخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه فى الملك فيشتمل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ الملك منك * فقال له الملك صدقت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما دبّر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الامر * فلما اصبح الصباح خرج الملك الى المقعد وجلس واذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين * فقال لهم ما الذي اصابكم قالوا يا ملك الزمان ان السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة * فلما اصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا ودخلنا محل المماليك فلم نرفيه احدا ولم نعرف كيف هربوا * فتعجب الملك من ذلك لانه ظن ان الاعوان كانوا خيلا وبغالا ومماليك ولم يعلم انهم كانوا اعوان خادم الرصد * فقال لهم يا ملاعين الف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم * فقالوا ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا * فقال انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين في هذا الامر * فبينماهم جالسون على تلك الحالة واذا بمعروف قد خرج من الحريم فرأهم مغتمين * فقال لهم ما الخبر فاخبروه بما حصل * فقال وما قيمتهم

حتى تغتموا عليهم امضوا الى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الامر * فطل الملك في وجه الوزير وقال اي شيء هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة فلابد لذلك من سبب * ثم انهم تحدثوا معه ساعة وقال الملك يا نسيبي خاطري ان اروح انا وانت والوزير بستانا لاجل النزهة فما تقول قال لا بأس * ثم انهم ذهبوا وتوجهوا الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان انهاره دافقة واشجاره باسقة واطياره ناطقة * ودخلوا فيه قصرا يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنكت المضحكات والالفاظ المطربات * ومعروف مُصْغٍ الى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام * وبعد ان اكلوا وغسلوا ايديهم ملأ الوزير الكأس واعطاه للملك فشربه وملأ الثاني وقال لمعروف هاك كأس الشراب الذي تخضع لهيبته اعناق الالباب * فقال معروف ما هذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور الى السرائر التي قال فيها الشاعر

كَانَتْ لَهَا أَرْجُلُ الْأَعْلَاجِ دَائِرَةً ... بِالدُّوسِ فَانْتَصَفَتْ مِنْ أَرْؤُسِ الْعَرَبِ
يَسْقِيكَهَا مِنْ بَنِي الْكُفَّارِ بَدْرُ دُجًى ... أَلْحَاظُهُ لِلْمَعَاصِي أَوْكَدُ السَّبَبِ

ولله در القائل

فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ حَامِلَ كَأْسِهَا ... اِذْ قَامَ يَجْلُوهَا عَلَى النُّدَمَاءِ
شَمْسُ الضُّحَى رَقَصَتْ فَنَقَّطَ وَجْهَهَا ... بَدْرُ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْجَوْزَاءِ
رَقَّتْ فَكَادَتْ مِنْ لَطِيفِ مِزَاجِهَا ... تَجْرِي كَمَجْرَى الرُّوحِ فِي الْأَعْضَاءِ

وما احسن قول الشاعر

وَبَاتَ بَدْرُ تَمَامِ الْحُسْنِ مُعْتَنِقِي وَالشَّمْسُ فِي فَلَكِ الْكَاسَاتِ لَمْ تَفِلِ
وَبِتُّ أَنْظُرُ لِلنَّارِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا الْمَجُوسُ مِنَ الْإِبْرِيقِ تَسْجُدُ لِي

وقول الآخر

وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشِّي الْبُرْءِ فِي السَّقَمِ

وقول الآخر

عَجِبْتُ لِعَاصِرِيهَا كَيْفَ مَاتُوا وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا مَاءَ الْحَيَوةِ

واحسن من ذلك قول ابي نواس

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ
قَامَتْ بِإِبْرِيقِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ ضَوْئِهَا فِي الْبَيْتِ لَأْلَاءُ
طَافَتْ عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَلَا تُصِيبُهُمُ إِلَّا بِمَا شَاؤُوا
مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرٍ فِي زِيِّ ذِي ذَكَرٍ لَهَا مُحِبَّانِ لُوطِيٌّ وَزَنَّاءُ
وَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي الْعِلْمِ مَعْرِفَةً حَفِظْتَ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

واحسن من الجميع قول ابن المعتز

سَقَى الْجَزِيرَةَ ذَاتَ الظِّلِّ وَالشَّجَرِ وَدَيْرَ عَبْدُونَ هَطَّالٌ مِنَ الْمَطَرِ
فَطَالَمَا نَبَّهَتْنِي لِلصَّبُوحِ بِهَا فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ وَالْعُصْفُورُ لَمْ يَطِرِ
أَصْوَاتُ رُهْبَانِ دَيْرٍ فِي صَلَوتِهِمِ سُودِ الْمَدَارِعِ نَعَّارِينَ فِي السَّحَرِ
كَمْ فِيهِمِ مِنْ مَلِيحِ الشَّكْلِ مُكْتَحِلٍ بِالْغُنْجِ يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ عَلَى حَوَرِ
وَزَارَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِراً يَسْتَعْجِلُ الْخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ

وَقُمْتُ أَفْرِشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى أَثَرِي
وَلَاحَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلَ القُلَامَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ
وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ

ولله در القائل

أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْنَى الوَرَى مُسْتَبْشِرًا بِالفَرَحِ
عِنْدِي نُضَارٌ ذَائِبٌ أَكْتَالُهُ بِالقَدَحِ

وما احسن قول الشاعر

تَاللّٰهِ مَا الكِيمِيَا فِي غَيْرِهَا وُجِدَتْ وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي أَبْوَابِهَا كَذِبُ
قِيرَاطُ خَمْرٍ عَلَى القِنْطَارِ مِنْ حَزَنٍ يَعُودُ فِي الحِينِ أَفْرَاحًا وَيَنْقَلِبُ

وقول الاخر

ثَقُلَتْ زُجَاجَاتٌ أَتَيْنَا فُرَّغًا حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصِرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ مَعَ الهَوَى وَكَذَا الجُسُومُ تَخِفُّ بِالأَرْوَاحِ

وقول الاخر

وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ حَقٌّ مُعَظَّمٌ وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ لَا تُضِيعَ حُقُوقَهَا
إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا
وَلَا تَدْفِنَنِّي فِي الفَلَاةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا

وما زال يرغبه فى الشراب * ويذكر له من محاسنه ما استطاب * وينشده ما ورد فيه من الاشعار ولطائف الاخبار حتى مال الى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز

خطأه من صوابه * فلما علم ان السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف والله اني متعجب من اين وصلت اليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة * وعمرنا ما رأينا تاجرا حاز اموالا مثلك ولا اكرم منك فان افعالك افعال ملوك وليست افعال تجار * فبالله عليك ان تخبرني حتى اعرف قدرك ومقامك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل * فقال له معروف انا لست تاجرا ولا من الملوك واخبره بحكايته من اولها الى آخرها * فقال له بالله عليك يا سيدي معروف انك تفرجنا على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته * فقلع الخاتم وهو في حال سكره وقال خذوا تفرجوا عليه فاخذه الوزير وقلبه وقال هل اذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه * فدعكه واذا بقائل يقول لبيك يا سيدي اطلب تعط هل تخرب مدينة او تعمر مدينة او تقتل ملكا * فمهما طلبته فاني افعله لك من غير خلاف * فاشار الوزير الى معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه في اوحش الاراضي الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدا ولم يدر به احد * فخطفه الخادم وطار به بين السماء والارض * فلما رأى معروف ذلك ايقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال يا ابا السعادات الى اين انت رائح بي * فقال له انا رائح ارميك في الربع الخراب يا قليل الادب من يملك رصدا مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه * لكن تستاهل ما حل بك ولولا اني اخاف الله لرميتك من مسافة الف قامة فلا تصل الى الارض حتى تمزقك الرياح فسكت * وصار

لايخاطبه حتى وصل به الى الربع الخراب ورماه هناك ورجع و خلاه فى الارض الموحشـة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلماكانت الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم اخـذ معروفا ورماه فى الربع الخراب ورجع وخلاه * هذا ماكان من امره * واما ما كان من امر الوزير فانه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت اما قلت لك ان هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقني * فقال له الحق معك يا وزيري الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى انفرج عليه * فالتفت اليه الوزير بالغضب و بصق في وجهه و قال له يا قليـل العقل كيف اعطيه لك وابقى خدامك بعد ان صرت سيدك * ولكن انا مابقيت ابقيك * ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له احمل هذا القليل الادب وارمه فى المكان الذي رميت فيه نسيبه النصاب فحمله و طاربه * فقال له الملك يا مخلوق ربي اي شيء ذنبي قال له الخادم لا ادري وانمـا امرني سيدي بذلك وانا لا اقدر ان اخالف من ملك خاتم هذا الرصد * ولم يزل طائرابه حتى رماه فى المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك * فسمـع معروف يبكي فاتى له واخبره وقعدا يبكيـان على ما اصابهما ولم يجدا اكلا ولا شربا * هذا ماكان من امرهما * واما ماكان من امر الوزير فانه بعد ماشتّت معروفا والملك قام وخرج من البستان وارسل الى جميـع العسكر وعمل ديوانا واخبرهم

بما فعل مع معروف والملك واخبرهم بقصة الخاتم * وقال لهم ان لم تجعلوني عليكم سلطانا امرت خادم الخاتم ان يحملكم جميعا ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعا وعطشا * فقالوا له لا تفعل معنا ضررا فاننا قد رضينا بك علينا سلطانا ولا نعصي لك امرا * ثم انهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهرا عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من ابي السعادات كلما اراده فيحضره بين يديه في الحال * ثم انه جلس على الكرسي واطاعه العسكر وارسل الى بنت الملك يقول لها حضّري روحك فاني داخل عليك في هذه الليلة لاني مشتاق اليك فبكت وصعب عليها ابوها وزوجها * ثم انها ارسلت تقول له امهلني حتى تنقضي العدة * ثم اكتب كتابي وادخل عليّ في الحلال فارسل يقول لها انا لا اعرف عدة ولا طول مدة ولا احتاج الى كتاب ولا اعرف حلالا من حرام ولا بد من دخولي عليك في هذه الليلة * فارسلت تقول له مرحبا بك ولا بأس بذلك وكان ذلك مكرا منها * فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لانه كان مغرما بحبها * ثم انه امر بوضع الاطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فانه وليمة الفرح فاني اريد الدخول على الملكة في هذه الليلة * فقال شيخ الاسلام لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها * فقال له انا لا اعرف عدة ولا مدة فلا تكثر عليّ كلاما فسكت شيخ الاسلام وخاف من شره وقال للعسكر ان هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له * فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة افخر ما عندها من الثياب ومزينة باحسن الزينة * فلما رأته قابلته وهي ضاحكة وقالت له ليلة مباركة ولو كنت قتلت ابي وزوجي لكان احسن

عندي * فقال لها لابد ان اقتلهما فاجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد * فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وانما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على ام ناصيته وما فعلت معه هذه الفعال الّا على رأي من قال

وَلَقَدْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِي ... مَا لَيْسَ يَبْلُغُ بِالسُّيُوفْ
ثُمَّ انْثَنَيْتُ بِمَغْنَمٍ ... حُلْوِ الْمَجَانِي وَالْقُطُوفْ

فلما رأى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال * فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدي اما ترى للرجل الناظر الينا بالله عليك ان تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر الينا * فاغتاظ وقال اين الرجل قالت هاهو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر الينا * فظن ان خادم الخاتم ينظر اليهما فضحك وقال لاتخافي ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي قالت انا اخاف من العفاريت فاقلعه وارمه بعيدا عني * فقلعه وحطه على المخدة ودنا منها فرفصته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشيا عليه وزعقت على اتباعها فاتوها بسرعة * فقالت امسكوه فقبضت عليه اربعون جارية وعجلت باخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته واذا بابي السعادات اقبل يقول لبيك يا سيدتي * فقالت احمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقّل قيوده فاخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته * فقالت له اين ذهبت بابي وزوجي قال رميتهما في الربع الخراب * قالت امرتك ان تأتيني بهما في هذه الساعة فقال سمعا وطاعة * ثم طار من قدامها ولم يزل طائرا الى ان وصل الى الربع الخراب

ونزل عليهما فراٰهما قاعدين يبكيان و يشكوان لبعضهما * فقال لهما لا تخافا قد اتاكما الفرج واخبرهما بما فعل الوزير و قال لهما اني قد سجنته بيدي طاعة لها * ثم امرتني بارجاعكما ففرحا بخبره * ثم حملهما و طار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك * فقامت و سلمت على ابيها و زوجها واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة * وفي ثاني يوم البست اباها بدلة فاخرة والبست زوجها بدلة فاخرة * و قالت يا ابت اقعد انت على كرسيك ملكا على ما كنت عليه اولا واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جرى * وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانه كافر و اراد ان يدخل عليّ سفاحا من غير نكاح وشهد على نفسه انه كافر * و ليس له دين يتدين به و استوص بنسيبك الذي جعلته وزير ميمنة عندك * فقال لها سمعا و طاعة يا بنتي * ولٰكن اعطيني الخاتم او اعطيه لزوجك * فقالت انه لا يصلح لك ولا له و انما الخاتم يكون عندي وربما احميه اكثر منكما * ومهما اردتماه فاطلباه مني و انا اطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأسا ما دمت انا طيبة و بعد موتي فشأنكما و الخاتم * فقال ابوها هذا هو الرأي الصواب يا بنتي ثم اخذ نسيبه و طلع الى الديوان * وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من انه دخل عليها سفاحا من غير نكاح * و اساء الملك ونسيبه و خافوا ان تنهتك شريعة الاسلام لانه بان لهم انه كافر * ثم اجتمعوا فى الديوان و صاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون له لماذا ما منعته من

الدخول على الملكة سفاحا * فقال لهم يا ناس ان الرجل كافر وصار ما لنا للخائن وانا وانتم لا يخرج من ايدينا في حقه شيء * فالله تعالى يجازيه بفعله واسكتوا انتم لئلا يقتلكم * فبينما العساكر مجتمعون فى الديوان يتحدثون في هذا الكلام واذا بالملك داخل عليهم فى الديوان ومعه نسيبه معروف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للالف

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العساكر من شدة غيظهم جلسوا فى الديوان يتحدثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته واذا بالملك داخل عليهم فى الديوان ومعه نسيبه معروف * فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الاقدام وقبلوا الارض بين يديه * ثم جلس على الكرسي واخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة * وامر بزينة المدينة واحضر الوزير من الحبس * فلما مر بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل الى الملك * فلما تمثل بين يديه امر بقتله اشنع قتلة فقتلوه ثم حرقوه وراح الى سقر فى اسوأ الاحوال واجاد فيه من قال

فَلَا رَحِمَ الرَّحمنُ تُربَةَ عَظمِهِ   وَلَا زَالَ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ

ثم ان الملك جعل معروفا وزير ميمنة عنده وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات * وفى السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانا مكان

ابيها ولم تعطه الخاتم * وكانت فى هذه المدة حملت منه وو ضعت غلاما بديع الجمال بارع الحسن والكمال * ولم يزل فى حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت امه مرض الموت * فاحضرت معروفا وقالت له انا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبي * قالت له ربما اموت فلا تحتاج الي اني اوصيك على ولدك * وانما اوصيك بحفظ الخاتم خوفا عليك وعلى هذا الغلام * فقال ما على من يحفظه الله بأس فقلعت الخاتم واعطته له * وفى ثاني يوم توفيت الى رحمة الله تعالى واقام معروف ملكا وصار يتعاطى الاحكام * فاتفق له فى بعض الايام انه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه الى اماكنهم * ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها الى ان مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار * فدخل عليه ارباب منادمته من الاكابر على عادتهم وسهروا عنده من اجل البسط والانشراح الى نصف الليل * ثم طلبوا الاجازة بالانصراف فاذن لهم وخرجوا من عنده الى بيوتهم * وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مفيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة والبسته بدلة النوم واضطجع * فصارت تكبس اقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت الى مرقدها ونامت * هذا ما كان من امرها * واما ما كان من امر الملك معروف فانه كان نائما فلم يشعر الّا وشيءٌ بجانبه فى الفراش فانتبه مرعوبا * وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينه * فرأى في جانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من انت * قالت لا تخف انا زوجتك فاطمة العرة فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها

وطول اقيابها * وقال من اين دخلت عليّ ومن جاء بك الى هذه البلاد * فقالت له في اي البلاد انت في هذه الساعة قال في مدينة خيتان الختن * وانت متى فارقت مصر قالت في هذه الساعة قال لها وكيف ذلك * قالت اعلم اني لما تشاجرت معك وقد اغراني الشيطان على ضررك واشتكيتك الى الحكام * ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك * وبعد ان مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت ان العيب عندي وصار الندم لا ينفعني * رقعدت مدة ايام وانا ابكي على فراقك وقلّ ما في يدي واحتجت الى السؤال لاجل القوت * فصرت اسأل كل مغبوط وممقوت ومن حين فارقتني وانا أكل من ذل السوال وصرت في اسوأ الاحوال * وكل ليلة اقعد ابكي على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران * وصارت تحدثه بما جرى لها وهو باهت فيها الى ان قالت وفي امس درت طول النهار اسأل فلم يعطني احد شيأ * وصرت كلما اقبل على احد واسأله كسرة يشتمني ولا يعطيني شيأ * فلما اقبل الليل بت من غير عشاء فاحرقني الجوع وصعب عليّ ما قاسيت وقعدت ابكي * واذا بشخص تصور قدامي وقال لي يا امرأة لاي شيء تبكين * فقلت انه كان لي زوج يصرف عليّ ويقضي اغراضي وقد فقد مني ولم اعرف اين راح وقد قاسيت الغلب من بعده * فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف قال انا اعرفه * اعلمي ان زوجك الآن سلطان في مدينة * وان شئت ان اوصلك اليه افعل ذلك * فقلت له انا في عرضك ان توصلني اليه * فحملني وطار بي بين السماء والارض حتى اوصلني الى هذا القصر *

و قال ادخلي في هذه الحجرة ترى زوجك نائما على السرير * فدخلت فرأيتك في هذه السيادة وانا ماكان في املي انك تفوتني وانا رفيقتك * والحمد لله الذي جمعني عليك * فقال لها هل انا فتك او انت التي فتني وانت تشكينني من قاض الى قاض * وختمت ذلك بشكايتي الى الباب العالي حتى نزّلتِ عليّ ابا طبق من القلعة * فهربت قهرا عني * وصار يحكي لها على ماجرى له الى ان صار سلطانا وتزوج بنت الملك واخبرها بانها ماتت و خلف منها ولدا صار عمره سبع سنين * فقالت له الذي جرى مقدر من الله تعالى وقد تبت وانا في عرضك انك لا تفوتني ودعني أكل عندك العيش على سبيل الصدقة * ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبي عن الشر واقعدي عندي وليس لك الّا مايسرك فان عملت شيأ من الشر اقتلك ولا اخاف من احد * فلا يخطر ببالك انك تشكينني الى الباب العالي وينزل لي ابو طبق من القلعة فاني صرت سلطانا والناس تخاف مني وانا لا اخاف الّا من الله تعالى فان معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه ابو السعادات ومهما طلبته منه يجيئني به * فان كنت تريدين الذهاب الى بلدك اعطيك ما يكفيك طول عمرك وارسلك الى بلادك بسرعة * وان كنت تريدين القعود عندي فاني اخلي لك قصرا وافرشه لك من خاص الحرير * واجعل لك عشرين جارية تخدمك وارتب لك المأكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي او اموت انا فما تقولين في هذا الكلام * قالت انا اريد الاقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فافرد لها قصرا وحدها

وانعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة * ثم ان الولد صاريذهب عندها وعند ابيه فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها * فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها * ثم ان معروفا اشتغل بحب الجوارى الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة * لانها صارت عجوزا شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء اقبح من الحية الرقطاء * خصوصا وقد اساءته اساءة لا مزيد عليها وصاحب المثل يَقولُ الإساءَةُ تَقطَعُ أَصلَ المَطلوبِ وَتَزرَعُ البَغضاءَ فِي أَرضِ القُلُوبِ ولله در القائل

إِحرِصْ عَلى فَرطِ القُلوبِ مِنَ الأَذى ... فَرُجوعُها بَعدَ التَنافُرِ يَعسُرُ
إِنَّ القُلوبَ إِذا تَنافَرَ وُدُّها ... مِثلُ الزُجاجَةِ كَسرُها لا يُجبَرُ

ثم ان معروفا لم يأوها لخصلة حميدة فيها وانما عمل معها هذا الاكرام ابتغاء مرضات الله تعالى * ثم ان دنيازاد قالت لاختها شهرزاد ما اطيب هذه الالفاظ التي هي اشد اخذا للقلوب من سواحر الالحاظ * وما احسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة * فقالت شهرزاد واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك * فما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اصبح الملك منشرح الصدر ومنتظرا لبقية الحكاية * وقال في نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها * ثم خرج الى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت ابطه فمكث الملك فى الحكم بين الناس طول نهاره * وبعد ذلك ذهب الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الالف وهي اخر الكتاب

ذهب الملك الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها اختها دنيازاد اتممي لنا حكاية معروف قالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك بالحديث * فقال لها الملك قد اذنت لك بالحديث لانني متشوق الى سماع بقيته * قالت بلغني ايها الملك ان الملك معروفا صارلا يعتني بزوجته من اجل النكاح * وانما كان يطعمها احتسابا لوجه الله تعالى فلما رأته ممتنعا عن وصالها ومشتغلا بغيرها بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها ابليس انها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه * ثم انها خرجت ذات ليلة من الليالي ومشت من قصرها متوجهة الى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف * واتفق بالامر المقدر والقضاء المسطر ان معروفا كان راقدا مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال * ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من اصبعه اذا اراد ان يجامع احتراما للاسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليه فلا يلبسه الا على طهارة * وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها الا بعد ان احاطت علما بانه اذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى ينطهر * وكان من عادته انه متى جامع يأمر المحظية ان تذهب من عنده خوفا على الخاتم * واذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه * وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه وكانت تعرف هذا الامر كله * فخرجت بالليل لاجل ان تدخل عليه في القصروهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم

بحيث لا يراها * فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور * فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحا عليه * فلما خرجت من قصرها رأها مجتهدة في المشي الى جهة قصر ابيه * فقال في نفسه يا هل ترى لاي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام واراها متوجهة الى قصر ابي * فهذا الامر لا بد له من سبب * ثم انه خرج وراءها وتبع اثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر * وكان لا يخرج الى ديوان ابيه الا متقلدا بذلك السيف لكونه مستعزا به * فاذا رأه ابوه يضحك عليه ويقول ما شاء الله ان سيفك عظيم يا ولدي * ولكن ما نزلت بـه حربا ولا قطعت به رأسا * فيقول له لا بد ان اقطع بـه عنقا يكون مستحقا للقطع فيضحك من كلامه * ولما مشى وراء زوجة ابيـه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر ابيـه فوقف لها على باب القصر * وصار ينظر اليها فرأها وهي تفتش وتقول اين وضع الخاتم ففهم انها دائرة على الخاتم * فلم يزل صابرا عليها حتى لقيته * فقالت ها هو والتقطته وارادت ان تخرج فاختفى خلف الباب * فلما خرجت من الباب نظرت الى الخاتم وقلبته في يدها وارادت ان تدعكـه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقهـا فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة * فانتبه معروف فرأه زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده * فقال له ما هذا يا ولدي قال يا ابي كم مرة وانت تقول لي ان سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا * وانا اقول لك لا بد ان اقطع به عنقا مستحقا للقطع فها انا قد قطعت لك به عنقا مستحقا للقطع

واخبره بخبرها * ثم انـه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في اعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه فاخذه من يدها * ثم قال له انت ولدي بلا شك ولا ريب اراحك الله في الدنيا والآخرة كما ارحتني من هذه الخبيثة * ولم يكن سعيها الّا لهلاكها ولله درمن قـال

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللهِ لِلْمَرْءِ مُسْعِفًا تَأَتَّى لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُرَادُهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

ثم ان الملك معروفا زعق على بعض اتباعه فاتوه مسرعين فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة * وامرهم ان يأخذوها ويحطوها في مكان الى الصباح ففعلوا كما امرهم * ثم وكّل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها وماكان مجيئها من مصر الّا لترابها ولله درمن قـال

مَشَيْنَاهَا خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

وما احسن قول الشاعر

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
هَلِ الْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمِ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم ان الملك معروفا ارسل يطلب الرجل الحرّاث الذي كان ضيفه وهو هارب * فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته * ثم علم ان له بنتا بديعة الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة

حكاية اعتاق الملك زوجته شهرزاد عن قتلها ودعاءه الخير لها

النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج ابنه واقاموا مدة في ارغد عيش و صفت لهم الاوقات * وطابت لهم المسرات * الى ان اتاهم هادم اللذات * ومفرق الجماعات * ومخرب الديار العامرات * وميتّم البنين والبنات * فسبحان الحي الذي لا يموت * وبيده مقاليد الملك والملكوت * وكانت شهرزاد في هذه المدة قد خلفت من الملك ثلثة اولاد ذكور * فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الارض بين يدي الملك * وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان اني انا جاريتك ولي الف ليلة وليلة وانا احدثك بحديث السابقين * ومواعظ المتقدمين * فهل لي في جنابك من طمع حتى اتمنى عليك امنية * فقال لها الملك تمني تعطي يا شهرزاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا اولادي فجاءوا لها بهم مسرعين * وهم ثلثة اولاد ذكور واحد منهم يمشي وواحد يحبو وواحد يرضع * فلما جاءوا بهم اخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الارض وقالت يا ملك الزمان هؤلاء اولادك وقد تمنيت عليك ان تعتقني من القتل اكراما لهؤلاء الاطفال * فانك ان تقتلني يصير هؤلاء الاطفال من غير ام ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء * فعند ذلك بكى الملك وضم اولاده الى صدره * وقال يا شهرزاد والله اني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الاولاد * لكوني رأيتك عفيفة نقية حرة تقية * بارك الله فيكِ وفي ابيكِ وامكِ واصلكِ وفرعكِ * واشهد الله عليّ اني قد عفوت عنكِ من كل شيء يضرّكِ * فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحا زائدا * وقالت له اطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارا * وشاع السرور في سراية الملك حتى

انتشر في المدينة * وكانت ليلة لا تعد من الاعمار * و لونها ابيض من وجه النهار * واصبح الملك مسرورا * وبالخير مغمورا * فارسل الى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره اب شهرزاد خلعة سنية جليلة * وقال له سترك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سببا لتوبتي عن قتل بنات الناس * وقد رأيتها حرة نقية * عفيفة زكية * ورزقني الله منها بثلثة اولاد ذكور * والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة * ثم خلع على كامل الوزراء و الامراء وارباب الدولة * وامر بزينة المدينة ثلثين يوما ولم يكلف احدا من اهل المدينة شيأ من ماله * بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك * فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعبت كامل ارباب الملاعب * واجزل لهم الملك العطايا والمواهب * وتصدق على الفقراء والمساكين وعم باكرامه سائر رعيته واهل مملكته * واقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتى اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات * فسبحان من لايفنيه تداول الاوقات *

ولا يعتريه شيء من التغيرات * ولايشغله حال

عن حال * وتفرد بصفات الكمال * والصلوة

والسلام على امام حضرته وخيرته

من خليقته سيدنا محمد سيد

الانام * ونضرع به اليه



* خاتمة الطبع *

تم الكتاب بعون الملك الوهاب المدعو باسمار الليالي للعرب * فيما يورث الطرب * المسمى بالف ليلة و ليلة بتصحيح الضعيف الحقير الصغير * احمد الشهير باحمد كبير * باعانة امير الامراء * دستور اكابر الوزراء * العالى الجناب المتعالى القباب * الذي له في الفنون الادبية ممارسة سنية * وفي العلوم المتداولة بين العرب والهند والفارس والافرنج والسند * مهارة عليه * رئيس اصحاب الشورى * رأس ارباب النجوى * ممهد قواعد الامور الملكية * مؤسس مباني الدولة المالية * ذى الرأى الصائب والفكر الثاقب هوالذي شيد بنيان العلوم حين كادان ينهدم * وابرم حبل الفضائل بعدما اشرف على ان ينصرم * هوالذي تصاعد بتصاعد رتبته مراتب العلوم * وتذلل وطأطأ بعداء رأيه آراء ذوي الفهوم * البالغ في اشاعة العلوم بمنتهى الغايات * الباذل في نشر العدل باقصى النهايات * اغاث الافاضل بالافضال والاكرام * وخصّهم من بين الانام بغاية الاجلال والانعام * هو الذى سعى في ابقاء آثار المتقدمين * وبذل غاية الجهد في اطفاء نائرة المتأخرين * المستولى على اعلى الرتب هنري تهوبي فرنسب صاحب بهادر ادام الله دولته وزاد مدى الايام حشمته * في سبع خلون من الربيع الآخر سنة ثمان وخمسين بعد الألف والمائتين من السنين الهجرية موافقا لسبعة عشر من شهر مي سنة اثنى واربعين بعد الالف وثمانمائة من السنين المسيحية *

	No. of Copies.
Robertson, Lieutenant R.,	1
Ruheem Oola, Moulvee,	1
Russomoy Dutt, Baboo,	1
Stacy, Colonel L. R.,	1
Syud Kurreem Haussain,	1
Sale, Lieutenant T. H.,	1
Sooban Ali Khan,	4
Sutherland, Major J.,	1
Sleeman, Captain W. H.,	1
Stainforth, H., Esq.	1
Syud Munovar Ali, Moulvee,	1
Saunders, J. O. B., Esq.	1
Syud Meerza Hasun, Moulvee,	1
Skinner, Colonel,	1
Samuells, E. A., Esq.	1
Showers, Captain St. G. D.,	1
Tahawer Jung, Nuwab,	2
Torrens, H. W., Esq.	3
Thoresby, Captain C.,	1
Thomason, J., Esq.	1
Tottaram Bahadoor, Rajah,	1
Vizier to the King of Lucknow,	5
Ventura, General,	5
Walters, H., Esq.	1
Wise, Dr. T. A.,	2
Wade, Captain C. M.,	5
Warlow, Captain T.,	1
Woollaston, M. W., Esq.	1
Withers, Rev. J.,	1
Wallington, Colonel C. A. G.,	1
Williamson, F. A., Esq.	1
Wynyard, W., Esq.	1
Yule, G. U., Esq.	1
Zainood-deen Hossain,	2

	No. of Copies.
Lane, E. W., Esq.	1
Lyall, J., Esq.	1
Mill, Rev. Dr.,	2
Macnaghten, W. H., Esq.	1
Maling, Lieutenant R.,	1
Malkin, Sir B. H.,	2
Metcalfe, The Hon'ble Sir C. T.,	10
Mushle, Ezekial, Esq.	1
McLeod, Col. D.	1
Mahomed Ali, Pacha of Egypt,	1
——— Majd,	1
——— Rafig,	1
Manuk, M. M., Esq.	2
Mahomed Haussain Bux,	1
——— Latief,	1
Morison, Hon'ble Colonel,	1
Moontuzum-oud Doula, Mehdi Alee Khan,	1
Morley, C., Esq.	1
McLeod, D. F., Esq.	1
Mynoodeen Sufdar,	1
Manowar Ali, Cazee,	1
Meiklejohn, H. C., Esq.	1
Madras Literary Society,	1
Macdonald, Captain J.,	1
Millett, F., Esq.	1
Malan, Rev. S. C.,	1
Maddock, T. H., Esq.	1
McCullum, M., Esq.	1
Muneer Alum, Shah,	1
McClintock, G. F., Esq. for Harrow School,	1
Neave, J., Esq.	1
Nubee Aur, Moulvee,	1
Nizamut College, Moorshedabad,	2
Native Education Society,	6
Ostell and Co.	6
Oldfield, H. S., Esq.	1
Ochterlony, Sir C.,	1
Prinsep, H. T., Esq.	1
Palmer, S. G., Esq.	1
Pearson, J., Esq.	1
Persaud Narain Sing, Rajah,	1
Prowett, N. H. E., Esq.	1
Prossonocomar Tagore, Baboo,	1
Pittar, Lattey and Co.	8
Phayre, Lieutenant A. P.,	1
Public Library,	1
Paye, Captain J. R.,	1
Prinsep, J., Esq.	1
Ryan, Hon. Sir E.,	1
Rattray, R. H., Esq.	1
Reynolds, Captain P. A.,	3
Runjit Sing, Maharajah,	5

	No. of Copies.
Connyloll Tagore, Baboo, ...	1
Collier, G., Esq.	2
Colebrooke, E., Esq.	1
Clarke, Longueville, Esq.	1
Dent, W., Esq.	1
Dick, R. K., Esq.	1
Douglas, H., Esq.	1
Dickson, Rev. Mr.	1
Elliott, Lieutenant E. K., ...	1
———, J. B., Esq.	1
Elliot, H. M., Esq.	1
Edgeworth, M. P., Esq.	1
Ewart, J. K, Esq.	1
Eliot, W., Esq.	1
Ellis, Lieutenant R. R. W., ...	1
Evan, W., Esq.	1
Fraser, General J. S., ...	1
———, Charles, Esq.	1
Forbes, Dr.	1
Grant, W. P., Esq.	4
Garden, Dr. A., ...	1
General Committee of Public Instruction, ...	10
Graham, H., Esq.	1
Houstoun, R., Esq.	1
Halliday, F. J., Esq.	1
Huffnagle, C., Esq.	1
Hoogly College, ...	1
Hay, Captain J., ...	1
Higginson, J. B., Esq. for the Harvard University, United States, ..	1
Harris, Ensign C., ...	1
Hodges, E. S., Esq.	1
Hodgson, B. H., Esq.	1
Hamilton, Lieutenant G. W., ...	1
Hayes, Ensign F. F. C., ...	1
Jessop, G., Esq.	1
Jenkins, Captain F., ...	1
Jackson, A. R., Esq.	1
———, Dr. W., ...	1
Imdad Ali, ...	1
Inglis, Capt. H.	1
Jackson, Dr. J., ...	1
Kazee Jellaluddeen, ...	1
Kirby, Lieutenant C. F., ...	1
Kereem Ali, Moonshee, ...	1
Kistnah Oodaveir, Rajah Bahadoor, ...	5
Loch, G., Esq.	1
Lumley, Lieutenant J. R., ...	1
Laing, J. W., Esq.	1

SUBSCRIBERS TO THE ALIF LAILA.

	No. of Copies.
THE RIGHT HON'BLE LORD AUCKLAND, G. C. B. &c. &c.	ONE.
GOVERNMENT OF INDIA,	50
——————— MADRAS,	10
——————— BOMBAY,	25
Asiatic Society,	5
Allen and Co., W. H.,	250
Andrew, T. W., Esq.	1
Ashuk Ali Khan Moonshee,	1
Ahmed Kuveer, Hafiz,	1
Alves, Colonel N.,	1
Abdoolla Sheik,	1
Alee Khan Bahadoor,	1
Allee Buksh, Moulvee,	1
Azeem Shah Bahadoor, Naib-i-Mooktear,	2
Bishop of Calcutta,	5
Birch, Captain F. W.,	1
Beatson, Colonel W. S.,	1
Bunny, A. C., Esq.	2
Beresford, H. B., Esq.	3
Baillie, N. B. E., Esq.	1
Barlow, R., Esq.	1
Bishop's College Library,	1
Bailey, F., Esq.	2
Blanchard, J., Esq.	1
Bengal Artillery Mess,	4
Bombay Royal Asiatic Society,	1
Barlow, J. H., Esq.	1
Boileau, Lieutenant A. H. E.,	1
Begbie, A. W., Esq.	1
Cunningham, Lieutenant J. D.,	1
Caulfield, Colonel J.,	1
Cunningham, Captain A.,	1
Curnin, J., Esq.	1
Charles, Rev. Dr. J.,	1
Compton, Hon'ble Sir Herbert,	2
Campbell, Dr. A.,	1
Chew, R. W., Esq.	1

٤٢١٨

CALCUTTA:

PRINTED AT THE BAPTIST MISSION PRESS.

1842.

THE

ALIF LAILA,

OR

BOOK OF THE THOUSAND NIGHTS

AND

ONE NIGHT,

Commonly known as 'The Arabian Nights' Entertainments,'

NOW, FOR THE FIRST TIME, PUBLISHED COMPLETE IN

THE ORIGINAL ARABIC,

FROM AN EGYPTIAN MANUSCRIPT

BROUGHT TO INDIA BY THE LATE MAJOR TURNER MACAN, EDITOR OF THE SHAH-NAMEH.

EDITED BY

SIR W. H. MACNAGHTEN, BART.

Bengal Civil Service.

IN FOUR VOLUMES.

VOL IV.

CALCUTTA:

W. THACKER AND CO. ST. ANDREW'S LIBRARY.

LONDON:

WM H. ALLEN AND CO. 7, LEADENHALL ST.

Booksellers to the East-India Company.

1842.